

د / أحمد بن نيمان

فرنسا والأطروحة البربرية

الخلفيات، الأهداف، الوسائل والبدائل



بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل من سار مخلصا- في درب الجهاد  
الطويل، ضد الصليبية، واللاتينية والتغريب قديما...

والفرنسة، واللأكية الدينية و«اللغوية» حديثاً...

وفي طليعة هؤلاء المجاهدين، عقبه وطارق في  
الأولين، وعبد القادر وفاطمة انسومر وابن باديس  
وابن بولعيد وابن مهدي وعميروش وزينغود  
وديدوش وأمثالهم من المجاهدين الأحياء والمنتظرين  
في الآخرين... من أجل أن تعود الجزائر حرّة قوية،  
وتظل مسلمة عربية!

المؤلف

تنبيه وتنويه

يجدر بي الإقرار بعد عشرين سنة من صدور الطبعة الأولى  
لهذا الكتاب، بأنه من أكثر الكتب التي لم تفقد قيمتها، بل هي تزداد  
مع الزمن، لما يتضمنه من نظرة مستقبلية أثبتت الأيام مصداقيتها

بكيفية مسطرية أحيانا، وقد كان آخرها الإعلان عن تشكيل حكومة القبائل في فرنسا هذه الأيام، وهو ما لخصه الكاتب الصحفي صادق سلايمية، في عنوان مقاله المنشور في وقت واحد بجريدتي «الشروق» و«البلاد» وصحيفتي «الخبر الأسبوعي» و«البصائر» في 20/06/2010: «ما تنبأ به بن نعمان منذ زمان تحققه فرنسا الآن».

والعنوان في ذاته يغني عن أي تعليق عن محتوى ومستوى الكتاب الذي هو بين يديك، في هذه الطبعة «التراكمية» التي روعي فيها كل ما فات استعدادا لما هو آت حول هذا الموضوع، الذي تتقاطع فيه مصالح دول بكاملها وتتوقف عليه مصائر شعوب ووحدة أوطان على طريقة العراق وكردستان لخلق «بربرستان» في بلاد مغرب عدنان!!

واعتقادنا منا بأن هذا الموضوع له بداية وليس له نهاية قريبة إيجابية للبعض وسلبية للبعض الآخر من هذه الدول، الفاعلة من جهة، والدول المفعول بها وفيها، والمفعول لأجلها من جهة أخرى، طولا وعرضا، دفاعا عن مصالحها الحيوية ضمن لعبة النفوذ الأممية في المنطقة العربية، كما أشرنا إلى ذلك في مقدمة الطبعة الأولى منذ عقدين، ونعيد تأكيده الآن، لأن الزمان إذا كان غير الزمان فالإنسان المصلحي والمبدئي، والوطني والبطني، والنازل والصاعد، والمتحرك والجامد والمتهاون والخائن هو الإنسان، على اختلاف السياسات والثقافات والأوطان...

**المؤلف**

الجزائر في 15 شعبان 1431 هـ  
(2010/07/25)

## مقدمة الطبعة الثانية

عندما صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة 1990 تعرف

القراء على حقائق مذهلة واكتشفوا مؤثرات رهيبة ضد الوطن ووحدة الأمة، جعلتهم يذكرون بعض خلفيات الصراع المتواصل من أجل تحقيق الاستقلال التام عن فرنسا التي أخرجها الأحرار من بعض الحقول والديار... وفي فرنسا الشيء الكثير من الحقد المكبوت والرغبة الملحة في الثأر والانتقام من شعب الشهداء بالعملاء الذين غرستهم ووطنتهم المخططات، وتعهدهم ورقتهم التواطؤات والخيانات... فاستؤمنوا على مقدرات الأمة في أهم مقدساتها ومؤسساتها الحيوية والحساسة، تحت شعار «عفا الله عما سلف» وتحت شعار «الخبرة الفنية» و«الأقدمية الوظيفية» فباتوا بحكم الامتيازات والحصانات المكتسبة في المرحلة الجديدة مطلقي الأيدي والأرجل لإتمام المهمة بالنيابة عن أولياء النعمة في الاستحواذ على مكاسب الاستقلال بـ «الاستحلال» والتخطيط في هدوء وطمأنينة للعودة إلى الوراء من نفس الثغرات الملعمة التي أحدثوها في الجدار الوطني ذات يوم احتياطا وأملا في إعادة الكرة لتحقيق الهدف المنشود في اليوم الموعود، تحت غطاء «الشرعية الدولية» والحق في فرض التعددية اللغوية لصالح «الأقلية العرقية والقومية» التي ما انفك خبراءها يروجون لها بكل الوسائل وينفخون في رمادها لإشعال نار فتنتها ضمن مجال نفوذهم اللغوي في الضفة الغربية لجنوب «البحيرة» المتوسطة التي يابون إلا أن تبقى تحت الهيمنة الفرنسية، رغم شهداء القضية، والحرية، والهوية الوطنية في الجناح الغربي للأمة المحمدية.

كل ذلك كان الكتاب قد تناوله بدرجة من الجرأة والشمولية في الطرح، والدقة في التشخيص، والصراحة في اقتراح البدائل

المتاحة، والوضوح في الرؤية المستقبلية التي أثبتت الأيام اللاحقة، (وبكل تواضع) مصداقية توقعاتها في العديد من المجالات والأحداث المتتالية، كما سيتبين القارئ ذلك من خلال إعادة قراءة مقدمة الطبعة الأولى وبعض الفصول ذات الطابع الاستشراقي .

وهذا ما يفسر نفاذ الكتاب في أقل من سنة، غير أن عوامل متعددة (ليس هنا مجال ذكرها) حالت دون إصدار طبعات لاحقة له، سواء بلغته الأصلية أو بترجمات إلى لغات أخرى كما كان مقترحا على المؤلف من بعض الجهات والشخصيات الوطنية... وقد أعدت الترجمة إلى اللغة الفرنسية في حينه، وقدمت إلى عدد من دور النشر في الجزائر والمغرب وفرنسا ذاتها، ولكنها لم تجد سوى الرفض المرفوق باعتذارات مفادها التخوف من نشر هذا الكتاب الذي يسير عكس التيار، وضد مصالح الطرف القوي والقادر على إلحاق الضرر بالدار التي تقدم على نشره (وقد ننشر هذه الردود المكتوبة مستقبلا إذا واثت الفرصة ذلك)

ونظرا لأن موضوع الكتاب ما يزال حيا يتصدر بعض أحداث الساعة والساحة السياسية الوطنية والجهوية المغاربية، وسيظل كذلك -في اعتقادنا- لسنوات عديدة قادمة لارتباطه بمصالح استراتيجية لقوى نافذة في السلطة ... إلى أن تستكمل الجزائر والدول المجاورة لها مقومات استقلالها وهويتها وسيادتها بالكامل من المستعمر السابق نفسه، باستئصال جميع مخلفاته من مراكز ومواطن التأثير في الواقع! ونظرا لأن غيوم الإرهاب الفكري الأحادي الذي ظل سائدا في البلاد لعدة سنوات قد بدأ في الانقشاع لصالح الحق والوطن، وأخذت

ردتها الظلامية الظالمة تتقلص من الساحة بعودة المبادرة والثقة بالنفس لأصحاب هذا الحق، ببداية عودة المياه الديمقراطية إلى مجاريها الانتخابية في جو من الحد الأدنى المضمون لحرية التعبير والبحث والتقرير المكفولة «بالنصوص» القاضية بمقارعة الحجة بالحجة، وليس قمع الفكرة بالعصا والصولجان، وإصاق التهم الجائرة لأيّ كان في أيّ آن... دون محاكمة أو دفاع لإثبات التهمة أو إبطالها بالحجة والبرهان!!

واقتناعاً بأنه من الجريمة بمكان في حق الوطن والتاريخ أن يتجرأ أعداء الأمة وأبناؤها المرتدون على الجهر بالكفر، والدفاع عن الباطل بالباطل، ويصمت في وجلٍ أو يجبن في خجل أبناؤها الشرعيون عن القيام ببعض الواجب في دحض الباطل والدفاع عن الحق بالحق، وفاء للشهداء، وفضحاً لمناورات ومؤامرات الأعداء!! وتلبية مني لرغبة آلاف القراء الذين ما زالوا يطلبون الكتاب من داخل الوطن ومن خارجه في الأقطار الشقيقة الذين قرأوا عنه العديد من الأخبار والتعليق في الصحف العربية، وخاصة جريدة «الشرق الأوسط» اللندنية التي نشرته بالكامل في حلقات يومية خلال شهر أغسطس (1990).

بناءً على هذا كله، قررت إعادة إصدار هذه الطبعة الجديدة من الكتاب في دار نشر جديدة، وبمقدمة وإضافات وتعليق وملاحق جديدة اقتضتها الظروف الجديدة...

وهذا كله خدمة لما نراه انه الحق في المعرفة والتوعية والتثقيف، وهو قبل كل شيء، حق الأمة على من يضعهم القدر في عداد المحسوبين على الثقافة من أبنائها، ويقع على عاتقهم واجب

الدفاع عن هذا الحق والتزام توحيه والسير في نهجه -دون أي انحراف أو التفاف- اضطلاعا بهذه الرسالة التي تعتبر تكليفا من الأمة لهم وضريبة منهم لها، بقدر ما تعتبر تشريفا منها لمن يستحقها من هؤلاء الأبناء الجديرين بهذه البنوة وهذا الانتماء.

**المؤلف**

**الجزائر في 1997/01/25**

## مقدمة الطبعة الأولى

يعرف سكان شمال إفريقيا عموماً، (أو المغرب العربي حالياً) منذ القديم باسم الأمازيغ أو البربر(\*)، وهذه المجموعة السكانية تتوزع على الرقعة الجغرافية الممتدة من المحيط الأطلسي غرباً إلى الحدود الليبية الغربية شرقاً... حيث ما يزال إلى يومنا هذا السكان في بعض المناطق الريفية والجبالية البعيدة -عموماً- عن الإشعاع الحضاري العربي الإسلامي عبر القرون... من يستعملون في حديثهم اليومي الدارج بكيفية تلقائية مختلف اللهجات المحلية المتفرعة -أصلاً- عن البربرية الأولى «المفترضة» المنحدرة من الوجود منذ عشرات القرون... والتي تختلف اختلافاً بيناً عن اللهجات «البربرية» الحالية التي ما يزال سكان المناطق يستمدون أسماء قبائلهم منها، والذين من بينهم في المغرب الأقصى (المملكة المغربية) على سبيل المثال:

«الشلح» «الريافة» «السوس» وهم القبائل الذين ما يزالون يستعملون على التوالي «تاشليحت» «تاريفيت» «تامازيغت».

أما في الجزائر: نجد الأكثر شهرة منهم: الشاوية، القبائل (الصغرى والكبرى) الميزابيون، (أو بنو ميزاب)، الطوارق، الشناوة، والرقيبات... وكل هذه المجموعات تنتسب بأسمائها إلى لهجاتها المحلية، وهي على التوالي كما هو معروف «تاشويت» «ثاقبيليت»

«ثامزابيت» «ثاتارقيت» «ثارقيبيت» «ثاشنويت» الخ ... وعلى هذا المنوال يمكن أن نذكر أيضا الجرابة في تونس، والغرابة أو العرابة بالجبل الغربي في ليبيا ...

على أن ما يجدر الإشارة إليه في هذا الموضوع هو أن معظم هؤلاء السكان (ذوي الانتسابات القبلية المختلفة) لا يستطيعون التفاهم فيما بينهم دون اللجوء إلى اللغة الحضارية والثقافية المشتركة التي تجمعهم في بوتقة واحدة منذ قرون، ألا وهي اللغة العربية، سواء في شكلها القرآني الفصيح، أو في شكلها العامي الدارج...

وفي هذا المعنى يقول الباحث المغربي الأستاذ عبد الكريم غلاب: «وإذا كانت أجزاء من المغرب ماتزال تستعمل البربرية لغة حديث (على اختلاف لهجاتها بين الريف في الشمال و الأطلس المتوسط والوسط والأطلس الكبير في الجنوب) إلى جانب العربية فان لغة التعليم والتفكير والكتابة والعقود هي العربية مثل ما أصبحت عليه منذ ادريس الأول في منتصف القرن الثاني الهجري»<sup>(1)</sup>.

ومن ثمة فإن أي طرح للمسألة البربرية على أي أساس (قبلي أو جبلي) داخل أي قطر عربي مغربي على حدة، هو طرح تفتيتي انعزالي انفصالي عن بقية سكان المناطق الأخرى داخل القطر الواحد، ناهيك عن الوطن الأكبر الذي كان وما يزال يصبو إلى تحقيقه كل المخلصين من الموحيدين القدامى والمعاصرين في هذه الأمة.

وان المهتم بشؤون الساعة والساحة الوطنية والقومية المنتبِع لظواهر ومظاهر التطور الاجتماعي والتغير (السياسي- الثقافي والطائفي) الحاصل في هذه الأقطار نتيجة الارتخاء الملموس لخيوط الكمامات التي كانت موضوعة على الأفواه الناطقة (وغير الناطقة)

يلاحظ أن الديمقراطية وحرية التعبير التي تعتبر حقا عزيز المنال تهون في سبيله الحريات والأعمار لدى العديد من الشعوب المكبلة والمكمنة... قد يصبح هذا الحق من ذلك النوع الذي يراد به باطل إذا وضع (من غير شروط دقيقة ومحكمة) في أيادي قصر وارثين للثروة عن الآباء والأجداد دون تعب أو مشقة، يتولى رعايتهم وتوجيههم أدعياء للقرابة والنسب، قتلوا الآباء ثم نصبوا أنفسهم أوصياء على الأبناء حتى يشتد عودهم ويعتمدوا على أنفسهم في التوقيع على عقد الهبة أو البيع (...). للقريب قبل الغريب؟؟؟

وإذا لم يكن ليوحد في الدنيا ورد من غير شوك، فالحكمة تقتضي من العاقل أن يعمل على تقادي الشوك من الورد، بدلا من أن يحصد الشوك دون الورد. وهذا هو نوع الحصاد الذي سُخِّر لخدمة باطل في بلداننا النامية ديمقراطيا...

وإذا لم يكن من الحكمة ولا من الشجاعة بمكان رفض الورد من أجل الشوك، فمن الغباء -أيضا- أخذ الشوك من غير ورد! ومن هنا ينطلق الرهان في اللعبة الديمقراطية والتعددية التي أوجدتها بلدان، واستوردتها بلدان من بلدان، وصدرتها بلدان إلى بلدان، وشجعنها بلدان في بلدان... على أن اسم الديمقراطية إذا كان واحدا فان المسمى يبدو جد مختلف، في العديد من الأفهام، وهو راجع إلى كون ما هو صالح لبلد أو في بلد، قد لا يكون بالضرورة صالحا بنفس الكيفية ونفس الشروط (بكيفية مسطرية) لبلد آخر، ولو كان الناس ذوي ثقافة واجدة لكانوا أو لكونوا - منذ الأزل إلى الأبد- أمة واحدة! وهذا ما لم يحصل ولن يحصل أبداً، ولذلك أوجدتهم خالقهم، كما يقول في كتابه العزيز: (ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ولا

يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم(1).

ومن هنا يمكن تقسيم استقلال الأمم والشعوب من الناحية الاصطلاحية والموضوعية إلى قسمين اثنين، لا يتم الاستقلال الحقيقي لأية أمة أو شعب إلا بتكاملهما معا، ولا يتم الاحتلال الحقيقي -أيضا- لأية أمة، وإتمام السيطرة للغاصب على مقدراتها، إلا بزوالهما معا، وهما:

### أولا- استقلال الجنسية:

وهو أن يصبح للشعب المحتل جنسية مغايرة لجنسية الدولة التي كانت تحتل أرضه، وما يستتبع ذلك من وجود علم وطني، وعُلمة وطنية ونشيد وطني، تمثل جميعها رموز السيادة على التراب الوطني... وهذا النوع من الاستقلال سهل المنال نسبيا، والدليل على ذلك أن أكثر من ثلاث عشرة دولة إفريقية حصلت عليه دفعة واحدة دون حرب في فترة رئاسة الجنرال ديغول أثناء ثورة التحرير الجزائرية المسلحة (1954-1962)(1).

وذلك للتفرغ المادي والمعنوي للقضاء على هذه الثورة كما يقول الجنرال ذاته، لكون الجزائر ظلت دائما تمثل البوابة الإستراتيجية للاستقلال والاحتلال في الوقت ذاته- لجل البلاد الإفريقية الأخرى في المنظور الفرنسي... بدليل أن جميع الأقطار الإفريقية قد احتلتها فرنسا بعد احتلال الجزائر، ومنحتها الاستقلال السياسي (أو استقلال الجنسية) قبل استقلال الجزائر سنة 1962 والذي دفعت فيه الجزائر من الشهداء، وتركت فيه فرنسا من الأشلاء، ما يفوق بأضعاف مضاعفة ما تركته فرنسا في غير الجزائر، وما دفعته المستعمرات الفرنسية في إفريقيا

مجتمعة، على امتداد فترة الاحتلال العسكري أو الأصغر لها...

### ثانيا- استقلال الشخصية أو الهوية(\*):

وهذا النوع من الاستقلال هو الأصعب دوما كما انه لا يتم بسهولة بعد احتلال الهوية وإلغاء اسم الجنسية ولا ينتهي بسرعة أو بسهولة -أيضا- بعد استقلال الجنسية واسترجاع بعض السيادة الوطنية الشكلية، وهنا تكمن القضية..

فالإستراتيجية الاستعمارية (التقليدية أو العصرية معا) بإمكانها أن تتخلى عن عشرات الاستقلالات للجنسية، ولا تتخلى عن استقلال واحد للشخصية(\*) بالنسبة إلى قطر مهم من مستعمراتها السابقة، وخاصة إذا كان هذا القطر في حجم وأهمية الجزائر، التي لو استقلت شخصيتها (العربية الإسلامية) استقلالا كاملا بالإضافة إلى استقلال الجيران الأشقاء في المغرب العربي، سيقضي -حتما- على احتلال الشخصية بطمس معالمها الأساسية في البلدان الإفريقية الأخرى غير العربية، والذي تراهن عليها الإستراتيجية الفرنسية في الوقت الحاضر، وستصبح -نتيجة لذلك- جل البلاد الإفريقية المقسمة حاليا إلى دول فرانكفونية (أي ناطقة بالفرنسية) ودول انجلوفونية (ناطق بالانجليزية) دولا «إسلاموفونية» (أي مسلمة ناطقة بالعربية)، كلغة حضارة متعايشة مع لغاتها، ولهجاتها المحلية غير المكتوبة إلى جانب أنها لغة عقيدتها الصامدة أمام المد الصليبي منذ قرون في هذه القارة البكر؟!!

وهكذا، فلكي يسترجع الاستعمار الفرنسي باليمنى ما افتقده باليسرى، كان لزاما عليه أن يضع كل ثقله للحيلولة دون تحقيق استقلال مقومات الشخصية للجزائر، ولا استقلال للشخصية كما هو

معلوم، دون استقلال تام للثقافة في عمومياتها وثوابتها الطابعة والمميزة لهوية أمة من الأمم الحية في هذا الوجود، عن الأمم الأخرى، ولا تحقيق للاستقلال الثقافي لأية أمة بدون تحقيق الاستقلال اللغوي الذي يبدأ من استعمال اللغة الوطنية من نظم أبيات الشعر، ونسج بيوت الشعر إلى اختراع القنابل الذرية وإطلاق الصواريخ العابرة للقارات والمحيطات والحاملة للأقمار الاصطناعية في طبقات الجو العليا...مثلا هو الشأن الطبيعي لدى الأمم ذات الشخصية المستقلة الجديرة بالبقاء في عالم الأقوياء، ولا نعدم الأمثلة الكثيرة عن مثل هذه الأمم المستقلة (سياديا وشخصانيا والتميزة هوياتيا) اليوم، والتي لم يكن بعضها شيئا مذكورا قبل قرن من الزمان، والحقيقة بعبارة أخرى تنحصر في أن بقاء استقلال الشخصية لأي شعب من شعوب الدنيا، كفيل باسترجاع استقلال الجنسية لديه ولو بعد ضياعها، مهما طال الزمن، مثلما وقع لألمانيا -مثلا- مع فرنسا أو اليابان (إلى حد ما) مع أمريكا، أو الفيتنام مع فرنسا، أو فرنسا ذاتها مع ألمانيا، أو اليابان مع كوريا، ويمكن أن يضاف إليه مستقبلا يوغسلافيا وبلجيكا، وكندا واسبانيا وقبرص، وتركيا وربما سويسرا وإيطاليا من جهة... وإن ما حدث في ألمانيا، والفيتنام، واليمن والصين، وما قد يحدث في كوريا وأذربيجان، وأرمينيا وكردستان...من جهة أخرى لأسطح برهان على ما نقول، حيث يبرهن لنا المثال الأول على عدم جدوى الجمع القسري للأمم متميزة الشخصية، في جنسية سياسية واحدة، حيث لا تلبث أن تطالب البلدان نوات الشخصية المتميزة بالاستقلال السياسي (أو استقلال الجنسية) لمجرد أن تشم قيود الاستبداد رياح الحرية، ويبرهن لنا المثال (الحي) الثاني، بكيفية ساطعة وقاطعة على

عدم جدوى الفصل لأفراد أمة واحدة، في دولتين ذات شخصيتين سياسيتين وهويتين متميزتين موزعتين -قسرا- بين معسكرين متعارضين، حيث لا تلبث الدولة المعزولة أن تطالب بالاندماج الكلي، رغم الجدار (الأسمنتي المسلح) الوهمي، العازل ماديا وسياسيا للجنسية عن الشخصية. ففي الحالة الأولى يقع انفصال بعد اتصال لاختلاف الشخصية، وفي الحالة الثانية يقع اتصال بعد انفصال لاتفاق مقومات الهوية ومميزات الشخصية.

وانطلاقا من الحثيات السابقة، وإدراكا لخطورة المرحلة الراهنة، وتفاديا لكل استغلال محتمل (وغير بريء) للتجربة الديمقراطية الفنية في بعض بلداننا المغربية الموضوعه -حاليا- تحت المجهر (في المخبر الشمالي) كبوابة لا محيد عنها لتبويض وتأييد الاستعمار الأسود للعقول والقلوب البيضاء في القارة السمراء، هذه القارة التي ما تزال معظم أقطارها ضائعة في دوامة البحث عن الذات، الخارجة - لتوها- من قبضة الاحتلال الأصغر، دون أي زاد حضاري لتحسين شخصيتها اتقاء للاحتلال الأكبر... يتعين على بلداننا المغربية أن تتقن وتعي اللعبة الذكية، حتى لا يصبح بعضهم مطية للعبور على ظهرها لتكريس الاستعمار الثقافي واللغوي، وتقاسم النفوذ السياسي والاقتصادي بين دول الشمال، والمتاجرة (في سوق المزداد الجنوبية) في القلوب والعقول والحقول الإفريقية..

وفي هذا المسعى لم يجد أرباب سوق الشمال بدا من أن يبذلوا قصارى جهدهم لتصيير بلداننا المغربية جنوبا ثقافيا ولغويا لأوروبا اللاتينية، بعد أن كانت (ولقرون عديدة خلت) شمالا لإفريقيا المسلمة التي لم تعرف في معظم بلدانها غير لغة القرآن أداة حضارية، ولا

حروفا غير الحروف العربية وسيلة لتدوين الأفكار والأشعار، قبل أن تعرف القارة كل هذه الأنواع من الاستعمار القديم والجديد الذي يصر بإلحاح على العودة إليها من نفس الباب أو الأبواب التي أخرج منها ظاهريا بقوة الجهاد وروح الاستشهاد ذات يوم!.

والشاهد على ذلك أن المتتبع لأحدث التقلبات الاستراتيجية في السياسة الاستعمارية الجديدة... يلاحظ ما يشبه التراجع التكتيكي عن مبدأ «فرق تسد» ليصبح «جمع تسد» من باب أن تجارة الجملة أفيد له وأريح من تجارة التجزئة التي كان يمارسها من قبل ... وهذا هو السبب الكامن وراء الحث والتشجيع الذي تتلقاه بلدان المغرب العربي حاليا من بعض بلدان سوق الشمال الغربي، على ضرورة الاتحاد والظهور بمظهر المحاور الواحد بدلا من محاورين متعددين.. والدليل على ذلك أننا بقدر ما نلاحظ الحث من طرفهم على اتحاد بلدان المغرب العربي بمعزل عن بلدان المشرق، نلاحظ المناهضة الشديدة لاتحاد المغرب ببلدان المشرق، وذلك بهدف مواصلة مخططات التفتيت لأطراف الأمة، وإبقاء المغرب (الفرنسي) سابقا بمعزل عن المشرق العربي لاحقا، في إطار تقسيم مناطق النفوذ (العسكري) القديم، بمقاييس نفوذ (ثقافي سياسي اقتصادي) جديد، وبرهاننا على ذلك نلاحظه في الشواهد التالية:

1- ثلاثة أرباع بلدان المغرب العربي منتمية -رسميا- إلى منظمة البلدان الفرنكفونية في كل من الكيبك (بكندا) 1988 وداكار (بالسنغال) 1989 وهذا يجعلها (نظريا على الأقل ومن الناحية الثقافية) بلدانا افريقية أكثر منها بلدانا عربية في نظر أقطاب الحركة الفرنكفونية، لأن جل البلدان الإفريقية غير العربية ليس لها خيار في

اختيار إحدى لغات الاستعمار، أما بلدان المغرب العربي، فلها لغة تملك «حق الفيتو» في منظمة الأمم المتحدة، إلى جانب اللغات الخمس الأخرى، ولذلك فانضمام هذه البلاد المغربية إلى قمة داكار، واعتماد لغة (داكار) كوسيلة عمل في إدارة الأمصار كان عن قصد واختيار، مع سبق الإصرار!!

2- لم يثر تعجب وانتباه وحيرة العالم (غير العالم (غياب بلد عن قمتي الكبك وداكار أكثر مما أثاره غياب الجزائر. مما جعل بعضهم يطمئن نفسه بوصف هذا التغييب بأنه تصرف ظرف، وسحابة صيف مما يوحي بانقلاب في المفاهيم، أرجع الاستثناء قاعدة والقاعدة استثناء في عرف التابعين، وصوّر غياب أبناء خلدون، وأبناء باديس عن قمة داكار في السنة الماضية عقوقا للوالدين!!

3- لبيحت معي بموضوعية وليفدني كل قارئ للصحافة (الفرنسية (في الجزائر، وكل الأقطار المغاربية الفرنكوفونية، إذا وجد صفة) عربي (مكتوبة في أي تعرض للحديث عن بناء (المغرب)؟!؟! (الكبير (في السنوات الأخيرة. وهذا التوجيه والتمويه الذي لا يخفى على أي نبيه، لا يحتاج إلى بيان أو برهان بأنه يعني عدم الاعتراض على بناء) المغرب الكبير (إذا كان فرنسيا) أو غير عربي (اللسان والوجدان. وأن الجنسية الحقيقية للأمم والشعوب) كما هو معلوم (لا تقاس بالأوراق وألوان جوازات السفر، وإنما تقاس بالانتماءات الحقيقية الفعلية (الحضارية والثقافية (النتيجة- أصلا وفصلا -عن انتماءات اللغة المستعملة في الميدان، وليست المقررة باللسان أو المسطرة في

البيان، كما هو واقع في بعض البلدان؟!)

فكم كان عندنا في بلدان المغرب العربي سابقا من عرب مسلمين رغم الجنسية الفرنسية، وكم أصبح عندنا من فرنسيين (مسلمين وغير مسلمين) رغم أوراق الجنسية العربية الحالية...

فالعبارة -إذن- ليست بأوراق الجنسية التي تمنح وقد تمنع، وإنما هي في الشعور بالهوية والتضحية في سبيل تمثيلها قولاً وفعلاً، وهو النموذج الفعال، لأنه قد حدث ويحدث في الدنيا أن توجد شعوب بدون أوطان أو توجد أوطان بدون شعوب (...). ولكن إذا تعذر تحقيق المثل الأعلى المتمثل في تطابق ثقافة وهوية الشعوب مع جغرافية الأوطان (كما هو الشأن في الحالات الطبيعية والسوية للبلدان) فقد تفاضل الشعوب الذكية، بين العيش كشعب بدون وطن (مع أمل وعمل) كما هو الحال في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان وجنوب لبنان في الوقت الحاضر، على أن تعيش في وطن بدون أمل في تحقيق هوية الشعب، كما هو الحال -مثلاً- في الأراضي العربية المغتصبة (جغرافياً وثقافياً) في فلسطين المحتلة سنة 1948.

وليُقَس على هذا المثال ما لم يذكر من الأحوال في بلدان

الجنوب أو بلدان الشمال!!

4- وتأكيداً للنقطة السابقة المتعلقة ببناء المغرب (غير العربي) الكبير... يلاحظ المتتبع لمراسد الاستقصاء الغربي، بدون استثناء، أن التحفظ الكبير كان على الوفاق الأخير بانضمام قطب خامس فاعل، لن يكون لهم عليه أي تأثير، بلغة فولتير أو شكسبير، إلى جانب التخوف من دوره الفعال في مد الجسر الذهبي الرابط بين المغرب العربي الكبير والمشرق العربي الأكبر(\*). ويضاف إلى هذا

وذاك قلق، بل فزع من الدور الأخطر، الذي أضطلع به القطب (المغربي) الأقدر على الجهاد الأكبر، بالسلاح الرباني الذي مارسه طارق وعبد القادر والمقراني وابن باديس بعد الأفغاني إدراكا منهم بان الطائر (المغربي) الكبير إذا لم يكن بالإمكان أن يطير -عربيا- بدون أجنحة ، فمن المستحيل أن يعيش ويحيا من غير قلب وضمير، وبرهان ذلك كان عند جيش وجبهة التحرير!

-5وبغرض التضليل وتمييع الجهود المخلصة التي ما

فتئ يبذلها أبناء المغرب العربي الأوفياء منذ العشرينيات من هذا القرن حتى الآن، مرورا بمؤتمر طنجة الكبير(1958) ، الذي نحى كل سنة ذكراه في الضمير ...نلاحظ كيف صنع لنا الفاعلون بؤر اهتمام وتجمعات وانتماءات لا تعد ولا تحصى في المنطقة، من إذاعة البحر البيض المتوسط التي تسوي في الاستماع بين سكان تطوان ووهران والقيروان عندنا، بسكان (نيس وبوردو وباريس (عندهم وقس على هذا النموذج (الوحدوي (اللساني، والتقسيم الوجداني ...كل الأشكال الأخرى من الإيحاءات التكتلية على أساس حزب اليمين وحزب اليسار، ورالي باريس-داكار، ودول جنوب الصحراء أو الشمال، ودول الساحل وساحل الدول، وبلاد ما وراء البحر الذي كان يعبر (باريز (سابقا في الخريطة المدرسية الفرنسية (...كل هذه التقسيمات يخطط لها الفاعلون في الأذهان وينفذها بعض نواب الفاعل في بلداننا المغاربية بأمانة وإتقان..

وأنا لنجزم- سلفا -بأنه إذا لم تسر الديمقراطية، والتعددية السياسية المطبقة حاليا، في الاتجاه المأمول لها في مخابر

الشمال... وسفّه الشعب الجزائري العربي المسلم في صناديق الانتخاب أحلام الأحزاب» النائبة للفاعل «في تمرير المشاريع والبرامج المسطرة لعزل القلوب عن العقول، وعزل الأرواح عن الأجساد، وفصل المغرب عن المشرق، وإلحاق الشمال الإفريقي بالجنوب الأوربي... فان أول من سيطعن في» جدوى الديمقراطية «وسيدعو إلى محاربة هذه التجربة في البلاد، هم أولئك الداعون إليها اليوم، والمتحمسون لها أنفسهم، وسيحاربونها بدعوى» عدم النضج «للتطبيق الديمقراطي في مناح» الجهل والتعصب، واللاتسامح «على غرار مقولة «الفاعلين» القدامى لترسيخ أقدام الاحتلال الصليبي الفرنسي للجزائر، والمتمثلة في» التنوير «للعقول والكهوف الإفريقية، بأضواء باريس» التحضيرية..»

وإنني أتحدى هنا- وللتاريخ -جميع) نواب الفاعل (من هذه الأحزاب الوكيلة والعميلة أن تطبق وتحترم كل مواد الدستور الوطني) الديمقراطي (الذي أوجدها، ومنحها الاعتراف بالشرعية في الجزائر وأتحداه- أيضا -أن تقبل بنتائج الانتخابات العامة في الوطن وتخضع لإرادة أغلبية الشعب، مثل الأحزاب الديمقراطية الوطنية في الجزائر، أو الأحزاب الديمقراطية الحقيقية في فرنسا ذاتها، والتي أذعنت لنتائج استفتاء الشعب الجزائري على تقرير مصيره الأخير سنة 1962 ميلادي. وبعبارة أخرى صريحة أتحداه أن تقتدي بفرنسا في فرنسا في كل شيء، وتكف عن سياسة النعرات العنصرية و«الكوطات» الجهوية» المليحة

واقبيحة (\*)»وتتخلى عن المطالبة وبكل الوسائل» الفرنسية وغير الفرنسية «بتغيير المادة الثانية والثالثة من الدستور الوطني الحالي وذلك هو بيت القصيد...من وراء كل الممارسات «الديمكتاتورية) «أي المطالبة بالديمقراطية الشعبية مع الإصرار على رفض نتائجها» الوطنية «في نفس الوقت (..في هذا السياق الرهائي تدخل النزعة) البر برية (كراس حربة مغروسة «بإتقان «في الجناح الغربي من جسم الأمة الإسلامية الناطقة بالعربية .ومن هذا المنطلق كان» تحضير «رموز هذه الحركة، كأفضل» وأسلم «وسيلة لترسيخ وترسيم الفرانكفونية في البلاد المغربية، عبر الحقل» الديمقراطي «الذي تجري فيه التجربة ويقع عليه الرهان المشروط..

ولتبيين الخيوط البيضاء من الخطوط السوداء» أو الحمراء « في هذه» المسألة-القضية «الطافية على السطح، بعد كمون طويل نسبيا أخصص هذا الكتاب الذي فرضته المرحلة بكل أبعادها الحاضرة والمستقبلية، وليكون القارئ الوطني والعربي مدركا وشاهدا، ويكون ولاة الأمور على بينة من أمرهم، أمام التاريخ الذي سيشهد لهم أو عليهم، كما سيشهد لنا- على الأقل -أنا قد بلغنا، ولم نقصر) بأوسط الإيمان (الذي لا نملك غيره، حامدين الله -عز وجل -على كل حال، سائلين إياه أسباب العون والتوفيق لما فيه خير هذه الأمة التي كانت قد أخرجت للناس منذ قرون، والتي يجب أن يعمل أبناؤها المخلصون دوما على أن تبقى كذلك إلى يوم يبعثون، لأنه إذا كان الزمان غير الزمان، فالإنسان بنزعاته

ونزواته- دائما -هو الإنسان، ومثلما يوجد في كل عصر آباء لهبه،  
ومسيلماته، وكسيلاته، يوجد- أيضا -في كل عصر آباء بكره،  
وصلحاء دينه، وأبناء خلدونه، وأبناء باديسه، وأبناء نوفمبره،  
ورجال أطلسه، وأبطال جرجرته وأوراسه ...والتاريخ بيننا هو  
الشاهد الأمين.

الجزائر في 1990 . 03 . 23 م.

## الفصل الأول

### كيفية اعتناق البربر للإسلام في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)

إن الصلة بين المشرق والمغرب موضوع أشار الى بعض  
جوانبه وشواهد المؤرخون القدماء، ولقي اهتماما من قبل بعض  
الباحثين المحدثين، ولعل منشأ الاهتمام هو ذلك التساؤل الناجم عما  
يلاحظ من أوجه الشبه ومظاهر العلاقة بين سكان شرقي البحر  
الأحمر وغربي وادي النيل، وهما يشكلان معلما جغرافيا ما لبث أن  
أصبح مجالا حضاريا فاصلا بين المشرق والمغرب، وذلك قبل  
الامتداد العربي الإسلامي الذي أزال هذا الفاصل فأصبحت مصر حدا  
وهميا للتمييز بين مشرق الدول الإسلامية ومغربها.

وقد حاول كثير من المؤرخين العرب الأوائل تعليل ما لاحظوه  
من الأواصر بين المشرق والمغرب، فوجدوا أنه تجسيد للأصول  
العرقية (النسب) المشتركة وأوردوا نصوصا تؤيد ذلك معتبرين

سكان المغرب، أو بعضهم على الأقل، ينتمي الى موطن أصلي في المشرق. لكنهم اختلفوا حول المنطقة التي انطلق منها هؤلاء المشاركة «المتغربون» فرأى بعضهم أنها جنوب الجزيرة العربية، بينما ذهب آخرون الى أنها الشام، ووقف البعض الآخر بين الوجهتين، فرأى بأن منهم من أتى من اليمن واختلط بالشاميين ثم انتقلوا الى المغرب... (1).

ومن أجل تقريب التصور التاريخي المجرّد الممتد عبر العصور البعيدة الى الواقع المحسوس يحسن التعرض الى المجال الجغرافي الذي يفترض أن خيوط الصلة بين المشرق والمغرب قد امتدت عبره، خاصة وأن حركة الإنسان الدائبة قد تحكمت فيها عوامل طبيعية مضمونها دوافع اقتصادية معاشية.

ويذهب كل من دسود (Dussaud .R) المتخصص في اللغات القديمة وغزيل (Gsell .S) الضليع في تاريخ شمال إفريقيا القديم الى القول بأن هناك عناصر حضارية بربرية أساسية خاصة منها اللغة الآتية من آسيا الصغرى عن طريق منخفض مصر (الدلتا) حملتها بعض الأقوام التي ساقنتها الهجرة عبر عصور قديمة يصعب تحديدها. وتتفق آراء الباحثين في تاريخ المغرب بأن «بربر» اليوم سواء كانوا معربين أو ناطقين بلهجات أخرى لا يكونون اطلاقاً مجموعة اثنية «عرقية» متجانسة، وأن هناك دماء أجنبية كثيرة تجري في عروقهم، كالزنجية في الصحراء والمغرب الأقصى. «ثم أنه لا توجد أية قرابة عرقية بين الناطقين بالبربرية ببلاد القبائل بالجزائر وأمثالهم في الأوراس، وكذا بين الميزابيين وأهل جربة في تونس» (1).

وهكذا فبقطع النظر عن الأصل العرقي للبربر أو الأمازيغ (\*)،

سواء قدموا من حضر موت، أو من أي مكان آخر من المعمورة في الأحقاب الغابرة من التاريخ القديم... فان الذي يهم أن نثبته هو أن هؤلاء السكان لم يعرف لهم التاريخ قبولا لدخيل بالقوة والإكراه أو الاندماج فيه، أو الخضوع له بأية صورة من الصور، وأقوى شاهد على ذلك مقاومتهم العنيفة وثوراتهم المستمرة ضد الغزوات المتعاقبة التي تعرضوا لها من شتى الأقسام التي سعت في القديم والحديث لاستمالتهم أو اخضاعهم، بدءا بالفينيقيين والرومان ثم الوندال والبيزنطيين والإسبان والفرنسيين، فما عرفوا إلا ثوارا ينشدون الحرية والكرامة غير راضين عنها بديلا بأعمارهم... غير أنهم في تقبلهم للفتح الإسلامي كانوا شيئا آخر تماما، فقد أبدوا مقاومتهم المعتادة أول الأمر للفاثحين الأوائل واستبسلوا في صدهم عن الديار، وذهبت ضحايا من الطرفين على رأسهم عقبة بن نافع، وبعده الكاهنة... ولقد كان من المفروض أن يزيد ذلك من تأجج نار الحقد والثأر في قلوب الأهالي كعادتهم، في الثأر من المعتدين، ولكنهم ما كادوا يتأكدون من الأهداف النبيلة للفاثحين المسلمين، ومن صدق الرسالة السماوية التي يحملونها إليهم (بكل تجرد وإخلاص، وبدون أي غرض في الاحتلال والاستغلال) حتى دخلوا في الدين الجديد أفواجا، وكملاوا مسيرة الفتح، جنبا الى جنب، مع الفاثحين العرب المسلمين الى المغرب الأقصى، ثم الى الأندلس، ليس كجنود يمثلون أقلية في صفوف الفاثحين (لأن ذلك قد يؤول بأنهم أخذوا بالقوة) ولكن كانوا الأغلبية تحت قيادة القائد الجزائري الأول طارق بن زياد الذي استلم رسالة الفاثحين المسلمين بأمانة وإخلاص ليقوم بدور بلده في نشر الإسلام...

ومن غير المنطقي أن يتحمس المجتمع الجزائري آنئذ لنشر

العقيدة الجديدة في الأقطار الأخرى، دون أن يضرب المثل في تعميقها وتعميمها داخل البلاد، بين كافة السكان، (لأن فاقد الشيء لا يعطيه) كما أن التاريخ لم يحدثنا قط عن قبول سكان هذه المنطقة لاحتلال، أو دين، أو لسان بالقوة، فضلا عن أن يتحمسوا هم أنفسهم لنشر عقيدة الفاتحين ولسانهم خارج حدود بلادهم، وإذا سلمنا (مع كثير من التجاوز) بأن تنتشر عقيدة في قوم، أو تغير عقيدة قوم بحد السيف، فانه من المستحيل أن يملك السيف أو أية قوة مادية أخرى القدرة على تغيير ضمائر الأفراد والتأثير فيها، واستمالتها... فالعقيدة لا تقوى عليها إلا عقيدة مثلها أو أقوى منها، والعقيدة اقتناع وليست إجبارا، ولذلك فلا يعقل على الاطلاق أن يتطوع المجبرون للتضحية في سبيل نشر عقيدة في الآخرين هم لا يؤمنون بها!!.

فهذه الكيفية الربانية إذن تم الفتح المبين لبلاد البربر، بالمغرب العربي الحالي، بعيدا عن المشكلات التي صاحبت الفتوحات الإسلامية في المشرق، والصعوبات التي اعترضت بناء الدولة الإسلامية الأولى في القرن الأول الهجري. ففي الوقت الذي انتهج الأمويون سياسة المركزية المطلقة في المشرق للتصدي للمناوئين من الخوارج والشيعية والزييريين، ومحاربة الحركات الشعبية بين موالي فارس التي تسترت وراء تلك الأحزاب المعارضة<sup>(1)</sup> تجدهم في بلاد المغرب يتعاونون مع القيادات المحلية من السكان الأصليين بكل ثقة ومساواة، مما جعل هذه الإدارة المشتركة في البلاد تتمخض عن تكوين مجتمع عربي إسلامي، كان وما يزال قلعة حصينة للإسلام والعروبة، ولم تعرف هذه البلاد مرض الشعبوية الذي أبتليت به بعض البلدان الإسلامية في المشرق، وقد ترجع هذه السهولة التي

تم بها فتح البلاد المغربية الى عدة أسباب يمكن حصر أهمها في الآتي:

**أولاً:** سرعة إدراك البربر لمعاني الإسلام، وإيمانهم القوي بتعاليمه التي تنادي بالمساواة، والعدل، والحرية، والإخاء.

**ثانياً:** تمثيل الفاتحين المسلمين - قولاً وفعلاً - لتلك التعاليم الأخلاقية التي أتى بها الدين الجديد، فصادف ذلك السلوك تجاوباً في نفوس السكان الأصليين الذين عرفوا بالاستقامة وتقديس المثل العليا.

**ثالثاً:** انصهار الفاتحين في المجتمع المحلي دون اعتلاء أو استئثار الأفضلية عليه في أي شيء.

**رابعاً:** التشابه في المزاج والتقاليد، بين العرب والبربر، مما يرجح الآراء القائلة بأن البربر من أصل عربي قدموا من اليمن الى شمال إفريقيا في أحقاب متعاقبة من التاريخ القديم (آراء كثيرة ومتضاربة حول هذه النقطة بالذات وكلها لحاجة في نفس «يعقوب الفرنسي»).

**خامساً:** انتهاج الدولة الإسلامية في المشرق، منذ بداية الفتح المبين سياسة الاعتماد على السكان الأصليين في تسيير شؤون بلادهم في ظل الشريعة الجديدة التي تسري على كل المسلمين في البلد المفتوح (بربرا كانوا أو عرباً أو أتراكاً أو فرساً) بنفس الكيفية، ابتداء من الدولة الرستمية التي أسسها عبد الرحمان ابن رستم الفارسي المسلم، المبايع من الأخوة في العقيدة الصادقة دون عقدة فارقة (!).

**سادساً:** اعتراف البربر بالجميل للعرب الفاتحين الذين قضوا على الاحتلال البيزنطي الذي كان يسيطر على البلاد والعباد ويستغل

ثرواتها ويقمع ثوراتها لإشباع نهمه من خيرات أرضها المدرار.  
وفي هذا المعنى يقول الباحث الجزائري محمد الصغير زمالي  
ما نصه:

«لما جاء الإسلام لشمال إفريقيا وجد الأمازيغ على غير  
المسيحية لما لاقوه من اضطهاد واستبداد على يد روما المسيحية،  
فتمردوا عليها وعلى المسيحية، وأسسوا مذهباً دينياً، خاصاً بهم على  
عاداتهم وتقاليدهم، «تغنانت» في روما المسيحية وعرف هذا المذهب  
بالدوناتية (DONATISME) ولما جاء الإسلام وجدهم مهينين نفسياً  
ومعنوياً لاعتناق الإسلام، وهذا ما حصل فعلاً، باستثناء بعض  
المقاومة التي قادتها الكاهنة عن جهالة، أو التمرد الذي قام به كسيلة  
لتصفية حسابات شخصية مع الإمام عقبة بن نافع الفهري»<sup>(1)</sup>.

وإذا كان هذا شأن الجزائر، فالمغرب الأقصى لم يكن الوضع  
فيه هو الآخر يختلف عن وضع الجزائر (التي كانت جزءاً منه وكان  
جزءاً منها...) ومن ثمة فتحتها الإسلامي كان مشابهاً إلى درجة  
التطابق مع فتح الجزائر، مما يؤكد تحليلنا السالف لعوامل نجاح الفتح  
الإسلامي دون غيره، وفي ذلك يقول الأستاذ المهدي بنون وهو  
باحث مغربي ما نصه:

«إن المغرب قبل فترة الفتوحات الإسلامية حكمه أهله وسكانه  
الأصليون، وهم البربر، وقد غزا الرومان المغرب وأسسوا مقاطعات  
تابعة لروما، إلا أن المغرب البربري لم يستسلم ولم يفقد هويته، فقد قاوم  
المغاربة حكم روما، ووصلوا إلى أن يحكموا روما، كما أن المغاربة  
البرابرة قاوموا مقاومة عنيفة نشر المسيحية في البلاد! لذلك لم يكن  
للمسيحية حظ الانتشار في المغرب.

بعد هذه الفترة جاء الفتح الإسلامي، وكما قرأنا في التاريخ، فقد قاد الفتح الإسلامي في منطقة شمال إفريقيا عقبة بن نافع، وجاء بعده موسى بن نصير... وهنا علينا أن نطرح سؤالاً:

كم كان عدد الرجال والفرسان الذين وصلوا مع موسى بن نصير إلى ساحل المحيط الأطلسي؟ لاشك أن العدد كان قليلاً، ولم تتم هجرات كثيفة إلى المغرب، وكانت هجرات ولكن محدودة جداً، منها هجرة قبائل بني هلال التي هاجرت من الجزيرة العربية ووصلت إلى شمال إفريقيا، مروراً بمصر، وتخلّف بعضهم هنا وهناك.

سنلاحظ هنا أن الفتح العربي كان في الواقع هو الفتح الإسلامي، ولم تستقر له الأوضاع في المغرب إلا بعد وصول إدريس الأول الذي أسس أول مملكة إسلامية مغربية عرفت بدولة الأدارسة، وكان ذلك في عهد العباسيين في المشرق العربي.

جاء إدريس إلى المغرب بعد خلاف مع الدولة، وأسس دولته، وكان داعية من دعاة الإسلام، لذلك دعا البربر إلى الإسلام، دعوته معتمدة على اللين والإقناع وليس السيف!

تبعاً لذلك دخلت أعداد كبيرة من القبائل البربرية في الإسلام، عكس ما حدث بالنسبة للرومان الذين أرادوا فرض المسيحية على هذه القبائل بحد السيف!

وجدت القبائل البربرية في الإسلام دين الإقناع والتسامح والمساواة. ومن المفارقات أن إدريس الأول دفن بعد وفاته في مدينة (زرهون) قرب مكناس، ويلاحظ أن المكان الذي دفن فيه يطل على أهم مدينة أسسها الرومان حين غزوا المغرب، وأرادوا إخضاعه بالقوة، وكانت تسمى آنذاك بمدينة «هيليوبولوس» وتسمى الآن «وليلي» وقد

تهدمت هذه المدينة ولم يبق منها إلا بعض الآثار والأطلال! ويحتفل المغاربة الى يومنا هذا بذكرى إدريس الأول، وتقام له المواسم الكبرى، لأن ذكرى الرجل تمثل ذكرى دخول الإسلام دخولا حقيقيا في البلاد»<sup>(1)</sup>.

وعن وجود الكثير من وجوه التشابه (الخُلقي والخُلقي) المشترك فيهما العرب والبربر كما أشرنا... يقول ابن خلدون: «والبربر لم يكن لهم انتحال للمباني والصنائع والمدن، وبهذه الصفة يشبهون العرب» وقال «غوستاف لوبون»:

«وقد تعد روح البربر قريبة جدا من روح العرب، على أن يقاس حضريو أولئك وبدويوهم بحضريي هؤلاء وبدوييهم، ولطرق الحياة تأثير كبير في أخلاق جميع الأمم. فإذا تماثلت طرق حياة الأمم تماثلت هذه الأمم في التفكير والسير في الغالب، والبربري الحضري كالعربي الحضري: جلد على العمل، صبور، حازم ماهر، والبربري البدوي كالعربي البدوي: محارب، قنوع، طواق للمشاق، ختار للأعداء، ولا يختلف البربري عن العربي...<sup>(2)</sup>.

ويظهر مما تقدم خطأ كثير من المؤلفين المعاصرين، الذين رأوا أن يفرقوا بين العرب والبربر، فزعموا أن البربر أهل حضر وزراعة، وأن العرب أهل البدو، وانتهوا الى قولهم: إن البربر أهل للتمدن، وأن العرب غير أهل له، وذلك عندما تكلموا عن سكان الجزائر...

ومن أخلاق البربر كذلك الإباء والأنفة، وذلك ما دفعهم الى الذود عن حياض وطنهم، فلم يرضوا أن يطأطئوا رؤوسهم أمام أي

جنس وطئت أقدامه تراب بلادهم قهرا، وهذه لا شك خلة حميدة من خلال العرب التي رسخت في نفوسهم، واتصفوا بها كما أن البربري كثير وشديد الاعتزاز بشيم العرب العريقة وشعائر الدين الحنيف<sup>(1)</sup>.

والبرهان الآخر على ذلك هو وجود أسماء وألقاب عربية تسمى وتلقب بها البربر قبل الفتح الإسلامي بكثير، يقول ابن خلدون: «ومن الاسماء العربية عند البربر موسى بن صالح الكاهن المشهور، وتاريخه عندهم قبل الهجرة بكثير»<sup>(2)</sup>.

فلو لم تكن لهم صلة بالعرب لما سموا أبناءهم بأسماء صريحة مثل صالح هذا، وزياذ والد طارق بن زياد...

وفي هذا المعنى يقول الباحث المغربي الأستاذ عبد الكريم غلاب: «وهناك أدلة علمية على قوة التشابه بين اللهجات البربرية و اللغات «السامية»، ومنها وجود الحروف الأبجدية المنطوقة المتشابهة كحروف الحلق مثلا، ومنها التشابه في الأنغام الموسيقية والغناء وخاصة التشابه الواضح بين أغاني الجنوب العربي والأغاني البربرية المتوارثة، وكذلك التشابه في البناء بين اليمن و المبانى البربرية التي تحف بها القرى في جبال المغرب، وكذلك التشابه في العادات و التقاليد الخ...

كل ذلك يؤكد ما ذهب إليه النسابون والمؤرخون وعلماء الانثروبولوجيا من أن السلالة البربرية تعود إلى أصول عربية.

ومهما يكن في هذه الأبحاث من افتراضات علمية تارة، ومروية تارة أخرى، فإن المرحلة التاريخية القريبة التي لا يمكن التشكيك في حقائقها تؤكد تعريب المغرب، سواء عن طريق الهجرات العربية أو عن طريق اللغة والثقافة والفكر والحضارة، تلك هي

مرحلة الفتح العربي للمغرب الذي بدأ بفتح مصر وليبيا ثم تونس منذ بداية العقد الثالث للهجرة في خلافة عمر بن الخطاب ثم في خلافة عثمان سنة 643 م.

ومع الفاتحين كان هناك جنود وموظفون وتجار ورجال أعمال، ووفدت قبائل وعشائر عربية بدافع التطلع إلى العالم الجديد الذي فتحه الإسلام، ومن العناصر العربية التي دخلت المغرب مجموعات من قبائل معروفة، منها: بنو هاشم، وبنو تميم، وبنو عدي، وبنو أسد، وبنو سهم، وبنو أمية، وبنو زهرة، وبنو عامر، وبنو هذيل، وجهينة واسلم، ومزينة، وبنو سليم، وضمرة، وغطفان، وأشجع، وفزارة، وبنو كعب، وبنو حذيفة، وأسماء بعض القبائل أو الانتساب إليها ما تزال موجودة إلى الآن»<sup>(1)</sup>.

ومهما اختلفت آراء الباحثين، وخاصة المستشرقين منهم حول نوايا الفاتحين العرب لبلاد المغرب عموماً، فإنهم لم يختلفوا على أن هذه الفتوحات تمت بسهولة ونجاح كامل. ونورد هنا قولاً موجزاً لبعض المستشرقين عن سهولة هذه الفتوحات ونجاحها حيث يقول أحدهم: «إن العرب يعدون من أقدر الشعوب على الاستعمار، فهم لم يعلوا فوق الشعوب التي حكموها ولم يستكبروا، بل عدوهم مثلهم وخالطوهم بالعشرة والمصاهرة والمعاملات الاقتصادية وكل من أسلم منهم صار أخاً، لا فضل لآخر عليه، ومن الطبيعي أن يدخل الناس في الإسلام في تلك الأيام وأن يتعلموا العربية، ويتعربوا ويهضموا عادات الفاتحين وأخلاقهم ويصبحوا جزءاً من أفراد تلك الإمبراطورية، ولم يوفق اليونان ولا الرومان ولا الأوروبيون في العصر الحديث إلى هضم الشعوب بتلك المرونة والسهولة والسرعة»<sup>(1)</sup>.

ولقد كانت العملية الموازية للفتح الإسلامي، واعتناق البربر الجماعي للدين الجديد... اقبالهم على تعلم اللغة العربية لفهم الدين وتبليغه بلغته للمجتمعات الأخرى التي أسلمت على أيديهم. وأصدق مثال على السرعة التي تم بها تعريب البربر تلك الخطبة الشهيرة التي ارتجلها طارق بن زياد باللغة العربية في الفاتحين عند مداخل الأندلس (2) والتي وجهها الى جند غالبيتهم من البربر الذين تطوعوا في جيش الفاتحين للجهاد في سبيل نشر الدين الإسلامي.. وهذا يدل على أن هؤلاء البربر كانوا على معرفة باللغة العربية (3) كما يدل أيضا على أن هؤلاء البربر لم يكن لديهم أي تعصب للغتهم ازاء اللغة العربية، والا فما كان من الممكن لطارق بن زياد أن يتجرأ على مخاطبتهم باللغة العربية، ولاقبلوها هم أنفسهم، لو كانوا متعصبين للغتهم، ويفصلون بين الإسلام واللغة العربية، كما كان الشأن في بلاد فارس مثلا (1)، ولكن أي شيء من هذه النزعات الشعبوية لم يحدث في الجزائر، حيث كان البربر دوما يحرصون على تعلم اللغة العربية كحرصهم الشديد على فهم الإسلام والتمسك بتعاليمه، والجهاد في سبيل نشره خارج بلادهم، وكان الفرد البربري الذي تعلم اللغة العربية حريصا على نشرها بين أهله وعشيرته .

ويؤكد لنا الواقع التاريخي أن الرقعة التي كانت تتقلص منها البربرية لاتعود اليها أبدا(2)، والى جانب الدين الإسلامي الذي كان السبب الأول والأساسي في تقبل البربر للغة العربية عن طواعية واقتناع، توجد أسباب أخرى - في نظرنا - ساعدت على التعجيل بذلك التعريب وانجاحه، بالسهولة التي تم بها على خلاف العديد من البلدان

المفتوحة الأخرى التي وجدت فيها اللغة العربية بعض المقاومة من اللغات المحلية، أدت الى حدوث صراع بين اللغتين دام مددا متفاوتة بحسب ظروف كل بلد<sup>(1)</sup>. وتتنحصر أهم الأسباب في الآتي:

(1) - الاعتناق الجماعي للإسلام من طرف البربر في زمن

قياسي لا يتجاوز نصف قرن، حيث ماكاد ينتهي القرن الثامن الميلادي (الأول الهجري) حتى كان سكان الجزائر مسلمين تحت راية دولة إسلامية قوية<sup>(2)</sup> واختفت اليهودية والمسيحية تماما من البلاد<sup>(3)</sup> وهي ظاهرة لم تحدث في غير المغرب العربي من البلاد العربية .

(2) - عدم وجود لغة راقية ذات ثقافة وحضارة في المستوى

الذي يمكنها أن تقف في وجه اللغة العربية، كما وقع في بلاد فارس، فلقد كانت اللغة البربرية لغة تخاطب فقط، ولم يكن لديها تراث مكتوب يحفظها الى جانب منافستها باللغة اللاتينية التي كانت لغة الدواوين الرسمية طيلة خمسة قرون من الاحتلال الروماني والبيزنطي<sup>(4)</sup>، ولم تجد اللغة اللاتينية طريقها الى السنة العامة من البربر لمناصبتهم إياها العداء، ووقوفهم منها موقف الرفض، لأنها لغة المحتل، مما مكن اللغة العربية من الانتشار السريع دون أي عائق .

(3) - تشابه اللغة البربرية واللغة العربية في النطق، ومخارج

الحروف حتى أن جميع مخارج الحروف العربية موجودة في اللغة البربرية الحالية (بما فيها حرف الضاد) الذي تتميز به اللغة العربية، عما سواها من لغات العالم، مضاف الى ذلك أن ما لا يقل عن ثلث

المفردات في بعض اللهجات البربرية تحمل نفس الدلالات التي تحملها نظيراتها في اللغة العربية، مع شيء طفيف من التحوير في النطق، وقد قمنا بمقارنة بسيطة لاستنتاج هذه النسبة، وعلى سبيل المثال يمكن ذكر بعض المفردات الأصلية في القبائلية (والتي لا يمكن أن يقال بأنها دخلت الى هذه اللهجة بعد الفتح الإسلامي كمصطلحات علمية أو مسميات جديدة استحدثتها الحضارة العربية الإسلامية) ومن هذه المفردات نذكر من الأسماء : الشجرة بالبربرية تلفظ (الشَّجْرَا) الحشيش (لَحْشِيثْ) الموت (المُوت) البحر (لَبْحَزْ) الحائط (الحِيطْ) الحساب (لَحْسَاب) الفلاح (أَفْلَاح) الخدام (أَخْدَام) ومن الأفعال : يروح (ايروح) يموت (يَمُوت) يهلك (يَهْلِك) ومعناها بالبربرية يمرض ولعلها للمبالغة في وصف درجة المرض، يكتال (يَكْتِيلْ) يقيس (يقيس) يحسب (يحسب) يرحب (ايرحب) يربح (يربح) ... وقس على ذلك مئات الكلمات المماثلة، وهذا التشابه الكبير قد يرجع الى:

أ) - اختلاط البربرية بالفينيقية وتأثرها بها أثناء ازدهار الحضارة القرطاجنية التي دامت عشرة قرون قبل الميلاد، والتي شارك في بنائها البربر والفينيقيون معا، واللغة الفينيقية، كما هو معروف، من اللغات السامية مثل اللغة العربية وشبيهة بها الى حد بعيد .

ب) - ان اللغة البربرية ذاتها من اللغات المتفرعة عن اللغة السامية كما ذهب العديد من الباحثين والمؤرخين<sup>(1)</sup> الذين أكدوا أن البربر من أصل سام هاجروا من جنوب الجزيرة العربية الى شمال إفريقيا .

(4) - عدم تعصب البربر للغةهم، وعدم ظهور الحركات الشعبية فيهم، إذ لو لم يكونوا كذلك لقبوا العربية كلغة دين، وتمسكوا بلغتهم البربرية، في الحياة العامة، بل وعملوا على تعليمها وتطويرها والكتابة بها آثارا أدبية تمكنها من البقاء ومقاومة الزوال، خاصة وأن الإمكانيات كانت متاحة للبربر أثناء تأسيس دولهم الإسلامية بدءا بالدولة الرستمية الى دولة الأمير عبد القادر غداة الاحتلال الفرنسي... غير أن شيئا من ذلك لم يحدث على امتداد التاريخ الإسلامي. (\*)

(5) - اهتمام القادة العرب بالتعريب في الأمصار التي فتحوها، فعرّبوا الدواوين الحكومية وأصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة مما حتم على كل من يرغب في الوظيفة أن يتعلم اللغة العربية، وبلغت حركة التعريب أوجها في عهد الخلافة الأموية حيث ترجم حتى الإنجيل باللغة العربية، كما نقلت الى اللغة العربية مختلف فنون وعلوم الحضارة الفارسية القديمة من فلسفة وفلك وطب وحساب (1) .

(6) - حماسة البربر الشديدة لنشر الدين الإسلامي وصدقهم في اعتناقه... حُب لهم اللغة العربية، ونبغ فيهم جهاذة في الفقه واللغة العربية وآدابها، كان لهم الفضل الأكبر في تعريب ذويهم وعشيرتهم . وهكذا ساعدت تلك الأسباب كلها على انتشار اللغة العربية في بلاد المغرب العربي بالسرعة والقوة التي تمت بها . أما الوسيلة التي انتشرت بها فكانت الى جانب رغبة البربر الشديدة في تعلم اللغة العربية، حرص العرب على تعليم البربر، واقامة معاهد صغيرة ملحقة بالمساجد تدعى الى يومنا هذا (المسيد) وهي كلمة منحوتة من

كلمة مسجد وهو بمثابة الكُتاب في بلاد المشرق العربي، يتعلم التلاميذ في هذا المسجد القرآن والحديث ومبادئ اللغة العربية والفقهاء، وقد وضعت هذه المعاهد إما من طرف الدولة، واما من طرف أناس صالحين وهبوا لتعليم أبناء المسلمين دينهم ولغتهم، وقد بدأ هذا النوع من المساجد ينتشر في النصف الثاني من القرن الأول الهجري<sup>(1)</sup>، وقد ساعد الأهالي على إنشائه الى جانب الدولة فأنشأه البربر في الجبال وعلموا فيه العربية بالبربرية، وكانت غاية البربر من وراء تعلم العربية أن يتعربوا ويفوقوا العرب أنفسهم<sup>(2)</sup> في اللغة والفقهاء، والشعر، والخطابة، والعلوم الإسلامية عموماً، فكان حبهم للغة العربية كون لهم مركب نقص أمام الفاتحين دفعهم الى مضاهاتهم في تعلمها، وبهذه الكيفية اتسعت رقعة العربية في الادارة والمحيط الاجتماعي، وتم تعريب الامازيغ بعد إسلامهم الصادق والجماعي، وهكذا أصبحت الجزائر مسلمة عربية وبنفس الكيفية -أيضاً- تم تعريب سكان المغرب الأقصى، وهو امتداد بشري (أطلسي) ثقافي لغوي واحد مع الجزائر قديماً وحديثاً، وحول كيفية تعريب البربر في المغرب واختلاط العربية بالبربرية، وكذا اندماج العرب بالبربر عرقياً، وذوبان البربر في العرب ثقافياً ولغوياً في المجالات ذات المستوى الحضاري الرفيع، والعموميات الجوهرية الثابتة كالدين ولغة التفكير والتعبير المكتوب... يقول الأستاذ المهدي بنونة، وهو باحث من المغرب الأقصى عن أبناء وطنه وعشيرته مايلي :

«إن من يتحدث عن الإسلام في المغرب يتحدث في نفس الوقت عن العروبة لأن الإسلام هو القرآن، والقرآن أنزل باللغة العربية وهذه

بديهية، ويحرص المغاربة على حفظ القرآن، والكتاتيب منتشرة انتشارا كبيرا في انحاء المغرب، ومنذ الطفولة نتعلم ان حفظ القرآن شيء أساسي.. حفظ البرابرة القرآن لانهم مسلمون رغم ان بعضهم لا يتحدث اللغة العربية، ويتكلمون فقط إحدى اللهجات البربرية الثلاثة المتداولة في المغرب، وتجد احيانا أحد هؤلاء تسبق اسمه كلمة «مولاي» وهي في المغرب تعني سليل الاشراف أي سليل الهاشميين، ورغم ذلك لا يتحدث اللغة العربية، ذلك ان الأشراف سكنوا بين القبائل البربرية، واندمجوا في هذه القبائل، ونظرا لما تمتعوا به من احترام وتقدير لم تكن هناك عقبات في وجه هذا الاندماج لذلك فقد هؤلاء لغتهم العربية الأصلية وبدأوا يتكلمون البربرية في المغرب، وهو ما لايعني أيضا أن من يتكلم اللغة العربية عربي بالدم ! « (1) .

وعن استمرار هذا التمازج الثقافي واللغوي والاجتماعي يقول الباحث المغربي عبد الكريم غلاب: «مرحلة تاريخية أخرى كان لها اثر كبير في تعريب المغرب وهي وجود الادارسة من أحفاد علي بن أبي طالب ، وإنشأؤهم دولة مغربية عربية بربرية في قلب المغرب، وبنأؤهم لمدينة كان لها شان كبير في تاريخ المغرب السياسي والحضاري و الثقافي هي مدينة فاس. كان ذلك حينما فر إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب من العباسيين إلى المغرب بعد انهزام أخيه محمد النفس الزكية سنة 172هـ-788م- وكانت شخصية إدريس قادرة على استنفار عدد من المهاجرين العرب ليكونوا بجانبه بالإضافة إلى البربر (مستعربين وغير مستعربين)، وقد استطاع أن ينشر الإسلام، ومعه العربية، في مختلف

إقليم المغرب ما بين تلمسان شرقا- التي كانت تابعة في كثير من فترات التاريخ للمغرب- حتى إقليم سوس جنوبا.

وإذا كانت سلطة الدولة العباسية (هارون الرشيد على الأخص) قد استطاعت أن تغتاله، فقد أكمل رسالته ابنه ادريس الثاني الذي أسس مدينة فاس سنة 192هـ- 808م واستقبل فيها كثيرا من القبائل العربية.

وفي العهد الإدريسي بدأ وجه المغرب واضحا لا في الدولة فحسب، ولكن كذلك في المجتمع الذي تعرب، وانتشرت فيه الثقافة العربية الإسلامية وأخذ يؤسس مراكز العلم كجامع القرويين التي تطورت فيما بعد إلى جامعة أشرفت على الثقافة و العلم في الجناح الغربي من الوطن العربي أزيد من ألف ومائة سنة.

وحينما نذكر هذه الجامعة (التي يصفها كثير من المستشرقين بأنها أول جامعة في العالم) نستشرف لمرحلة مهمة من مساهمة المغرب في الثقافة العربية التي تقتصر على ما يمكن أن يسمى اليوم بالثقافة التقليدية.

واستطاع المغرب من خلال هذه المدارس المحافظة على التراث العربي الإسلامي طيلة أحد عشر قرنا، وساعد على ذلك أن المغرب من بين البلاد القليلة التي لم تتحدر فيها الثقافة بفعل حملات المغول وحملات الصليبيين المدمرة التي لم تصل إلى المغرب، ولا بفعل الفتح العثماني الذي شمل البلاد العربية جميعها وتوقف عند حدود المغرب»<sup>(1)</sup>.

ويلخص هذا التفاعل والتماثل والانصهار الرباني الواقع بين الفاتحين

والسكان الأصليين، الباحث المغربي الأستاذ الحسن فرداوسن بقوله: «أما إذا أردنا الحديث عن العروبة والأمازيغية والإسلام، فهذا يتم في إطار واحد يضع الأمور في نصابها: وهو أن العربية أتت مع الفتوحات الإسلامية، ولم تأت عن طريق شعوب عربية استقرت في شمال إفريقيا، إذن، العربية كأداة للاتصال والإسلام كديانة كونية جاء ليلاقيا شعبا بثقافة وهوية مختلفتين هو الشعب الأمازيغي»<sup>(2)</sup>.

وعن هذا الانتشار السلمي للإسلام واللغة العربية وكذا التعايش والتكامل اللغوي المثالي بين اللغة العربية واللغات المحلية في بلاد المغرب العربي، يقول الباحث المغربي عبد الحق المريني: «فبدخول الإسلام إلى المغرب وانتشاره عبر سهوله وهضابه وجباله، تبنى سكان المغرب الأصليون بعد اعتناقهم الدين الإسلامي هذه اللغة العربية لغة الإسلام ولغة كتابه المبين، وقاموا بتعلمها وتعليمها، دون أن يهملوا لهجاتهم المحلية الأصلية التي يتحدثون بها في ما بينهم وفي وسطهم العائلي، والجدير بالإشارة أنه قد وقع من خلال التعايش الوطني والمبادلات المثمرة بين مختلف سكان مناطق المغرب (تبادل التأثير والتأثر بين اللغة العربية والدارجة المغربية واللهجات الأمازيغية عبر عصور المغرب، كما وقع تأثر الدارجة المغربية بمفردات إسبانية وفرنسية في عهد الحماية، وقد سجل المؤرخون أن تعريب المغرب على مختلف عصوره وقع بسهولة ويسر دون منازع يذكر ودون محاولة إقصاء اللهجات المحلية، وذلك لالتحام الشعوب العربية بالشعوب الأمازيغية، الشيء الذي لم يقع في شبه الجزيرة الهندية مثلا، وهذا هو السبب الأساسي لكون اللهجات الأمازيغية لم تنقرض

في المغرب وبقيت متداولة بين أهلها» فالريفية «ما زالت تستعمل من قبائل عمارة إلى بني زناسن عبر الريف، والأمازيغية، تشمل الأطلس المتوسط ودرعة وتافيلالت، «تاشلحيت» ما زالت منتشرة بين سكان الأطلس الكبير وسوس إلى الصويرة، هذه حقيقة لا سبيل إلى نكرانها، مما يدل على أن المغاربة لم يبتكروا لجذورهم الأمازيغية العميقة، وأنهم حافظوا على وحدة كياناتهم التي لا تقبل الانفصال مهما تنوعت أصولهم ولهجاتهم متشبهين بمقدساتهم، ومقوماتهم ووحدة وطنهم.<sup>(1)</sup>»

وعن دور البربر أنفسهم في نشر الإسلام واللغة العربية خارج بلدانهم ذاتها بعد إسلامها وتعريبها، يقول الباحث المغربي حسن فرداوسن: «ولا ننسى منطقة السودان (حوض النيجر والسنغال) حيث كانت الوثنية مترسخة... فعلى أيديهم (الامازيغ) أسلمت القبائل الأولى من الزنوج حيث لا تزال الصلوات الخمس تسمى إلى اليوم بأسمائها البربرية... بل من المؤرخين من يعتبرهم فاتحين حقيقيين، إذ لا يعقل أن يحقق هذا الانتشار الإسلامي بمضمونه الحضاري والعائدي في رقعة جغرافية شاسعة جيش محدود العدد واللوجستيك بغض النظر عن أوضاعهم الصحية والاجتماعية وتقدم معظمهم في السن لولا انصهارهم في الكيان الامازيغي... (ومن نماذج المصاهرة الحضارية الموفقة، نموذج انصهار العرب و البربر معافي بوتقة العقيدة الإسلامية)<sup>(1)</sup>.

وهكذا أصبح المجتمع الجزائري والمغربي عموما ذا دين واحد ودولة واحدة ونظام سياسي واحد، ولغة واحدة للتعبير عن هذه الثقافة

على إمتداد أربعة عشر قرنا من تاريخ البلاد.  
وعن سهولة انتشار اللغة العربية في بلاد المغرب وعدم تمكن  
البربرية من التصارع معها، يقول الباحث العربي محمد حسن:  
« لم تكن «اللغة» البربرية قادرة على الوقوف أمام لغة العرب  
الفاحين، فقد كانت لغة شفوية أكثر منها كتابية، ولم تتخط في مستوى  
الكتابة المراحل الأولية من نشأتها، مما يفسر قلة النصوص التي  
وصلت إلينا بالبربرية وانحصارها في بعض النقوش المكتوبة التي  
وردت أحيانا بلغتين، سواء بالبربرية والفينيقية، أو البربرية واللاتينية.  
وقد عجز العلماء عن حل رموز هذه اللغة. وطبيعي ألا يحصل تكافؤ  
بين هذه اللغة المقسمة إلى عدة لهجات وبين اللغة العربية وهي في أوج  
فتوتها، وكان الحسم النهائي لصالح اللغة العربية حتى أن المعارضة  
البربرية اعتنقت المذهب الخارجي كإيديولوجية مناهضة للسلطة  
القائمة، ولكنها أقبلت على تعلم اللغة العربية كلغة للقرآن وللشريعة  
الإسلامية.(2)»

ومهما يكن من أمر فإن العربية عند وصولها إلى افريقية وجدت  
أمامها لغة أخرى تصدت لها وتنافست معها، إنها اللغة اللاتينية.  
فكيف وقع هذا التفاعل بين اللغتين؟

لسبب واضح هو أن اللغة اللاتينية ليست اللغة الوطنية للبربر،  
ولم تؤد إلى ذوبان الشخصية الوطنية التي سعت دائما إلى التخلص من  
الهيمنة الخارجية. ولم تكن عملية «الرومنة» سوى «نمر من ورق»  
حيث لم يشمل إلا الفئات العليا المتعاملة مع الرومان، ومن الطبيعي أن  
يزول هذا الصرح الهش بسرعة التفاعل الإيجابي الذي وقع بين  
العروبة والإسلام من جهة والبربر من جهة أخرى، ونشير هنا إلى

بعض التفسيرات الخرقاء التي التجأت إليها المدرسة التاريخية الاستعمارية، فتحدثت عن أزمة ضمير وخطأ ندم عليه البربر... إلخ، والحقيقة أنها كانت ظاهرة تاريخية طبيعية تفسرها عوامل موضوعية عدة.

على أن اندثار اللغة الرومانية وقع بطريقة تدريجية إذا استمر التعامل بها حتى أواخر القرن الأول سواء في الإدارة أو في ضرب النقود، وقد عثر على دينار ضرب في عهد موسى بن نصير (78 - 96 هـ/697 - 714م) نقش عليه بالأحرف اللاتينية «بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله لا شريك له، ضرب الدينار بافريقية موسى بن (فيلبوس) نصير». ولم تتعرب الإدارة والسكة نهائياً إلا بعد تعريب عبد الملك بن مروان (65 - 86 هـ/685 - 705م) لها، وبهذا أصبحت هذه اللغة رسمية لا في المشرق فقط وإنما كذلك في بلاد المغرب، مما يفسر إقبال البربر والأفارقة والروم على تعلمها لغايات متعددة، منها رفع مكانتهم الاجتماعية والمشاركة في العمل السياسي والإداري وتقليد الفئات العليا الأرستقراطية العربية التي حرصت على استعمال اللغة الفصحى كظاهرة تمايز اجتماعي، بينما استعمل المستغربون وبقية العرب اللغة العامية وتمكنوا أحياناً من اتقان اللغة العربية، لكن نطقهم تشوبه اللكنة»<sup>(1)</sup>.

وعن كيفية تعرب تونس والجزائر، يقول محمد حسن في البحث نفسه: «كانت القيروان بحق «أم القرى» التي انطلقت منها حركة التعريب اللغوي والثقافي في بلاد المغرب، وقد تعدى إشعاعها الثقافي افريقية ليصل إلى المغرب الأقصى والأندلس وصقلية، مما جعل الوفود ترحل إليها من هذه الأماكن النائية طلباً للمعرفة، ومما سهل

عملية المتاقفة بهذه المدن هو حضور العامل البشري بها، وإن كان معظم العرب استقروا في القيروان، فإن مجموعات منهم تفرقت في بقية المدن والرباطات والحصون وخاصة المواقع الاستراتيجية الموجودة على طول الطريق الرابطة بين المشرق والمغرب، وكذلك في مناطق الثغور الحربية على طول الحدود الإفريقية، في بلاد نوميديا القديمة.

فسكنت بعض الجاليات العربية في ارباض برقة وتوالد الجند هناك حتى صار لهم الأولاد والأعقاب، وحرص العرب على المحافظة على مدينة طرابلس التي تربط المشرق بالمغرب، فاستقرت بها حامية عسكرية مهمة، مما أدى إلى متاقفة تجاوزت حدود هذه الواحات وصلت إلى بلاد السودان التي تم اسلامها ونشر اللغة العربية فيها عن طريق التجار الإباضيين خاصة. وشمل هذا التمازج البشري مدينة قابس، فكان أهلها اخلاطا من القبائل العربية والسكان الأصليين من بربر وأفارقة. كما استقرت فروع من ربيعة في مجانة وقوم من قريش من بني هاشم في باجة... إلخ وقد أشار اليعقوبي في كل هذه المواقع إلى اختلاط الجند العربي بالسكان الأصليين من بربر وأفارقة وهو أمر ينتج عنه حتما تعريب حضاري لهذه المدن.

هذا وقد شملت ظاهرة التمازج بقية مدن افريقية مثل سوسة وصفاقس والمنستير والوطن القبلي وبنزرت وتونس، وهي كلها مدن قديمة سبقت نشأتها الفتح العربي. وكانت هذه العملية الحضارية أقل شأنًا في مدن غرب إفريقيا والمغرب الأوسط والأقصى، وقد وجدت بها مدن مستحدثة مثل المسيلة في العهد الفاطمي وتاهرت من طرف عبد الرحمان بن رستم في القرن الثاني للهجري، وفاس من طرف

الأدارة وكذلك سجماسة. كما استقرت جاليات عربية في المدن ذات المواقع المهمة سواء أكانت عسكرية ام تجارية، فكانت طبنة في العهد الأغبلي عاصمة لمنطقة الزاب ومقر هذه المقاطعة النائية عن الإمارة، مما يفسر كثرة الاضطرابات فيها، وكان «بها أخلاط من العرب والعجم والأفارقة والروم والبربر». ولم تكن العلاقة بين هذه المجموعات غير المتجانسة علاقة سليمة دائما، بل تتحول أحيانا إلى صراعات ناتجة عن اختلاف المصالح وتباينها، وقد أشار البكري إلى وجود اختلاف وحرب بين العرب والعجم في هذه المدينة، «وإذا كانت الحرب بين العرب والمولدين استتجد العرب بعرب مدينة تهودا وسطيف والمولدون بأهل بسكرة ومواليها»، واحتوت مدن أخرى على عنصر المولدين الناجم عن التزاوج بين الأهالي والعرب، فسكن قسنطينة العرب والعجم والمولدون، وكذلك الأمر بالنسبة لطولقة حيث سكن في ثلاثة من أحيائها المولدون وأهل اليمن وقريش».

وقد شمل هذا الاختلاط البشري أغلبية المدن الموجودة على الثغور، فاحتوت باغاي وهي من مدن الزاب، على «قبائل من الجند وعجم البلد من بقايا الروم حولها قوم من البربر من هراوة بجبل جليل يقال له أوراس». كما استقر في مدينة سطيف عمال للأغلبية من قبيلة بني أسد، وفي بلزمة مجموعة من بني تميم وسكن في نقاوس قوم من الجند وفي مقرة قوم من بني ضبة، وكان قائد ميلة من عرب بني سليم.

خلاصة القول، فإن كثيرا من هذه الثغور والمدن لم تكن خاضعة للإمارة الأغلبية، مما استلزم وجود حاميات عربية للمحافظة على الأمن هناك، وما يهمننا هو أن هذه النوى العربية قد تحولت إلى

قوى فاعلة في عملية التعريب البشري عن طريق التزاوج وظهور جيل جديد من المولدين، والاجتماعي-الحضاري عن طريق ظاهرة الولاء والاختلاط، وكذلك اللغوي بواسطة نشر اللغة العربية والكتابة»<sup>(1)</sup>.

وعن تعريب المغرب الأقصى، يقول الباحث محمد حسن: «تعتبر فاس المركز الأساسي الذي انطلقت منه هذه الحركة، وقد قام بتأسيسها ادريس بن عبد الله في أواخر القرن الثاني للهجرة، بعدما بايعته القبائل البربرية إماما، وكانت مصرا عربيا انفردت فيها كل مجموعة قبلية بخطة مستقلة، وقد ذكرت ضمن القبائل العربية قيس وزاد ويحصب ومذحج وصدف، وذلك علاوة على المجموعات العربية القادمة من القيروان والأندلس.

إن هذه الهجرة قد ساعدت كثيرا على نشر اللغة العربية في هذه الربوع، زيادة على تدعيمها للسلطة العلوية الناشئة، وسرعان ما أصبحت فاس مدينة عربية كبرى تضاهي القيروان وقرطبة ابتداء من القرن الثالث، وكانت مركز إشعاع ثقافي مهم انطلقت منها حركة التعريب نحو المناطق المجاورة، ولا يخفى علينا أن هذه الحركة بقيت محدودة ومرتبطة بالمناطق السياسية الخاضعة لسلطة الأدارسة بصفة خاصة، وبالسلطة العلوية بصفة عامة حيث ظهرت مجموعة من الإمارات العلوية في الناظور شمال المغرب الأقصى، وكذلك في مدكرة وسوق ابراهيم ومنتجة في المغرب الأوسط، وقد كان المتزعمون لهذه المقاطعات من العرب أو من البربر المتعربين والمنتسبين إلى أصل عربي، وإلى جانب العامل السياسي والعسكري استقرت جاليات عربية في المدن الكبرى لغايات تجارية وساهمت في

حركية التعريب، فاستقر التجار الأندلسيون في بونة وتاهرت ووهران وبني جلداسن، مدينة مطغرة... إلخ. كما سكنت جاليات من البصريين والكوفيين «عراق بلاد المغرب» وهي تاهرت، وسجلماسة ميناء الصحراء والمركز الأساسي لتجارة الذهب والرقيق»<sup>(1)</sup>.

وعن تعريب الأرياف في بلاد المغرب، يقول الباحث ذاته: «قال ابن خلدون متحدثا عن العرب: (إن الملك الذي حصل لهم يمنعهم سكنى الضاحية ويعدل بهم إلى المدن والأمصار فلهذا قلنا أن العرب لم يوطنوا بلاد المغرب ثم إنهم دخلوا إليه منتصف المائة والخامسة وأوطنوه واقتروا باحيائهم وحللهم في جهاته... إن هذه الإشارة العامة لابن خلدون جعلت الكثير يذهبون إلى القول بتعريب المدن في فترة أولى، وبأن تعريب الأرياف لم يتم قبل قدوم بني هلال، على أن ابن خلدون كان حريصا على ربط ظاهرة الملك بال عمران الحضري، وهو هنا يبدو منظرا أكثر منه دارسا محققا يبحث عن جزئيات الأمور وحقائقها.

كما أن الرأي القائل بعدم تزامن تعريب المدن والأرياف يبدو ساذجا لأكثر من سبب، فهو ينفي العلاقة القائمة بين المدينة ومنطقتها الداخلية والتفاعل الحاصل بين الإثنين سواء على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والسياسي أو على المستوى الثقافي.

والدليل على تسرب اللغة العربية منذ الفترة الأولى إلى القرى والأرياف القريبة من المدن الكبرى هو وجود لغة عربية حضرية في مناطق قروية مثل الساحل التونسي والمناطق الساحلية الشمالية في كل من قسنطينة وتلمسان وفاس، وهي مناطق كانت مرتبطة بمدن محورية منذ القرن الثالث الهجري، علاوة على موقعها المهم على

طول الطرقات التجارية الكبرى الرابطة بين هذه المدن وبلاد السودان الغربي أو المشرق العربي، كما اعتبرت هذه المناطق الساحلية الموانئ المتقدمة لكل من القيروان وقسنطينة وتلمسان وفاس، وبالتالي فقد انتشرت اللغة العربية في هذه الجهات عن طريق التجارة والعلاقات الاقتصادية الوطيدة القائمة بين كل من المدينة ومنطقتها الداخلية، بحيث أصبحت هذه المناطق الريفية تتكلم تدريجياً لغة العرب الأوائل المستقرين في المدن الكبرى، ولم تترقب بني هلال وبني سليم لتغير لسانها الذي جاء مختلفاً عن لهجة البوادي المغربية التي تعربت إثر قدوم بني هلال مثل الجنوب التونسي والأرياف الجزائرية والمغربية. كما أن هذا الرأي الذي يفرق بين تعريب المدن والأرياف يتجاهل أهمية الطرقات العسكرية والتجارية وحركات الجيوش الفاتحة للبلاد والمستقرة في عدة نقاط من قلاع ورباطات وسط بلاد البربر لحراسة الثغور والطرقات الكبرى، وقد ذكر اليعقوبي في هذا السياق استقرار العرب في جبال برقة المشرفة على الطريق الساحلي: «ولبرقة جبلان أحدهما يقال له الشرقي فيه قوم من الأزدي ولخم وجدام وصدف وغيرهم من أهل اليمن والآخر يقال له الغربي فيه قوم من غسان وقوم من جدام والأزدي وغيرهم من بطون العرب).

... ولم تقع المثاقفة في الأرياف والجبال فحسب، بل تسربت إلى القبائل البربرية المقيمة قرب الطريق الساحلية الرابطة بين المشرق والمغرب، وما انتساب لواتة إلى قيس عيلان ولخم، ومزاتة الاباضية إلى اليمن على غرار زعماء الاباضية بجهة طرابلس وهم عبد الجبار ثم أبو الخطاب المعافري، إلا دليل على بداية هضم هذه الثقافة الجديدة

الوافدة منذ القرن الثالث.

وخلاصة القول أن تعريب قرى ومداشر ووحدات المغرب الأدنى القريب من المشرق جاء مبكرا ولم يتطلب وقتا طويلا، خاصة منها المناطق الساحلية أو الموجودة على طول طريق بلاد السودان. كما لعبت الأحزاب السياسية والمذاهب من خوارج وشيعة ومعتزلة أدوارا مهمة في تعريب الأرياف البعيدة عن مركزية القيروان. ذلك ان اعتناق البربر للإسلام الخارجي لم يكن يعني رفضا كاملا للتراث العربي ولا للغة القرآن، بل سعت هذه الحركات على العكس من ذلك الى استيعاب المبادئ الأساسية للغة العربية منذ زمن مبكر، وقد كان ارتحال «حملة العلم» إلى المغرب وهم عاصم السدراتي واسماعيل بن درار الغدامسي، وأبو داود القبلي النفزاوي، وقد وصل ثلاثتهم إلى البصرة حيث أخذوا من شيخ الإباضية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي منذ بداية القرن الثاني الهجري، وقد أصبح لهم شأن كبير منذ رجوعهم إلى جهة طرابلس، ولا يخفى على أحد شهرة هذين الرجلين، إذ قاد الأول الثورة الإباضية ودخل القيروان سنة 140هـ، وتمكن الثاني من تأسيس مدينة تاهرت وانشاء الدولة الرستمية.

إن هذا العمل السياسي كان شديد الارتباط بالعروبة الثقافية، إذ يعتبر هؤلاء الرجال النوى الأولى التي سعت إلى نشر الخط العربي في سدراته غدامس ونفزاوة وغيرها من الأرياف المغربية، على أنه مهما كانت أهمية دور حملة العلم الخمسة، فإن الرحلة إلى المشرق لا تعتبر الحل الوحيد والأنجع لنشر اللسان والخط العربيين. وكان التعرض لقوافل الحجاج والتجار العرب طريقة لتعلم المبادئ الأولية للكتابة، وقد كان هذا دأب عمر بن يمكن عامل أبي الخطاب

المعارفي على السرت و«صاحب لواء لواتة»، وقد توفي مع أبي الخطاب في معركة تاورغا سنة 144هـ/761م»<sup>(1)</sup>.

وعن هذا التمازج والانصهار الثقافي واللغوي يقول الباحث العربي عز الدين المناصرة: «استقبل الأمازيغ في القرن السابع الميلادي، الفتح العربي، بالترحاب، ولم يمر سوى ربع قرن فقط على الفتح العربي، حتى صار الأمازيغ المسلمون، ينشرون العربية، ويساهمون في تطويرها، فأول من نظم قواعد النحو العربي في ألف بيت في القرن الثاني عشر الميلادي، هو ابن معطي الزواوي الأمازيغي، قبل قرن من ألفية ابن مالك، أما كتاب (الأجرومية في النحو) فقد ألفه أمازيغي، من المغرب الأقصى، هو (ابن أجيروم، 1273-1323) وتوجد في الجزائر، ثلاث عشرة فئة أمازيغية، تمثل 20% من الشعب الجزائري، أما الأمازيغية، فهي عربية في مخارج حروفها، وقد كتبت كل أدبياتها بالحرف العربي، وتشمل على حرف (الضاد) الذي يميزونه عن حرف (الطاء)، وقد سبق أن كتب السعيد الزاهري الجزائري عام 1934 في مجلة المقتطف المصرية، مقالا بعنوان: (الأمازيغية لغة الضاد)»<sup>(2)</sup>.

وعن هذا التقارب اللغوي بين العربية والبربرية، الذي كان سببا في تسهيل هذا التقارب والتمازج بين العرب الفاتحين والسكان الأصليين، يضيف الباحث عز الدين المناصرة قوله: «تنتمي اللهجات البربرية في أصولها ونظامها النحوي إلى نفس الأسرة اللغوية التي تنتمي لها اللغة العربية، ومنذ 1300 سنة، تم تعريب وأسلمة شمال إفريقيا، بدرجات متفاوتة، مما يعني أن العربية كانت تساهم مع اللهجات البربرية، دون أن تقوم بالقضاء عليها، فالمطلوب هو تسريع

تعليم السكان باللغة العربية التي أصبحت لغة العلم والمعرفة»(1).  
وخلاصة القول أن الفتح العربي الإسلامي للمغرب يمكن اعتباره  
مثل الفتوح التي تمت لأطراف الجزيرة ومصر -أنه لم يكن فتحا عسكريا  
بمقدار ما كان يحمل في طياته العقيدة واللغة والثقافة والفكر، ويحمل معه  
مجموعة من المهاجرين العرب يقيمون في هذه البلاد، لا إقامة مستعمر  
أو سيد أجنبي، ولكن إقامة تعاون وتكامل في بناء المجتمع الإسلامي  
الجديد بكل ما يحفل به من قيم، وهكذا نجد أن الوافدين على المغرب مع  
الفتح الإسلامي اختلطوا بالسكان الأصليين عن طريق الزواج والعمل  
المشترك فانتجوا مجتمعا جديدا يختلف كامل الاختلاف عن المجتمع  
القديم. ادخلوا الدم الجديد والدين واللغة والثقافة العربية الإسلامية عن  
طريق الصحابة والتابعين الذين اخذوا يفقهون الناس في قضايا الدين،  
والذين نشروا القرآن وتعاليمه، ونشروا المفاهيم الإسلامية الجديدة.

وكل هذه المجموعات التي تواردت على بلاد المغرب من هذه  
القبائل أثرت تأثيرا كبيرا في تعريب البلاد، وقد يكون للاختلاط أثر  
عكسي كذلك، فما نزال نجد أسماء عربية، تنتمي بعضها إلى  
الأشراف من بيت النبي ﷺ تقطن المناطق البربرية وتتحدث باللهجات  
البربرية المختلفة، وكل ذلك دلالة مهمة على التجاوب والامتزاج  
الذي حدث في المغرب بين العناصر البربرية والعناصر العربية كما  
سنبين في الفصل اللاحق.

## الفصل الثاني

شهادة فرنسا على نفسها، قبل أن تبدأ سياسة

«فرق تسد» بعد احتلال الجزائر سنة 1830

في سنة 1857 احتل الفرنسيون منطقة القبائل، وفي السنة الموالية (1858) جمع المترجم الفرنسي، الفونس مايير، معلومات من أفواه شيوخ المنطقة وقدمائها عن أصل السكان هناك، وقدم هذه المعلومات إلى المجلة الإفريقية، فنشرتها سنة 1859 ص(357تحت عنوان) أصل سكان بلاد القبائل حسب العرف المحلي، وخلصت المقالة أن شيوخ بلاد القبائل يعتقدون أن أصلهم من العرب ما عدا قبيلة فراوسن، وإيجر وغوبري (والتي قالوا أنها فارسية، والمهم في هذا المقال انه مكتوب قبل أن تبدأ فرنسا سياسة) فرق تسد (في هذه الناحية من الجزائر، وانه مستقى من أفواه شيوخ وكبار الناحية بناء على التقاليد والأعراف المحلية) أو ما يعرف اليوم بالتاريخ الشفوي).

ومترجم النص هو الأستاذ محمد الشريف واشق، وقد نشر لأول مرة باللغة العربية في جريدة الشعب،<sup>(1)</sup>ومما تجدر الإشارة إليه قبل استعراض بعض الفقرات منه هو أن الباي محمد الوارد اسمه في النص هو محمد الفريرا، المشهور بالذباح، حاكم ولاية التيطري التي كانت تتبعها بلاد القبائل فترة طويلة، وتولى أيضا قيادة سباو، بعد إنشائها، وكان من القادة الكراغلة البارزين أمثال محمد الكبير، والحاج احمد، وهو مولود في المنطقة أيضا، ومن خريجي زاوية تيزي راشد المشهورة بالعلم في ذلك الوقت... ومما ورد في هذه الشهادة الفرنسية الناطقة ما يلي بالحرف الواحد...» :يثبت العرف أن سكان جبال القبائل ينحدرون

في غالبيتهم من بلدان أخرى، كما سنلاحظ فيما بعد...  
ويجب أن نعرف قبل كل شيء أن مدينة الجزائر قبل  
وصول الأتراك، لم تكن سوى بلدة ليس بها حكومة منتظمة،  
وبعد أن حل بها الأتراك اختاروا رئيسا من بينهم له السلطة  
أيضا على سكان مدينة الجزائر.

وامتدت السلطة التركية بالتدرج نحو متيجة، ثم نحو أهالي  
يسر، ثم إلى المدية ومليانة وأخيرا إلى المناطق الغربية التي  
أخضع الأتراك سكانها وأذاقوهم كثيرا من الظلم، وعندما أصبح  
الباي محمد قائدا نشر جنوده الفساد والفوضى واضطهدوا  
العرب، وقد هرب هؤلاء إلى الجبال بعد أن أصبحوا بدون ملاذ  
آخر، ولم يجدوا الأمن على الأشخاص سوى في الجبال(\*)،  
وأمام ذلك سار الباي محمد بجيشه لمحاربتهم فهزّمهم، وقد  
خاضوا ضده معارك مشهودة اظهروا من خلالها كثيرا من  
الشجاعة، ولكن بعضهم هربوا أمامهم منهزمين، بينما  
الآخرون منهم ردوه على عقبه، وتفاوض الباي مع هذا القسم  
من العرب وتوصل معهم إلى صلح، وبناء على هذا الصلح  
فإنهم لا يدفعون إليه شيئا، كما أن لهم الحرية في الذهاب إلى  
أي مكان يرغبون فيه مع ضمان الأمن لهم.

وسنقدم الآن أصل سكان جبال القبائل كما جاء في  
شهادات قدماء الناحية.

### أهل فليسة:

إن سكان فليسة من أصل عربي، وقد جاء بعضهم من يسر

والآخرون من بني ثور، ومتيجة وبني عائشة، وجاء آخرون من بني جعد وبني سليمان، وكلهم استوطنوا هذه الجبال، وهذا هو أصل كلمة (فليسة):

إن أول رجل أتى إلى هذه الناحية يسمى (فليسة) واستقر في مكان يسمى (تيمليلين) (يقع في الجبل المسمى حاليا باسم (فليسة البحر) (لأنه يطل على البحر، كان لفليسة خمسة عشر ولدا، وثروة طائلة، وقد التحق كثير من الناس بفليسة مهاجرين وخضعوا إليه وطلبوا منه أن يكون رئيسا عليهم، فقبل ذلك وأعطى اسمه إلى الناحية كلها.

وقد سار الباي محمد على رأس جيشه ضد فليسة، وخاض معه معركة، ولما وصل الباي إلى جبل يسمى (ياسين) هزمه فليسة، وقتل له عددا كبيرا من الجنود، وطارده، والسيف وصلت وراءه، مسافة حوالي سبعة أميال، ولما وصل الباي إلى مدينة الجزائر كتب إلى فليسة يخبره بإعفاء قبيلته من السخرة، ومن دفع الضرائب، ولهذا السبب لم تكن فليسة البحر تدفع ماكانت الحكومة في العادة تفرضه.

وبعد هذه الحملة بقليل شن الباي محمد حملة اخرى ضد الذين التجأوا إلى الجبل المسمى) فليسة أو مليل (وتوجه إلى مكان يسمى) جبل مزغيت (ولما علم فليسة بهذه الحملة أرسل أحد أبنائه ضد الباي على رأس 500 رجل، وحين وصل ابن فليسة إلى جبل مزغيت سارع السكان الذين ثاروا ضد الباي منذ وصوله، إلى وضع أنفسهم تحت إمرته بحماس، وكان ابن فليسة يعرف الطريقة التي يعامل بها الباي الذي سبق أن حاربه في قبيلة أبيه

فليسة، وهكذا وضع سكان جبل مزغيت أنفسهم بين أيدي ابن فليسة، ووعده بالطاعة العمياء، وانطلق ابن فليسة ضد الباي وهزمه شر هزيمة وطارده إلى يسر.

وبعد هذه الهزيمة كتب الباي محمد إلى ابن فليسة، رغم اعترافه به عدوا له، قائلاً أن قبيلته لا تخضع لأية سخرة ولا تدفع أية ضريبة مهما كان نوعها.

وعلى اثر هذه الأعمال التي قام بها ابن فليسة سمي رئيساً للناحية بصفة نهائية. إن عدله وعلمه قد جعلاً سكان هذه الناحية يتركون له إدارة شؤونهم، وهكذا استقر بجبل مزغيت تاركا والده وإخوانه في تيمليلين.

ومنذ استقراره أصبحت هذه الجهة تسمى (فليسة أو مليل)، (فليسة (مأخوذة من اسم والده و) أو مليل (من تيمليلين، وهو اسم المكان الذي تركه ابن فليسة قبل استقراره في جبل مزغيت...)

### بني واقنون:

كان الجبل الذي احتل من طرف « بني واقنون » يسمى « جاديس مزرانة » وكان أول من استقر بهذه المنطقة يسمى « قنون » وقد هاجر كثير من الأشخاص إلى هذه المنطقة وتركوا له إدارة شؤونهم، وبصفته رئيساً على المنطقة فقد سمي الجبل باسمه، واتخذ السكان اسم ( بني واقنون )، وقد خضع بني واقنون، إلى المخزن، حيث كانوا يدفعون الضرائب للأتراك، وذلك للأسباب التالية:

في البداية كان الباي محمد عندما يتقدم إليهم، يدفعونه،

الشيء الذي أرغمه على أن يسلم إليهم رسائل إعفاء تشبه تلك التي ذكرت أعلاه.

وبعد فترة من الزمن جاء عندهم) سيدي عمر بن إبراهيم ( الجد الأول للشرفة) الأشراف)، وكان رجلا متضلعا في علوم الفقه وفي الشريعة الإسلامية، حيث استقر في مكان يدعى) ثالة انتملال ( ووهب نفسه لتعليم الأطفال..

و ذات يوم وبينما كان) سيدي عمر (يقوم بالتدريس، ضرب أحد تلاميذه، عقابا له، ولفائدة تحسين تعليم التلاميذ، غير أن الطفل هرب بيكي مسرعا إلى أبيه، الذي غضب غضبا شديدا فجمع إخوته ثم ذهبوا إلى الشيخ» عمر «وضربوه ضربا شديدا، فشكا الشيخ من آلامه وقال لهم» : يا بني واقنون أطلب الله أن يسلم عليكم المخزن، حتى يعذبكم ويضطهدكم كما عذبتموني واضطهدتموني (وبعد مضي حوالي شهرين من دعائه أرسل الباي محمد مرة أخرى جيشه لمحاربة هذه القبيلة، حيث دمر البلد، وأحرق المنازل وقطع بعض الرؤوس وفرض أخيرا العشور، والأشغال الشاقة، وأشياء أخرى كان يفرضها المخزن على السكان...

وبعد أن دخل الباي إلى مدينة الجزائر، اجتمع) بني واقنون (حول) سيدي عمر (وطلبوا منه العفو، وهم يذكرونه بدعائه فقال لهم» :إن المخزن لن ينسحب من عندكم، ولكن لن يلحق بكم أي أذى.»

شيد) بني واقنون (عزهم على سمعة السيد عمر، بعد الحوادث المذكورة، وأعلنوا أنهم في خدمة هذا الشريف، وحتى

بعد موته استمروا في خدمة ابنه) سيدي السعيد (ثم ابن هذا الأخير) سيدي بوبكر (وبعبارة مختصرة كل أبنائه إلى يومنا هذا.

### بني جناد:

إن أول رجل جاء ليستقر في هذا البلد، هو عربي يسمى جناد، وكان قويا ذا ثروة هائلة، وكان معه إخوته ومجموعة من الفرسان تتكون من ثلاثمائة فارس، استقر في مكان يدعى الآن «أبيزار» يقال أن «جناد» سمى هذا المكان تخليدا لأحد إخوته الذي كان يسمى «بيزر»، والذي قتل في جولة على يد الباي محمد كما سنرى فيما بعد.

وعند وصول «جناد» إلى هذا البلد التحق به كثير من الأشخاص، وأعلنوه رئيسا عليهم، وعندما هاجمه الباي محمد هزمه جناد (وكبده خسائر كبيرة، وكعادة الباي محمد أرسل إلى جناد (رسائل إثبات تقضي بأن لا يدفع أي رسم ولا يقدم أي عمل للمخزن، مهما كانت طبيعته، وبانتصار) بني جناد (على الباي استطاعوا التمتع بالإعفاء الكامل الذي بقي يشملهم إلى أيامنا هذه، وقد أعطى) جناد (اسمه للقبيلة التي يحكمها، والتي يقال أن أصلها من «يسر» ومن فرع «بني كعنون» هذا كل ما عرفناه عن هذه القبيلة.

### زخفاوة:

إن أول رجل جاء ليحتل هذا الجبل كان يسمى «زريغفة»، وبتبديل حرف «غ» «بحرف» خ «الذي نجده صعبا في النطق، يصبح اسمه» زريخفة»، وأخذت القبيلة التي يحكمها اسم

«زخفاوة» ويقال أن أصل «زخفاوة» (من حمزة) لبويرة).  
لم يهاجم الباي محمد هذه القبيلة لأنها انتصرت عليه حين  
حارب بني جناد، وهولا يريد العودة إلى هذا الجانب، لأنه يعلم  
بمساعدة الزخفاويين) لبني جناد (في حربه، مما جعل الداوي ينظر  
إليهم كما ينظر إلى) بني جناد، كما أنهم معفون في رسائله التي  
وجهها لبني جناد، والتي تقضي بإعفائهم من التزامات المخزن،  
وهكذا نرى لماذا لا يدفع الزخفاويون الضرائب.

### بني راتن:

أول من استقر في هذا الجبل كان يسمى «اورتعين»، وكان  
رجلا قويا كامل الطاقة ويملك أموالا طائلة.  
وقد أتى أناس من مقاطعات مختلفة، ليجتمعوا حوله  
ويخضعوا لسلطته، وبذلك أخذت هذه القبيلة اسمه الذي تم حذف  
حرف الواو منه لسبب إعطاء نغمة وأصبح بذلك «بني راتن»  
وقد سار الباي محمد ضد «بني راتن» حيث حاربهم ودفعهم  
إلى غاية تيزي راشد، حيث كان يسكن الشيخ أعراب، شيخ إحدى  
المدارس التي كان يعلم فيها الفقه والشريعة الإسلامية، وعندما وصل  
الجنود بيته، خرج الشيخ ووقف على عتبة الباب، ومد يديه  
نحو الجنود الذين تم طردهم وملاحقتهم حتى الساقية، وبعد هذا التدخل  
الذي قام به الشيخ أعراب، والذي حصل بعده على النصر، أصبح  
«بني راتن» يخضعون كل الخضوع إلى هذا القائد وإلى خلفائه،  
وعند عودته البائسة، كتب الباي محمد إلى «بني راتن» رسالة قائلا  
لهم: أنه لن يقوم بأي عمل ضدهم، كما أنهم لن يدفعوا أية ضريبة،

ما عدا ضريبة تجارية سنوية لا تتعدى (50 ريال الصحاح) (أي 125 فرنك) هذا ما عرفناه عن بني راتن .

### بني عيسى:

أول من احتل المنطقة التي يوجد فيها حالياً بني عيسى كان من أصل عربي (\*) من قبيلة أولاد سيدي عيسى، وقد تم تلقيه بالعیساوي نسبة إلى قبيلته كما تم حذف حرف الواو للغمّة، ومنح اسم بني عيسى للقبيلة التي كان يحكمها.

امتدت تسمية بني عيسى على المعاتقة، وبني زمزار وبني دواله وبني محمود، ومن بين هذه القبائل، هناك المعاتقة، وبني بوهينون التي كانت تدفع الضرائب، وتخضع لشروط المخزن لوجودهم قرب الساحل، أما بني محمود والسكان القاطنون في الجبال فلم يخضعوا أبداً لقيود الحكومة، ولم يدفعوا أية ضريبة.

### بني يني -بني بودرار -وبني علي أوحرزون:

#### -1)بني يني :

أول من أقام في هذه القبيلة كان يسمى « نايلي »نسبة إلى بلده الأصلي، حيث كان ينتسب إلى قبيلة عربية» (\*\*)بأولاد نايل « وكان اسمه صعب النطق مما أدى إلى حذف اللام الذي استبدل بالنون والباء في مكان حرف النون، وبعد هذا التغير تمت تسمية سكان القبيلة بني يني.

#### -2)بني بودرار:

أول من أقام في هذا الجبل كان يسمى « بودار »وتم إضافة «راء» ثانية إلى اسمه الذي أصبح بودرار، وتمت تسمية القبيلة

التي كان يحكمها باسمه الخاص، مسبوقه بكلمة بني(أولاد (ويقال أن بودار من عرب)الزباب).

### - (3بني علي أو حرزون:

أول رجل حكم هذه القبيلة من أصل عرب التيتري وهو الملقب «بعلي أو حرزون» وقد قبل من جاوره الخضوع إلى سلطته، كما اخذوا اسم علي أحرزون.

لم يتجه البايع محمد إلى هذه القبائل الثلاث، والسبب يتلخص في الآتي: عندما قام بحملة ضد بني راتن، علم أن فيالتي هذه القبائل الثلاث أتت لمحاربتة، كما وقفت أيضا مع أعدائه، وبذلك ضمهم إلى من كانوا يتمتعون بالإعفاء، مثلما كان الحال بالنسبة لبني راتن، وسجلهم في سجل واحد فكانت هذه القبائل الثلاث معفاة من الضرائب ومن أعمال السخرة الحكومية.

### بني يحي:

أتى شخص اسمه «يحي» من أصل عرب بني سليمان(\*)، يقيم في هذا البلد، وأعطى اسمه للقبيلة التي كان يحكمها.

### أيلولة:

يرجع أصل هذا الاسم إلى أول إنسان أقام في هذا البلد الذي يقيمون فيه حاليا، واسمه «ملول» وقد حذف حرف الميم لتسهيل النطق ووضع مكانه حرف الألف مكسورا، وأصبح بذلك «أيلولة» الذي تحمله القبيلة المذكورة، ولم يوضع اسم (بني (قبله لأنه قد يكون ثقيلًا على السمع ويلول من أصل عرب» فرجيوة »

الموجودة شرق سطيف.(1)»

ويورد الباحث العديد من الملاحظات في النهاية عن أصل وتسمية بعض القبائل، والتغيير الذي طرأ على نطق أسمائها محليا.

ومن هذه الملاحظات قوله عن أصل ما يعرف في المنطقة بالمرابطين أو الأشراف فيقول:

«سنتحدث هنا عن مرابطي الزوايا مثل :شرفاء بني واقنون-شرفاء بهلول-شرفاء أوزريق في بني جناد، وكل من يحمل اسم شريف في زوايا القبائل، يقال إنهم كلهم من أصل غربي)أي من الغرب(، فعندما يصل أحد علمائهم يستقر في القبيلة التي تعجبه، يستقبله سكانها بإعجاب واحترام مطالبين إياه بتأسيس مدرسة يعلم فيها أهل القبيلة الواجبات الدينية ويتولى فض الخلافات التي تنشأ بينهم، وكان الرجل الشريف جد محبوب لدى أفراد القبيلة نظرا لمعرفته الواسعة وسلوكه المستقيم.

ولا يوجد في هذه القبائل معلمون غير الطلبة) العلماء ( الذين استقروا حيث استقبلهم السكان بكل عناية وأحاطوهم بكل احترام.

فعندما يستقر طالب) عالم (في قبيلة ما، كان أولاده وأحفاده يستقرون فيها نهائيا، مع الاحتفاظ بالمكانة التي يحتلها أبائهم وأجدادهم، فكانوا ولا يزالون معتبرين ومحترمين من طرف سكان القبيلة حيث يوجدون حاليا .»انتهى نص البحث المنشور في المجلة الإفريقية باللغة الفرنسية سنة 9581 م.

هذا عن شهادة فرنسا على نفسها قبل أن تنتهج سياسة

«فرق تسد» فيما بعد كما سنرى في الفصول اللاحقة، أما عن كيفية تعريب البربر بعد إسلامهم، فإن أحسن من نراه يتحدث عن هذا الموضوع من داخل منطقة القبائل ذاتها هو الأستاذ الفضيل الورثلاني حيث يقول حرفياً: «هذا هو الوضع الديني في المغرب العربي والوحدة فيه واضحة لا قلق فيها، أما الذي سيكون محل استغراب القراء حتماً، فهو ما ادعيه من أن المغرب العربي، بملايينه الثلاثين (\*) كلهم عرب، لا بربر فيهم، وقد لا يصدق القارئ هذا الادعاء بسهولة وهو يقرأ كل يوم في الصحف السيارة، ويسمع في الاذاعات العالمية، أحاديث طويلة ومتنوعة، عن البربر وعن أعمالهم ضد السلطان مرة، وضد الفرنسيين مرة أخرى، ويسمع بما يملأ آذانه من الحديث عن زعيمهم الأكبر الجلاوي باشا مراكش إلى غير ذلك من الروايات المستفيضة، التي تجعل وجود البربر في المغرب العربي ثابتاً بالتواتر. أجل مع هذا كله فإني أزعم، وبعض الزعم حق، أن ليس في المغرب العربي بربر على الإطلاق، واتحدى من يستطيع أن يثبت غير ذلك، واليك توضيح الأمر...

كان سكان المغرب العربي قبل دخول الرسالة الإسلامية العربية، بربراً لا خلاف في ذلك، ولا يهمني ما يذهب إليه بعض المؤرخين، من أن هؤلاء البربر أنفسهم، إنما هم من أصل عربي، وإنما الذي يهمني و الذي لا شك فيه، أن أولئك البربر قد تعربوا جميعاً بعد الهجرات العربية المتوالية على ديارهم...

أما أهم أسباب هذا التعريب فتلاثة: الدين، واللغة، والتزواج

وكان الدين أسبق الثلاثة إلى التحكم في مصير البربر، فلقد اعتنقوا الإسلام عن شوق وقناعة، وأحبوه من أعماق قلوبهم، واخلصوا لتعاليمه أشد الإخلاص، ثم أحبوا معه، ومن أجله كل ما صحبه من مقومات، أحبوا أهله العرب حبا لم يكن يخلو من الغلو، حتى كان البربري يرى أن الاصحار إلى العربي والتقرب منه، إنما هو شرف كبير له، بل هو في نظره ضرب من العبادة، و التقرب الى الله، لأن هذا العربي في نظره، إنما هو رسول الله إليه، وانه مجاهد في سبيل تبليغ رسالة الحق المقدسة، وانه مرابط في الثغور، بعيدا عن اهله وعن وطنه، وانه يفعل كل ذلك، في سبيل إعزاز كلمة الدين والحق، وفي سبيل نشر مبادئه السمحة الخالدة، وساعد على تسهيل الزواج و الاختلاط، ان حملة رسالة الاسلام الاول من العرب كانوا بدورهم يؤمنون بان دينهم لا يفرق بين عربي وعجمي، ولا بين ابيض واسود الا بالتقوى، من هناك، شاع الزواج بين العرب والبربر، وابتدأ منذ الفتح، وظل يتسع نطاقه حتى يوم الناس هذا، وقد مضى أربعة عشر قرنا على هذا التفويض، لا يقف في طريقه واقف.»

وهذا التحليل الوارد على لسان الورتيلاني سنة 5591 يقره عليه باحث من المغرب سنة 6991 ، حيث يقول الأستاذ الحسن بلحسن :«لا يمكن القيام بعملية بتر وفصل وتقسيم الجسد الواحد لكون العربي امتزج وتزوج بالأمازيغية كما أن الأمازيغية تناسلت من عربي بل أكثر من هذا أنها تتحدى من يستطيع أن يتميز من بين السكان الحاليين من هو العربي ومن هو الأمازيغي ذلك أن مجموعة من الناطقين بالأمازيغية هم عرب والعكس

صحيح»<sup>(1)</sup>.

والرأي ذاته يتبناه محمد أويذير آيت عمران (رئيس المحافظة السامية للأمازيغية في الجزائر) بقوله: «إجابة عن سؤالك قلنا في الجزائر، منذ فترة طويلة، أن هناك جزائريين، وذلك تجنباً وابتعاداً عن المشاكل والصراعات البيزنطية: من بإمكانه اليوم أن يؤكد أنه عربي 100 بالمائة، أو بربري مائة بالمائة؟ ولهذا نفضل أن نقول إننا جزائريون، والجغرافيا هي التي تتحكم في التاريخ. وإذا أخذت مثال الولايات المتحدة، فتوجد هناك جنسيات متعددة استطاعت على مر السنين أن تنسجم وتتوحد في ما بينها بما فيها إدماجهم للزواج القادمين من إفريقيا. وهم اليوم أمريكيون لا غير. فكيف إذا، لا نستطيع أن نجد حلاً في الجزائر لهذا المشكل الصغير؟

ويضيف زيادة في التوضيح والتأكيد قوله: «ليس هناك اليوم في الجزائر من يجزم انه عربي مائة بالمائة أو بربري مائة بالمائة، ولهذا خلص إلى القول إن «معضلة الهوية طرحت بصفة خاطئة، إذ هي مزيج من اللغات والأديان والثقافات، التي شكلت على مر العصور شخصية جزائري اليوم»<sup>(1)</sup>.

ذلك هو الوضع- إذن -في بلاد القبائل الحالية في الجزائر، بشهادة أحد الفرنسيين) المحتلين (أنفسهم، ومهما يكن من أمر في احتمال المبالغة في وصف قساوة الحكم العثماني) التركي (إزاء الأهالي العرب المسلمين لأسباب وأغراض واضحة ومفهومة (...)) فإن الحقائق المذكورة حول أسماء بعض القبائل وأصولها العربية

أوالفارسية ..هي حقيقة من حيث الرواية على الأقل، أي أنها قد رويت للضابط الفرنسي، ولم يكن لفرنسا- حينئذ -أية مصلحة في ذكرها؟ بل العكس هو الصحيح، حيث توجد مضرة بمصالح فرنسا (المحتلة (في ذكرها بالنسبة لتطور أساليب الاحتلال فيما بعد في أحكام قبضته الجهنمية على البلاد والعباد، ومحاولة تذيب الشخصية وتأييد الاحتلال الكامل للجزائر ترابا وشعبا، بهدف ضمها النهائي إلى فرنسا» الأم «كما سنبين ذلك في الفصل اللاحق!!

### الفصل الثالث

#### جذور وبنور النزعة البربرية في الجزائر

**بصرف النظر عن الإرهاصات الأولى لهذه النزعة التي تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين والتي بدأها المستشرقون والمبشرون ثم تولى أمرها بعض من تأثروا بأفكارهم من الأهالي ذوي الثقافة الفرنسية...إلا أن ظهور هذه النزعة كحركة ذات طابع سياسي يعود إلى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية ( 1946- 1947 ) حيث اندفعت جماعة من**

الشبان الطلبة في المدارس الفرنسية إلى الانضمام إلى الحركة الوطنية من أجل مقاومة الاحتلال الفرنسي، خاصة بعد أحداث 8 ماي 1945 الرهيبة، والقمع الذي أعقبها في كافة أنحاء الوطن، ومن بينها بلاد القبائل بطبيعة الحال، وقد انضم هؤلاء الشباب بكيفية طبيعية وتلقائية إلى حزب الشعب الجزائري (\*) وحركة انتصار الحريات الديمقراطية (\*\*). كغيرهم دون أية شبهة أو فكرة مسبقة عنهم... إلا أن بعض هؤلاء الشبان المناضلين) ومنهم من كان على مستوى معتبر في سلم القيادة، نظرا لنيلهم حظا من التعليم مقارنة بغيرهم (..قد كانوا يخفون إيديولوجية مغايرة لإيديولوجية ومبادئ الحركة الوطنية في الصميم، حيث كانت هذه النواة) المزروعة (داخل الحزب تطالب بالبربرية للجزائر، مع رفض الانتماء العربي الإسلامي للشعب الجزائري، وهم بذلك لم يكونوا متأثرين بالأفكار والأطروحات الاستعمارية الفرنسية (فحسب) والتي لقنوا اياها في المناهج المدرسية الفرنسية (بل أيضا متأثرين إلى حد بعيد بالإيديولوجية الشيوعية التي كانت في أوج عصرها الذهبي في ذلك الوقت، وكان لها تأثير عميق في أوساط الطلبة المفرنسين) أي غير المتشبعين بالثقافة الوطنية العربية الإسلامية)، ويجدر التذكير هنا بأن الشيوعيين الجزائريين (شأنهم في ذلك شأن زعمائهم الفرنسيين (كانوا يعارضون مفهوم «الأمة الجزائرية» الموجودة والمكونة أصلا قبل أن توجد الأمة الفرنسية ذاتها... وإنما كانوا يدافعون عن شعار «الأمة الجزائرية في طور التكوين» ابتداء من التعايش على نفس الإقليم لمختلف الفئات السكانية)، أو الجاليات: (اليهودية، القبائلية، الميزابية،

الشاوية، الإيطالية، المالطية، الإسبانية، الفرنسية، العربية... رافضين هكذا الثوابت الأساسية التي أقرتها أحزاب الحركة الوطنية بالإجماع كمبادئ مقدسة جندت من حولها الشعب الجزائري طوال سنوات المقاومة والكفاح ضد المحتل في كافة أنحاء الوطن، وهاذان الثابتان الأساسيان هما: «العروبة والإسلام». ولقد كان الحزب الشيوعي الفرنسي (الجزائري) يتسم بالقوة نتيجة المساندة والدعم المباشر الذي كان يتلقاه من ملهمه وولي نعمته ومثله الأعلى ألا وهو الحزب الشيوعي الفرنسي في «الوطن الأم» فرنسا. هذا الحزب الذي كان تعداده آنذاك قد وصل إلى مليون منخرط، وأكثر من خمسة ملايين ناخب و 166 نائبا في الجمعية الوطنية الفرنسية) البرلمان.

ونتيجة لهذا الهيلمان، والسلطان أصبح لمبادئه وأفكاره وأدبياته) التي تمجد انتصار الروس على النازية (رواج في الأوساط الشباب المثقفة بالفرنسية والمنتمية- جغرافيا -إلى بلاد القبائل، كما أشرنا، وكشاهد حي على هذا الموضوع برمته نترك القلم للسيد بن يوسف بن خدة (\*)ليخط لنا ما نصه...»: ولهذا ولع الشباب البربري بالماركسية، وكذا بدستور الاتحاد السوفياتي الذي يمجّد نظام الجمهوريات الإسلامية: أذربيجان، أوزبكستان، طاجيكستان... الخ، حيث كانت تؤكد أن كل شعب وكل عرق، كان يتمتع بلغته الخاصة، وثقافته الخاصة ويستفيد من «الاستقلالية» في تسيير شؤونهم، وكنا نجد هذه الحجة غالبا عند الأشخاص الذين تحولوا إلى أنصار للنزعة البربرية في الجزائر.

طبعا لا يمكننا تجاهل وجود خصوصية قبائلية بالجزائر،

حيث كانت منطقة القبائل فقيرة وكان سكانها يواجهون وضعية صعبة تحت ظل الاستعمار، فكانوا يستخرجون من أحجار جبالهم قوتهم، وكانوا يحلون نزاعاتهم بفضل الجماعة (جمعية العقلاء) وكانوا يطبقون قانون الشرف والأخلاق المستوحى من القيم الإسلامية قصد معارضة قانون فرنسا المستعمرة. وقد استغلت بعثات «الآباء البيض» بؤسهم المادي وقامت بتجارب منظمة للتصير كاستقبال اليتامى، وتوزيع نجدات عينية) الدقيق، التمر، الزيت، الخ... إنشاء مدارس دينية مسيحية (...ورغم ذلك فإن النتائج لم تكن في مستوى الجهود التي بذلت مقارنة مع العدد النادر للقبائل المنصرين!!

ولقد قدر أن منطقة القبائل كانت صالحة لاستقبال الحضارة الأوروبية(\*)، حيث كان التمدن متقدما فيها مقارنة مع باقي مناطق البلاد، وهذا قصد تكوين نخبة مفرنسة، وكان هناك اعتقاد إن سلف القبائل روماني وحتى آري، وتاريخيا يعني أنهم اشد قرابة للفرنسيين، والادعاء بأنهم أقل اتساما بميزة الإسلام مثل باقي سكان البلاد.

ونتيجة لتفاقم حدة البطالة، توجه عدد كبير من السكان إلى الهجرة إلى فرنسا أو الإقامة بمدن الجزائر، لممارسة مختلف المهن الصغيرة) خياطين، تجار، بائعين متجولين، موظفين بالإدارات، عمال، ملاك صغار (يوظفون بصفة عمال وفلاحين في مزارع المستوطنين.

ولقد كانت منطقة القبائل حصنا منيعا لأحزاب الحركة الوطنية على غرار بعض المناطق الأخرى مثل: متيجة،

الجزائر، سكيكدة، عنابة، قسنطينة، وهران، الأوراس، وقد ساهم معظم أبنائها المهاجرين إلى فرنسا بفعالية في بعث نجم الشمال الإفريقي، وكذا حزب الشعب الجزائري... مساهمين بذلك في إشعاع هاتين المنظمتين حتى في فرنسا.

حاول أنصار النزعة البربرية بالجزائر التجنيد في الأوساط الطلابية بالجزائر) المدينة (ومنطقة القبائل، وعلى المستوى القاعدي لم يشرعوا في نشر أفكارهم، ولكنهم لم يتخلوا عن القبح في القيادة من أجل هدم سلطتها والتشكيك في النهج السياسي العربي الإسلامي الخاص بالحزب. وكانت أفكارهم تلقى الرفض أثناء المناقشات من طرف الأغلبية الساحقة لمناضلي الحزب لمذهبهم الذي كان يؤدي حتما بالحزب والشعب إلى التقسيم والتشتيت.

ويبدو ضروريا إدراج عاملين هامين في سياق تكوين نوع من الوعي البربري لدى هذه النخبة المتفرنسة والمتأدلجة، وهذان العاملان هما:

**أولا:** إن أنصار الحركة البربرية هم من تكوين فرنسي محض، متذرعين بتحدثهم اللهجة القبائلية فقط في الوسط العائلي، وجهلهم الشبه كلي للثقافة العربية-الإسلامية). وهو ما يؤكد ما قلناه أنفا، وقد ورد ذلك أيضا في مذكرات المجاهد عمر بوداود، كما سنورد بعض استشهادتنا منها في سياقته لاحقا.»

**ثانيا:** خيبة العرب في فلسطين، ودورهم المحزن تجاه الدولة الإسرائيلية المفروضة عليهم، وهو ما أحدث نوعا من رد الفعل السلبي تجاه العرب لدى بعض شباب منطقة القبائل.

وقد كان أول من دق جرس الأنداز حول تشكل نواة هذه الحركة هو أحمد بودة عضو اللجنة المركزية لحزب الشعب (ح.إ.ح.د) (أثناء الاجتماع في ديسمبر 1948 ، الذي بلغ عن وجود هذه النزعة البربرية التي لاحظ أنها قد تعدت الأفكار إلى الأعمال، وحاولت التهيكل داخل الحزب نفسه.<sup>(1)</sup>)....

هذا بالنسبة لخلفية وجذور النزعة البربرية داخل الحركة الوطنية الجزائرية) أي داخل الوطن (أما عن علاقتها وامتدادها من وإلى فرنسا ذاتها فيقول ابن خدة عن ذلك في الكتاب:

«لقد كانت أرض فرنسا المكان الصالح لأنصار النزعة البربرية الذين بدأوا نشاطهم هناك .ففي ربيع سنة 1948 التقى السيد وعلي بناي بأحمد بودة رئيس المنظمة الوطنية لـ) حزب الشعب الجزائري-حركة انتصار الحريات الديمقراطية(، وتحدث معه عن طالب» بصدد البحث عنه من طرف الشرطة»، ويرغب في الالتجاء إلى فرنسا قصد متابعة دروسه، وهو بحاجة إلى أن يوصى به إلى قيادة الفدرالية، وفي الحقيقة فإن هذا الطالب ما هو إلا) محند علي يحييا (الذي سوف يكتشف لاحقا، بصفته محرضا للنزعة البربرية بفرنسا.

وبحسن نية، أعطى السيد بودة موافقته لبناي) وقد كان هذا الأخير مناضلا في الحزب، ويخفي نزعته البربرية (وبهذا الشكل التحق محند علي يحييا الملقب» برشيد «بفرنسا، حيث أدرج في المنظمة، والمعروف عليه أنه يتسم بالنشاط والجرأة مما مكنه من الارتقاء بسرعة إلى مراتب المسؤولية حتى أصبح طرفا في اللجنة المديرية لفدرالية فرنسا لـ) ح.ش.ج-ح.إ.ح.د (

وعندما انفجرت أزمة القضية البربرية في ربيع 1949 ، توصل إلى دفع اللجنة المديرية إلى انتخاب لأئحة تدين» خرافة الجزائر العربية الإسلامية.»

وأمام هذه المناورات تمردت القاعدة وأخبرت القيادة بالجزائر للاحتجاج ضد من يصفونهم بالعناصر» الملحدة (\*)»التي تحارب الإسلام والعروبة، وفور ذلك أوفدت القيادة السيد شوقي مصطفى إلى باريس وهو،» عضو «في المكتب السياسي للحزب، وصادق سعدي، شخصية الحزب المعروفة بمنطقة القبائل، وفي عين المكان انضم الموفدان من القيادة إلى محمد خيضر، وبلقاسم راجف، فاعترض سبيل الأربعة أشخاص من الحركة البربرية، الذين يتمتعون بنفوذ كبير داخل المنطقة فمنعهم من الدخول إلى القاعة!

قدرت نسبة وحدات المنظمة المنشطة من طرف» رشيد «بـ % 80 فكانت الصدمة !وفي منطقة باريس كانت بعض فصائل الضاحية، أوالمحافظات مثل كولومب، والضاحية الـ 19 والـ 20 ، يقطنها أساسا مهاجرون من منطقة القبائل الصغرى بالجزائر، فكانت تعتبر نقاط ارتكاز للمجموعة الجديدة لإعادة تشكيل المنظمة المفككة، وفي المقاطعة، قاومت منطقة جنوب-شرق، بصفة فعالة ضربات أنصار الحركة البربرية بفضل بشير بومعزة بناحية ليون بوسط فرنسا.

ولم يتم التوصل إلى هذه النتيجة إلا بعد المرور على المحافظات، واحدة تلو الأخرى، وضاحية تلوضاحية، ومدينة

ومقاطعة تلو مدينة ومقاطعة، لإعادة جمع أعضاء الحزب، كهيكله الفصائل والقسمات وإعادة تشكيل فدرالية فرنسا لـ (ح.ش.ج-ح.ا.ج.د (وقد استغرق هذا العمل (18) شهرا بدون انقطاع.

كما أكد هذه الحقيقة المناضل الوطني الكبير في حزب الشعب الجزائري عمر بوداود) وهو من قلب بلاد القبائل (في مذكراته الصادرة سنة 8002 م بقوله حول هذا الموضوع: «عرفت سنوات 05 - 9491 انفجار ما سوف يعرف بأزمة الانتماء البربري، وتلك القضية تورط فيها بالخصوص مثقفون شباب من القبائل الكبرى، تحت قيادة وعلي بناي، وكان ولد حمودة، مسؤول المنظمة الخاصة (SO'L) على كافة بلاد القبائل واحدا منهم. كانت لي معهم اتصالات في المجالات التنظيمية، من غير أن أطلع على محتوى مشاريعهم الخاصة بـ» الانتماء البربري. «وقع بيننا خلاف بصدد تقسيم إقليمي، يتعلق بمنطقتنا. فبعد تأسيس المنظمة الخاصة، حرص مسؤولو ناحية القبائل الكبرى على أن يضموا إليهم بلدية تيقزيرت. عارضت ذلك بحزم وبصفتي مسؤولا عن المنظمة الخاصة بالمنطقة، فقد كان تبريري في ذلك هو ضرورة توفر المنظمة على مناطق غابية، تجعلها في حالة استعداد للعمل عند اندلاع العمل المسلح. وتعتبر غابة ميزرانة، الكائنة في بلدية تيقزيرت الملاذ الكفاحي الوحيد الذي يكتسي أهمية استراتيجية. كان من الضروري إذن أن تظل الغابة تابعة إقليميا لتراب القبائل السفلى. وبعد جدل حاد، تم التوصل إلى اتفاق مفاده: أن تربط الجهة الشرقية للطريق الرابط بين

تيفزيرت وتيزي وزو بالقبائل العليا والجهة الغربية تربط بالقبائل السفلى بما فيها غابة ميزرانة.

لقد أعدَّ مسؤولو القبائل العليا مشروع وثيقة لم أطلع عليه إلا بعد مدة زمنية، بالرغم من كوني عضواً في قيادة الحزب. لقد تمَّ إعداد النص، وهو ذو محتوى ماركسي أكثر منه ذو محتوى وطني، ليعرض للمناقشة أثناء انعقاد اللجنة المركزية أو في مؤتمر الحزب ...

بعد أن عرفت أفكارهم بداية شروع في التنفيذ، طُرحت المسألة في أجواء مكثّرة. ثارت ثورة الحزب، بسبب الحادث الذي تسبب فيه تعيين رشيد علي يحيى كمسؤول لفدرالية فرنسا للحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية. فقد قام بصفته كذلك، بتحرير وثيقة تتعلق بتنظيم الحزب في فرنسا، سلّمت الوثيقة لمناضل كان متوجهاً إلى الجزائر مع تكليفه بتسليمها إلى «عمار»، ومن المعلوم أن «عمار» (هو تسمية نضالية لولد حمودة. ولم يفهم المناضل حامل الرسالة ذلك فسَلّمها إلى المناضل عمار حداد)، وهو اسمه الحقيقي، فلم يفهم هذا المناضل الذي تلقى الرسالة ما الذي يراد فعله بهذه الوثيقة، وظن أنها من الأمور التي تهّم الحزب فسَلّمها بدوره إلى حسين لحول الذي كان بحضرة محمد خيضر في مكاتب) ح. !. ح. د. (في ساحة شارتر.

يبدو أن الرسالة تعرضت للحديث عن توفر معطيات من شأنها أن تسمح بتطوير عمل ثوري موازي؟! عند قراءة الوثيقة اعتقدت قيادة الحزب بأن ذلك تقرير

صادر من تنظيم مواز، مما تسبب في تفجير الأزمة .(\*)مما أدى إلى اتهام واضعي مشروع الوثيقة من طرف الحزب بكونهم يجنحون إلى» العمل الطائفي.»

لا زلت أتذكر مجريات لقاء تم وقتها، في هذا الصدد، أثناء شهر رمضان المعظم .كنت مارا بنهج جول فيري) عبد الرحمن عبيود حاليا (بمدينة الجزائر، أمام مقهى بورحلة، حيث تعوّد أبرز المسؤولين في الحزب على الاجتماع حول الشاي، التقيت هناك الحاج شرشالي وحسين لحول والنقيب سعدي، وشخصية رابعة نسيت اسمها، استجابة لدعوتهم جلست لتناول الشاي معهم، فسألني السعدي إن كنت» ذا نزعة بربرية«إذ كان أمري في هذا الصدد مبهما لم تتوصل بعد قيادة الحزب إلى تبيانه .شرحت له رأيي في الموضوع قائلا» :أنا لا أرغب في معرفة إن كانت الجزائر بربرية أو عربية أو فرنسية، وإنما الذي يهمني بالدرجة الأولى هو أن أهوى الجزائر وأن أحميها وأن أموت من أجلها إذا اقتضى الأمر ذلك، وباختصار أن أكون جزائريا، هل يكفيك هذا؟ «ردّ عليّ بقوله» :لست مقتنعا!»

لم يكن عدم اقتناعه بالأمر الذي من شأنه أن يقلقني .لقد كانت مشاركتي الوحيدة في اجتماع مع المتهمين ب» النزعة البربرية«، بعد مدة زمنية من ذلك.(1)»

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى نقطتين هامتين، كما يذكرهما الرئيس بن يوسف بن خدة:

الأولى :الإسهام الإضافي والنهائي والحاسم لحل الأزمة

البربرية التي لقيت الموافقة من أعضاء فرع طلبة الحركة الوطنية أثناء السنة الدراسية 1948-1949 ومن بينهم: مصطفى لشرف، عبد المالك بن حبيلس، علي مرداسي، محي الدين حفيظ، صغير مصطفاي، محمد بن قطاق وتونسيين اثنين هما: الطاهر قيقة، ومصطفى ليف.

**الثانية:** هي طبيعة النهج السياسي الذي يكون تبعا للنتائج المحصل عليها، وكان يرتكز على مفهومين:

**أولا:** تنفيذ الدعامة العرقية للحركة البربرية أو « الآرية » بدون إعادة النظر في المحتوى الثقافي البربري المحلي، في إطار الحضارة العربية الإسلامية، التي أصبحت هي الثابتة والعامّة بعد الفتح الإسلامي، وإلى يومنا هذا.

**ثانيا:** النداء إلى الضمير الوطني لمعارضة هذا المذهب الهدام بتحقيق الأنسجام و الالتزام بدون غموض أو هوادة، بالوحدة الوطنية، والجدير بالذكر هنا هو أن هذا الموقف الوطني نفسه هو الذي تؤكدّه فيما بعد إحدى وثائق مؤتمر الصومام المنعقد ببلاد القبائل ذاتها سنة 1956 م التي تخوّن كل من ينتمي إلى الحركة البربرية وتضعه في صف العدو بامتياز، والوثيقة ممضاة من القادة الستة الذين يوجد من بينهم أربعة من بلاد القبائل ذاتها، وهم: عبان رمضان، كريم بلقاسم، عمرو أو عمران، وعلي ملاح، وسنورد نص الوثيقة في سياقها) انظر الملحق رقم (1)، أما القائدان الآخران فهما محمد العربي بن مهيدي، ويوسف زيغود (...).

ونعود إلى شهادة الرئيس بن يوسف بن خدة الذي يواصل

فيها قوله» :ذلك أنه بظهور نزاع مثل الذي عشناه، فإن الحركة البربرية تؤدي إلى إحداث شقاق في الحركة الوطنية للتحرير، والمستفيد الوحيد منها هو المستعمر الفرنسي.

ونتيجة لما سبق ذكره حكمت قيادة الحزب بطرد محند علي يحيى وكل الذين شاركوا في العمل الأنغزالي، وتضامنوا معه، وقررت إلغاء جريدة النجم الجزائري.»

وهذا الموقف الثوري من الحركة البربرية في مؤتمر الصومام المشار إلى إحدى قراراته أنفاً، هو امتداد للحرب الشعواء التي كان قد شنها قادة (ح.ش.ج-ح.ا.ج.د) على أقطاب الحركة البربرية إثر افتضاح أمرها في الجزائر وفي فرنسا، حيث أنه وبعد إعادة التحكم في فيدرالية فرنسا بفضل نضال هؤلاء الرجال (كما يؤكد بن خدة)، تأكدت قوة ومقدرة التنظيم لهذه الأخيرة في أول ماي 1950 بباريس، حيث تمّ تنظيم مظاهرة جماهيرية اكتسحت الكونفدرالية العامة للعمال وأعطت الفرصة للجزائريين للقيام بعرض علمهم تحت قيادة (ح.ش.ج-ح.ا.ج.د) وفي الجزائر اعتبر الشيوعيون ذلك العرض مبكراً ويمكن أن يصل بـ (ح.ش.ج-ح.ا.ج.د) (إلى الانفجار).

ويجدر الذكر هنا أن قيادة الحركة الوطنية كانت على علم بالأفكار التي نشرها أنصار الحركة البربرية، ولم تقدم بعد على اتخاذ أي قرار، حتى حصلت على دليل مادي للمؤامرة التي هيكت، وذلك بفضل الحصول على رسالة مرسله من السجن المدني بالجزائر، من عمر أوصديق إلى واعلي بناي، والتي سقطت في أيدي القيادة، وبذلك اكتشفت وجود» حزب الشعب

القبائلي) «ح.ش.ق (الذي تهيكّل داخل) ح.ش.ج-ح.ا.ج.د (وقد كشف التحقيق منشطي هذا العمل التقسيمي، وهم :واعلي بناي، عمر أوصديق، عمار ولد حمودة، صادق هجرس، فعوقبوا على مؤامرتهم التجزئية، وقد التحق معظم المطرودين بالحزب الشيوعي الجزائري، ومنهم الصادق هجرس الذي أصبح أحد قاداته. (\*)»...

لم ينل نشاط أنصار الحركة البربرية موافقة الجماهير، ففي القبائل، من بين اثنتي عشرة قسمة أصبحت واحدة فقط، وهي عين الحمام منطقة نفوذ لولد حمودة، وبقي الوضع على حاله لمدة سنة أو أقل!

والمعروف أن الثقافة والتحدث بالقبائلية كان مسموحا بهما داخل الحزب دون أية عقدة في إطار الثوابت الوطنية العامة (الإسلام والعربية !)

والدليل على أن الثقافة الشعبية القبائلية، وكذا اللهجات البربرية) كما قلنا (ظلت موجودة ومتعايشة مع الثقافة العامة منذ قرون، هو أن خطباء نجم الشمال الإفريقي، حزب الشعب الجزائري، أوحركة انتصار الحريات الديمقراطية كانوا يستعملون القبائلية في خطبهم دون عقدة، أوحتى في الأغاني والأناشيد الوطنية التي تثير الحماسة والنشاط داخل اجتماعات المناضلين أوتجمعات الجماهير. (\*\*))»

ثم يضيف بن خدة قوله: «وكانت تسود روح أخوية جميع المناضلين، بغض النظر عن الأصل، أوالجهة وحتى الذين لا يتكلمون القبائلية رغبوا في تكلمها، بدون أية عقدة أونيات غير

بريئة»، وهو عكس ما نراه يحصل اليوم نتيجة الخيانات والعمالات الطارئة على الجزائر بعد سنة 1962 ، ورحيل الشهداء، ثم سيادة الخفاء، مما استوجب صدور هذا الكتاب ذاته للحقيقة والتاريخ والوطن والأمة!!

ونبقى مع بن خدة في سرده للأحداث فيقول: «ولقد ظل القبول بالثقافة أو الكلام بالبربرية، بشرط عدم إعادة النظر في المبدأ) العربي-الإسلامي(، الدعامة الايديولوجية للحزب، فالنشيد الوطني لحزب الشعب الجزائري : فداء الجزائر، الذي كان ينشده كل المناضلين(\*)، كتب من طرف جزائري مزابي) من منطقة ميزاب (وهو المرحوم مفدي زكريا، وهذا لم يمنع من التأكيد على أن القصيدة أو مسعى الكفاح الوطني هو الاعتراف باللغة العربية في الجزائر المحررة، كما ينص على ذلك بيان أول نوفمبر في أهم بنوده المتعلقة بالهوية الوطنية للشعب الجزائري الموحد دينيا ولغويا!

وفيما يتعلق بعبارتي «الجزائر العربية»، و«الجزائر الفرنسية» فقد فضل أنصار الحركة البربرية عبارة «الجزائر الجزائرية» التي لا يعني محتواها أي شيء. فهل يدعو الفرنسيون إلى «فرنسا الفرنسية» أو الألمان إلى «ألمانيا الألمانية»؟ فشعار «الجزائر الجزائرية» لا يمكن فهمه إلا كونه محاولة مكشوفة لإزالة الشخصية العربية-الإسلامية للجزائر.

ويؤكد هذه الحقائق كلها الواردة بقلم بن يوسف بن خدة وعمر بوداود وآخرون كثيرون، ومنهم المؤرخ الجزائري

الدكتور ناصر الدين سعيدوني، وهو من بربر الشاوية جغرافيا، في بحث له بعنوان « جذور المد الشعبوي في الجزائر » جاء فيه ما نصه:

«كانت الخطة الفرنسية تهدف إلى إيجاد تيار جزائري في مظهره وأصوله، فرنسي في قناعاته وتوجهاته، فهو يرفض مقولة الجزائر فرنسية بحكم الواقع ولكون المعمرين لا يسمحون بذلك حتى لا ينافسهم جزائريون في امتيازاتهم التي كانوا يحظون بها، كما أن هذا التيار أيضا لا يسلم بفكرة الجزائر العربية الإسلامية، باعتبارها لا تعبر عن طموحهم ولا تتماشى مع انتماءاتهم وقناعاتهم، وقد استطاع هذا التيار الذي ظهر ناطقون باسمه في الجزائر، أن يستقطب، في منطقة القبائل بالخصوص، جماعات من الشباب نشأت في أحضان المدارس الفرنسية، ذات التوجهات اللائكية، وترعرعت بتوجيه من القائمين على الإدارة الفرنسية ! وقد استطاع بعض الأفراد من هذه الجماعات أن يتسرب إلى الساحة الجزائرية وأن تخترق الجناح الاستقلالي للحركة الوطنية التي كان يمثلها آنذاك حزب الشعب الجزائري، وقد تسبب ذلك فيما يعرف بالأزمة البربرية لحزب الشعب سنة 1949 ، هذا وكما هو معروف أن هذه الأزمة التي تعكس توجهات السياسة الفرنسية في المجال السياسي، بدأت في شكل تملل وثورة على موقف حزب الشعب من مجازر 8 ماي 1954 وما أصدرته قيادته من قرارات وتوجهات متضاربة، ثم تحول القلق إلى بحث الذات والهوية بفعل الواقع الثقافي الذي أوجده الاستعمار، ومع نشاط مجموعة من المنتسبين إلى اللجنة الفدرالية لحزب الشعب،

وحركة انتصار الحريات الديمقراطية في فرنسا (1946-1948) وعلى رأسهم أحد الطلاب الجامعيين وهو محند علي يحيى (المدعور شيد) أصبحت الحركة ذات توجهات عنصرية، وقناعات جهوية وميولات شيوعية معادية لمبادئ الحزب ومتنافية ووحدة الشعب ومدمرة لتماسك العمال الجزائريين في المهجر، وقد استطاعت قيادة حزب الشعب آنذاك أن تضع حدا لهذا التوجه الخطير الذي كان يتنافى ومبادئ وقرارات الحزب، وذلك بطرد الداعين له، والتشهير بهم، رغم أن العمل كلل بالنجاح، ووضع حد لهذه الأزمة إلا أن خلايا الحزب فقدت العديد من أنصارها النشطين وتسببت في تصدع كاد أن يذهب بوحدة الحزب، وقد وصف التقرير العام للجنة المركزية في المؤتمر الوطني الثاني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية المنعقد في الجزائر 1953/6/4، هذه القضية بما نصه: «أن الحزب اصطدم بمعضلة داخلية خطيرة وهي النزعة البربرية التي هي انحراف تعسبي ملون بالصبغة العنصرية والنزعة الشيوعية، وعمل طائفي يرمي للتخريب والتمرد المكشوف على الحزب ... والبربرية يمكن أن تبقى سلاحا في يد الاستعمار مادام الاستعمار قائما. (1) «وهذا ما أكدته قادة مؤتمر الصومام في وثيقتهم المذكورة آنفا، ويؤمن به كل وطني مسلم في الجزائر حتى هذه اللحظة!!

ثم يضيف الباحث قوله: «هذا وقد اضطر أنصار هذه الفكرة بعد طردهم من صفوف الحزب وفشلهم في تكوين تنظيم خاص بهم عرف) بحزب الشعب القبائلي (إن يبتعدوا عن الساحة الوطنية، وإن يندمجوا في الحزب الشيوعي الجزائري، بينما واصلت الحركة

الوطنية مسيرتها بمنطقة القبائل، وباقي إقليم الجزائر لتنتهي بإعلان الثورة التحريرية في الفتح نوفمبر 1954 لاسترجاع المقومات العربية الإسلامية للشعب الجزائري، وقد كان للبطل المجاهد عميروش مواقف وأعمال خالدة في محو بقايا هذه الترسبات في المنطقة بأكملها<sup>(2)</sup>»، والدليل على ذلك إرساله للمئات من قوافل الطلبة إلى البلاد الشقيقة<sup>(3)</sup>.

وعن هذا الموضوع أيضا يقول أحد الباحثين الجزائريين المعاصرين للأحداث، وهو الدكتور عثمان سعدي، وهو أيضا من قبائل الشاوية، عن مخلفات ومؤامرات الاستعمار و «الاستعمار» «في دراسة له ...» :لقد تعلم أنصار النزعة البربرية على أيدي فرنسيين، وعلى أيدي الآباء البيض، فغرسوا في نفوسهم كرههم لكل ما هو عربي وعلموهم بالفرنسية) أن العرب غزاة وأن العربية لغة غازية وأن البربر جرمان هاجروا من أوروبا (ليبرروا) فرنسة الجزائر (قبل 1962 ، وقد بلغت هذه الحملة المسمومة أوجها سنة 1948 عندما اكتشف الوالي الفرنسي الأسبق بالجزائر) شاتينيون (أن قوة حزب الشعب الجزائري خطر على فرنسة الجزائر، فقرر تدميره من الداخل وذلك ببث النزعة البربرية في صفوفه بواسطة عملائه وبرز بالفعل تنظيم داخل الشعب تحت اسم» حزب الشعب البربري.» لكن قادة الحزب من القبائل قاموا بتصفية العملاء جسديا خلال أشهر قليلة وكنا مناضلين في صفوف حزب الشعب فصدرت لنا التوجيهات بمحاربة هذه الفكرة الشريرة... وعودة إلى السياق التاريخي للحركة البربرية والحركة

الوطنية المحاربة لها، تقول وثيقة الصومام المذكورة والتي يتكون كل قادة المؤتمر من قادة الحركة الوطنية ذاتها ومنهم بن خدة الذي يقول في كتابه بأن رد فعل قيادة حزب الشعب الجزائري (ح.إ.ح.د.) بمعاقبة محرضي أنصار النزعة البربرية، كان سريعا وقويا ومبررا، لأنه لا تسمح أية قيادة لنفسها بوجود منظمة داخل حزبها تختلف إيديولوجيتها مع المذهب الرسمي! ؟.

وتطبيقا لهذا الموقف الحاسم للحزب نورد هنا هذه الشهادة الحية عن حلقة من حلقات المقاومة ضد أنصار النزعة البربرية في باريس كما يرويها المناضل الوطني (القبائلي) بلقاسم راجف (وهو فاعل أساسي في أحداثها من البداية إلى النهاية)، ومما ورد في هذه الشهادة قوله:

«أثناء سنتي 1947- 1948 كان عبد الله فيلاي المناضل الأسبق في صفوف «نجم شمال إفريقيا» على رأس فيدرالية فرنسا لحزب الشعب-حركة الانتصار، وبالرغم من إرادته الحسنة لم يتمكن (فيلاي) من إحراز أي تقدم يذكر لصالح الحزب.

وكان يعامل الطلبة معاملة سيئة واصفا إياهم بـ «المتخاذلين» مما أدى بمحمد علي يحي (الملقب برشيد) بعد وصوله إلى فرنسا إلى مساعدة بعض المناضلين على انتقاد سير الأمور في الفيدرالية التي كان يسيطر عليها فيلاي دون أية مراقبة.

وفي يوم من الأيام اغتنمت فرصة وجود مصالي الحاج بمدينة بري كومت روبر (Brie Comte Robert) في ضواحي باريس فقصدته رفقة جماعة من المناضلين واشتكينا له من تصرفات فيلاي. وبدلا من أن يأمر بإجراء تحقيق بشأنه ويقوم بدراسة الوضع مع

جميع الأطراف راح مصالي يبزر أعمال فيلالي ويدافع عنه...  
وكننت شخصيا في تعاطف مع الطلبة لأننا كثيرا ما عانينا من  
اتهامات خصومنا السياسيين التي تصفنا «بأميين» وكننت أرى أنه من  
الصعب في غياب العنصر المثقف أن يحقق الحزب أي تقدم، وحيث  
إن الطلبة كانوا يتهربون من الحزب فاجتمعت بهم في مقر الطلبة  
بشارع سان ميشال في باريس رقم: 115 (Boulevard Saint Michel)  
وقلت لهم: «إنه لا يحق لكم أن تغادروا الحزب وإلا كانت خيانة».  
وفكرنا في عقد مؤتمر فيدرالي، قال بشأنه أحمد مزغنة عضو  
القيادة الذي كان قد حل بباريس في زيارة قصيرة: «انه من  
اختصاص قيادة الحزب في الجزائر» فقررنا عقد مجلس فيدرالي  
تطلب تحضيره ما لا يقل عن خمسة أشهر وحضره يوم جلسته تقريبا  
(150) مندوبا، ونفس العدد من مناضلين آخرين وكان ذلك في سنة  
1948. وانتخب المجلس الفيدرالي لجنة فيدرالية تضم (25) عضوا  
وطلب أن أكون من بين أعضائه نظرا لأقدميتي في الحزب فقبلت  
بتحفظ ان أشارك في اجتماعه بباريس بصفتي «مستشارا تقنيا»  
حسب ما تسمح به الظروف لأن نشاطي المهني الذي يجري خارج  
باريس وواجباتي العائلية لم تمكناني من ذلك بصفة دائمة.  
وأصبحت «عضوا قانونيا» في المجلس الفيدرالي والتحق محند  
علي يحيى (رشيد) بدوره باللجنة الفيدرالية.  
وصل ذات يوم إلى باريس الدكتور شوقي مصطفىاوي والنقيب  
الصادق سعدي الذي اتصل بي هاتفيا في مقاطعة لا بروتان  
(Bretagne) حيث كنت مقيما وطلب مني أن ألتحق به وذلك ما  
فعلت على الفور ويومه اكتشفت مؤامرة النزعة البربرية التي

كان علينا أن نواجهها، وكان قدوم مصطفى وسعيدى إلى باريس بأمر من قيادة الحزب فى الجزائر للقيام بتلك المهمة وعلمت مساء وصولى إلى باريس أن اجتماعا للجنة الفيدرالية قد يعقد فى الغد على الساعة الثامنة صباحا فحرصت على أن أحضره لأطلب من منظميه إقامة حفل شاي على شرف مبعوثى قيادة الحزب.

ولم يكن باستطاعة أحد منى من ذلك بصفتى» عضوا قانونيا «وتيقنت من بداية المداولات أن أفكار النزعة البربرية قد انتشرت وقطعت أشواطا وأن أمامى أناسا مصممين على أفكارهم ومتشبهين بها، فطرحت المشكلة واقترحت إدراجها فى جدول أعمال الجلسة على الصيغة التالية:

عارض بعض الحاضرين الاقتراح الذى قدمت لأسباب جعلوها ذريعة ومبررا لها، حيث أنهم كانوا قد قطعوا الصلة بينهم وبين الحزب فى الجزائر العاصمة وبذلك فهم يرفضون استقبال مبعوثى القيادة وحتى التحدث إليهما، وألحت على أن تدرج القضية فى جدول الأعمال فاحتد النقاش وأصبح صاخبا عاصفا واصطدم اقتراحي برفض عنيد، ومع ذلك كنت لا أزال أحظى ببعض الاحترام ولو كان غيرى فى مثل ذلك الوضع لتعرض لعقاب شديد، ودامت المناقشات سبع عشر ساعة دون انقطاع!!

وقبل أنصار النزعة البربرية فى نهاية المطاف بمبدأ مناقشة القضية، ولا حاجة إلى ذكر ما كان يتردد على ألسنتهم خلال تدخلاتهم مما يضمرونه من حقد لكل ما هو عربى، وبصفة

خاصة على اللغة العربية والقرآن والإسلام، وكان اقتراحي يتعلق  
«بإدانة الانحراف السياسي للجنة الفيدرالية بما يخالف الوحدة  
والمصلحة الوطنية ومصلحة أصحابه الذين تهدف تصرفاتهم إلى  
تقسيم الحزب وخدمة مصالح الاستعمار عن وعي أو غير وعي.»  
وجرى التصويت على الاقتراح وجاءت نتائجه على الشكل  
التالي:

-عدد الأصوات لصالح الاقتراح 12 = صوتا

-عدد الأصوات ضد الاقتراح 13 = صوتا

ورفض الاقتراح بأغلبية صوت واحد، وحين افترقنا قلت  
لأحد أنصار النزعة البربرية» أن الصراع لا يزال في بدايته..»  
 واجتمعت بمصطفاي وسعيدي ومناضلين آخرين، وقررنا أول  
ما قررنا تنظيم أفواج للدفاع الذاتي والرد على الاعتداءات التي  
نتعرض لها، وبلغ مجموع عدد أفراد الأفواج 70 مناضلا، وطلبنا في  
نفس الوقت من الفروع تجميد الأموال التي بحوزتها وإرسال  
عرائض إلى المجلس الفيدرالي تحتج فيها على الانحراف السياسي  
وتوجيه دعوة لعقد مجلس يتكفل بانتخاب لجنة فيدرالية جديدة على أن  
ترسل إلينا نسخ من العرائض، ولقد سمح لنا ذلك المسعى بأن نتعرف  
على الفروع المعادية لنا وان نقدر قوانا، وسرعان ما وقعت المشادات  
وجرت المشادة الأولى بالدائرة الباريسية الثامن عشر، في شارع  
أوردنير (18e Arrondissement rue Ordonner) في قاعة تابعة  
لفندق مقهى حيث اجتمع مائة شخص بدعوة من خصومنا،  
وأرسلنا ثلاثين من رجالنا لحضور الاجتماع ومع الأسف  
وصلوا متقدمين، الأمر الذي سمح لخصومنا بان يجمعوا مقابض

معاول وقوارير من زجاج.

وبمجرد أن علمنا بذلك قصدنا المكان على الفور، وكان عددنا عشرين مناظلا، وفور وصولنا هاجمنا خصومنا وتحطم الباب الزجاجي للفندق، وحين رجعت أدراجي رأيت شخصا يقصدني ويبيده سكين جزار وخرج في تلك الأثناء صديق لي محتميا بكرسي فرماه باتجاهي فأمسكته، وضربت به صاحب السكين) أرزقي مغيرة (وهو صديق لواعلي بناي، فانسحب على الفور.

وفي تلك اللحظات تسلق زملائي الأشجار وقطعوا منها فروعاً ليجمعوا منها هراوات استخدمناها للدفاع عن أنفسنا ودحرنا عناصر العصابة، ففر بعضهم ودخل بعضهم إلى الفندق، وتسببت المواجهة في عدة جرحى من الطرفين ودخل ثلاثة المستشفى، وكنت قد أبعدت من جماعتنا المهاجمة، كل العناصر التي تنتمي جغرافيا إلى المناطق التي يتحدث سكانها بالعربية في الجزائر وذلك حرصاً مني على أن تكون القضية أو المعركة قائمة بين أهل القبائل وحدهم حتى لا تضى عليها طابع» نزاع بين العرب والقبائل «الذي قد يستغله أعداؤنا ضدنا!!

وبعد ان انتهت المواجهة جلست في المقهى فرأيت حافلتين مملوءتين برجال الشرطة تصلان إلى المكان رفقة سيارة خفيفة، وفي الغد علمنا من الصحف ان سبعين جزائرياً قد قبض عليهم ونقلوا إلى مركز الشرطة وأيضاً ثلاثين جريحاً!!

ووقعت المشادة الثانية في الدائرة التاسع عشرة حيث حصلنا على قاعة الحفلات التي وضعتها البلدية تحت تصرفنا باعتبار أن

الحزب حزب شرعي، ولما بدأنا الأشغال أراد بعض أنصار النزعة البربرية ان يتناولوا الكلمة بالقوة، وكنت على المنصة في رئاسة الجلسة وصعد احدهم إلى المنبر وحاول نزع الميكروفون من بين يدي فأمسكته من طرف بذلته وألقيته على الأرض، وحدث عراك وتبادل الضربات، وبعد اتصال هاتفي أجريناه من مقهى صديق، وصلتنا الإمدادات ووصل بعدها بقليل خيضر ومزغنة.

وفي تلك الأثناء رفعنا نشيد» فداء الجزائر (\*)«ونشيد» من جبالنا (\*\*«وارتكب خصومنا خطأ .حين تجمعوا في زاوية وشرعوا في ترتيل نشيد لهم(...)، وكانوا في عزلة تامة عن الحاضرين البالغ عددهم مائتين وخمسين شخصا وساعد انعزالهم رجال أمننا في أداء مهمتهم حيث تمكنوا من تطويقهم ودحرهم إلى الخارج!!

وهكذا استئصلت جذور الفتنة البربرية في فرنسا، أما في الجزائر فقد تواصلت مطاردة أفرادها من طرف رجال الحركة الوطنية.

وكان المكتب السياسي للحزب يهدف من وراء اتخاذ تلك الإجراءات إلى تفادي التقسيم، الذي كان الاستعمار يغذيه باستمرار، في الوقت الذي كان الحزب بأكمله مجندا لتطبيق قرارات مؤتمر زدين (\*)القاضية بتدعيم المنظمة السرية للحزب من حيث التعداد والأسلحة، والاتصال بالقادة التونسيين والمغاربة والقادة العرب بالقاهرة، من أجل مساعدة ملموسة للمقاومة المسلحة) ماليا وماديا.)

وقبل أن أختتم كلامي أريد ان أضيف ما يلي :

لكل جزائري الحق في أن يتغنى ويتحدث بلهجته الخاصة في منطقته ولا يحق لأي كان أن يؤلب جزءا من السكان على الجزء الآخر بزرع الحقد ومحاولة إثارة البلبلة والنزاعات في صفوف شعب واحد وجره إلى حرب بين الإخوة، وكفانا من أرامل وأيتام آخرين ولا يستفيد من مثل هذه الفرقة اليوم) كما كان الشأن بالأمس (إلا عدونا الذي قد يدفع أي ثمن ليتدخل في بلادنا انتقاما من الهزيمة التي كبدها إيها بفضل ما ضحى به الجزائريون في فرنسا والجزائر، من دماء سخية وقد تصبح جميع مكتسباتنا عرضة للضياع من جراء ذلك، وسيخسر أتباع القلاوي الجدد هم الآخرون المعركة إن شاء الله!

وأعتقد أن كافة الجزائريين يجمعهم قاسم مشترك واحد يتمثل في الإسلام وفي لغة القرآن الكريم، ويتعين عليهم جميعا ان يتحدوا لمواجهة المشاكل العديدة التي تواجههم، وأن الاتحاد هو الوحيد الذي قد يمكنهم من المضي قدما في درب التقدم وفقا لما يتطلع إليه الوطن وشهداؤنا. (\*)

أما عن كيف كان موقف حسين آيت أحمد الذي اشتبه فيه قادة الحزب سنة 1948 لكونه العقل المدبر لأنصار الحركة البربرية ؟

فيجيب الرئيس بن خدة على ذلك بقوله: «ومن أجل اختبار نواياه، أوفدت له القيادة شخصين من أعضاء الحزب هما :أحمد بودة، وحاج محمد شرشالي اللذين جمعتهما وإياه لقاء خاص .فرد آيت أحمد بالعبارات التالية»: هذه مناورة من طرف القيادة ضد

مسؤولي القبائل. «فكان أمام موقف حرج لمساندة أواعتراض أنصار الحركة البربرية. فطلب منهما إعطاءه مدة للتحقيق في القضية، وتوجه على إثرها إلى منطقة القبائل، وأثناء عودته صرح لنفس المندوبين» ما أكدتماه لي صحيح، ولذا سأنفصل عن هذه العناصر) أي أنصار الحركة البربرية المذكورين بأسمائهم آنفا...)

ولكن رغم هذا الإنكار، بقيت الشبهات تلاحقه، وكان آنذاك المسؤول الوطني للمنظمة السرية والمكتب السياسي، ولا بد من عدم الإبقاء عليه في منصب حساس، ولكونه من العناصر التي تبحث عنهم الشرطة الفرنسية، وحفاظا على أمنه بالجزائر، أرسلته القيادة إلى القاهرة حيث انضم إلى مندوبي الحزب: الشاذلي المكي، ومحمد خيضر.<sup>(1)</sup> «ويضيف بن يوسف بن خدة في الكتاب ذاته مؤكدا ذلك بقوله»: ولقد أكدت أحداث ما بعد الاستقلال بوضوح فكرة رأيه في سلامة وحكمة موقف القيادة من إبعاد السيد آيت احمد، وشبهات القيادة تجاهه وذلك من خلال كتابه» مذكرات مكافح) «صدر بفرنسا سنة (1983 حيث كتب يقول): والكلام هنا للسيد حسين آيت أحمد منقول بنصه من كتاب ابن خدة : جذور أول نوفمبر. (1954)

«إلى الشباب المبتدئ في المطالبة باللغة البربرية الذين يلوموننا اليوم على عدم تمكننا من طرح المشكل اللغوي بهذا المؤتمر) مؤتمر حزب الشعب -حركة انتصار الحريات الديمقراطية (لفيفري 1947. ولقد أوضحت بأننا لم نتهاون في

القيام بذلك، لكن البربرية نعيشها. ولو كان للحزب سلطة ملموسة  
لطلبنا بحق كتابة وتدرّيس اللغة البربرية..

ولو وجد مجال لمناقشة هذا المشكل داخل الحزب في ذلك  
العهد لأدى الأمر إلى رد فعل عنيف من طرف الغالبية العربية  
المتطرفة.<sup>(1)</sup>»...

وحول هذا الموضوع أيضا يقول الدكتور عثمان سعدي في  
شهادته: «وأحس كل جزائري بخطورة هذه النزعة المدمرة التي  
ابتكرها) شاتينيون (فتصدوا لها حتى من خارج حزب الشعب،  
فكتب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مقاله الرائع) عربوة الشمال  
الإفريقي (الذي نشرته صحيفة البصائر سنة 1951 ومما قال فيه :  
«من أباطيل الاستعمار أنه يسمى السوداني المتجنس بالجنسية  
الفرنسية ليومه أو ساعاته فرنسيا، ويلحقه بنسبه ثم ينكر على  
البربري- مثلا -أن يكون عربيا، بعدما مرت عليه في الاستعراب  
ثلاثة عشر قرنا وزيادة، وبعد أن درج أكثر من ثلاثين جيلا من  
أجداده على الاستعراب، لا يعرفون إلا العربية لغة يتكلمون بها  
ويتأدبون ويتعبدون، فليت شعري أيهما اقرب إلى الواقع :البربري  
المستعرب أم السوداني المتفرنس؟ وأيهما أنفذ؟ أحكم الله، أم حكم  
الاستعمار<sup>(2)</sup>» ونلاحظ أن الشيخ البشير الإبراهيمي يسمي البربري  
عربيا ..على رأي ما ذهب إليه الشيخ الفضيل الورثيلاني السالف  
الدّكر في الفصل السابق، ونحن نقرهما وغيرهما على ذلك علميا  
ووطنيا، ولن نحيد عن هذا الرأي أو نغيره حتى نلتحق بهما ثابتين  
على الحق إن شاء الله.

## الفصل الرابع

### جذور وبذور وظهور النزعة البربرية في المغرب

وإذا كانت البلاد المغربية اليوم مقسمة إلى أقطار بحدود سياسية... فإن نوعية المحتل الذي اجتاح أرضها واغتصبها كان واحداً، ونظراً لأن سكان هذه الأقطار اليوم هم في الحقيقة شعب واحد، فقد انتهج معهم الغاصب الفرنسي نفس الطريقة ونفس الأسلوب تقريبا، وعن ذلك يقول الأستاذ المهدي بنونة) من المغرب (في بحث له بعنوان) «الظهير البربري بوابة للتتصير» ما نصه بالكامل، كشاهد حي لما وقع في الجزائر ذاتها كما رأينا في الفصل السابق حيث قال) «كان صدور الظهير البربري عام 1930 إيذانا ببداية تصدع المد التحرري في المغرب وتأطير الحركة الوطنية المغربية، لقد أرادت سلطات الحماية أن يكون صدور الظهير البربري مدخلا لتقسيم المغرب إلى عرب يقيمون في المدن وبربر يقطنون في الأرياف والبوادي، على أن يتم في مرحلة لاحقة إلغاء الشريعة الإسلامية بالنسبة للتقاضي بين أفراد القبائل البربرية، ومن ثم إلغاء المحاكم الشرعية وإنشاء محاكم مدنية تطبق الأعراف البربرية القديمة»<sup>(1)</sup>

وبذل الفرنسيون جهدا مضنيا في البحث عن هذه الأعراف في الكتب التاريخية القديمة وأعادوا صياغتها تمهيدا لتطبيقها، لتحل محل القوانين التي تعتمد على الدين الإسلامي، وفي خطوة لاحقة وطبقا للمخطط الذي وضعه الفرنسيون بمنع تعليم القرآن

لأبناء البربر وذلك يعني تلقائياً منع تعلم اللغة العربية ثم تتوج العملية بتنصير أطفال البربر ... ما أمكن ذلك.

وبالفعل شرع الفرنسيون في فتح مدارس تابعة للكنيسة في البوادي والقرى والمداشر وقد شيّدوا عشرات الكنائس، وكان ذلك الاتجاه يعوزه المنطق إذ لا يعقل في بلد مسلم كالمغرب لا توجد به إلا نسبة قليلة من الأجانب أن تشيد كل تلك الكنائس وأن تنتشر هذه الكنائس في القرى والمدن والمداشر النائية وإلى جانبها المدارس التبشيرية وأديرة الرهبان والراهبات، وفطن المغاربة لهذا المخطط الذي يهدد في الواقع كيانهم الإسلامي العربي.

وتأكيداً لما ذهب إليه الأستاذ بنونة حول دور فرنسا في اختلاق المشكل البربري اختلاقاً كما فعلت في الجزائر لبسط نفوذها العسكري والثقافي والسياسي واللساني على وجه الخصوص، لضمان راحة البال دون قتال مع الأهالي، بعد أن تمزقهم وتشتت وحدتهم وانتسابهم إلى الوطن والأمة، فيؤكد ذلك كله ضابط الاستخبارات الفرنسية في المغرب) مورييس لوجلي ( في مقالة له بعنوان « المدرسة الفرنسية والمسألة البربرية » نشرها في مجلة « لافيغي ماروكان (eniacoraM eigival) » سنة 1291، وقد كانت تصدرها فرنسا بالمغرب، وقد كتب الباحث المغربي الدكتور عبد العلي الودغيري دراسةً عن هذه المقالة وعن صاحبها جاء في ملخصه عنها باللغة العربية في جريدة «العلم» ما يلي...»: وهذا ما حدا بالكاتب إلى الدعوة لضرورة الإسراع بالتحكم في توجيه عقلية السكان والعمل على تحويل

مصيرهم لصالح المستعمر وطبعه بطابعه، وذلك عن طريق اللغة وبرامج التعليم.

وفي هذا الصدد يوصي السيد لوجلي بضرورة استغلال العنصر البربري الذي كان يعتقد أنه مازال على الفطرة ومن السهل التغلب عليه واستقطابه والتحكم في ثقافته وتوجيهه حسب رغبة المستعمر.

ولم يترك وسيلة من وسائل الدس والاحتيال على التاريخ والمغالطة وإطلاق العنان للخيال والتأويل الفاسد، إلا استعملها ليصل بها إلى تأكيد الأطروحة الاستعمارية القائلة بوجود فروق عميقة ومتجذرة بين العنصرين المكونين للمغرب وهما العنصر الأمازيغي والعنصر العربي، تتجلى مظاهرها في اختلاف الدم والثقافة واللغة والعقيدة والعادات والطباع واللباس والانتماء الحضاري والتاريخي والجغرافي... كما بذل قصارى جهده في إقناع قارئه بأن إسلام البربر سطحي للغاية وان بقايا المسيحية واليهودية والإلحاد ما تزال واضحة في عاداته وسلوكه، بخلاف الفئة العربية منهم.

وبناء على هذه الفروق التي حاول الرجل إبراز معالمها وتضخيم صورتها بل تشويه حقيقتها والانحراف بها عن واقعها، يصل إلى القول بضرورة استغلال هذه الفروق بين فئتي السكان، وإيجاد نموذجين من التعليم أحدهما خاص بالعنصر العربي والأخر خاص بالعنصر الأمازيغي، وأنه لا سبيل إلى التحكم في البربر الذين ظلوا طوال التاريخ متمردين لا يستطيع احد أن يخضعهم ، إلا عن طريق السلاح اللغوي والثقافي، ومن أجل

نجاح الخطة ينادي بضرورة إبعاد المعربين عن غيرهم، ويحذر بقوة من مغبة نشر التعريب بين المغاربة ولا سيما في الوسط المتبربر، بل يقول بكل صراحة ووضوح أن هذا التعريب سيقود البربر إلى إسلام تام ونهائي، ويقول: «هم قضيتنا العميقة والمشروع يفرض أن يتم تطير سكان الجبال) ويقصد هنا العنصر الأمازيغي (باللغة الفرنسية المعبرة عن فكرنا، سوف يتعلم السكان البرابرة اللغة الفرنسية وسوف يحكمون-بضم الياء - بالفرنسية.(1)»

أما سؤال كيف يمكن تنفيذ هذه السياسة؟ فيجيب عنه الكاتب (الضابط (الفرنسي) «بأن الأمر يتطلب تغطية للعالم البربري بالمدارس الفرنسية التي لا ينبغي لها أن تعلم العربية والإسلام على الإطلاق، وتغطية البقية من المناطق المعربة بالمدارس الفرنسية العربية(2)»، ولا يقف صاحبنا عند هذا الحد بل يتطوع أيضا بالتفكير في الوسائل المادية الكفيلة ببناء المدارس وتجهيزها في أسرع وقت، وبذلك يخلص إلى أن المسؤولية مشتركة بين جميع الفرنسيين الموجودين بالمغرب سواء كانوا جنودا أم تجارا أم فلاحين....

وأخيرا، يختم الضابط قوله بهذه الوصية الثمينة فيقول: «علينا أن نقلع في كل مكان عن الحديث باللغة العربية، وإعطاء الأوامر بالعربية، إلى قوم هم مجبرون على فهمنا وإجابتنا بلغتنا.» والخطاب الموجه بطبيعة الحال، إلى الفرنسيين المبعوثين إلى المغرب.(1)»

أما عن الدراسة ذاتها الواردة في مقالة الضابط الفرنسي (موريس لوجلي) فنورد منها هذه الفقرات التي تهمنا في هذا الكتاب لنثبت بها رأينا حول الطرح الذي نتبناه منذ عقود. ومما قاله السيد لوجلي في خدمة السياسة الفرنسية البربرية أو «البربرنسية» «كما أسميها، هو قوله» :من بين المشاكل المغربية الكبرى التي تحتاج إلى حل...هناك مشكلة القيمة التي ينبغي ان تعطى للسكان المقيمين بالإمبراطورية الشريفة، أي العناية المادية بالعنصر البشري وباتجاهه الثقافي. وتوجيه فكره وقدراته، والمشكلتان معا كل لا يتجزأ، إذ لا يمكن عمليا أن ننشغل بكيفية عقلانية وفعالة بأمر هذه البلاد ونهمل أولئك الذين يسكنونها... إن الشعب المغربي شعب سليم وشجاع وذكي ويتناسل بكثرة، ولذلك ينبغي العمل قبل كل شيء على تحويل مصالحه في اتجاه مصالحنا نحن، وأيضا تحويل مصيره إذا أمكن، وليس هذا بدافع عاطفي محض، ولكنه بدافع فهم واضح ومعقول للهدف المبتغى والنتائج المتوخاة لصالح قضيتنا...

إنه لمن قبيل الوهم ان يتحقق استيطان المغرب بالسكان الفرنسيين، فبعد سنوات قليلة سوف يصبح هنا) بجانب الفرنسيين الذين نتمنى أيضا أن يصبح عددهم كبيرا قدر الإمكان، وإن كانت كتلتهم ستظل حتما أقل مما تقتضيه الضرورات السياسية (حشد من الأجانب يمكن مقارنته بذلك الحشد الذي استوعبته منهم أرضنا الجزائرية، بالإضافة إلى السكان الأصليين الذين يحملنا كل شيء على الاعتقاد بأن عددهم سيتزايد ويتكاثر بشكل مثير... ففي أي اتجاه سيتم ذلك؟ ليس هناك سوى اتجاه واحد يمكن ان يكون

مقبولا عندنا.

والمغرب الآن يدخل في فترة واضحة من التطور المادي والمعنوي، ولكن ينبغي التعجيل ما أمكن بهذا التطور وتحويله لمصالحنا وطبعه بطابعنا، ومن أجل هذا استقر رأي أولئك المكلفين برسم مصير المغرب وتوجهاته شيئا فشيئا، على أن يستفاد في تطبيق ذلك من تفوق الدم والذهنية البربريتين في هذا البلد، والدليل على ذلك ما تم بالفعل خلال قرن من التجربة الاستعمارية بإفريقيا، إن الجنس البربري الذي يعتبر تشبته العرقي عبر العصور ظاهرة نادرة إن لم تكن وحيدة، يمتلك رغم كونه أقلية، قدرات على العمل والدراسة والفهم والتكيف مع العصر، وتلك صفات لا توجد بنفس الدرجة عند الجنس العربي. (!!)

ومن غير أن تثنينا اعتبارات تطول جدا، وقد تخرجنا عن إطارنا الذي رسمناه لأنفسنا، نرى من الضروري أن نذكر هنا قراء «نشرة التعليم» بما هي الأهمية التي يكتسيها وجود عرقين عربي وبربري بالمغرب(\*)، وما هي الخطوط الكبرى للمسألة البربرية المشار إليها في رأس هذه الصفحات، وهذا له أهميته خصوصا وأنه العمل المستقبلي الذي سيشرع فيه، سوف يظهر دور أعضاء أسرة التعليم كبيرا، وإن المجهود الذي سوف يطلب من هذه الهيئة النبيلة هو من تلك المجهودات التي يجمل بها أن تنتهيا لها بكل طاقاتها. ولنبدأ بالاعتراف بأن خطأنا في السابق هو أننا لم نعط للعصر البربري الذي كان علينا أن نجده في المغرب ما يستحقه من عناية خاصة بدراسة الأذواق والعوائد وانحراف اللغة

والتراجع في العقيدة، إلى أن يجعلهم يقتنعون بأن المغاربة سواء كانوا ناطقين بالعربية أو بالبربرية، هم جميعا من أصل واحد وأرومة واحدة ودم بربري واحد خالص تقريبا، وإن تغير لونه في الجنوب عند الحراطين، وضعف صفاء عروبتة حسب المناطق، وامتزج بدم يهودي في كل مكان...

سنتوقف الآن في عرضنا عند هذا الحد، وسنجعل خلاصته قاعدة للمناقشة الآتية: المغرب إذن، هو بلاد البربر، وليس أكثر من ذلك، وقد استمر هذا العرق البربري موجودا دون ان يطرأ عليه تغيير إلا قليلا بفضل الإمدادات الخارجية العربية واليهودية والسودانية.

وفي بلاد البربر هذه، توجد مدن وقبائل تم تعريبها لغة ودينا.

أما الباقي، وهو القسم الأكبر، فهو يضم قبائل ما تزال في عمقها بربرية الدم واللغة والعادات، عملت ظروف تاريخية وعوامل جغرافيا نسبيا على تحريرها- إلى حين وصول الفرنسيين) من الخضوع للأسرة الحاكمة (وداخل هذا القسم الأكبر من بلاد البربر، هناك مجال للتمييز بين مجموعتين مختلفتين، وذلك حسب نوع المعالجة التي تدعو الحاجة إليها، فالمجموعة الأولى تشمل كل قبائل وسط المغرب إلى الصحراء في أعالي الأطلس، وبعض قبائل الأطلس الكبير والأطلس الصغير، وهؤلاء السكان يتميزون بخصائص جسمانية عالية وبقوة صلبة في أخلاقهم وتفكيرهم وبقليل من المرونة مع إسلام نسبي والمجموعة الأخرى تشمل كل القبائل البربرية الأصل

واللغة في الغالب مع تعمق في إسلامها، وهي تحتل أجمل منطقة في ناحية مراكش، هذه المعطيات، فيما نعتقد، هي التي يمكن أن تكون أساسا للبرنامج التربوي المطلوب.

إن الأرضية التي يتوفر عليها عملنا هذا تمتاز بوضوح جذاب فريد من نوعه، فهؤلاء السكان لغتهم هي البربرية، ولا يملكون من العربية إلا ما هو ضروري لهم في علاقاتهم مع التاجر والحاكم المخزني، ومعنا نحن أيضا لأننا نجهل البربرية، وكل ما وجدوا بعيدين عن التاجر والمخزن وعنا نحن، قلت معرفتهم بالعربية.

وساكن الجبل سواء كان يعرف العربية معرفة غير كافية أم كان يجهلها تماما، لا يعرف من الإسلام إلا القليل، ولا يعرف هذا القليل إلا بشكل سيئ. ثم إن من خصائص البربري انه يكيف الديانات التي تمر به حسب هواه وعقليته. فهو الآن مسلم بطريقته الخاصة التي كان بها من قبل ملحدا أو مسيحيا أو يهوديا.

ولقد كان ضباطنا ورجال إدارتنا يعتبرون دائما نتيجة خطأ مأسوف عليه، إنه من المناسب مخاطبة الجميع من غير تمييز في شمال إفريقيا باللغة العربية. وقد اقتضى الأمر منا أربعين عاما من الوجود بالجزائر لتمييز وضع القبائليين وفهم الخطأ الذي قد ينتج عن فرض الحضارة العربية عليهم. أما في المغرب فقد وقع التمييز بشكل سريع، ولكننا لم نكن مهيين لإقامة نظام جديد، إخضاع البربر ما يزال في مرحلة البداية والكلمة ما تزال للمدفع في كل مكان، والأجزاء التي تم إخضاعها يشرف عليها معربون لعدم وجود

العدد الكافي من المواطنين العارفين بلهجات السكان الأصليين . وأخيرا فإن بعض الذهنيات التي ما تزال متشبثة بالشكل الاستشراقي العتيق، قد عملت على تأخير التقسيم، وظلت تتحدث عن مرحلة التعريب على أنها مرحلة أولى نحو التمدن مطلوبة الاستعمال عند الأقوام البدائيين، وكانوا لا يرون في ذلك على الخصوص ما يكلف كثيرا أما نحن فيجب أن نرى في هذا خطأ مرعبا قد يقود البربر إلى إسلام تام ونهائي ...علما أن الذي يسلم يظل على إسلامه ولا يمكننا نحن أن نقوم له بالدور الطلائعي!

والمسألة المطروحة الآن، هي كيف يتم تطبيق ذلك عمليا؟ نترك جانبا- إذا أردتم -كل ما يتعلق بالمشاعر، ونبعد العمل المحدد لجيشنا عما يضعفه من الأساليب الإيديولوجية. فنحن هنا عند أناس كلفنا إخضاعهم الشيء الكثير وسوف يكلفنا أيضا كثيرا من الدم فضلا عن العديد من الملايين ...فعلى ساكن الجبل إذن أن يياشر القيام بحاجاته معنا باللغة الفرنسية، وعلينا نحن ان نوفر له الوسائل لتعلمها، وقد تبين أنه يتعلمها بسرعة وسهولة. وهذا يقودنا إلى بذل ذلك المجهود الخارق وهو القيام في أقرب وقت ممكن بتغطية العالم البربري بالمدارس الفرنسية. ولكن قد يسأل المعترضون عن أية ميزانية يمكن أن تكفي لذلك؟ فنجيبهم بأنه يكفي أن يحصل التفاهم، فالأمر في هذه الأونة لا يتعلق بصفة عملية إلا بمدارس ابتدائية جد متواضعة، وإذا سألتهم أين نجد هؤلاء ياترى؟ نجدهم في كل مكان، بين الجنود أولا فذلك هو دورهم، لقد كتب العقيد اليوطي سنة 1898 (وهو إذ ذاك بمدغشقر) يقول في رسالة تتحدث عن الطريقة التي

كان يدرس بها الفرنسية للملغاشيين» تذكروا إني معلم كبير »  
وعليكم ان تصدقوا جيدا أن الجندي المعلم بالنسبة للمرحلة التي  
نوجد فيها هو الشخص المطلوب تماما في المنطقة البربرية .  
ولكن لن يكون هنالك العسكريون وحدهم، فعلى الجميع أن يشتغل  
بهذا الأمر، إنه واجب وطني.

هذه الفكرة يجب أن تتحقق، فعلينا ان نقلع في كل مكان عن  
الحديث بالعربية، وإعطاؤهم الأوامر بالعربية، وللوصول إلى ذلك  
سيكون علينا أن نضع أكبر عدد ممكن من مترجمي اللغة البربرية  
رهن إشارة سلطات المراقبة، ولكن السلطة في هذا العمل الكبير  
الذي علينا أن نقوم بإنجازه، ستكون لهيأة التدريس الفرنسية، وقد  
ثبت أنها أهل لذلك.(1)«...»

وتطبيقا لهذا المخطط الاستعماري المتواصل الهادف إلى  
فصل العرب عن البربر عرقيا ولغويا، ثم دينيا بمحاولة إبعاد  
البربر عن الإسلام بتوجيههم إلى الاحتكام إلى العرف الوثني القديم  
بدلا من الشريعة الإسلامية، يقول الأستاذ المهدي بنونة مؤكدا ذلك  
كله في بحث له جاء فيه على الخصوص: «كان المخطط الفرنسي  
يرمي إلى إشعال نار الفتنة بين العرب والبربر والسؤال الذي  
يطرح نفسه :لماذا؟ الإجابة بسيطة وسهلة :لقد كانت فرنسا تسعى  
لإدماج المغرب في فرنسا وهي كذلك حاولت بالنسبة للجزائر، ولم  
يكن ذلك متاحا إلا بالقضاء على العروبة والإسلام في هذين  
القطرين..وكان الفرنسيون على اقتناع أنه لا يمكن أن يكون هناك  
«فرنسي مسلم »ولا تنسى أن فرنسا هي أحد مراكز المذهب  
الكاثوليكي في أوروبا.

جاء رد المغاربة على صدور الظهير البربري قويا وعنيفا، ومن مؤشرات إخفاق اللعبة الاستعمارية أن القبائل البربرية كانت أول من انتفض ضد ذلك الظهير المشؤوم، فقد حدثت ثورات تناهض الظهير البربري في آيت حمو وفي إقليم وجدة وإقليم تافيلالت الذي يعرف الآن بإقليم الراشدية، وفي الأطلس المتوسط والأطلس الكبير والرحمانه ومراكش وناحية آيت شغروشن وخنيفرة وخريكة وعلى طول وادي أم الربيع وجاء رد الفعل قويا جدا في فاس.(...)

لقد انزعجت فرنسا كثيرا من ردة الفعل الشعبية ضد الظهير البربري واضطر رئيس فرنسا آنذاك « دومبروغ » إلى زيارة المغرب ليقف بنفسه على تطور الأوضاع. أعدت سلطات الحماية الفرنسية استقبالات ضخمة للرئيس الفرنسي لتغطي بها ما حدث، إلا أن الشعب عبر خلال الزيارة عن حقيقة ما يجري، وكتب أهل مدينة فاس رسالة لدومبروغ وقعها مئات المواطنين يعبرون فيها عن سخطهم على مؤامرات سلطة الحماية، وصلتنا في المشرق العربي نسخة من تلك الرسالة فقمنا بنشرها على أوسع نطاق، كما وصلت نسخة منها لرفقائنا في باريس وترجمت إلى الفرنسية، لم تتراجع فرنسا ولم تتخذ قرارا بإلغاء الظهير البربري، والمفارقة أن هذا الظهير لم يبلغ وبقي على الورق حتى الآن(0991) ، وهناك قوانين كثيرة صدرت في عهد الحماية ولم تلغ إلى حد الآن، رغم أن العمل بها لم يعد جاريا بعد حصول المغرب على استقلاله، صدر الظهير البربري في 16 ماي 1930 وكان يوم 16ماي يوم حزن في المغرب في كل عام، وكان كذلك يوما

يضرب فيه الناس عن العمل ويعتصمون بالمساجد بعد صلاة العصر ويقرأون « اللطيف » وهو دعاء معروف بالمغرب يقول : «اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادر، فلا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر » ثم تكرر كلمة يالطيف آلاف المرات!! لقد اعتبر الفرنسيون هذا الدعاء بمثابة تعبئة سياسية ضدهم، لذلك منع الناس من ترديد دعاء اللطيف وخاصة يوم 16 ماي (1)»

وعن علاقة الاستراتيجية الاستعمارية الفرنسية بهذا الظهير يقول الباحث المغربي الأستاذ علال الأزهر: «إن التقابل بين البرابرة والعرب ليس اكتشافا للسوسولوجيا، انه على العكس من ذلك الأرضية الإيديولوجية الخطيرة المؤسسة للبحث السوسولوجي بمعنى أن كل اكتشافات السوسولوجيا مشروطة بذلك التقابل». وينقل عن باحث فرنسي قوله: «يجب علينا أن نلاحظ أن جماعات أخرى غير الكنيسة قد لعبت دون شك دورا في تحضير ذلك القانون. في تلك الفترة و بالخصوص أخصائي الأعراف البربرية الذين كان الكثير منهم يدافع عن فكرة نقل البرابرة مباشرة من حضارتهم للإسلامية- نسبيا إلى حد الآن- إلى مرحلة الحضارة الغربية»(2).

وهذا ما يؤكد باحث مغربي آخر هو الأستاذ محمد حركات بقوله: «هذا وقد كان لفرنسا على الخصوص علامة الامتياز الأولى في تطبيق سياسة استعمارية متكاملة كانت جاهزة وقت استعمار بلادنا تهدف إلى القضاء على مقومات شعبنا ووطننا وطمس هويتنا المغربية الإسلامية العربية، لإلحاقنا بعد ذلك بالإمبراطورية الفرنسية العظمى بإقليمها الأروبي والإفريقي والتي كان غلاة الاستعمار

الفرنسي يحلمون بتشييدها آنذاك، وقد نبعت هذه السياسة الاستعمارية اللاحاقية من تراث وتقاليد فرنسا الاستعمارية ومن تجربتها الماثلة المطبقة في الشقيقة الجزائر المستعمرة آنذاك منذ سنة 1930. وكانت تلك السياسة الاستعمارية تهدف بالأساس إلى القضاء على الإسلام واللغة العربية ببلادنا بوصفهما الدعامتين المتينتين للحضارة العربية الإسلامية التي تربط المغاربة قاطبة بإخوانهم في المشرق العربي والتي يعتبرها الاستعمار تهديدا وعدوا لحضارته الغربية.

وقد اشتهر المخطط الأول من هذه السياسة الاستعمارية آنذاك باسم «السياسة البربرية لفرنسا» وظهر تطبيق المخطط جليا بمجرد ما سيطرت فرنسا على المغرب، حيث أخذت تعمل على تقسيم المغاربة إلى عرب، وبربر، وذلك بإخضاعهم إلى تصنيف عرقي ولغوي ممنهج هادفة من ذلك تفتيت الشعب الواحد العريق في وحدته إلى جزئين مختلفين ومنفصلين ومتنافرين، عربا يتحدثون اللغة العربية وبربرا ناطقين باللغات البربرية، ولأجل الوصول إلى هذا "الأپرتهايد" الخبيث قامت فرنسا بتجهيز إدارتها الاستعمارية بالمغرب بترسانة من المؤسسات والقوانين نخص بالذكر منها مايلي:

في سنة 1913 أنشئت بالرباط مدرسة عليا أسمتها «مدرسة اللغة العربية واللغات البربرية» مديرها وجميع أعضاء إدارتها ضباط وعسكريون فرنسيون ويدرس بها أساتذة اختارهم المقيم العام ليوطي نفسه من ذهاقنه السياسة البربرية في الجزائر وتونس وفرنسا وقتذاك.

ثم أصدرت فرنسا ظهير 11 شتنبر 1914 وهو تشريع يتكون

من فصلين لا غير قليلة جملة، خطيرة مقتضياته، بموجبه تقرر أن تكون «قبائل البربر» محكومة ومنظمة طبقا لعوائدها وأعرافها القديمة، وبهذا تكون فرضت فرنسا على جزء من شعبنا الخضوع لأعراف وعوائد بائدة، جلها مخالف لأحكام القرآن الكريم وقواعد الشريعة الإسلامية، وبمقتضى هذا الظهير تم تقسيم مناطق القبائل التي عدتها فرنسا بربرية إلى نحو ثمانين «جماعة قضائية بربرية»، تتولى القضاء بين البربر طبقا لأعراف وعوائد الجاهلية، كتابها ضباط فرنسيون هم القضاة الفعليون بها، ومناقشاتهما وأحكامها تكون باللغة الفرنسية.

ثم في سنة 1915 أصدرت فرنسا قرارا بتأسيس «لجنة الأبحاث البربرية» وحددت مهامها في جمع الأبحاث المتعلقة بالقبائل المسماة بربرية بالمغرب وتحديد الوسائل والأساليب العملية لتنظيم هذه القبائل وإدارتها بكيفية تتفق مع «السياسة البربرية» الفرنسية المرسومة، وكان يرأس هذه اللجنة الكاتب العام للحماية وعضوية مدير المدرسة العليا للغة العربية واللهجات البربرية ورئيس إدارة التعليم ومدير إدارة الاستخبارات ورئيس المكتب الحربي وهؤلاء كلهم ضباط فرنسيون.

ثم والت فرنسا سن القرارات والتشريعات المعززة لسياستها البربرية الاستعمارية، إلى أن توجتها سنة 1930 بإظهار الظهير سيء الذكر الذي اشتهر ظلما باسم «الظهير البربري»، فكان صدوره بمثابة الشرارة التي أوقدت فتيل الانفجار، فما إن بلغت أصداء الظهير إلى مسامع سكان سلا التي كانت أول مدينة علمت بصدوره عن طريق أحد أبنائها الوطنيين وهو المرحوم عبد اللطيف الصبيحي

الذي كان آنذاك موظفا بإدارة الأمور الشريفة، حتى اهتزت المدينة من هول الحدث وهبت ثلة من سكانها الوطنيين ينظمون الوسائل العملية لمقاومة الظهير، ثم تبعنها في ذلك مدن الرباط وفاس ومراكش والدار البيضاء وتطوان وطنجة إلى أن عمت المقاومة كافة ربوع المغرب بحواضره وقراه»<sup>(1)</sup>.

ويؤكد هذا القول الباحث المغربي عبد الحق المريني بقوله :  
«ولكن السياسة الفرنسية بنت حملتها على أساس فكرة أن البربر لم يعتنقوا الإسلام إلا ظاهريا فأصدرت ما يسمى بالظهير البربري سنة 1930 ، وهذا الظهير يخرج البرابرة من دائرة القضاء الشرعي ويؤسس لهم محاكم عرفية لا تحكم إلا بالعرف والعادات القديمة في موضوع الأحوال الشخصية والعقار. أما الأحكام الجنائية فكانت تحال على المحاكم الفرنسية.

واصل هذا الظهير الذي كان قطب دائرة السياسة البربرية هو أن المقيم العام لوسيان سان كان محاطا بجماعة من عرفت «بالكتلة البربرية»، وكانت هذه الجماعة تدعو إلى فصل البربر عن حكومة المخزن بحجة أن هذه الحكومة لا تمثل سوى العرب من سكانها بالمغرب، ولكن هدف هذه الكتلة كان هو تجريد السلطة المخزنية من بعض سلطاتها من جهة، وإدماج البربر في البيئة الفرنسية من جهة أخرى، مع إحياء اللغة البربرية عن طريق كتابتها بالأحرف اللاتينية، كما عينت الكتلة مبشرين مسيحيين كقضاة في» مجالس الجماعة «التي تحولت إلى محاكم مدنية مما يدل على أن الهدف المنشود من وراء هذا الظهير هو تنصير البربر (\*)، وأسست الكتلة لهذا الغرض مدارس بربرية

كانت خلايا السياسة الفرنسية، ومن هنا اصطدم الظهير البربري بمعارضة شديدة من قبائل البربر ذاتها فضلا عن رد الفعل من جانب كافة المغاربة ومن العالم الإسلامي أيضا، حيث قامت مظاهرات في الرباط بحب بوقرون وأخرى حول الضريح الإدريسي دعا أصحابها الله أن لا يفرق بينهم وبين إخوانهم البرابرة، كما طلب الأمير شكيب أرسلان من الدول الإسلامية بمقاطعة فرنسا احتجاجا على سياستها» فرق تسد «المتبعة في المغرب، فكانت هذه المظاهرات فاتحة عهد الكفاح الذي دام ما يقرب من نصف قرن في سبيل تحرير البلاد ونشر العدالة وتوحيد الصفوف، ومع ذلك لم تكف فرنسا طوال عهد الحماية عن استغلال كل مناسبة لبعث «السياسة البربرية» من جديد كما حدث مثلا عند الأزمة المغربية في سنتي 1951 و. (1) 1953

«إن السؤال الذي يفرض نفسه هو التالي: هل من المقبول اليوم أن يقوم البعض منا بإعادة صياغة جديدة للاستعمار الثقافي الفرنسي اللاتيني بالمغرب بدعوى تعليم الامازيغية، نطرح هذا السؤال لعدة معلومات متوفرة عندنا لا نريد إن نشير إلا إلى الدور الذي يقوم به مركز الدراسات البربرية بباريز في هذا الموضوع الخاص بالمغرب، ومن جهة أخرى قيام بعض المراكز الثقافية الفرنسية عندنا بتدريس الامازيغية للتلاميذ الراغبين، وبواسطة أساتذة امازيغيين، يقومون بتجارب شخصية مدعومين ماديا ومعنويا لهذا الغرض من صناديق القنصليات الفرنسية.

ألسنا نرى اليوم آليات الاستعمار الثقافي تتخذ من البعض قنوات وقناطر للتدخل في مشاكلنا اللغوية؟» (2).

إن الإجابة عن هذه الأسئلة التي يطرحها الأستاذ عبد الحق المريني ستوضح للجميع فيما سنثبته من حقائق في وثائق، ابتداءً من الفصل التالي:

## الفصل الخامس

استمرار سياسة فرنسا البربرية في البلاد المغربية  
بعد المرحلة العسكرية

لقد ظهرت الحركة البربرية إلى الوجود بفعل خطة فرنسية بعيدة المدى متعددة الوسائل والمراحل، شرع في وضعها بإتقان أيام الاحتلال، كما أثبتنا ذلك بما فيه الكفاية في الفصلين السابقين في كل من الجزائر والمغرب، وذلك على غرار بروتوكولات «حكماء صهيون»، ليسير نشاطها بالتوازي، مع محاولة البلاد المغربية أن تتحرر أو تمارس استقلالها ككل الدول المستقلة استقلالاً غير مزور وغير منقوص، خليقاً بشهادتها العظام وتضحياتها الجسام، وحضارتها الراقية، التي عاشت أوروبا بأكملها على مائدتها العلمية والفلسفية، والأخلاقية واللغوية لعدة قرون حتى سقوط غرناطة سنة

ولذلك فإن الذي يتتبع جذور نشأة هذه الحركة (محليا) في كل من الجزائر والمغرب، كأهم بلدين عربيين مستهدفين (فرنكوفونيا) كما سنبين في فصل لاحق يجد أنها تعود من حيث نواتها التنظيمية والإيديولوجية إلى الأربعينيات من القرن الماضي، وقد أنشئت بواسطة بعض عملاء الاستعمار من المغرر بهم ثقافيا وإيديولوجيا... ولكن الحركة الوطنية في كلا البلدين تنبعت لخطرهم وكانت لهم بالمرصاد، فاستأصلتهم من جسمها قبل الثورة وأثناءها (انظر وثيقة مؤتمر الصومام في الملحق رقم 1)، ولم تعاود الظهور على السطح من جديد وبأسلوب مغاير إلا بعد توقف جهاد الجزائر وخروج بعض العساكر من الثكنات في الحواضر، وتحديدًا في سنة 1967، بتأسيس الأكاديمية البربرية في باريس، بمباركة وتمويل وتخطيط فرنسي وتنفيذ عناصر (مغربية) تحت أقنعة متنوعة، وبوسائل متعددة تهدف جميعها إلى تحقيق مخطط واحد، وهدف واحد ذي مراحل متلاحقة، و مترابطة كحلقات في سلسلة واحدة، بدايتها في باريس ونهايتها في بلاد الأطلسين وتحديدًا في المغرب والجزائر، لثقلهما الجغرافي والثقافي والديمقراطي.

وفي ما يلي مجموعة من الوثائق الصادرة عن هذه الأكاديمية، وقد حصلنا عليها بوسائلنا الخاصة وبطرق مختلفة ابتداءً من أوائل السبعينيات خلال فترة جمع مادة رسالة الماجستير التي أعدناها في جامعة القاهرة حول التعريب في الجزائر ما بين 6791 و8791، ثم تتبعنا هذا الموضوع من جميع جوانبه

ومصائره حتى الآن، كما أشرنا إلى ذلك في المقدمة، وتلتقي هذه الوثائق كلها في هدف مشترك هو خلق التيار المعارض للتعريب، ودعمه بالدعوة إلى تعلم اللغة البربرية وإذكاء النعرات الطائفية والعرقية في كل البلاد المغاربية، وخاصة الجزائر والمغرب. وتحتوي هذه المجموعة على ستة وثائق هامة. نلخص ترجمتها من اللغة الفرنسية في الآتي:

## الوثيقة رقم (1)

«..إنه لمن المؤسف- حقا- أن اللغة البربرية مهددة من جميع النواحي) الكلام موجه من الأكاديمية البربرية إلى سكان المغرب العربي (تارة بسياسة التعريب التي تهدف إلى استئصال البربرية من جذورها ..وتارة بإهمال البربر أنفسهم للغتهم. إنه على الرغم من الغزوات اللغوية المتتالية، التي استهدفت بلادهم من فينيقيين، ووندال، وبزنطيين، وعرب، وإسبان، وأتراك، وفرنسيين... فإن اللغة البربرية ما انفكت تقاوم من أجل البقاء في هذه الأثناء، بدليل أنها ما تزال تتحدث بين 45 بالمائة من سكان الجزائر (\*) و60 بالمائة من سكان المغرب و 1 بالمائة في تونس و 30 بالمائة في ليبيا. (\*\*)

ولقد واكبت ونقلت اللغة البربرية إحدى أقدم الحضارات في العالم، وها أنتم اليوم ترون الحالة التي هي عليها، فلا داعي إلى أن نحدثكم عنها، فتعليمها منعدم تماما في الابتدائي والثانوي، وفي جامعة الجزائر تدرس- مع الأسف -على نحو شبيه بطرق التدريس في الزوايا، فضلا عن ان الطلبة في آخر السنة الدراسية لا يجتازون الامتحان لنيل أية شهادة في اللغة البربرية، وذلك خلافا لموسكو، وفيلاديلفيا، ولندن، وباريس، حيث تدرس اللغة البربرية ويمكن للطلبة أن يجتازوا الامتحان ويحصلوا بمقتضى نجاحهم على شهادة في اللغة البربرية، وهو ما يجعلنا نطرح التساؤل، هل يجب على البربري أن يذهب إلى روسيا، أو أمريكا ليحصل على شهادة في اللغة البربرية؟

إن تاريخ شمال إفريقيا كما يدرس الآن، كله تزييف وتحريف، ويجب على البربر أن يتحدوا ضد جريمة اسمها العروبة، وبالنسبة لنا جميعا) لسان حال الأكاديمية البربرية (هي مسألة شرف وكرامة.

وعليه فإن الأكاديمية تطبع نشرة شهرية تتناول فيها مسائل النحو، والتاريخ، والحضارة البربرية تتخذها كوسيلة موجهة للتحري الثقافي.

إننا نعتد على تفهمكم، ومساهمتم لت تحقيق هذا الهدف، حتى نتمكن من أن نحتفظ للبربر بتراثهم الثقافي.

تحيا اللغة البربرية.  
الأكاديمية البربرية،

باريس في.1973/01/25

## الوثيقة رقم (2) :

### منشور سري بعنوان :أيها البربر استيقظوا!

أفيقوا من نومكم العميق الذي ظللتم تغطون فيه لقرون عديدة، دون أن تشعروا بأن هناك من يتربص بكم، لقتلكم شر قتل، دون أن تأخذوا حيطةكم.

أنهم يحاولون أن يوصلوا عنكم أبناءكم، وإذا لم تتداركوا هذا الأمر) أي التعريب (\*) (فإنه سيتنكرون لكم) أي أبناؤكم (\*) (بعد وقت ليس ببعيد، بل يصيرون أعداءكم.

حان الوقت لكي تفتحوا أعينكم قبل أن تفوتكم الفرصة) أي قبل تحقيق التعريب (\*) (ولا تنفَعكم الندامة حينئذ.

من جهة أخرى، إنهم يزيفون تاريخكم) يقصدون الدول المغاربية التي تحاول أن تطبق الدساتير الوطنية بتعريب التعليم والإدارة (\*) (دون أن تبالوا، ودون أن تدركوا أن الشعب الذي يضيع ماضيه لا مستقبل له تحت الشمس، ويخدرونكم دون أن تبدوا أية مقاومة، فأوشكتم أن تضيعوا روحكم.

تفرض عليكم عقائد، ومبادئ) يقصدون العروبة والإسلام المكرّسة في كل الدساتير المغاربية (\*) (تتعارض مع تقاليدكم

وحضارتكم العريقة.

يحاولون ان يطفئوا نوركم، ويحقنوكم بعقار يتلفكم، لأنه سيحولكم إلى أناس لا ذاكرة لهم، ولا انتماء ولا ارتباط. أليس الكثير منكم أصبح الآن لا يتلفت إلى الوراء، إلى ماضيهم الذي يستحيون منه وكأنه ليس من دواعي الفخر والاعتزاز أن يكون الفرد بربريا..!!

لقد أرقنا دماءنا) الضمير عائد على دعاة البربرية (\*) (كثيرا من أجل قضايا لا تخصنا، كفى؟ لقد ظللنا مجرد مرتزقة في خدمة مختلف الأقبام الذين احتلوا أرضنا) يقصد هنا العرب وهو بيت القصيد (\*) (لقد غزونا إيطاليا لحساب أمجاد حنبعل، وفتحنا إسبانيا وجنوب فرنسا لحساب العرب الذين ما نزال نشبه بهم . يجب) الضمير هنا عائد على دعاة البربرية المعادين للتعريب (\*) (ان نضع حدا لهذا اللبس) أي عدم التفريق بين العرب والبربر في الجزائر. (\*)

إننا لسنا عربا ولا حتى ساميين.

قاوموا، عارضوا، قبل فوات الأوان! ذلك أن اليوم الذي يمر، يقربنا- أكثر- من الاضمحلال والزوال .

الأكاديمية البربرية.(1973)

### الوثيقة رقم (3): أبجدية البربرية(\*)

«إذا كان العرب يدينون) في وضع حروفهم الهجائية(\*)»  
بالفضل للأراميين، والأوربيين يدينون للفينيقيين.. فإن البربر لا  
يدينون لأحد، في وضع الحروف الهجائية للغتهم.. أي أنهم قد  
اخترعوا- إذن -هذه الحروف التي ترجع إلى عهد ضارب في  
القدم (3000) سنة (والتي حافظ لنا عليها إخواننا التوارق في  
الصحراء..»

وحول موضوع الكلمة والحروف التي يجري البحث  
لاعتمادها رسمياً، يقول الباحث المغربي علي العبدى في مقال له  
عن مجريات اجتماع عقده نشطاء الحركة البربرية خصص لهذا  
الغرض، جاء فيه:

«ومن خلال المداخلات والنقاشات برزت إلى السطح  
الاختلافات حول تعليم الامازيغية، وهي اختلافات أساسية فما هي اللغة  
التي ستكون هي السائدة للمدرسة العمومية، السوسية أو الشلحة أم  
الريفية، و للخروج نظرياً من هذا الحيف بيص الامازيغي تتم الدعوة  
إلى ابتداء لغة رابعة، تكون هي اللغة الوسطى أو الوسطية، وهذا شبه  
مستحيل، إذ كيف سنتخيل السواسة أو الشلوح والروافة سيتخلون عن  
لغاتهم التاريخية ليبدأوا في تعلم لغة مبتكرة وناسخة، ثم كيف وبأية  
صفة ستجهد العقول لخلق اسيرانتو امازيغي، من جهة أخرى، كل لغة  
إلا ولا بد لها من أبجدية منطوق الأرقام، أي العد والمتدخلون في هذه

الدورة كانوا ما بين داع إلى أبجدية تيفيناغ، وآخر يصر على أفضلية الأبجدية الغربية اللاتينية، أما الأبجدية العربية فقد رفضها جميعهم كما صرحت مقرررة إحدى اللجان في ما يمكن أن نسميه تجاوزا ببيان عام، وهذا الاختلاف هو عقدة أخرى من العقد الأساسية، فالأساتذة السوسيون (من أهل سوس) وليس أهل الجنوب كما ورد مرارا على السنة المتدخلين والمقرررين بجنوب المغرب كانوا الأكثر تحمسا لأبجدية تيفيناغ، وطبعا لم يتم التعبير عن موقف شلوح الأطلس، وروافة الشمال، فضلا عن قبائلي الجزائر، لكن بما أن هؤلاء يرفضون العربية، فكيف فاتهم أن أبجدية تيفيناغ هي من بقايا الحضارة القرطاجية، وان مؤسسي قرطاج هم من مدينة صور الفينيقية، وان صور شامية، وان الشام من بلاد العرب، أي أن الحضارة القرطاجية هي في الأصل حضارة عربية ظهرت قبل الإسلام، وقبل سيادة لغة قريش على اللغات العربية الأخرى، ولكي يكتمل موقفهم الرافض من العربية، ويكون منطقيًا وعمليًا عليهم أن يدخلوا عمليات جراحية لأعصاب وعروق ألسنتهم لينزعوا منها غريزة النطق بحرف الضاد (بالإمكان مراجعة مقالنا : المسألة الامازيغية، هذه الضجة المفتعلة، جريدة الاتحاد الاشتراكي عدد 4116 يوم 31 مارس 1996) إننا نرى أن إلحاح بعض الأساتذة على اعتماد الأبجدية اللاتينية بقولهم *nécessite une mai choix pas est'n* إلحاح المبالغة والتجاوز، وعلى الرغم من محاولاتهم الذكية للتمويه عندما يردفون أننا لا نعني بالحروف اللاتينية الكتابة بالفرنسية، فهذا من طرفهم استسذاج للآخرين، لأننا تعلمنا منذ الصغر أن الفرنسية وغيرها من لغات ااروبا الغربية (اروبا الرومانية) من أصل واحد هو اللاتينية، أي لاتينية

روموس ورومولوس، فأصحاب هذه المغالطة عندما يخطبون لا يفعلون ذلك باللغة اللاتينية، بل بالفرنسية كتابة ولفظاً. فهل أصبح التمزيج على يدهم في جانبه هذا تمزغاً فرانكفونياً؟ لماذا لم يرتق فكر هؤلاء الباحثين المحترمين إلى ابتكار أبجدية خاصة للخروج من هذا الالتباس؟ فخلق أبجدية تبعد عنها تهمة الانتماء إلى حضارة ليست بحضارة أمازيغية، سيؤكد قدرة الأمازيغيين على الخلق و الابتكار<sup>(1)</sup>.

أما أبو القاسم سعد الله فيغوص في التاريخ أيضاً، قائلاً: إن البربر كانوا قبائل عديدة، وكانوا تابعين لإحدى الدول الكبرى التي حكمت الجزائر: (روما وقرطاجة)، ولم يعرف التاريخ أن البربر قد توحدوا في أمة أو دولة، حتى أن قيام مملكة نوميديا، كان يعتمد على التوازن بين القوتين الأعظم (روما وقرطاج) كذلك لم يستعملوا لغة واحدة بحروف معروفة، رغم أن الدولة الأولى التي تعاشوا معها، هي (قرطاجة) والدولة التي تربطهم بها صلة الرحم والوطن، على إفتراض، إعتقاد الرأي القائل، بأن البربر كنعانيون، كما أن (التفنياع) وهي كنعانية فينيقية على الأرجح، لم تكن رموزاً مشتركة بين كل البربر، وهكذا كان البربر، حتى الفتح الإسلامي، يقول سعد الله- بدون لغة مكتوبة مشتركة، أي أنهم ظلوا حتى القرن الثامن الميلادي، بدون تراث مكتوب بلغتهم أو لغاتهم، وكان أدباؤهم، يكتبون بلغات الدول المتسلطة (القديس أوغسطين، ويوبا الثاني كانوا يكتبون بالإغريقية واللاتينية) وبعد الفتح الإسلامي، أندفع البربر لإعتناق الإسلام، حيث أصبحت العربية، هي لغة الكتابة عندهم، أما طول المدة الزمنية لإعتناق الإسلام لدى البربر، فيعود إلى بعد المسافة عن مركز الخلافة، ولكنهم، ظلوا يتكلمون لهجاتهم البربرية، ويكتبون

بالعربية، فأصبحت العربية لغة الإدارة والتعليم والمعاملات بينما بقيت البربرية تستعمل في البيت والسوق، وقد تعرب قسم كبير من البربر، فالمؤرخون مثلاً، لم يحلوا لغز خطبة طارق بن زياد الشهيرة، وآخر ما قامت به الجهات الإستعمارية، هو وضع أبجدية بالحروف اللاتينية للبربرية، لإبعادها عن أختها العربية التي إستعملت حروفها منذ أربعة عشر قرناً، ويشير أبو القاسم سعد الله إلى أن السوسي كتب البربرية ولكن بحروف عربية، وقام بنشر نصه مع ترجمة فرنسية المستشرق الإستعماري الفرنسي دونيس لوستياني في (المجلة الإفريقية 1896-1897) وقد عاش السوسي في القرن الثامن عشر الميلادي، وهو من علماء السوس، ويقول لوسيانى- إن الكتاب، ثم تأليفه، بين 1707-1714 (1).

بلا شك، أن ( الفينيقيّة)، هي فرع من فروع ( الكنعانية)، وأن هذا العنصر ( الفينيقي)، هو أحد عناصر الهوية اللبنانية، لكن (الفينيقيّة) هي نوع من تجزئة الكنعنة (حضارة بلاد الشام الموحدة)، لهذا كانت فكرة الفينيقيّة، نوعاً من أنواع الرد الرومانتيكي على فكرة العروبة في مرحلة كانت فيها العروبة، مجرد دعوة عاطفية، ضد الإستعمار العثماني، أي قبل تحول العروبة الشعبية الصافية إلى مؤسسة ذات شعارات في الخمسينات من القرن العشرين، كما أن الدعوة الفينيقيّة كانت في العشرينيات والثلاثينيات، متماهية مع رغبات الإستعمار الأوروبي، تماماً مثل الحركة البربرية الآن في البلاد المغربية، ويختم عز الدين المناصرة موضوع الحروف الفينيقيّة بقوله: «فهل هي سذاجة سعيد عقل بأن من يمدح إسرائيل،

يحصل جائزة نوبل، أم هي توصية مستشاريه!! فنحن نفخر بأبجدية،  
جبيل وأبجدية أوغاريت وأبجدية فسلطين السينائية، لأن اللغة  
الفينيقية، هي فرع من فروع (اللغة الكنعانية- الأم) التي انتشرت في  
العالم»(2).

## الوثيقة رقم (4) علاقة المخابرات الفرنسية بالحركة البربرية في الجزائر

هذه مجموعة من الوثائق الرسمية والتعليق الصحفية عليها،  
وهي منشورة ضمن ملف خاص انفردت به مجلة ليبراسيون  
الفرنسية في عددها الصادر يوم (\*).08/07/1980

المقال الأول بعنوان: المخابرات ومنطقة القبائل في الجزائر  
جاء فيه على الخصوص: بمناسبة انعكاسات قضائية لقضية  
قديمة، ومناورات مؤسسة قديمة) الأكاديمية البربرية)، نلاحظ  
تسرب شبح المخابرات الفرنسية والجزائرية، وضمن هذا الديكور،  
فوجدنا بتوقيع الآن بيرفيت) حافظ الأختام نفسه)، على وثيقة أقل  
ما يقال عنها أنها عبارة على تدخل خطير في شؤون القضاء في

فرنسا من جهة، والشؤون الداخلية للجزائر من جهة أخرى، وهذا يؤكد حتما، أن الاهتمام بالحركة البربرية والهوية الثقافية القبائلية كبير في أوساط الحكومة الفرنسية.

**المقال الثاني بعنوان :«عندما» يهتم «حافظ الأختام وزير**

**العدل**

**والمخابرات الفرنسية والجزائرية بالحركة البربرية**

إن حافظ الأختام رجل غير حذر، فرغم تكذيبه الخبر المتعلق بوثيقة حررت بيده، وكشفت خيانة أصدقائه من التجمع من أجل الجمهورية(R.P.R) ، إلا انه لا يستطيع إقناع الرأي العام، وننشر هذه المرة وثيقة يتهم من خلالها وزير العدل بالتدخل الواضح في الشؤون الداخلية الجزائرية، إذ أن الأمر يتعلق، لا أكثر ولا أقل، بالاستغلال الأمثل للخصوصية البربرية في فرنسا لخدمة مصالح باريس، وينوي وزير العدل في الأخير التدخل في ملف جنائي يوجد في مرحلة التحقيق.

ضجتان جديدتان ستهم من دون شك» (الإليزي) «الرئاسة)، و«الكي دروسي) «الخارجية» .

**نص رسالة وزير العدل الفرنسي (\*) التي يتحدث عنه**

**المقال**

حافظ الأختام

وزير العدل

أ.ج / د. د.

باريس في 31 ماي 1978

سيدي المحترم،

لقد اهتمت كثيرا بمذكرتكم حول أهمية الظاهرة البربرية في المغرب، والمنفعة التي تستطيع بلادنا أن تجنيها إذا عرفت كيف تلعب بالخصوصية البربرية.

أنتم فعلا على حق، وأنا مع ذلك، وباستطاعتنا أن نأخذ بعين الاعتبار هذه الخصوصية، خاصة فوق التراب الوطني (الفرنسي).

سأبعث بنسخة من مذكرتكم هذه إلى كل من وزير الداخلية ووزير الشؤون الخارجية.

وفيما يتعلق بوضعية السيد محند بسعود (\*\*\*)، سأطلع على الملف وسأرى فيما إذا أمكن إعادة النظر فيها!  
تقبلوا سيدي، أسمى عبارات مشاعري.

آلان بيرفيت

السيد « بينات »

رئيس بلدية « بوسك-لو-هارد »

5، شارع فافان،

75006، باريس

المقال الثالث بعنوان: جنح التدخل في شؤون الغير،

إن هذه الوثيقة المؤرخة بتاريخ 31 ماي 1978 والموقعة من طرف حافظ الأختام) وزير العدل الفرنسي (تستدعي التعاليق التالية:

1- هذه المراسلة تثبت أنها صدرت فعلا عن أمانة الأختام، لأن شكل الرقن خاص بمصالح ديوان أمين الأختام أولا، ثم أن الخط والإمضاء للرسالة صادران بالفعل عن وزير العدل» آلان بيرفيت «ذاته:

2- إن المرسل إليه، السيد جاك بينات، قد أكد مصدر الوثيقة وأثبت شرعيتها، كما أعترف بتسليمه نسخة منها إلى السيد بسعود.\*

3- فيما يخص الفقرة الأولى، والواضحة وضوح الشمس، هل يعقد ان يكون أمين الأختام يجهل شخصية السيد جاك بينات ومهامه؟ فإن هذا الأخير قد اتهم في سنة 1976 من طرف الصحافة والعدل الجزائريين، بانتمائه إلى المخابرات الفرنسية، (يكون السيد) جاك بينات (قد كلف من طرف» السداك «(المخابرات الفرنسية (ابتداء من سنة» 1973 بتوظيف «عناصر للعمل تحت إشراف مولود كعوان» معارض «للدولة الجزائرية، تحركه المخابرات الفرنسية ، وجاك بينات، الذي كان يعتبر اختصاصيا في الشؤون الجزائرية تم التبليغ عنه كعميل مكلف بالتجنيد من طرف المتسببين في الانفجار الذي هز مقر القنصلية الجزائرية بمرسيليا في 23 ديسمبر 1973 والذي أسفر عن خمسة قتلى!!

4-إن أمين الأختام يؤيد التحاليل التي يراها أحد أعضاء  
المخابرات الفرنسية فيما يتعلق باستخدام الخصوصية البربرية فوق  
التراب الوطني الفرنسي، هل أمين الأختام يجهل أن وكيل النيابة  
بمرسليا أعطى الأمر بفتح تحقيقات وتشكيل لجان استثنائية في هذه  
المدينة، وفي» تولون «قصد استدعاء أحد المدافعين على  
الخصوصية البربرية» خاصة «هو» مولود كعوان «قائد منظمة  
«جنود المعارضة الجزائرية»؟ هذا الأخير، كله ولاء لجاك بينات  
أشرف على تدبير سلسلة من الاعتداءات ضد الممثلات القنصلية  
الجزائرية في عدة بلدان أوربية.

5-فيما يتعلق بقضية السيد :محمد بسعود فأن حافظ الأختام  
قد أعاد النظر فيها بالفعل، فبعد اعتقاله في 24 مارس 1978 ،  
أفرج عنه بعد هذه الرسالة بقليل، أي في 26 سبتمبر من نفس  
السنة، وقد حكم على السيد بسعود بالسجن القطعي) الحبس (في  
شهر فبراير 1980. وفي شهر جويلية من نفس العام، يستفيد مرة  
أخرى بحكم العدالة ، إن حافظ الأختام بغض النظر عن مواهبه  
الاستراتيجية في مجال الشؤون الخارجية، وميوله الملحوظ إلى  
التدخل في الشؤون الجزائرية، يعرف كذلك كيف يحمي المتعاملين  
معه، من اجل المصالح الفرنسية رغم انف» الكي دورسي «  
(الخارجية (مستغلا لحسابه، كل الخيوط والتسهيلات التي يوفرها  
له منصبه، وذلك بالرغم من أن القضية مقضي فيها :

إمضاء آلان دوفران، وفريدريك لوران

المقال الرابع بعنوان :مناورات قضية الأكاديمية

## البربرية

إن رسالة «الآن بيرفيت» هذه تجعلنا نتصور، إذا، أننا نشعر وكأننا عدنا إلى سنة(\*)1830 ، ورغم أنها ليست مزورة، بما أن المرسل إليه أكد لنا ذلك، وحتى طلب منا أن لا ننشرها إلا أننا لما علمنا، بعد تقاطع، أن المحترم جاك بينات، رئيس بلدية نورماندية صغيرة، على مقربة من التقاعد، هو في الحقيقة عضو في «السدك» (المخابرات) الذي نددت الجزائر بتورطه في اعتداء جنود المعارضة الجزائرية ضد جريدة «المجاهد» في ديسمبر 1976، راجعنا موقفنا من هذا الأمر، ذلك أن رأي الجالية المناضلة القبائلية بباريس، كان أهم في نظرنا، ذلك أنها كانت على علم بوجود هذه الوثيقة منذ شهور، وكانت تخشى من أن تنشر، لأن نشرها يدعم أطروحة «المؤامرة الدولية التي كانت وراء أحداث منطقة القبائل» التي طرحتها حكومة الشاذلي بن جديد، غير أن الخيط لم يكن موثوقا، خاصة إذا كان الشخص الذي سلمنا هذه الوثيقة وألح على نشرها، هو السيد عبد العزيز صايبي... وهو إنسان غريب له هيئة شرطي في ثياب مدنية، وعيناه تنتقل من مكان لآخر، تدخل في الميكروفون يوم الظاهرة التضامنية مع طلبة مدينة تيزي وزو، وهي المظاهرة التي نظمت أمام مقر السفارة الجزائرية بباريس في السابع من أبريل 1980 ، وقد حرض في تدخله المتظاهرين على احتلال العمارة) مقر السفارة (بالقوة) وأعاد الكرة بمناسبة الحفل الغنائي للمطرب «إيدير» بقاعة الأولامبيا أين استطاع أن يوصل إلى حلبة القاعة

برقية قرئت على المتفرجين هذا نصها:

«إخواني القبائل، كوني بأعداد غفيرة في الموعد يوم الثلاثاء 8 جويلية على الساعة الواحدة والنصف زوالا أمام الغرفة الحادية عشر لمجلس قضاء باريس، أين سيحاكم أبؤكم بنذالة، والتزموا الانضباط.»

ما نوع المحاكمة التي ستفتح إنها محاكمة أربعة مسؤولين عن الأكاديمية البربرية وهم: «الرائد «بسعود» الملقب بمحمد أعراب»، «وسيلفي، والهواري... والمدعو صايبي، التهمة الموجهة إليهم اختلاس أموال التجار القبائل بالعاصمة الفرنسية.

أنشئت الأكاديمية البربرية سنة 1967 من طرف مجموعة من الأعيان ذوي اتجاهات مختلفة وهم: السيد دحماني، ضابط سابق في الجيش الفرنسي، (، والسيد: حنوز، وسليمان عازم،) مغني قبائلي قديم، (، وحمسي،) منشط سابق لخدمة القبائل بلدي الجميل «بالإذاعة والتلفزيون الفرنسية،) ويجتمع الأربعة في ميزة واحدة: كلهم يحملون الجنسية الفرنسية. ثم التحق بهم جزائري «أصيل «هو» الرائد «بسعود شخصية» بارزة «تتميز بنشاط حثيث، رغم الصعاب التي اعترضت طريقه، كان جنديا في «الولاية الثالثة «التي كان على رأسها» عميروش «ثم لجأ إلى الحدود سنة 1958. وكان من الأوائل في صفوف» جبهة القوى الاشتراكية «للسيد حسين آيت أحمد، سنة 1963، ثم انسحب من هذه الحركة أخذا عليها» ماركسيتها المغالية «ونشر ذلك في كتاب تحت عنوان» جبهة القوى الإشتراكية: أمل وخيانة «وأعاد تنظيم

الأكاديمية، معطيا إياها دفعا جديدا :اكتشاف حروف تيفناغ القديمة، نشر منشير تنظيم محاضرات حول» الحضارة «البربرية دروس مسائية وبالمراسلة، فأصبحت الأكاديمية مكانا تلتقي فيه عدة أجيال بربرية متعطشة لاسترجاع هويتها، إلا أن الشباب منهم، سرعان ما احتجوا على الوضع ورأوا في المسؤولين القدماء للأكاديمية ميولا كبيرة للفرانكفونية .(\*)»

## الوثيقة رقم 5

مطالب الحركة البربرية من خلال توصيات ملتقاها الأول المنعقد بمنطقة إكورن بولاية تيزي وزو في صائفة 1980 بعد أحداث تيزي وزو، الواقعة في شهر أفريل من نفس السنة. (\*)

### ملخص التقرير

إن حركة تيزي وزو في ربيع 1980 التي كان لها أثر «عميق» في كل أرجاء الوطن أثارت مشكلة في غاية الأهمية تعود أسبابها إلى ما يلي:

-البحث عن هوية جزائرية حقيقية.  
-العمل على ترقية لغتي الوطن) الأمازيغية والعربية الجزائرية.  
-الثقافة.

-حق التعبير عن الرأي.

مشكل الثقافة في الجزائر يرتبط بثلاثة محاور رئيسية:  
-مشكلة الهوية الحقيقية للشعب الجزائري والاعتراف

الرسمي بلغته الأمازيغية والعربية الجزائرية) العامية).  
-مشكلة حرية التعبير.

-مشكلة الثقافة في تنمية المجتمع.

1-مشكلة الهوية الثقافية للشعب الجزائري :

من المؤكد أن التعريف الرسمي لهوية الشعب الجزائري لا يتضمن الحقيقة الأمازيغية والسبب في إبعاد الأمازيغية عن هذا التعريف يعود إلى الحركة الوطنية الجزائرية التي تميزت بسيطرة الإيديولوجية العربية الإسلامية على حساب أي بعد أمازيغي للأمة) راجع الفصل الثالث).

وقد كان لهذه النظرة عواقب نذكر منها على الخصوص:

1-عدم الاعتراف بلغتي الشعب الجزائري :الأمازيغية

والعربية الجزائرية بحجة أن هاتين اللغتين غير قادرتين

على خلق « ثقافة كبيرة.»

2-تحريف تاريخ الجزائر نظرا لسيطرة الإيديولوجية

العربية- الإسلامية ويوجد هناك قصد في الكتابة الرسمية

للتاريخ لإخفاء أو تشويه الوقائع والشخصيات التي تمثل الحقيقة

التاريخية.(...)

ملخص الاقتراحات والمطالب» لجنة حريات التعبير

والثقافة»

نظام الإعلام:

استعمال لغات الشعب الجزائري) العربية الجزائرية

والأمازيغية (في منظومة الإعلام على الأقل في الراديو والتلفزة أولاً، وفي الصحافة المكتوبة بعد التطورات اللغوية والتقنية).

### السينما:

تشجيع الخلق والإبداع في ميدان السينما باللغتين العربية الجزائرية والأمازيغية، استيراد الأفلام التي تساعد على تطوير الوعي السياسي الاشتراكي.

### المسرح:

تشجيع الخلق والإبداع المسرحي باللغات الشعبية وإعادة فتح قاعات المسرح المغلقة) سطيف، معسكر(...

### الإبداع الأدبي:

تشجيع الإنتاج الأدبي باللغات الشعبية وترجمة الكتب إلى الأمازيغية والعربية الجزائرية، كما يجب إعادة النظر في سياسة استيراد الكتب، بحيث يجب مراعاة الاختيار الاشتراكي.

### الراديو والتلفزة:

الراديو :

القناة الأولى:

-البث بالعربية الشعبية الجزائرية.

استعمال اللغات الوطنية في الإدارة:

إن تطوير اللغات الشعبية إلى لغات رسمية يعتبر شرطاً من شروط التقدم الاجتماعي، ولكن حتى يتحقق ذلك يحق لكل مواطن لا يعرف اللغة الرسمية الحالية أن يتقدم عند الحاجة إلى مسؤول أو عون إداري بلغته الأصلية ويحق له أن يحصل

على الرد باللغة التي يحسنها ويمكن للمواطن عند الحاجة أن يطلب ترجمة للنص المتعامل به.

كما يجب توفير قواميس للغات الشعبية حتى يسهل انتشارها. كتابة الوثائق الرسمية باللغة الرسمية وبلغة أخرى حسب الجهة.

وفي ميدان القضاء يجب حضور مترجمين للغات الشعبية يجب كتابة كل المعلقات والملصقات والشعارات وغيرها بالإضافة إلى اللغة الرسمية بلغة الجهة الموجودة فيها، مع الرجوع إلى استعمال الأسماء الأصلية للمنطقة .

تلك هي باختصار أهم مطالب الحركة البربرية في هذا الملتقى المنعقد بمنطقة إكورن بدائرة عزازقة بولاية تيزي وزو في شهر أغسطس من سنة 0891!

ونختم حديثنا عن هذا الملتقى بشهادة أدلى بها أحد النشطاء بمناسبة الذكرى العشرين وهي منشورة تحت عنوان « شهادة مشارك في ملتقى إكّورن «في» المجاهد الأسبوعي «العدد 95 بتاريخ 52-91 أفريل 0002 جاء فيه ..» :في بداية شهر أوت وفي إطار الجامعة الصيفية بـ» إكورن «بمنطقة عزازقة، وفي مخيم صيفي، وعلى حساب الجامعة وتحت حراسة الجيش الوطني الشعبي الذي احتل الجبال المجاورة، بالإضافة إلى التجنيد الكامل لسكان المنطقة، انطلقت أشغال الملتقى الأول للحركة الثقافية البربرية ..في هذا الملتقى فقط بدأت أفهم نوعا ما السياسة، ففي هذا الملتقى اكتشفت بأن هناك مناضلين في أحزاب

سياسية سرية ومناضلين» رسميين «من» الباكس «و»الأفاس «  
جبهة القوى الاشتراكية و) PST الحزب الاشتراكي للعمال ( )  
و) OTSحزب العمال حاليا ( PTوال) PRS حزب الثورة  
الاشتراكية الذي أسسه محمد بوضياف..)  
في» إكورن «عرفت المرحوم محمد راشدي على رأس PST  
الذي خلفه الحبيب شوقي، رزقي آيت العربي، رشيد خليل، سعيد  
سعدي، كما كان حاضرا مولود معمري، وسالم شاكور، كاتب  
ياسين، فرحات مهني وآيت منقلات وغيرهم ..في» إكورن «  
تعلمت كثيرا وأنا الجاهل لأبجديات السياسة، تعلمت أشياء كثيرة  
، وعرفت وجوها كثيرة أيضا ..فمثلا كان هناك المحامي  
«جندار» الذي كان وكيل الجمهورية عندما حكم على آيت أحمد  
بالإعدام عام 1963 وكان» جندار «هو الذي نطق بحكم الإعدام  
في حق آيت أحمد.(1) ..

**الوثيقة رقم: (6) :**

**نداء إلى طلبة الثانويات(\*)**

**أفريل-1980 1987 أفريل**

إن يوم 20 أبريل 1980 والأحداث الدامية التي اتسم بها تبقى إلى الأبد في ذاكرة كل الجزائريين التقدميين، لأنها تمثل منعطفًا تاريخيًا في التاريخ السياسي والثقافي للبلاد.

في الواقع، هذه هي المرة الأولى التي تتجرأ فيها الجماهير الشعبية، بعد انتظار طويل، لتسعى إلى تحررها من نظام تافه يدعي مؤيدوه بأنهم يدافعون عن مصلحة الشعب، ومن خلال خطبهم الديماغوجية لا يتوقفون عن تأكيد عروبة الجزائر. وهذا يمكن دحضه لأنه لا يستند على أسس تاريخية صحيحة من الناحية الأنثروبولوجية أو اللغوية...

نؤكد لكم ان حركتنا ليست عنصرية ولا انعزالية.  
أيها الإخوة الطلاب والطالبات، سواء المعربون منكم أو البربروفون berbérophones لا يجب أن تتخذوا بمن يدعون أننا عنصريون أو انعزاليون لغرض تفريقنا والسيطرة علينا أكثر.  
نعم للاشترابية العلمية.

نعم للوحدة الوطنية.

لا للسيطرة العربية الإسلامية.

نعم لحرية التعبير.

وبعد عشر سنوات من مؤتمر إكورن الذي لخصنا أهم مطالبه آنفاً، عُقد مؤتمر آخر حول الموضوع، ورد عنه في جريدة المساء بتاريخ 31/50/0991 كتغطية له، جاء فيه ما يلي:  
«أختتم الملتقى الأول للأمازيغية أشغاله يوم 1990/5/9

وهذا بالمصادقة على ثلاث لوائح تدعو إلى اعتبار اللغة الأمازيغية لغة وطنية ورسمية مع الدعوة إلى توفير كل الإمكانيات اللازمة لتجسيدها وبالتالي السماح لكل المختصين بالعمل على تدعيم هذه اللغة وتطويرها تمهيدا لتعليمها في المدارس.

وتنص هذه اللائحة في انتظار توحيد الأنماط اللغوية على العمل أكثر لإعادة كتابتها بالحروف العربية واللاتينية وعلى ضرورة تنسيق الجهود مع كل المختصين في هذه اللغة على المستوى المغربي والدولي، من أجل وضع قواميس لها ثم لائحة التوزيع والإنتاج، فهي تلح على تنمية هذه اللغة من حيث الإنتاج، كتوفير الكتاب البيداغوجي والقواعد والمحاذة مع نشر كتب ذات تخصص علمي وتكنولوجي، فضلا على نشر المجالات المتخصصة والبحوث وإعادة نشر وتوزيع الكتب العلمية الموجودة، وتشجيع الترجمة من اللغة الأمازيغية إليها ووضع برامج تلفزيونية ذات طابع ثقافي وتربوي وتوسيع بث القناة الثانية. كما دعت اللائحة إلى ضرورة إنشاء مجمع اللغة الأمازيغية وقد شكلت لذلك لجنة تحضيرية في انتظار عقد الملتقى المقبل في غرداية.

وتنص لائحة التعليم والبحث في انتظار توحيد كتابة اللغة الأمازيغية على مواصلة العمل باللغات المعمول بها حاليا ووضع قاموس ابتدائي يساعد المتعلمين على استيعاب هذه اللغة ووضع ألفاظ لها بالاشتقاق من الكلمات الموجودة وتنظيم حملات لمحو الأمية يشترك فيها تنظيم دروس بالمراسلة والتركيز على النوعية

قبل الكمية، وتكوين المكونين، خاصة إذا علمنا أن هناك دوائر للغة الأمازيغية على مستوى بعض الجامعات والتي يأمل الملتقى أن تعمم إلى كل جامعة الوطن.

وتقترح اللائحة أيضا إدراج اللغة الأمازيغية في الأقسام الأولى من التعليم الابتدائي.

والجدير بالملاحظة هنا أن معظم هذه المطالب قد طبقتها الدولة الجزائرية خلال العقدین التاليين.<sup>(\*)</sup>

### العلاقات بين الحركتين في المغرب والجزائر

وإذا كانت أحداث ربيع 1980 في تيزي وزو ودورة الجامعة الصيفية بأكادير ستسمح لنا بمشاهدة وقائع النشاط العملي في البلدين. فإن حوارًا أجراه الصحفي المغربي محمد البهي على هامش المؤتمر الأمازيغي العالمي مع كل من الأعضاء الحسين عزي (أستاذ بكلية الحقوق بالرباط) وحنداين محمد (أستاذ بجامعة أكادير) وعبد العزيز بوراس (مفتش التعليم)، يقول محمد البهي عن هذا اللقاء: «استمعنا إلى شرح مفصل عن العلاقة بين الحركتين الجزائرية والمغربية، فقد ذكر الأستاذ عبد العزيز بوراس أن فكرة التعاون والتنسيق بين المغارب، وعلى الأخص المغريين الأدنى والأوسط ليست جديدة، إذ هناك سوابق تاريخية كثيرة يضيق المجال عن سردها لكن نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر التنسيق الذي تم بين المغاربة والجزائريين خلال حقبتَي العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن في نطاق منظمة نجم شباب إفريقيا بفرنسا، ونذكر أيضا منظمة الاتحاد العام لطلبة شمال إفريقيا المسلمين، ونذكر انتفاضة شهر دجنبر 1952 في الدار البيضاء تضامنا مع تونس، وانتفاضة 20 غشت

1955 في الأطلسين، الأطلس الأوسط المغربي والأطلس الشمالي الجزائري، ومؤتمر طنجة في سنة 1958.

نذكر هذه الأحداث كلها (كما يقول الأستاذ عبد العزيز بوراس)، لنبيّن بأن التنسيق الحاصل بين الحركات الأمازيغية يندرج في سياق مسيرة تاريخية طويلة.

ويمضي الأستاذ محمد حنداين في شرحه: «لم يبدأ الاتصال الفعلي بيننا وبين الجزائريين إلا بعد انعقاد الدورة الأولى لجامعة أكادير الصيفية عام 0991، لكنه اقتصر على تبادل الأدبيات ثم تطور بعد ذلك ليشمل زيارات متبادلة لحضور عدد من التظاهرات الثقافية والفنية في البلدية».

وفي نفس الحوار، يقول الأستاذ الحسين وعزي: «الواقع أن الاتصال مع الجزائريين لم يأخذ طابعا رسميا إلا في الفترة الأخيرة، لكن كان هناك بالإضافة إلى ما ذكره الأخ حنداين نوع آخر من الاتصال، هو ذلك الذي يحدث على مقاعد الجامعات الأجنبية عموما والفرنسية خصوصا، بين الطلاب والباحثين، ذوي الميول الأمازيغية في البلدين».

ويضيف مجري المقابلة (محمد الباهي) قوله: «يهز الأستاذ حمدان رأسه موافقا ويمسك رأس خيط الحوار من جديد، فيقول: لقد تبلورت صيغ للعمل المشترك بشكل عملي في سنة 3991 حين وقعت الجمعيات الأمازيغية على مذكرة مشتركة موجهة إلى المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان، المنعقد بمدينة فيينا. وبمناسبة ذلك المؤتمر التقى الأمازيغ المغاربة والجزائريون وبدأوا يتحدثون لأول مرة فيما أعتقد حول المؤتمر الأمازيغي العالمي، ثم تبلورت الفكرة بوضوح

أكثر، حين التقى الجزائريون والمغاربة مرة أخرى بجنيف للاشتراك في مداوالات المؤتمر الخاص بالشعوب الأصلية. وهكذا وقع جزائري ومغربي وممثل عن الطوارق على ضفاف بحيرة «ليمان» مذكرة تدعو إلى عقد مؤتمر أمازيغي عالمي»<sup>(1)</sup>.

## الفصل السادس

### الخلفيات.... والأهداف القريبة والبعيدة للحركة البربرية في البلاد المغربية

استكمالاً لمشروع سايس بيكو السابق، والشرق الأوسط الجديد اللاحق الذي أطلقه الرئيس الأسبق لحكومة إسرائيل (شمعون بيريز) والذي يتوخى (إن من خلال إعادة هيكلة المنطقة اقتصادياً أو من خلال تسويق مفاهيم ثقافية مصنعة) تفكيك أسس الهوية العربية الإسلامية في المنطقة وإلغاء عروبة المغرب العربي بالتركيز على (عودة الحضارة اللاتينية) إلى هذه المنطقة، وقد نجد من يرفع صوته في أحد المؤتمرات المنعقدة لإحياء الثقافة الأمازيغية من يقول (إن بلاد تامازغا تناديننا).

وهذا يعود بنا إلى مطامع أوروبا القديمة وإلى الفيلسوف الألماني فريدريك هيغل الذي يقول في كتابه (محاضرات في فلسفة التاريخ): «إن الجزء الشمالي من إفريقيا الذي يمكن أن نطلق عليه بصفة خاصة أرض الساحل، يقع على البحر الأبيض المتوسط وعلى المحيط الأطلسي، وهو إقليم رائع توجد فيه الآن مراكز

وتونس والجزائر وطرابلس. ولقد كان من الواجب ربط هذا الجزء من إفريقيا بأوروبا ولا بد له من أن يرتبط بها وقد بذل الفرنسيون أخيرا جهودا ناجحة في هذا الاتجاه(\*) .

إن الغلاة لا يطالبون بإعادة إحياء الثقافة الأمازيغية فحسب، وإنما بسيطرتها على المنطقة و(اجتثاث الاحتلال العربي) كما يقولون وهم يستعملون هذه المقولة الهيجيلية ليؤكدوا أن أحدا لا يمكن أن يكون أكثر صدقية ورؤية من الفيلسوف في تحليل التاريخ والتقاط الحقائق فيه، وعلى هذا الأساس فشمال إفريقيا لا يتوجه نحو العرب وإنما نحو أوروبا بالذات.

وهكذا تأخذ المسألة بعدا خطيرا، لا يسما في المغرب والجزائر بالذات كما أثبتنا وسنثبت في فصول هذا الكتاب، حيث يبدو وكان القائمين على عروبة وإسلام البلاد قد استبد بهم اليأس والخمول، فقليلة تلك الأصوات التي تلاحق أولئك الذين يعملون لإحداث انقلاب فريد من نوعه في المغرب يقوم على المبادئ التالية:

إن الهوية في هذين البلدين هي هوية أمازيغية، أي أن الأمازيغية كما يقول هي من مكونات الهوية الوطنية وقد عدّلت الدساتير الوطنية لهذا الغرض ليصبح دين الدولة الإسلام ولكن لغتاهما العربية والأمازيغية، لذا يجب الاعتزاز بها وعدم الخجل من كشفها للغير.

إن هذه الهوية تقلبت في حياتها بممارسة ديانات عديدة، منها ما كان وثنيا، ومنها ما كان سماويا وأنها استقرت في الأخير على الدين الإسلامي.

بحجة أن هذه البلاد المستهدفة (فرنكوفونيا) قد سبق لها وان تبنت ورسمت عدة لغات في القديم من بونيقية ولاتينية وعربية

وأنها تواصل ترسيم اللغة العربية باعتبارها ذات علاقة بالإسلام الذي يعترف به دستوريا مكونا أساسيا في هويتها، وإعادة تعميمها باعتبارها اللغة الأصلية. وهي التي تمنح للهوية نكهتها وطبيعتها الخاصة، وتميزها عن بقية هويات الشعوب الأخرى .

وهذا الكلام، ورد في جريدة (البيان) المغربية ردا على حوار نشر في جريدة (الاتحاد الاشتراكي) بتاريخ 27/09/1995 وتضمن اعتراضا من (إدريس السغرونشي) المتخصص في اللغويات، والذي رأى في أطروحات دعاة الحركة البربرية محاولة للقفز البدائي فوق جدلية التاريخ. فالمغرب (كما قال) أخذ شخصيته التاريخية، ولا مجال للعودة إلى العصر الحجري إلا إذا كان هناك من يجد المستقبل في الكهوف، لافتا إلى أن أي مجتمع حديث يحاول أن يركز على عناصر التفاعل لا على عناصر التباعد في تشكيله.

وعن هذه الأهداف الظاهرة والخفية للحركة البربرية في المغرب يقول أحمد عصيد، (وهو أحد النشطاء في هذا المجال): «أما بالنسبة لنا كمنشطاء في حقل الثقافة الأمازيغية، فإن ما نقصده بهذه الكلمة هي المعاني التالية: (الهوية - اللغة - الثقافة)، فالهوية الأمازيغية انتماء إلى خصوصية حضارية لا توجد لا في المشرق ولا في المغرب أو في بقية العالم، إنها خصوصية البلدان المغاربية، وخصوصية المغرب بصفة خاصة لأنه البلد الأكثر كثافة من حيث العنصر البشري والرموز الثقافية - اللغوية الأمازيغية، لا شك أن الهجرات التاريخية والحروب والمبادلات التجارية قد لعبت دورا كبيرا في صهر مكونات عديدة، ولكن ذلك تم عبر آلاف السنين في

إطار حضاري متميز بالثابت التاريخي الأمازيغي، لاحظوا مثلاً أن الأمازيغية كلغة عاصرت اللغات الفرعونية والكنعانية والفينيقية واليونانية واللاتينية، وهي لغات انقرض معظمها واستمر وجود الأمازيغية في الألف عام الأخيرة بجانب العربية بعد دخول الإسلام إلى شمال إفريقيا الذي سماه العرب الفاتحون «بلاد البربر» وهاهي الأمازيغية اليوم تتواجد مع لغات أجنبية عديدة كالفرنسية وغيرها، مما جعلها تعاني من المنافسة القوية للغات التكنولوجية والاقتصاد الدولي والمعلومات، ومما أصبح يحتم إنقاذها من الضياع.

وعن الأهداف السياسية الفرنسية للحركة البربرية، وعن كون هذه الحركة ليست عرقية سلالية بل هي ثقافية فرنكوفونية، يضيف أحمد عصيد «: أما الحركة الأمازيغية فهي حركة مدنية حديثة، لم تقم ببناء أطروحتها حول الحقوق الثقافية واللغوية على أساس» عرق خالص «مزعوم، ولا توجد أية وثيقة في أدبياتها تتحدث عن العرق أو الأصل السلالي»<sup>(1)</sup>.

وهو ما يؤكد ذلك الباحث المغربي كمال عبد اللطيف، حيث يقول: «إن أحداً لا يجادل في كون جذور الطرح السياسي للمسألة الأمازيغية تعود في كثير من جوانبها إلى السياسة البربرية الفرنسية في المغرب وهي السياسة التي قامت على توظيف بعض المعطيات الإثنوية لخدمة أهداف محددة ومرسومة سلفاً، وقد اعتبر (الظهير البربري) الذي صدر عام 1930 بمثابة لحظة التجلي القصوى لهذا المخطط.

وفي هذا الظهير طالبت الحكومة الفرنسية بتطبيق العرف المحلي بدل الشريعة الإسلامية لدى القبائل ذات العادات البربرية،

كما طالبت بتوسيع نفوذ المحاكم الفرنسية إلى غير ذلك من بنود هذا الظهير. والقراءة السياسية لهذا الظهير ولمختلف الأبعاد التي كان يتوخاها، تبرز أن الطموح الاستعماري كان يتوجه نحو إعادة شمال إفريقيا إلى ما كانت عليه قبل الفتح الإسلامي، وهذا ما يقوله علناً بعض أركان الحركة البربرية في الوقت الحاضر بشكل سافر، وهي عبارة على استمرار سياسة (الماريشال ليوتي) في مجال توسيع السياسة البربرية في المغرب والتي تدل وبصورة قاطعة على المنحى الرامي إلى الفصل المفتعل بين العرب والبربر الأشقاء لجعلهم غرباء عن بعضهم بعضاً يتصارعون فيما بينهم لصالح أعداء وحدة وطنهم وأمتهم ومحاولة استغلال هؤلاء الأشقاء الذين يشكلون جزءاً لا يتجزأ من التاريخ المغربي، فالبربر بمثابة إحدى الفاعليات داخل المجتمع العربي ولم ينظر إليهم العرب مرة واحدة على أنهم حالة مختلفة إلا عند الماريشال (ليوتي) الذي منع استخدام اللغة العربية في المناطق التي تقطنها القبائل البربرية، وقد تبلورت ملامح سياسته في المنشور الشهير الذي جاء فيه على الخصوص: «يجب علينا بادئ ذي بدء أن نتجنب تعليم العربية، لأناس دربوا على الاستغناء عنها، إن اللغة العربية تجر إلى الإسلام لأنه يجري تعلم هذه اللغة بتلاوة القرآن، هذا في حين أن مصلحتنا تحتم علينا العمل على جعل البربر يتطورون خارج إطار الإسلام، ومن الناحية اللغوية ينبغي أن نعمل على الانتقال مباشرة من البربرية إلى الفرنسية»<sup>(1)</sup>.

ويشير كمال عبد اللطيف: إلى أن البيانات التي صدرت في السنوات الأخيرة في المغرب والتي رفع أصحابها شعار التنوع الثقافي والخصوصية الثقافية والثقافة الشعبية وصلت ببعضهم إلى حد

المطالبة بحذف كلمة عربي من ديباجة قانون اتحاد كتاب المغرب، ثم المطالبة بوضع نص دستوري يقول بالتعددية اللغوية في المغرب. وهذا يستوجب كشف أهم الأهداف الاستراتيجية (الفرنسية) المستترة وراء الشعار الثقافي لهذه الحركة «البربرنسية» ذات الجذور المحلية والثمار الفرنسية، كما أثبتنا في الفصل السابق بالوثائق الناطقة، ومن هذه الأهداف التي نحصرها هنا حسب أهميتها وخطورتها هي:

**أولا: القضاء على الأساس الاوّل للهوية الوطنية) العربية الإسلامية (للشعوب المغاربية، والمتمثل في سيادة اللغة العربية التي ظلت تمثل الفيصل الجوهرى الأهم في تمييز الفرد العربى المسلم عن الفرد الفرنسى المسيحى... وظلت تميز الجزائر «العربية المسلمة» عن الجزائر «الفرنسية المسلمة» و«الجزائر الجزائرية» فيما بعد كمناوره كشفها وفنّدها قادة الثورة، ثم أبطلها وأسقطها المفاوضات في اتفاقيات ايفيان) سنة (1962 بالنص الصريح على» الشعب الجزائرى العربى المسلم «الموحد، ولا وجود للشعب العربى الموحد، بدون لغة عربية وحيدة وسيدة... على غرار اللغة الفرنسية الوحيدة والسيدة في المجتمع الفرنسى، اللاتكى، والمفروضة على الجزائريين)الفرنسيين (هناك.**

**ثانيا: القضاء على أهم عنصر في تحقيق الأنسجام الثقافى الذى يكون نسيج الشخصية الوطنية لأية أمة في العالم.... ألا وهو عنصر اللغة، لما له من علاقة عضوية بالفكر والشعور والثقافة بكل جوانبها المادية والفكرية والروحية، والسلوكية والعلمية، مثلما هو واقع الأمر في فرنسا ذاتها، مع لغتها الوطنية**

والرسمية، تجاه اللغات الأخرى الغريمة لها على الساحة الأوروبية  
(كالألمانية والإنجليزية والإسبانية).

**ثالثا: القضاء على الوحدة الوطنية للمجتمع العربي المسلم**  
في البلاد المغاربية، باصطناع « لغة ثانية «أو لغات» ضرار »  
ذات سيادة كلية أوجزئية على التراب الوطني، منافسة للغة  
العربية) الوطنية والرسمية (الوحيدة في الدستور، وهو يعلم، أن  
لا وحدة وطنية بدون وحدة لغوية، في أي قطر من أقطار العالم  
على الإطلاق، والدليل على ذلك رفضه المطلق) حتى الآن ( )  
الاعتراف باللغة البروطانية والكورسيكية) في مقاطعتي بروطانيا  
وكورسيكا (كلغة رسمية، إلى جانب الفرنسية في فرنسا) الأم،  
مع العلم أنه قد يعترف في المستقبل باللغة البروطانية والكورسية  
كلغة رسمية في المقاطعة، ليس حبا في تمزيق وحدة فرنسا،  
ولكن كرها في استقلال البلاد المغاربية وتحقيق وحدتها  
الوطنية)؟! (والدليل على ذلك هو أن فرنسا قد اعترفت للغة  
«البروطان «بالتدريس في المدارس المحلية سنة) 1981 أي بعد  
أحداث تيزي وزو بالجزائر سنة 1980 التي تحدثنا عنها في  
الفصل السابق).

وفي هذا المجال يقول الكاتب الجزائري عبد الحميد  
عبدوس: « عندما كنت أتهيا لكتابة كلمة عن كتاب الدكتور أحمد  
بن نعمان الأخير» مستقبل اللغة العربية بين محاربة الأعداء  
وإرادة السماء»، قرأت خبرا نشرته جريدة» لوموند «الفرنسية  
يوم 91 جوان 8002 يتعلق برفض مجلس الشيوخ الفرنسي

(الغرفة العليا للبرلمان) الاعتراف باللغات المحلية في الدستور الفرنسي، وذلك بعد المقترح الذي تقدم به مجموعة من النواب (أعضاء الغرفة السفلى)، وقد رفض ثلثا أعضاء مجلس الشيوخ مقترح دسترة اللغات المحلية لأنها حسب ما قالوا: تمس بالهوية الوطنية ووحدة الجمهورية، وليس من المقبول حسبهم تسجيل هذا النص الذي يقترح الاعتراف باللغات المحلية في المادة الأولى من الدستور الفرنسي الذي يحدد طبيعة الجمهورية الفرنسية، وذلك حتى قبل المادة الثانية من الدستور التي تنص على أن اللغة الفرنسية هي اللغة الوطنية والرسمية للجمهورية.

هكذا يتعامل المسؤولون الفرنسيون وممثلو الشعب الفرنسي مع لغتهم الوطنية، وتذكر أن وزيراً فرنسياً سبق له أن هدد الجزائر بالويل والثبور وعظائم الأمور إن هي أقدمت على تطبيق قانون تعميم استعمال اللغة العربية في مؤسساتها الرسمية.<sup>(1)</sup>»!

رابعا: العمل على إرغام الدول المغاربية) وخاصة الجزائر والمغرب (على التخلي عن مخططاتها التعريبية... لاسترجاع سيادتها اللغوية) الدستورية (بإشعارها « بتهديد «الوحدة الوطنية، من قبل المناوئين لوحدة السيادة اللغوية الوطنية، والإيحاء للدولة بالحل الجاهز... وهو الإبقاء على سيادة اللغة الفرنسية، في القطاعات الإستراتيجية الهامة) الإدارية والاقتصادية والعلمية والإعلامية والعسكرية (..على غرار ما هو واقع لدى بعض الشعوب) في إفريقيا (التي لم تكن عندها لغة وطنية مكتوبة قبل أن تعرف الحروف اللاتينية، عن طريق الاستعمار الفرنسي،

بخلاف هذه الدول المغاربية الموحدة اللغة والدين قبل أن توجد فرنسا واللغة الفرنسية ذاتها، وقد كانت كلها دولة واحدة لعدة قرون(...)

**خامسا: الضغط على الدولة الجزائرية لإرغامها)بواسطة اللوبي المصنوع لهذا الغرض في الجزائر المستقلة (على الإقرار بالنتيجة الحتمية لهذا الاختلاف) اللغوي-العربي (المصطنع بين الفصحى واللهجات العامية) العربية والبربرية (والإبقاء على سيادة اللغة الفرنسية) جزئيا أوكلها (لتأبيدها في البلاد كمنقذ أو كعامل توحيد) محايد (كما يقولون، على غرار ما هو واقع في البلاد الإفريقية الفرنكفونية الأخرى...أعلى الأقل خلق وضع ازدواجي خطير داخل الوطن، على غرار ما هو قائم منذ ما يقرب من قرنين في بلجيكا، وكندا، وسويسرا، حيث تتقاسم اللغة الفرنسية السيادة الوطنية مع لغات أخرى داخل المجتمع الواحد، مما جعل هذه البلدان تعيش في صراع قومي مدمر أفقدها صفة الأمة الواحدة، وجعلها عبارة عن دولة مشتتة الولاء بين قوميات متناحرة إلى الأبد، ولا بديل للتناحر سوى الانقسام، إن أجلا أو عاجلا، وهو ما تخطط له فرنسا وإسرائيل للجزائر منذ سنوات!؟(1)**

وحول هذا الموضوع يقول الأستاذ إدريس السغروشني: «هنا نصل إلى بيت القصيد في علاقة المسألة الأمازيغية بقضية التعليم. لقد قلت بأن فشل التعليم يرجع أساسا إلى عدم تعميمه وعدم ديمقراطيته وعدم تأسيسه على قواعد عقلانية. وأكاد أقول بأن مشكلة التعليم هي أم المشاكل أو مشكلة المشاكل، بما فيها هذه التي نتحدث

عنها. لو أننا نجحنا (ووراءنا الآن ما يقارب أربعين سنة من الاستقلال) لكانت هذه المسألة غير موجودة أصلاً. لكن التاريخ لا يكتب بحروف الشرط لو... لو... نحن الآن أمام مشكلة حقيقية، إن من جملة الحجج المقنعة التي يتقدم بها دعاة الهوية الأمازيغية هي أن البربر الذين بقوا معزولين بالجبال لا يعرفون اللغة العربية، والحال أن الدولة ترصد نحو هذه المناطق موظفين يجهلون لغتها ولا يستطيعون التخاطب ولا التفاهم مع أهلها. من هنا نجدهم يطالبون بأن تتم محاربة الأمية باللغة الأمازيغية. إننا هنا أيضاً أمام نتيجة صارخة من ثمار إخفاق التعليم، الذي رُسمت له برامج واقعية حظيت بالإجماع الوطني، وكان في طليعة المتحمسين لها أهل الجبال من البربر أنفسهم، في وقت لم يظهر فيه أي اتجاه نحو الخصوصية الجهوية، أما اليوم فإن المغرب مهدد بالوضع البلجيكي بل أكثر تعقيداً، لأن الجدل الثقافي فيه ذو بعد عربي - أمازيغي - فرانكوفوني - نعم فرانكوفوني وليس فرنسياً. في بلجيكا هناك صراع بين الفالون (أي الناطقين بالفرنسية)، وبين الفلامان (المتحدثين بلغة بلجيكية قريبة من الهولندية)، وهنا نخشى أن تقوم لدينا حرب لغوية متعددة الأضلاع.

واللغة كما نعرف هي عنصر مركزي في تماسك الأمم العصرية، مثل أمريكا وفرنسا وألمانيا وروسيا. لكن فشل التعليم جعل المغاربة يتكونون من فئات متعددة لا تتواصل فيما بينها بلغة موحدة. وتلك إشكالية لن يحلها الارتقاء في أحضان الفرنسية، ولا بعث اللغة البربرية، وإنما حلها الوحيد الممكن هو التعريب، ما دامت الهوية المغربية تتحدد بإطار عربي إسلامي».

ثم يضيف الأستاذ السرغوشي قوله في إثبات أفضلية اللغة العربية على اللغة الفرنسية ذاتها التي تدعم الحركات البربرية ضد التعريب لصالح اللغة الفرنسية، بقوله: «لا بد أن أضيف إلى ذلك أن اللغة العربية مصنفة في الدرجة الثالثة بعد الصينية والإنجليزية، من حيث عدد الناطقين بها، والانتماء إليها يعني الارتباط باللغة العالمية الثالثة. أما الفرنسية فإنها تأتي في الدرجة السابعة أو ما بعدها، وبمسافات وراء الإسبانية. وعموما فإن اللغة (أيا كان مستوى تطورها) لا تزرع التكنولوجيا ولا تنتج الحداثة، وإسرائيل -مثلا- تحاول الآن تصفية العبرية، وتشذيبها وصلقلها، أي تطويرها لتصبح وسيلة اتصال وتواصل وتبادل للمعارف والعلوم»<sup>(1)</sup>.

أما عبد الناصر المقرّي (المغرب) فيقول: لقد تم تحويل المغرب تدريجيا بفضل سياسة إزدواجية اللغة الى مغرب فرانكوفوني، ويرى أن نفوذ اللغة الفرنسية في العالم، بلغ ذورته في القرن الثامن عشر، حين عمّ الإحتلال الفرنسي، أقطار أوروبا: ألمانيا، إنجلترا، بولندا، هولندا، السويد، النرويج، الدنمارك، هنغاريا، بل وروسيا، التي إخرقتها اللغة الفرنسية فأصبحت لغة كبار الدولة الروسية القيصرية، وهناك اتجاهات في المغرب- يقول الباحث- يتكاملان في ظل (الاستعمار الجديد) : الإتجاه الأول: يتمثل في مدارس البعثة الثقافية الفرنسية ، حيث تجري عملية فرنسة أبناء الطبقة البرجوازية، وإعدادهم لقيادة الإدارة المغربية، أمّا الإتجاه الثاني: فيتمثل في مدارس التعليم الرسمي العام، الخاص بأبناء الشعب المغربي الذين تجري فرنستهم بنسبة أقل، حيث تبلغ نسبة التخاطب بالفرنسية بين أبناء الطبقات الشعبية %50 و 100% بين أبناء الطبقة البرجوازية، ويصف عبد الناصر المقرّي- الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية،

بأنه:(أدب خائن بالمعنى الوطني والحضاري، فهو يقدم الشخصية المغربية، كمادة سياحية غرائزية مسلية، لإرضاء متعة الفرنسي المتعالي).

فالفرانكوفونية لغة، هي (صوت-فرنسا)، ويوضح إحضاء 1992 أن هناك مائتي مليون وأربعة ملايين نسمة، يتحدثون بالفرنسية، وقد دخلت فرنسا بعد الإستقلال إلى الأقطار المغربية، تحت عنوان (التبادل الثقافي) و(التدخل الثقافي للحضارات) و(الغرس الثقافي)، فاللغة الفرنسية ، دعامة أساسية- تقول الباحثة لنقل نمط الحياة الفرنسية والإستعمار الفرنسي، قائم على اللغة التي هي هنا فرانكوفونية، كما أن فرنسا تنزعم فرض الكاثوليكية، رغم زعمها العلمانية، وفصل الدين عن الدولة، لقد لعبت فرنسا- تقول الباحثة، دورا أساسيا في إحياء نزعة الزنوجة الإفريقية الأدبية (سنغور) أسلوبا في الإستدراج للترويج للفرنسية- وتختتم بالقول: ( الفرانكوفونية، هي الآلة الحربية التي تساعد فرنسا على الإحتفاظ بمستعمراتها) كما يقولون أمّا- عبد الله خلافة ( المغرب)، فيقول، بلغ مبلغ المساعدة الفرنسية للصحف الفرنسية بالمغرب عام 2000 :169.4 ألف فرنك فرنسي، من ضمن المساعدات التي تقدمها فرنسا للمغرب في مجال التعاون الثقافي واللغوي، أما إذاعة (ميدي 1) بطنجة، فهي مؤسسة فرانكوفونية، تمتلكها شركة- sorferad التي تمتلك فرنسا نسبة 99 % من أسهمها، وتحصل هذه الإذاعة على دعم مالي، يقدر عام 2000، بمبلغ:248.4 ألف فرنك فرنسي، ويستشهد الباحث بقول إدريس الكتاني إن الفرانكوفونية:(لا تحترم لغة

المغرب، العربية، وتمنع الإزدواجية اللغوية والثقافية، وتعتبرهما خطرا على الوحدة الفرنسية) ويضيف الباحث بأن القناة التلفزيونية المغربية الثانية، (دوزيم-2M) تقدم ما نسبته 70 % من موادها بالفرنسية، وأن فرنسا ساهمت في دعم القطاع السمعي- البصري المغربي، بمبلغ 561.2 ألف فرنك فرنسي، حسب إحصاء 2000، أما القناة الأولى التلفزيونية المغربية-، فتبلغ نسبة الفرنسية فيها 30 %.

**سادسا:** النتيجة الحتمية الأولى للدعوة إلى ترسيم إحدى اللهجات البربرية، دون غيرها إن تحقق...فهو يعني تدمير الروح الوطنية، وتشويش الولاء لوحدة الأمةالمحمدية الواحدة، وذلك بمضاعفة عوامل الكره والاختلاف بين الناطقين باللهجات البربرية الأخرى داخل الوطن من جهة، ومن جهة أخرى سينجر عن هذا الأنزلاق الأولي الخطير الحق في مطالبة كل جهة من جهات الوطن بترسيم لهجتها هي على الساحة الوطنية، أو على الأقل في رقعتها الجغرافية، ويتحقق حلم فرنسا في تفتيت وحدة الوطن وتشكيل دولة الولايات المغاربية المجهرية غير المتحدة!

**سابعا:** النتيجة الحتمية الثانية لترسيم إحدى اللهجات، أو كل اللهجات البربرية المنتشرة داخل الوطن المغربي وعددها أكثر من 15 لهجة، لا يتفاهم أصحابها فيما بينهم بغير العربية (\*). هو وضع الحاجز النفسي الرهيب بين الناطقين باللهجات البربرية، فيما بينهم، كل على حدة، ثم بينهم مجتمعين، وبين الناطقين باللهجات العامية العربية، في كافة أنحاء التراب الوطني في كل

بلد، كقوميتين متناقضتين على غرار واقع الأكراد المسلمين، والعرب المسلمين في العراق) العلمانية (..وفي هذه الحالة لا يقبل الطرفان المتصارعان لغويا إلا البديل المحايد، أو» الصديق المشترك «التمثل في اللغة الفرنسية، عوض العدوالمشترك (التمثل في العربية الفصحى (التي تنفي سيادتها على التراب الوطني) في اعتقادهم (صفة» الجزائر الجزائرية «أو» المغرب المغربية «وحيثئذ يتحقق الهدف الحتمي الآخر وهو:

**ثامنا :الدعوة) المنطقية (والمشروعة إلى ترسيم اللهجات المغاربية الأخرى المنحدرة من العربية ذاتها وكتابتها بالحروف اللاتينية، وهو ما طرح بالحاح تحت غطاء «العربية الجزائرية» في ملتقى إيعكورن (في الفصل السابق)، وهذا يهدف إلى فصل الشعب عن لغة القرآن بترسيم اللهجة العامية، على غرار ما وقع للغة الفرنسية ذاتها في القرن16) م (حيث انفصلت) كلهجة (عن اللاتينية لتصبح لغة علم وتكنولوجيا وسيادة داخل التراب الفرنسي الموحد، وخارجه من الأقطار المستعمرة، وبذلك سينزاح أكبر عامل للوحدة الوطنية في هذه البلاد، وأكبر عائق أمام سيادة اللغة الفرنسية فيها، وهي اللغة العربية الفصحى، لغة الحضارة ولغة الدين والدنيا ولغة المجتمع المغاربي منذ عرف الإسلام، ولم يرض عنها شعبها بديلا عندما يترك حرا في صناديق الانتخاب لاختيار من يمثله أو يحكمه، رغم فرض اللغة الفرنسية عليه بكل الوسائل في أحلك أيام الاحتلال وما يزال حتى الآن، كما هو واضح من التبعية الرسمية للمنظمة الفرنكوفونية، والانضمام الثقافي والجغرافي لبعض البلاد العربية المغاربية إلى**

هذه المنظمة السياسية والثقافية الفرنسية بامتياز، مثل ما هو واقع  
الدول الإفريقية الأخرى غير الناطقة بالعربية، كالنيجر، ومالي،  
وبوركينا فاصو!!

تاسعا: تحقيق أكبر انتقام من شهداء وحدة الأمة بتمزيق  
شخصيتها ثقافيا، وتحطيم وحدتها سياسيا، والانتقام من  
جوهرها روحيا وعقائديا بالقضاء على لغة الإسلام الوحيدة  
والموحدة، التي وحدت أبناء المغرب العربي ضد المحتل  
الفرنسي للقضاء على هذه الروح الموحدة في الهوية والنضال  
المشترك إلى استبدال لغتها الواحدة الرسمية التي هي العربية  
الخالدة والمقدسة وتعويضها بترسيم اللهجات الوطنية العامية  
فيها، واستقلالها على الفصحى على غرار استقلال الفرنسية  
والإيطالية والإسبانية والرومانية والبرتغالية عن اللغة اللاتينية  
الأم لتظل هذه اللهجات المغاربية المرسمة إلى الأبد أشباحا  
باهتة اللون والطعم والرائحة أمام جيروت اللغة الفرنسية، التي  
أريد لها) بعد الاستقلال (أن تظل جزءا من شريان الحياة  
اليومية للمواطن المغربي) باستثناء ليبيا في هذا الخصوص،  
وباستثناء أيضا ما يتعلق بممارسة الشعائر الدينية في دور  
العبادة، وهو ما تقض عليه فرنسا ذاتها طوال وجودها  
العسكري المباشر في البلاد، مع العلم أن اختلاف الطوائف  
الدينية في الأمة الواحدة) رغم خطورته (يمكن تجاوزه سياسيا  
بتطبيق مبدأ العلمانية، كما هو الشأن في تركيا ولبنان وفي  
فرنسا ذاتها... ولكن الاختلاف اللغوي المتجذر بين أفراد الأمة  
الواحدة لا حل له سوى تشتت الولاء وتقسيم الأمة الواحدة إلى

عدد من الأمم والقوميات، بتعدد اللغات الرسمية المستعملة، لأنه لا علمانية ولا تعايش أخوي، ولا تقاسم للسيادة على نفس الأفراد، في اللغات المكتوبة والمرسمة، على الإطلاق!

عاشرا: الانتقام الفرنسي من الأنهزام الساحق أمام المفاوضات الوطني في اتفاقيات ايفيان بين الجزائر وفرنسا سنة 1962 م، فيما يتعلق بفرض وحدة الشعب الجزائري العربي المسلم، ورفض البقاء للكولون) المعمرين الفرنسيين (في الجزائر، مع المحافظة على حقوقهم الفرنسية) الدينية واللغوية (وذلك مخافة «بركان لبناني أو نيجيري دائم الفوران...»<sup>(1)</sup>«ولكن ما لم تحققه فرنسا من نافذة ايفيان<sup>(2)</sup> تحاول اليوم أن تحققه بصنع لبنان آخر (لغويا ودينيا (بواسطة) الكولون الجدد (من ذوي الأصل الجزائري) الجغرافي (والجنسية الجزائرية) الورقية)، وإذا كان لبنان اللغوي قد بدأ يأتي ثماره المرة المتمثلة في محاربة اللغة العربية لحساب الفرنسية في بعض مناطق الوطن ومؤسسات الدولة... فإن السنوات القادمة ستشهد ظهور لبنان المسيحي أيضا، لتكتمل الدائرة التي لا مخرج منها، حيث سيدخل بعض المواطنين) نتيجة عوامل كثيرة ( في المسيحية، ليس حبا في المسيح واقتناعا به، وإنما كرها في دين محمد العربي المسلم !! وهكذا نرى إن الحركة البربرية في الجزائر والبلاد المغاربية الأخرى إلى جانب كونها حركة استعمارية، مرتبطة مباشرة بفرنسا والحركة الصهيونية الهدامة لوحدة الشعوب، تتخذ إستراتيجية شبيهة بإستراتيجية) الفلاماند (في بلجيكا سنة 1830 فيما يتعلق بالأساليب المتبعة<sup>(1)</sup> في نشر اللهجة البربرية كلغة

كتابة وقراءة... وتتبع أسلوب جماعة» الباسك «في اسبانيا، من ناحية محاولة استعمال العنف، وتعميق الهوة مع السلطة ممثلة الأغلبية، وافتعال الأسباب الواهية لتحويل الوضع... مستغلة كل منفذ للتسلل، إلى بث الفوضى القصوى في البلاد!

كما أن لأعضاء الحركة حججا شبيهة بحجج الأكراد في العراق وإيران وتركيا وسوريا، لكونهم مسلمين، لكنهم يختلفون (في نظرهم) عن العراقيين والإيرانيين والأتراك والسوريين (بصفات) لا دينية (يبررون بها مطالبتهم بالحكم الذاتي الذي يعتبر مرحلة أولى للاستقلال التام عن الدولة الأم) ! انظر مثلا تصريحات زعيم حزب جبهة القوى الاشتراكية في التلفزة الجزائرية في يناير 1990 عما يسميه بالجهوية المليحة. (!....)

مع الإشارة إلى أن العديد من المفرنسين) الشيوعيين والعلمانيين عموما، حتى من غير العارفين للبربرية (متعاطفون إلى حد بعيد مع الحركة البربرية، ويمثلون العمق) الاستراتيجي ( لها لكونها تستهدف على المدى القريب : القضاء على المساعي الجادة لتحقيق التعريب في البلاد، وقد أثبتت لنا الأحداث الراهنة أن في الجزائر وكذلك في المغرب الأقصى) لوبي (فرنسيا متناميا مع الزمن، تعتمد إليه فرنسا كلما رأت أن إحدى مقدساتها (مهدة في البلاد، وهذا) اللوبي (مكون من عناصر الحركة البربرية كنواة، ومدعم من طرف كل الراضين للتعريب من المتفرنسين، حتى ولو كانوا من مناطق أخرى من الوطن. فالهدف الأنى للجميع هو) محاربة التعريب (!!بدليل أن الشعار المرفوع الآن هو إحياء الثقافة الشعبية وتعني) في مفهوم زعماء

الحركة (..كل ما ليس بإسلامي ولا عربي، وعلى رأسه اللغة البربرية المندثرة كلغة تراث مكتوب منذ ما قبل الفتح الإسلامي، فهم يطالبون بإحياء هذه اللغة، وترسيمها في المدارس) كما هو مبين في الفصل السابق)، وجعلها لغة إعلام وإدارة، وهذا المطلب عند التساهل فيه وتحقيقه، معناه القضاء على الوحدة الوطنية، وإرجاع الاستعمار الفرنسي إلى الديار) مع سبق الإصرار (ومما يؤكد تحالف غلاة المتفرنسين في كل أرجاء البلاد المغاربية مع الحركة البربرية) لكون الجميع يستهدفون التعريب والإسلام (..هو المطالبة بنشر اللغة الشعبية، أي ترسيم اللهجة الدارجة الجزائرية أو المغربية بحروف قد تكون لاتينية (...))لتحل محل الفصحى، وهذه فكرة غلاة المستشرقين منذ أواخر القرن الماضي، ولها دعواتها في المغرب والجزائر على الخصوص، من بين الأحزاب الوليدة، وهدفها الوحيد الظاهر والباطن هو فصل البلاد المغاربية عن أمتها العربية والإسلامية، بإزالة لغة القرآن، وبالتالي إبقاء الاستعمار الفرنسي، على حاله في هذه البلاد (..) على اعتبار أن الدارجة التي سترسم، لا يمكنها أن تنافس اللغة الفرنسية في البلاد إطلاقاً بل ستحتاج إليها، ولا تستغني عنها في أي شيء، خلافاً للغة العربية الفصحى، إن انتشرت، ولا يمكن للفصحى أن تنتشر بدون تحقيق التعريب الحقيقي والشامل في البلاد على غرار كل الدول ذات السيادة في العالم. وللحركة طرق وأساليب وأهداف تتمثل في النقاط التالية:

-1- تكثيف المعارضة لإرغام الدول المغاربية المعنية

فرنكفونيا على التراجع عن قرارات التعريب، أو على الأقل العمل على عرقلة تطبيق هذه القرارات، وذلك تطبيقاً لإستراتيجية فرنسية خطيرة تهدف إلى ما يلي:

أ -كسب أرضية من الشبان المتعلمين باللغة الفرنسية، على اعتبار إن التعليم المزدوج الحالي، هوكله في خدمة نشر اللغة الفرنسية في البلاد) كما أثبتت تجربة ما بعد الاستقلال في هذا المجال وخاصة بعد تنفيذ مؤامرة القضاء على التعليم الأصلي في الجزائر سنة(1976 ، أما في المغرب وتونس وموريتانيا فحدث عن الازدواجية فيها ولا حرج!!

ب -كسب الوقت لنشر بعض لهجات اللغة البربرية بحروفها ومصطلحاتها المصطنعة في باريس، وتقديمها كبديل للغة الرسمية (في الدساتير الوطنية المظلومة في هذه البلاد (لأن نقطة الضعف الحالية في الحركة هي أن اللغة البربرية المكتوبة بالحروف اللاتينية) المصطنعة)، ليست متداولة إلا عند الخواص جدا من غلاة الحركة(\*)، ومن ثمة فليست منتشرة بالقدر الذي يبرر عمليا المطالبة باستعمالها كلغة رسمية موازية للعربية في التعليم والإدارة والمحيط الاجتماعي، مثلما هو الحال في بلجيكا، في الوقت الحاضر، بالنسبة إلى الفلاماندية المستعملة في الشمال والتي لم تكن شيئا مذكورا سنة 1830 عند استقلال بلجيكا عن هولندا.(1)

ج -كسب بعض الوقت للتمكن من غرس الأفكار الأنقسامية وتعميق الشعور بالهوية العرقية (لدى الطلاب في الثانويات، ثم إعدادهم للجامعات حيث يصبحون دعاة للحركة ولا يكتفون بالتعاطف معها فحسب، كما نلاحظ ذلك في هذه الأيام، وستزداد

الظاهرة انتشارًا وحادّة في المستقبل إذا بقي الدستور في هذه البلاد  
شاهد زور!

د -كسب تأييد باريس المطلق، طالما أن هدف الحركة الوحيد  
في الوقت الحاضر هو محرابه اللغة العربية لصالح اللغة الفرنسية،  
علما بأن اللغة البربرية، حاليا أو مستقبلا، لا يمكن أن تستغني عن  
لغة حية، وبطبيعة الحال ستكون هذه اللغة الحية الجاهزة هي اللغة  
الفرنسية، وهذا ما يريده الفرنسيون حيث يحاولون أن يبقوا على  
اللغة الفرنسية، في كافة أنحاء الوطن، وإلا ففي منطقة أو مناطق  
بعينها كما هو الوضع في الجزائر، ويعتبرونها قلعة للغة الفرنسية  
(مثلما هو حاصل في الوقت الحاضر، على غرار وضع مقاطعة  
الكيبك في كندا بالذات.<sup>(1)</sup>)

هـ - الحلم الاستعماري الفرنسي الكبير الذي يهدفون إلى  
تحقيقه على المدى البعيد، هو أن يضطروا الدولة) بعد تهديد  
الوحدة الوطنية كما يرغبون (إلى التراجع عن التعريب في البلاد  
واللجوء إلى استبقاء اللغة الفرنسية، التي يريدون أن يوحوا إلى  
الدولة، بأنها اللغة) الوطنية<sup>(2)</sup> (الوحيدة بعد الاستقلال، في الوقت  
الذي عملوا على إظهار اللغة العربية) بواسطة الحركة البربرية )  
بأنها غير قادرة على جمع الجزائريين كلغة مشتركة (..) وتصبح  
الجزائر مثل البلدان الإفريقية الأخرى الناطقة بالفرنسية كالسنغال  
والنيجر، والتشاد، وأشباه الشعوب المماثلة في العالم!

و - ربح الوقت أيضا لضرب الروح الإسلامية لدى الشباب  
(المنحل) وهو العامل الجوهرية في الحفاظ على الوحدة الوطنية  
قديمًا وحديثًا (إلى جانب العمل على نشر المسيحية، في بعض

المناطق بفضل نشاط الآباء البيض والمتعاونين الفرنسيين، وقد يشهد المستقبل العديد من الشبان الذين سيدخلون في الدين المسيحي نكاية في الإسلام كما سبقت الإشارة !! وخلقاً لوضع أقليات) دينية مسيحية (إلى جانب ما يعتقدونه- حالياً -بأنهم أقلية عرقية ولغوية، لتنتقل الجزائر والبلاد المغاربية الأخرى المصابة بداء فقدان المناعة ضد الفرنكفونية، وهي الموحدة) لغة ودينا (في الظاهر حالياً إلى) الفلمنة (ثم) اللبنة(، ثم) السودنة(، ثم) البلقنة(، في آخر المطاف، إذا لم يتحقق التعريب الحقيقي لاسترجاع سيادة الشخصية الوطنية والجنسية معا !بحكم الدستور الحالي قبل أن يعمدوا إلى تغيير مادته الثانية والثالثة إن تمكنوا من ذلك في المستقبل، ومساعي الأحزاب والحركات البربرية والصهيونية جلية وحثيثة في هذا الاتجاه !!

2-محاولة الإيحاء للدولة) من طرف بعض الناصحين منهم ( بأن المستقبل كفيل بتحقيق التعريب، دون استعمال العنف مع المناوئين) لأسباب مصلحة وظيفية .(وهذا شرك منصوب بذكاء، وقعت فيه البلاد من قبل، والحكيم لا يلدغ من جحر مرة واحدة، فكيف يعقل أن يلدغ من نفس الجحر مرتين!؟.

3-إن ضرب التعريب وبالتالي ضرب الوحدة الوطنية في البلاد، بهذه الطريقة المخططة منذ سنوات.هي آخر ورقة ستلعبها فرنسا بواسطة أعوانها في البلاد المغاربية، لذلك يجب وضع أسوأ الاحتمالات في الحسبان إلى درجة أن هناك من يطالب بعودة فرنسا، لأن الفكرة البربرية، بلغت درجة الإيحاء للشباب المزدوج اللغة) عربية-فرنسية (في بعض المناطق، بأن

كل ما له علاقة بالتعريب هو استعمار يجب محاربتة!!

4- في الوقت الحاضر تضغط الحركة البربرية بكل وسائلها المتاحة على الدولة، لإرغامها على التراجع عن مشروع التعريب (مثلما وقع بطرق غير مباشرة في السنوات الماضية ) وفي حالة رفض الدولة لتنفيذ هذا المخطط المدمر- حتما للوحدة الوطنية، ستظهر بعض أعمال العنف والضغط بكل الوسائل على الصعيد المحلي والجهوي، بمباركة الإعلام الفرنسي...وإذا عرفنا أن غلاة المتفرنسين كلهم مؤيدون ومتعاطفون مع الحركة البربرية لضرب التعريب، أدركنا العنف) التخريبي المنسق (الذي سيظهر من طرف هذه الجماعة، التي تعتقد أنها تمثل مركز القوة لكون دواليب التسيير في الدولة بين أيديها. وفي حالة تراجع الدولة عن مشروع التعريب) بقطع النظر عن كونه يمثل كارثة للاستقلال والوحدة الوطنية(، فسينتج عنه رد فعل عنيف، من طرف الطلبة المعربين، ومعهم الفئات العريضة من ملايين أفراد الشعب على الصعيد الوطني الذي لم ولن يرضوا عن العربية بديلا على الإطلاق!! دون أن ننسى دور الأحزاب السياسية الوطنية التي اعترفت بشرعيتها في المدة الأخيرة بعد الدستور التعددي) لسنة (1989 والتي لها دور فعال في هذا الخصوص..).

5- إن الاستقلال الوطني سيمرّ في الأيام القادمة بأصعب امتحان عرفه منذ 1962 ، بدليل أن الوحدة الوطنية لم تهدد أبدا قبل الشروع بجد في تحقيق الاستقلال الثقافي) أي التعريب بكل ما يمثله من أبعاد (لاسترجاع الشخصية الوطنية الحقيقية والكاملة. 6- لوحظ انتشار أسماء كل من) الكاهنة- يوغورطا -

طاكفاريناس - ماسينيسا (في بعض المناطق، وكذلك لدى بعض الأهالي التابعين إلى هذه المناطق، حتى ممن يقطنون خارجها!)؟). وهذه الأسماء ترمز بكل وضوح إلى العودة إلى ما قبل الإسلام) كما أشرنا في بداية هذا الفصل(، وما قبل التعريب الأول) الذي حصل في القرن السابع الميلادي (وهذه الظاهرة ستزداد انتشارا في المستقبل، وهي داخلة في المخطط الاستعماري الفرنسي البعيد المدى، مع انتشار الديانة المسيحية لدى بعض الفئات في بعض الجهات في المستقبل كما أشرنا...  
فهل لو كان هؤلاء الأفراد مسلمين، أو عندهم وعي إسلامي، يفضلون أسماء يهودية ووثنية) مثل الكاهنة وكسيلة (على محمد) أو محمد، كما هو محرف أحيانا (أوعلي أو عمر... ؟ لولم يكن وراء الأمر خطة، ينفذها أناس تحت شعارات ثقافية مختلفة خطيرة بعيدة المدى... أقل ما يقال عنها أنها أشبه ما تكون بعملية الإبادة الثقافية للمسلمين الشيشان والبلغار، في الوقت الحاضر، بكيفية معكوسة، ومخططة في غفلة أو تغافل من الدولة ! أو بتواطؤ من بعض أعضائها، وأجهزتها، ورموزها منذ سنوات!!

ومفاد هذه الخطة أو الأطروحة الهادفة- أساسا - إلى تدمير الوحدة الوطنية للمجتمع الوطني المغربي والجزائري هو أن هذا المجتمع ليس متجانس الأصل العرقي) كما يدعون (وأنه خليط من البشر، من بينهم عنصران غالبان هما العنصر البربري، والعنصر العربي) ... إلى آخر المعزوفة المعروفة والممجوجة... ولم يجد هؤلاء المنظرون أية حجة لإثبات هذا التمايز

العرقى والاختلاف بين أفراد الشعب الواحد في هذه البلاد، غير حجة الاختلاف في بعض اللهجات البربرية) كما رأينا (ليتسللوا منه) كمنفذ حساس (للبرهنة على وجود الاختلاف العرقى في المجتمع بين العرب) الوافدين من الجزيرة العربية (والبربر) السكان الأصليين كما يقولون. (وراحوا ينفخون بكل ما في وسائلهم من قوة لتضخيم هذا الاتجاه مغالطين أحيانا، ورباطين أحيانا أخرى- جهلا أوتجاهلا -بين العرق واللغة، أي العرق البربري واللغة البربرية من جهة، وبين العرق العربي واللغة العربية من جهة أخرى، معتبرين أومستدلين في ذلك على أن السكان الذين مايزالون يتخاطبون في حياتهم اليومية) في بعض المناطق الجغرافية المنعزلة والمتفرقة (بإحدى لهجات اللغة البربرية...هم ذووالعرق البربري، وبالتالي هم السكان الأصليون للبلاد، ويستدلون- في المقابل -على أن البقية من السكان الذين يتحدثون بالعربية في كافة أنحاء الوطن، هم ذووالعرق العربي .... وبالتالي فهم الدخلاء على البلاد، ويجب إبعادهم أو إخضاعهم بكل الوسائل لمنطق الأقلية) الأصلية (باعتبارهم دخلاء !! هذه الاديولوجية الخفية للحركة « البربرية -الفرنسية «في البلدان المغربية! لأنها عبارة عن حركة ذات جوهر استعماري فرنسي مغلف بغطاء الثقافة البربرية وهي ليست من أخلاق البربر أو الأمازيغ) الأحرار (الذين عربهم الإسلام، أمثال طارق وابن تاشفين والمهدي بن تومرت، وعبد الحميد بن باديس، وعبد الكريم الخطابي وعلال الفاسي، وابن مهدي ومراد ديدوش والحواس وعميروش، الذين حققوا الاستقلال الأصغر تحت لواء

«الله أكبر» وهي بعيدة كل البعد عنه، كما سنبيين ذلك في فصل لاحق، عند مناقشة أطروحات الحركة البربرية. وعن التنسيق بين الحركات البربرية في الداخل بين الجزائر والمغرب من جهة وبينهما وأوروبا من جهة أخرى، يقول الباحث المغربي كمال عبد اللطيف: «وأخيرا كذلك تم إنشاء لجنة متابعة في دوار نوني في غشت 1994 كلفت بها الجمعيات الثقافية الامازيغية باروبا التي خلقت في النهاية لجنة تحضيرية حضرت المؤتمر التمهيدي للكونغرس الامازيغي العالمي، وبمبادرة كذلك من الجمعيات المغربية تم تحويله إلى مؤتمر تأسيسي. ولعلمكم فان المرحوم الصحفي محمد البهي قد ساهم شخصيا من ماله الخاص لدعم المؤتمر»<sup>(1)</sup>.

## الفصل السابع

«الاستحلال» هو تحقيق أهداف الاحتلال بدون قتال

إذا كان عهد الاحتلال والاستغلال المباشر قد ولى كما يبدو في الظاهر في العديد من أقطار العالم المعاصر بما فيها أقطار أمتنا في الحاضر... وذلك بسبب وعي الشعوب ومطالبتها بحقها في تقرير مصيرها واستعصاء محافظة الغاصب بالقوة العسكرية على الوضع الاحتلالي السابق والسافر، واستحالة تحقيقه المساواة لتفادي الانفجار الحتمي الناتج عن التناقض الصارخ في الأوضاع الاجتماعية والتعارض في القيم الثقافية ومقومات الهوية، في عصر الأقمار الاصطناعية التي تبت الأخبار في الدقيقة والثانية بالصوت والصورة الرقمية...

إذا كان ذلك واقعا يصعب على تلك الدول الغاصبة تجاوزه دون تكاليف مادية ومعنوية، فقد لجأت هذه الدول الاستعمارية التقليدية، وفي مقدمتها فرنسا» المتوسطة»، إلى ابتكار طريقة جديدة للالتفاف على أهداف ومقومات الاستقلال، بإيجاد بدائل للاحتلال، من الداخل بنواب الفاعل، لتحقيق المزيد من المكاسب دون مراقب أو محاسب أو معاقب!

ومن أهم هذه البدائل هو ما نسميه» الاستحلال»، ومعناه هنا هو الحل محل المستعمر الأجنبي المباشر، والعمل لحسابه من الباطن» لجمركة «وجوده، و«تبييض «جنوده، وترسيم بنوده) فكرا وسياسة وثقافة واقتصادا واستغلالا واستعلاء (!! بواسطة بعض الوكلاء والمقاولين، الذين يربيهم على يده، ويختارهم بعناية حسب المراتب والمراحل والاحتياجات والاختصاصات والولاءات، ويسلم لهم في الوقت المناسب وبطرق ملتوية مغلفة بالشرعية الأشعبية (\*) (مفاتيح الحكم

الذاتي ليضمنوا بقاءه المرتبط بقائهم على العرش المحفوظ!!  
وبهذا يتمكن من مواصلة إدارة المغتصبات السابقة واللاحقة  
واستغلالها بكل حرية و«تزويرقراطية» بعد تغيير ألوان العلم،  
وأوراق الجنسية، واسم العملة المحلية... فيصير الاستقلال المأمول  
من الشهداء استحلالاً مشروعاً، لا خلاص للشعب المستضعف من  
فكّه، ولا أمل في صبح ديمقراطي من بعده، لا بالانتخاب ولا  
بالانقلاب!!؟ (لأنه استحلال يقلب المفاهيم السائدة ويعكس  
القاعدة... فيصير المتغيرات اللغوية والثقافية» الانتقالية «الموروثة  
عن الاحتلال ثوابت أبدية، ومكاسب جهوية وفئوية... ويجعل من  
الثوابت الوطنية والقومية المتعلقة بجوهر الهوية»... شعارات «  
رجعية و«ظلامية» ضد الانفتاح، والانسياح في العولمة المحلية  
الجهوية والعالمية، دون علامة مميزة مانعة أو هوية جامعة!!  
وللاستحلال أحزاب وجمعيات وبرامج وألويات، ولكل  
مرحلة أوانها ورجالها ونساؤها و«جيوشها» وعروشها!!

ولذلك فإن الذي يرصد تاريخ الاحتلال الفرنسي لبلدان المغرب  
العربي يجد أن الثابت الأوحده الذي لم يحد عنه قيد أنملة عبر السنين  
وتعاقب الفاعلين السياسيين والعسكريين هو «مسمار» اللغة الفرنسية  
المدقوق بعناية خاصة في مفاصل إدارة هذه البلاد لاعتبارات  
سياسية، وثقافية واستراتيجية ودينية، ظلت تهون في سبيلها كل  
التضحيات، وتبرر لها كل الوسائل والصفقات ذات الغايات القريبة  
والبعيدة.. على اعتبار أن خريطة فرنسا الحقيقية في اعتقاد أبنائها  
المخلصين، وقادتها العاملين، هي حدود لسانها وامتداده في العالمين!؟

وهكذا نجد أن الاستعمار الفرنسي للجزائر منذ أن وطئت أقدام عساكره أرضها، كأول بلد عربي وقع تحت سيطرته المباشرة سنة 1830م كان يهدف -زيادة على الاستغلال الاقتصادي والاستحواذ السياسي- إلى جعل الجزائر قطعة لا تتجزأ من التراب الفرنسي أرضاً ولغة وثقافة وديناً، وقد انتهج لذلك سياسة الفرنسة وهي إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع مجالات الحياة حتى يصبح الشعب الجزائري فرنسي اللسان والثقافة، وينقطع بذلك عن تاريخه، ويفقد مقومات شخصيته وهويته الوطنية والقومية تدريجياً، ويذوب في بوتقة الأمة الفرنسية! فقد جاء في إحدى التعليمات الصادرة إلى حاكم الجزائر غداة الاحتلال: «إن إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة (مملكة فرنسية) إلا عندما تصبح لغتنا هناك قومية»<sup>(1)</sup>.

والعمل الذي يترتب علينا إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي إلى أن تقوم مقام اللغة العربية الدارجة بينهم الآن!!

وهكذا نجد أن أحزاب وجمعيات الحركة البربرية في بلاد المغرب العربي وتحت أغطية رسمية وشعبية، محلية وجهوية، متعددة الألوان والأشكال كما أسلفنا، هي التي أوكلت إليها عملية «الاستحلال» بعد الاحتلال!!

ولذلك يلاحظ المنتبِع لهذا الوضع اللغوي الثقافي والهوياتي أن المتعهدين له من الفاعلين الأولين أو نوابهم في الآخرين (ممن ذكرنا).. قد يغيرون التكتيك بحكم بعض الظروف المرحلية، ولكن ما لم يغيروه قط، ولم يقبلوا المساومة فيه ولا التنازل عنه هو البقاء الثقافي، حيث

يتبين إصرارهم على استبقاء مستوطنات العقول في المشاتل المدرسية والإدارية بعد الخروج من بعض الثكنات العسكرية والحقول الزراعية، وبعض المراكز التجارية والصناعية.. وهذا ما صرح به الجنرال شارل ديغول رئيس الجمهورية الفرنسية الخامسة في كتابه «الأمل»، حيث يقول حرفياً: «.. وهل يعني هذا أننا إذا تركناهم يحكمون أنفسهم، يترتب علينا التخلي عنهم بعيدين عن أعيننا وقلوبنا؟! قطعاً لا! فالواجب يقتضي منا مساعدتهم لأنهم يتكلمون لغتنا ويتقاسمون معنا ثقافتنا..»<sup>(1)</sup>. ولا يساور العقل السليم أدنى شك بأن المقصود بعبارته «يحكمون أنفسهم» هو نوع من «الحكم الذاتي» الذي اضطره الشهداء والمجاهدون الأوفياء إلى الاستنجاد به لينقذ فرنسا من الكارثة المزدوجة التي كانت ستحل بها، ويرaug به أبناء الشعب العربي المجاهد المصمم على الاستقلال التام، ويخادعهم لإجهاض أحلام جهادهم، وتحقيق أحلامه بأعدائهم الذين بثهم «للجهاد» في صفوفهم تحت عناوين مختلفة!!.

وكالواثق من نفسه بما حقق لمستقبل بلاده، يؤكد الجنرال في فقرة أخرى من الكتاب متحدياً بيان الثورة الجزائرية في الفاتح من نوفمبر 1954 في صميمه بقوله «ستبقى الجزائر فرنسية من عدة أوجه!؟ وستحافظ على الطابع الذي اكتسبته مثلما احتفظت فرنسا بالطابع الروماني رغم أن شعبها في الأصل كان غالباً (Goulois)..»، ولا يمكن لأي عاقل أن يفهم أن الطابع المقصود هنا، والذي يدعي الجنرال أن الجزائر قد اكتسبته عن الاحتلال الفرنسي هو شيء آخر غير اللغة الفرنسية «غنيمة الحرب» كما يسمونها و«جريمة الحرب» كما نسميها نحن، وهي اللغة الفرنسية وثقافتها الاحتلالية والانحلالية

الناشرة لداء «فقدان المناعة» الوطنية والقومية في جسم الأمة والوطن.. وهو الطابع المفروض على الشعب «بالاستحلال» بعد أن فشل في تحقيق ذلك بالعصا والأفيون طوال سنوات الاحتلال العسكري المباشر، الذي انتهى في الظاهر ليمدّ العروق والجذور ويرسخ بشكل آخر!!

وذلك باستمرار المخططات السابقة التي عبّر عنها مدير التعليم بالمغرب سنة 1920 السيد (هاري)، بقوله: «.. منذ سنة 1912 دخل المغرب في حماية فرنسا، ويمكن القول أن الاحتلال العسكري لمجموع البلاد قد تم، ولكننا نعرف نحن الفرنسيين أن انتصار السلاح لا يعني النصر الكامل، إن القوة تبني الإمبراطوريات، ولكن ليست هي التي تضمن لها الاستمرار والدوام، إن الرؤوس قد تنحني أمام المدافع في حين تظل القلوب تتغذى بنار الحقد والرغبة في الانتقام، يجب إخضاع النفوس بعد أن تم إخضاع الأبدان، فإذا كانت المرحلة الأولى صعبة، فإن المهمة الثانية أصعب وتتطلب وقتاً أطول»<sup>(1)</sup>.

وفيما يلي عرض مواقف ومطالب الأحزاب والجمعيات ذات الأهداف الحركية البربرية في الجزائر والمغرب، من خلال ما أدلى به ناطقوها الرسميون وزعمائوها الحركيون والسياسيون، ونبدأ بعرض هذه العينات من المواقف والمطالب التي تؤكد بأقلامهم وأفواههم ما نطرحه في هذا الكتاب، وسيتكشف القارئ بنفسه أنها عبارة عن أدوات ومؤسسات» رسمية «لتحقيق الأهداف الفرنسية التي حددناها في الفصل السابق، ويبقى له وحده الاستنتاج والحكم على مغزى، ومآل الهوية والسيادة والاستقلال في» الاستحلال !!» ونبدأ بهذا التصريح للناطق الرسمي لحزب التجمع من أجل

الثقافة والديمقراطية في الجزائر، الذي أدلى به في مقابلة أجرتها معه جريدة الشعب بتاريخ. 19 / 03 / 1989

الشعب :قبل تأسيس التجمع كانت مسيرة وحركة ونشاط، اكتسى طابع السرية، فماذا عن هذه المسيرة وخلفياتها؟

الجواب :تاريخ الحركة أوجزه باختصار في أن هناك قضية وطنية طرحت بكيفية خاطئة هي قضية الثقافة الأمازيغية، فمنذ أوائل القرن الحالي طرحت هذه القضية على أساس جهوي تتعلق بفئة معينة من الشعب الجزائري، وهذا الطرح الخاطئ أدى إلى أزمة 1949 ، حيث قالت الأحزاب آنذاك بان مسألة الثقافة واللغة ستطرح في وقت لاحق، وأن المشكل الآن هو تحرير الجزائر من الوجود الاستعماري، بعد ذلك جاءت ثورة نوفمبر 1954 ، وأجل مرة ثانية النظر في القضية، وأعطيت الأولوية للحرية والاستقلال.

وفي سنة 1962 ، طرحت القضية من جديد بعد الاستقلال مباشرة إلا أن المسؤولين آنذاك قدموا نفس التبريرات والجواب، وقالوا بأننا الآن بصدد تشييد دولة وإعادة بناء ما خربه الاستعمار خلال حرب التحرير، وهكذا اعتبرنا بأن قضية يمثل هذه الأهمية قد أجلت عدة مرات إلى أجل غير مسمى، ولهذا أخذ بعض الشباب على عاتقهم في أواخر الستينيات إحياء التراث الثقافي الأمازيغي وإعطاء أهمية للغة الأمازيغية .ويعلم الجميع أن كل هذا تبلور وت فجر خلال ما يسمى ربيع 1980 ، حيث المطالب صارت واضحة وهي:

المطالبة بالثقافة الأمازيغية كثقافة وطنية وباللغة الأمازيغية كلغة وطنية إلى جانب العربية، وكذلك المطالبة بالديمقراطية،

ومن سنة 1980 حتى حوادث أكتوبر الماضي، لم يتوقف منشطوا الحركة عن المطالبة بهذه الحقوق والتي اعتبرناها ونعتبرها دائما حقوقا وطنية تهم الجميع.

وفي سنة 1985 تم إنشاء رابطة لحقوق الإنسان وبعض الجمعيات لأبناء الشهداء، وفي ذلك الوقت ألقى القبض على مجموعة من نشطاء الحركة الثقافية وأبناء الشهداء وأعضاء من الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان، وانطلاقا من هنا، فقد اغتتمنا وجودنا أمام محكمة أمن الدولة لنطالب من جديد بالثقافة والديمقراطية واحترام الحقوق، وبعد الإفراج عن كل المعتقلين، بدأنا في الاتصال بجميع المهتمين بالثقافة واللغة الأمازيغية إلى أن جاءت حوادث أكتوبر الأليمة، فلم ننتظر مشروع الدستور، ولكن قلنا بما أن الإصلاح حسب ما ورد في وسائل الإعلام سيتم في إطار الجبهة، وهذا ما تأكد بعد المؤتمر، فضلنا العمل خارج الجبهة وحتى يكون لنا تنظيم من شأنه أن ينظم وينشط حركة الثقافة الأمازيغية، ولا يترك الفرصة لأحد أن ينشط خارجها، لأنه كان بإمكان كل واحد أن يحرر منشورا ويوزعه باسم الحركة الثقافية، ومن هنا وجه أربعة منشطين من الحركة الثقافية نداء من أجل ملتقى وطني للحركة الثقافية الأمازيغية وتم هذا الملتقى بالفعل في دار الثقافة ببنيزي وزويومي 9 و 10 فيفري الماضي، وهنا تم الإعلان عن ميلاد التجمع.

**الشعب: معرفتنا لحزبكم تقتصر على التسمية، وحبذا لو**

**توافقونا ببرنامج هذا الحزب وهيكله التنظيمي؟**

**الجواب: إن التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية هو إطار**

**سياسي مفتوح لكل الديمقراطيين الجزائريين المؤمنين بأن الثقافة**

الأمازيغية جزء لا يتجزأ من الهوية الوطنية وبالحرية وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية وكل الواقفين وسط الخريطة السياسية.

وأخص برنامج الحزب في النقاط التالية حسب أولويتها:

أولا :الهوية الوطنية :حيث سنعمل من أجل جعل الثقافة الأمازيغية جزءا لا يتجزأ من الهوية الوطنية، وبخصوص اللغة نقر بأن في هذا البلد توجد لغتان وطنيتان وهما الأمازيغية والعربية مع الإقرار بأن اللغة العربية هي الرسمية في البلاد. (\*)

ثانيا :المساواة حيث أن حزبنا يعمل من أجل المساواة خاصة بين الرجل والمرأة وهذا تجسيدا لما ورد في المادتين 28 و 30من الدستور الجديد، لكن نقر بأن المساواة كوضع دستوري لا تكفي مادامت هناك قوانين مجحفة في حق المرأة ونعني بذلك قانون الأسرة، حيث يجعل هذا القانون من المرأة شبه مواطنة، أي ليست مواطنة كاملة الحقوق، أي امرأة قاصرة، لذلك فنحن نعمل من أجل المساواة الفعلية في الحياة اليومية بين الرجل والمرأة.

الشعب :وفي ماذا تتلخص محاور برنامج الحزب في الميدان الاقتصادي والاجتماعي؟

الجواب :إذا ادعى حزب من الأحزاب أنه يملك حلولا لكل القضايا المطروحة منذ الاستقلال حتى اليوم فأقول لا .فالصراحة تجعلنا نقول بأن ملتقى تيزي وزوقد اكتفى بالخطوط العريضة لبرنامج سنعلن عنه مستقبلا ليعرض على الشعب في مختلف الإنتخابات البلدية والولائية والمجلس الوطني واكتفي بالقول أن الخطوط العريضة قد ركزت على محاور اقتصادية واجتماعية

هامة، أساسها في الميدان الاقتصادي إبقاء كل ما هو استراتيجي ضمن القطاع العام، وما دون ذلك يمكن أن يكون بيد القطاع الخاص، لكن ليس القطاع الخاص الذي عرفناه والذي لا يهتم سوى الربح السريع. لكن المطلوب قطاع وطني خاص يساهم بفعالية في مجهود التنمية الوطنية، وإذا كان هذا القطاع يفرض نوعا معينا من التنظيم والتسيير الاشتراكي للمؤسسات إلى الاستقلالية لهذه المؤسسات نعتبرها حلولا مرحلية وعليه فنحن نقترح التنظيم النقابي الحر للعمال الذي من شأنه أن يعطي ضمانات أوسع لهم ويحميهم من ظلم أرباب العمل والممارسات التعسفية في القطاعين العام والخاص على السواء. زيادة على ذلك لا بد من تشريعات جديدة في ميدان العمل تناقش بصفة ديمقراطية ويساهم في إعدادها كل من العمال ونقابتهم قبل عرضها على الهيئات التشريعية.

**الشعب:** في نهاية فيفري الماضي، اختارت الأغلبية من الشعب الدستور الجديد، كيف تنظرون إلى هذا الاختيار، وما هو موقفكم من هذا الدستور والثوابت التي جاء بها؟

**الجواب:** بالنسبة للدستور، والديباجة التي جاء بها والتي تجعل من الجزائر أرضا إسلامية وجزءا لا يتجزأ من المغرب العربي الكبير وأرضا عربية، فنحن لا نوافق على هذه الديباجة وسنعمل في إطار حزبنا من أجل تغيير ما لا يتفق مع مبادئ التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية.

فالجزائر جزائرية والإسلام دين الشعب وليس دين الدولة، واللغة الأمازيغية لغة وطنية إلى جانب اللغة العربية، أما ماعدا

ذلك من الثوابت كوحدة التراب الوطني، والنظام الجمهوري فهي من البديهيات المسلم بها، وحبنا يعمل من أجل تكريسها، لكن المسائل التي تضر ولا تنفع هي القول بأن الجزائر أرض عربية بينما هي جزائرية.\*

**الشعب:** حكم كثير من الناس على حزبكم بأنه حزب جهوي، يدعو إلى الانفصال والجهوية والعرقية والإرتباط بجهات خارجية كانت عدوة لنا بالأمس القريب، فماذا عن موقفكم وردكم على هذا الحكم والتصور؟

**الجواب:** نحن نسلم بأن حزبنا حزب وطني ولا يمكنه أن يكون جهويا، يتبنى كل القضايا الوطنية وفي مقدمتها الثقافة واللغة الأمازيغية، أما الأقاويل فقد قالوا أكثر من ذلك، قالوا بأنه بعد ميلاد التجمع احتقلنا بالخمور ولحم الخنزير وبالنساء وحضور رجال الكنيسة وما إلى ذلك، فهذه إشاعات وأقاويل نفندها جملة وتفصيلا، فحزبنا يعمل من أجل قضايا تهم كل الجزائريين سواء كانوا ناطقين بالأمازيغية أو العربية ووجود أكثر من لغة في دولة واحدة حقيقة تاريخية\*، إن الخطورة على الوحدة تكمن في إهمال اللغة والثقافة الأمازيغية، والقول بأن في الجزائر لا توجد إلا ثقافة واحدة قول خاطئ.

**الشعب:** لكل برنامج أو مشروع لابد من إمكانيات، خاصة إذا تعلق الأمر بعمل دعائي لحزب أو جمعية تريد احتواء أكبر عدد ممكن من المناضلين والمنخرطين. وبالنسبة لحزبكم والأحزاب التي ظهرت حديثا لا نعتقد بأن سكان المناطق النائية في شرق البلاد وغربها وجنوبها على دراية بها وبرامجها وأهدافها. فماذا عن إمكانياتكم المادية وأعني بها بالخصوص الإعلامية للتعريف بحزبكم؟

**الجواب:** حقيقة حزبنا حديث النشأة والإمكانات الوحيدة التي نملكها الآن هي الإرادة بالدرجة الأولى. إن الوسائل المستعملة الآن هي الوسائل التابعة للدولة، وهذه الأخيرة ينبغي أن تكون دولة الجميع وليس دولة حزب معين، فالتلفزة الوطنية ليست لحزب من الأحزاب، وعليه يجب أن تكون الاستفادة الإعلامية منها للجميع وعلى قدم المساواة، لكن هذا لم يحصل، فقد لاحظنا بعد ميلاد حزبنا أن التلفزة نظمت موائد مستديرة، ودعت إليها شخصيات عبرت عن آراء وتيارات سياسية مختلفة، غير أن تيارنا لم يستدع للمشاركة في تلك الموائد المستديرة، هذه الصحف التي أجهف البعض منها في حقنا لما أعلننا عن ميلاد حزبنا، ولم يكن نفس الإجحاف في حق الأحزاب التي أنشئت أخيرا وكانت التغطية الإعلامية لها واسعة. أما في إطار المستقبل القريب، فإن الديمقراطية والتعددية الحزبية تقتضي التعددية الإعلامية، أي أن تكون هناك صحف ومجلات للأحزاب السياسية غير الصحف الموجودة اليوم. وبالنسبة إلينا يبقى السؤال المطروح، بأية لغة سنخاطب الناس، باللغات الثلاث: الفرنسية والعربية والأمازيغية، وبناء على الطلب على هذه الصحف واللغة التي يميل إليها القراء سنحدد الكميات التي سنسحبها.

**الشعب:** يبدو من خلال تطور نشاط الحركة البربرية، إن الفضل في تأسيس حزبكم هي جماعة المثقفين وحاملي الشهادات الجامعية حبذا لو تعرفوننا بالتركيبة الحالية لهذا الحزب وما مدى الاستجابة في الانخراط؟.

**الجواب:** إن حزبنا ليس حزب نخبة، فباستثناء محامي واحد

وبعض الأطباء والصحفيين فإن باقي الأعضاء ليسوا بالضرورة من حاملي الشهادات العليا وللتأكيد على هذا فإننا وجهنا نداء وطلبنا من كل جهات الوطن المهتمة بقضية الأمازيغية كقضية وطنية إرسال مندوبين عنها إلى الملتقى مهما اختلفت مستوياتها الفكرية أو الثقافية والتعليمية، إن عنصر الاختيار لا يكمن في الشهادة بقدر ما يكمن في الإيمان بالقضية التي يتبناها حزبنا والواردة في برنامجه.

**الشعب:** في إجابة سابقة عن سؤال قلتم بأن لحزبكم قاعدة نضالية واسعة قبل الاعلان عن ميلاده وبعدها وسؤالي الأخير هو كالتالي: هل أسستم حزبا من أجل الثقافة أم من أجل السلطة؟

**الجواب:** إن أي حزب يتأسس لا يطمح في السلطة ليس بحزب، نحن كانت لنا مطالب قبل أكتوبر غير أن مطالبنا هذه قد تبلورت في برنامج عمل لحزب سيعرض على الشعب لكن نحن لا نعمل وفق القاعدة التي تقول الغاية تبرر الوسيلة، إن وصولنا إلى السلطة إن كتب له النجاح سيكون ضمن انتخابات حرة وديمقراطية يقرر فيها الشعب وتعطى له السيادة كل السيادة في ذلك، أما الآن فلا ينبغي أن نقول من هو في السلطة ومن هو في المعارضة لأننا في مرحلة انتقالية وعلى ضوءها سيعمل حزبنا وبالوسائل السلمية وعن طريق الانتخابات من أجل الوصول إلى السلطة أوالمشاركة فيها لأننا الحزب الوحيد في تاريخ الجزائر المنبثق من القاعدة ولم يظهر من القمة.

انتهى نص التصريح الذي تعمدنا نشره كما ورد في جريدة

الشعب ليوم. 1989/3/19

إذا كانت الأفكار والمطالب والأطروحات الواردة في هذا التصريح لا تحتاج إلى شرح من حيث وضوحها وأهدافها القريبة والبعيدة.. فإن ما لا ينبغي أن يترك دون تنبيه إلى مكامن المغالطة أو الخطأ فيه رفعا لكل لبس واستجلاء للحقيقة أمام جيل الاستقلال الذين لا يعرفون، أولم يدركوا- بحكم السن -أخوة، ووحدة صف الأبطال المجاهدين في بلاد جرجرة والصومام ... هو قوله في مستهل التصريح» فمنذ أوائل القرن الحالي طرحت هذه القضية على أساس جهوي، تتعلق بفئة معينة من الشعب الجزائري، وهذا الطرح الخاطئ أدى إلى أزمة 1949 م، حيث قالت الأحزاب آنذاك بأن مسألة الثقافة واللغة ستطرح في وقت لاحق، وأن المشكل الآن هو تحرير الجزائر من الوجود الاستعماري... بعد ذلك جاءت ثورة نوفمبر 1954 م، وأجل مرة ثانية النظر في القضية وأعطيت الأولوية للحرية والاستقلال «... فزيادة على ما أوردناه من حقائق دامغة وتفصيل دقيقة فيما سبق في الفصل الثالث ووثيقة مؤتمر الصومام حول الحكم بالخيانة والإعدام على كل من له علاقة بالحركة البربرية نقول، تعليقا على هذا الكلام المغالط :

أولا :مادام زعيم الحزب يعترف- صراحة -بأن الحركة البربرية طرحت على أساس جهوي خاطئ ... وأدت إلى أزمة 1949 م... فلماذا- إذن -يعاد تكرار نفس الخطأ اليوم بطرحها جهويا وعرقيا، بل وإعادة بعثها من قبل نفس الشاكلة من الأشخاص الذين أوقعوا الفتنة في صفوف الحركة الوطنية سنة 1949 م...وقضي عليهم بسلاح الوطنيين من أبناء المنطقة

أنفسهم قبل اندلاع الثورة المسلحة.\*)

**ثانيا:** هل قضى الثوار على رموز أزمة 1949 م لكونها جرثومة فتاكة في صفوف وحدة الشعب الجزائري، للحيلولة دون رص صفوف أبنائه لخوض غمار المعركة الفاصلة المنتظرة، من أجل الاستقلال التام) أي استقلال الجنسية والشخصية والسيادة ( عن قيود ورموز ومخلفات الاحتلال الفرنسي... أم أن اتفاقا قد أبرم بين قادة الحركة الوطنية الجزائرية و« رموز «الحركة البربرية، من أجل تأجيل طرح القضية إلى» ما بعد الاستقلال » على حد تعبير السيد الناطق الرسمي للحزب، في تصريحه بالحرف الواحد كما قرأنا قبل حين؟! وسؤالنا التكميلي الملح هو كالتالي:

-إذا كان الجواب على الشرط الأول من السؤال بالإيجاب (وهذا هو الصحيح حسب شهادة جميع الأحياء، وكما هو مبين بالوثائق الناطقة والصادقة في الفصل الثالث وفي الملاحق (فلماذا يعاد طرح نفس القضية، وبنفس الكيفية - تقريبا - للقضاء على هذا الاستقلال في بداية خطواته نحو الاكتمال، وتفتيت الوحدة الوطنية للشعب والتي تعتبر الضمانة الوحيدة وصمام الأمان الأساسي لهذا الاستقلال، حاضرا ومستقبلا، مثلما كانت بحق الشرط الأول- بعد الله -تحقيقه في الماضي القريب...وافتكاه من مخالاب العدو الغاصب!..؟

وإذا كان الجواب بالنفي عن الشرط الأول، وبالإيجاب عن الشرط الثاني، كما يريد أن يوحي إلينا الناطق الرسمي للحزب بقوله:

«حيث قالت الأحزاب آنذاك)؟ (بأن مسألة الثقافة واللغة ستطرح في وقت لاحق، وأن المشكل الآن هو تحرير الجزائر من الوجود الاستعماري «...فإني هنا أتحداه أن يحدد للقارئين» بالاسم «هذه الأحزاب الوطنية» التي قالت؟! «اللهم إلا إذا كان يقصد» حزب الشعب القبائلي «صاحب الفتنة المشار إليها من قبل الناطق الرسمي نفسه !! وأتحداه- أيضا -أن يأتي بأية وثيقة مكتوبة) بأية لغة كانت ( أو أية شهادة حية ناطقة أدلى بها، أو يدلي بها أي قائد من قادة الثورة الأحياء، سواء من مفجري الثورة (22) أو من قادتها الستة، أو من أي أحد من أبطال وقادة الثورة في مؤتمر الصومام(\*)، وما بعده، من الذين حاربوا الاحتلال تحت لواء الجهاد في الداخل، على امتداد السنوات السبع الملتهبة بالحديد) الأبيض والأحمر)، وفي كل شبر من أرض الجزائر، بدون استثناء لاية جهة، أو منطقة أو ولاية... ونكتفي بهذا، كتعليق سريع على بعض المغالطات الواردة في هذا التصريح) البرنامج(، وسنورد في فصل لاحق أهم مواقف الوطنيين في الجزائر والمغرب من هذه الحركات البربرية وأطروحاتها الواردة في مصادرها في كل من الجزائر والمغرب في الفصل الخامس عشر بعد مناقشة كل أطروحات الحركة في الفصل الرابع عشر.

أما عن مطالب الحركة البربرية في المغرب، فإننا نورد هذه النصوص المأخوذة من مصادرها المغربية أيضا والتي تحوصل أهم المواقف والمطالب التي يتقدم بها أقطاب الحركة البربرية حول معظم الأهداف المطلوب من الدولة تحقيقها لهم . وفيما يلي مجموعة من هذه النصوص:

فقد ورد تحت عنوان» دسترة الأمازيغية على طريق  
المصالحة الرسمية للدولة مع الأمازيغية «جاء فيه:

«يشهد المغرب حاليا نقاشا سياسيا يتصدر واجهة الاهتمام  
وينصب بالأساس حول موضوع دسترة الأمازيغية في أفق مأسستها  
وتوفير الضمانات والحماية القانونية لها، لغة وهوية وثقافة وحضارة،  
وذلك بفض الحركة الأمازيغية التي استطاعت بعد مرور عقد ونصف  
على نشوئها، أن تحقق رصيда نضاليا متزايدا من أجل لفت الانتباه  
إلى ضرورة تثبيت مكانة الأمازيغية، وإعطائها ما تستحقه من العناية  
والاعتبار. وللحقيقة والتاريخ، فإن «الجمعية المغربية للبحث والتبادل  
الثقافي» لعبت دورا مهما، في هذا الصدد، منذ إنشائها سنة 1967(\*)  
في الدفاع عن اللغة والثقافة الأمازيغية برئاسة د. ابراهيم أخياط،  
الذي يعتبر في طليعة نشطاء الحركة الأمازيغية.

وإذا كانت الحركة الأمازيغية بمختلف مكوناتها وأطيافها، تبدو  
ظاهريا، أنها ذات توجه ثقافي فقط، فإنها في العمق والجوهر ذات بعد  
سياسي حقيقي ما دامت تستهدف تحقيق سلسلة من الأهداف المتصلة  
بالمسائل السياسية، وفي مقدمتها الدسترة. وحسب علمنا فإن الجهات  
والفعاليات الأمازيغية التي نادى بالتعديل الدستوري(\*) لإفساح المجال  
للأمازيغية بل وبعثت بمذكرات ورسائل ووثائق تضمن عددا من  
المطالب في هذا الشأن إلى الملك، هي: المعهد الملكي للثقافة  
الأمازيغية، والحزب الديمقراطي الأمازيغي المغربي، والشبكة  
الأمازيغية من أجل المواطنة والكونغرس الأمازيغي العالمي.

ويمكن تلخيص كل تلك المطالب في التنصيص ضمن ديباجة  
الدستور، على الاعتراف الرسمي بالأمازيغية، والمساواة بينها وبين

اللغة العربية، إضافة إلى التركيز على الهوية كخيار استراتيجي، وإعطاء الجهة صلاحيات أوسع لضمان التوازن في المشروع الوطني التنموي، قصد وضع حد لتهميش وعزلة المناطق ذات الأغلبية الأمازيغية.

وهذه الدعوة للاعتراف الدستوري بالأمازيغية ليست وليدة اليوم فقط، بل تعود إلى سنة 1991 إثر صدور «ميثاق أكادير». وفي تصور أقطاب الحركة الأمازيغية فإن تحقيق المطالب الدستوري من شأنه أن يشكل أفقا مفتوحا على بقية المطالب التي تتضمنها أرضيتها السياسية وأدبياتها العلمية والثقافية. ولقد كان خطاب أجدير بخنيفة في أكتوبر 2001، مبعث انتعاش لآمال الأمازيغيين وأحلامهم، وترسيخ الأسس للمجتمع الديمقراطي الحداثي والارتقاء بالأمازيغية إلى المكانة الجديرة بها. وفي تحليل الكثيرين، فإن إنشاء المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية خطوة أولى على طريق «المصالحة الرسمية» للدولة مع الأمازيغية، وإن كان البعض الآخر لا ينظر إلى المعهد سوى كمؤسسة تابعة للمخزن، لا تملك حرية القرار أو المبادرة وإن احتضانه لخيرة الكفاءات الأمازيغية مجرد طعم لإغرائها بالسكوت، رغم أن التجربة أثبتت أن أعضاء المعهد مازالوا يرفعون أصواتهم بالاحتجاج والدفاع بشراسة عن الأمازيغية وحقها في الوجود والتطور.

على أي حال، يبدو أن الرحلة مازالت طويلة أمام الأمازيغية، وتتطلب التسلح بالمزيد من النضال والصمود لنيل المطالب المسطرة في دفاتر نشاط الحركة الأمازيغية في المغرب، وفي طليعتها الدسترة التي يرى فيها كل الفاعلين الأمازيغيين، الذين اتصلنا بهم

أثناء إعداد هذا الملف، أنها تمثل أسبقية الأسبقيات بالنسبة لهم، وأنها هي التي سوف تحمل في طياتها الحلول لكل المشاكل المطروحة في الساحة الأمازيغية على مستوى الهوية واللغة والثقافة والتعليم والإعلام والإدارة والقضاء.

وفي حوار مع السيد أحمد بوكوس عميد المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية مع مجلة «الإنسان الجديد»، جاء فيه:

كلام كثير قيل عن المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، وانتقادات عديدة توجه إلى طريقة تدبيره وتسييره، واقتراحات تطالب بتغييره وخلق بديل له، وأنباء في الصحافة عن انسحابات بعض الأسماء الوازنة منه، واتهامات صريحة بأن «التوظيفات في المعهد تحكمها معايير الزبونية والقرابة العائلية والدموية والجهوية»...

كل هذه النقط وغيرها طرحناها على د/ أحمد بوكوس عميد المعهد، فأجاب عنها في حديث صحفي لأمس قضايا أخرى تتعلق أساسا بالأمازيغية، تدريسا ودسترة وثقافة وإعلاما وسياسة...

«الإنسان الجديد»: ما هو تقييمكم، بتركيز لتجربة المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بعد خمس سنوات على إنشائه؟

أحمد بوكوس: استطاع المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في ظرف وجيز تحقيق ما لم يتحقق في مجال النهوض بالأمازيغية خلال عقود. وذلك بفضل الرعاية المولوية السامية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس، كما أن تضافر جهود العاملين بهذه المؤسسة ساهم في خلق دينامية متميزة للمزيد من المكتسبات، وكذلك بفضل تجند النسيج الجمعوي الأمازيغي ومساهمته الفعالة، وعلى سبيل المثال لا الحصر، تمكنت هذه المؤسسة الاستشارية والأكاديمية من إنجاز عدد

من المشاريع في مجالات مختلفة، منها ما هو سياسي كما هو الشأن في المساهمة في بلورة النقاش حول مؤسسة الأمازيغية ودسترتها: ومنها ما يتعلق بالبحث العلمي كالورش المتعلق بمعيرة اللغة وبمعيرة اللغة الأمازيغية وتقعيدها في أفق توحيدها، وبتنميط حرف تيفيناغ واعتماده رسميا لكتابة الأمازيغية، والأوراش التي لها علاقة بالمجال الثقافي والحضاري كالآداب والفنون والتاريخ والبيئة والانثربولوجيا والترجمة، ولقد تم إصدار مجموعة مهمة من الدراسات والبحوث حول المجالات المذكورة خدمة لتأهيل اللغة والتعريف بها على نطاق واسع.

«الإنسان الجديد»: انطلاقا من موقعكم على رأس المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، كيف تتعاملون مع مطالب الحركة الثقافية الأمازيغية «دسترة الأمازيغية وإدراجها بصفة رسمية في المدرسة والإدارة والقضاء والإعلام»؟  
أحمد بوكوس: بخصوص الحقوق اللغوية والثقافية، هناك انسجام تام بين مؤسسة المعهد والحركة الثقافية الأمازيغية وفق مبادئ الاستقلالية والتكامل والاحترام المتبادل بين الأطراف، وللتذكير، فقد سبق للمعهد في مجال المطالبة بترسيخ هذه الحقوق أن تقدم بوجهة نظر استشارية في موضوع دسترة الأمازيغية، وفي أفق مؤسسة الأمازيغية، فما فتئت هذه المؤسسة تعمل على تعميق إدماج الأمازيغية لغة وثقافة في المرافق العمومية.

«الإنسان الجديد»: مشروع إدماج اللغة الأمازيغية في المنظومة التربوية. ألم تطبعه الارتجالية في التنفيذ وما هي معوقاته وما مؤهلات نجاحه في المستقبل؟

أحمد بوكوس: بالرجوع إلى خطة إدماج الأمازيغية في المدرسة

وبالوقوف على المراحل الإعدادية والإجرائية التي عرفتها هذه العملية، سيتضح أن الارتجال الذي جاء في سؤالكم غير وارد. بحيث تم إعداد تصور واضح للإدماج بجانب المنهاج الدراسي للغة الأمازيغية قبل إبرام الشراكة بين كل من وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي من جهة، والمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية من جهة أخرى. تلكم الاتفاقية التي تم بموجبها الشروع في تدريس اللغة الأمازيغية بوتيرة التدرج في بداية السنة الدراسية 2003/2004، وانسجاماً مع هذه الاتفاقية تم خلق لجنة مشتركة بين المؤسستين المذكورتين لمتابعة وتقييم عملية الإدماج التي واكبها إعداد البرامج والكتاب المدرسي والعوامل «البيداغوجية» وتكوين المفتشين والمكونين والأساتذة.

## الأمازيغية والدستور

### أحمد عصيد: ناشط أمازيغي

يطرح كل نقاش حول التعديل الدستوري بالمغرب إشكالية الكيان الدولي وجوهره حيث لا يتعلق الأمر بمجرد ترميم الوثيقة الدستورية بإضافة بعض تقنيات العمل المؤسساتي الديمقراطي الحديث، بل يهتم على وجه التحديد بإعادة النظر في الأسس التاريخية والسياسية والثقافية لوجود الدولة المغربية وخياراتها الكبرى وتوجهاتها الرئيسية، حيث يطرح بجانب آليات ممارسة السلطة ودور الفاعلين الرئيسيين في الحياة السياسية، موضوع هوية الدولة والمجتمع المغربيين، والعمق الثقافي والتاريخي للكيان المغربي وللبناء الديمقراطي الوطني.

من هذا المنطلق استطاعت الحركة الأمازيغية أن تنفرد على مدى عقد ونصف من الزمن بمطلب تعديل الدستور في الجانب الهوياتي،

الثقافي واللغوي.

### المطالب الأمازيغية في الدستور:

إن الأمازيغية لا يمكن أن تحظى بمكان داخل المؤسسات الرسمية بدون اعتراف سياسي مجسد في الوثيقة الدستورية، وإذا كان هذا المطلب قد تم التعبير عنه بشكل خجول في ميثاق أكادير 1991، فإنه قد اكتسب فيما بعد صيغا أكثر وضوحا وقوة في وثائق الحركة الأمازيغية التي صدرت ما بين 1996 و2004. وكذا في الرسالة التي بعث بها المجلس الإداري للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية إلى الملك محمد السادس في شهر أبريل 2006. فمن مذكرة الجمعيات الأمازيغية إلى القصر الملكي، إلى البيان الأمازيغي مارس 2006. مرورا بميثاق المطالب الأمازيغية في الدستور، وانتهاء برسالة المعهد الملكي، تطورت مطالب الأمازيغيين المقترحة للإصلاح الدستوري لتتحدد في أهم عناصرها فيما يلي:

### شرعية إقرار الأمازيغية لغة رسمية بالدستور المغربي

إن أي متتبع للنضال الأمازيغي بالمغرب، وخصوصا في الآونة الأخيرة سوف يلاحظ أن مطلب دسترة اللغة الأمازيغية كلغة رسمية وفصل السلط والدين والسياسة، أصبح أولى الأولويات في دفتر تحملات الشبكة الأمازيغية من أجل المواطنة. وانتقدت تبعا لذلك موقف بعض مكونات المجتمع السياسي واعتبرت انه لم يعد هناك أي مبرر سياسي لاستمرار الدولة في التعامل مع اللغة الأمازيغية، كتعابير أو ما يسمى باللهاجات في الوقت الذي لم يعد فيه هناك أي سند

علمي لاختزال اللغة الأمازيغية وتقزيم دورها.

ويبدو من خلال المؤشرات القائمة أن هناك تطورا نسبيا في مواقف بعض الهيئات السياسية والمدنية بحكم ما روكم نضاليا من أجل دسترة اللغة الأمازيغية كلغة رسمية بالدستور، وهي قناعة ونضال وطني مبدئي آني ومسؤولية الجميع وليس من مصلحة أي كان إقحامه ضمن القضايا التفاوضية أو للمزايدة السياسية، أو إن شئنا للبحث عن إجماع ما، باعتبار المطلب من آخر غير وارد للتقييم الإيديولوجي، فالمصلحة الوطنية وإستراتيجية التنمية المستدامة في مثل الوضع الحالي العالمي -الذي أصبح يعرف زحفا قويا لما يسمى بالعولمة السلبية الاقتصادية السياسية قد تعصف فيه بالجميع- تستدعى توسيع الآليات التي توفر المشاركة الفعالة للمواطن وعولمة حقوق الإنسان بدون تمييز، بسبب العرق أو الجنس أو اللغة أو الأصل القومي... إلخ.

وتعتبر تبعا لذلك قضية إدماج الأمازيغية بجميع مقوماتها اللغوية والهوياتية بالدستور مدخلا حقيقيا لإعادة التوازن للفكر المغربي، وتأسيسا لثقافة التنوع والاختلاف في كافة تجلياتها ومكسب لوضع اللبنة الأولى لانتقال ديمقراطي وبناء دولة الحق والقانون.

**أمازيغ المغرب يطالبون بالحكم الذاتي أمام البرلمان إثر حشر**

**حزبهم**

**نشاط**

بدأ أحمد الدغرني، زعيم الحزب الديمقراطي الأمازيغي غير المرخص له، متحمسا خلال ترديده شعارات ضد حكومة عباس الفاسي وضد البرلمان المغربي الذي وصفه بالعنصري وقاد الدغرني

في مسيرة فاتح ماي نحو البرلمان، بشعارات سياسية لأول مرة بالرباط، حيث ظهر شعار «لا تراجع عن الحكم الذاتي» حسب ما أورده موقع «هيسبريس» المغربي أمس، كما تم التنديد بالاعتقالات التي طالت مناضلي الحركة الثقافية الأمازيغية القابعين في سجون المملكة بكل من مكناس وامتغرن وورزازات والراشدية، والحكم الصادر ضد الحزب الديمقراطي الأمازيغي المغربي، وكذا رفض تسليم الوصولات القانونية للتنظيمات الأمازيغية ومنها المنتدى الأمازيغي لحقوق الإنسان.. كما ندد المشاركون بسياسة الحكومة المغربية الممثلة في نظرهم في «العائلات الفاسية» التي تكن العداء لكل ما هو أمازيغي، من خلال نهج سياسة التماطل تجاه مطالب الأمازيغ في مجال الإعلام والتعليم وباقي مناحي الحياة العامة. ولم يقف الأمازيغيون عند هذا الحد، بل طالبوا بالكشف عن مصير وحقيقة مختطفي القضية الأمازيغية وعلى رأسهم بوجمعة الهباز، وكذا رموز المقاومة المسلحة ومنهم عباس المسعدي، كما ندد المتظاهرون بسياسة نزع أراضي سكان القبائل ونهب ثروات البلاد وارتفاع الأسعار(1).

وهذه المخططات كلها للحركة «البربرنسية» في الجزائر والمملكة المغربية يواصل تطبيقها في إطار الخطة الخاصة بالاجتماع التأسيسي المنعقد بفرنسا لما يسمى بالكونغرس الأمازيغي العالمي الذي قال عنه الكاتب الصحفي عياش يحيياوي في جريدة الشروق الجزائرية بتاريخ 10/9/1996 جاء فيه:

«انعقد المؤتمر التمهيدي للحركة الأمازيغية في المركز العالمي (بيير مونيسي) بقرية يطلق عليها اسم (سان روم دولان) بجنوب

فرنسا بتاريخ 1، 2، 3 سبتمبر 1996، حضرت المؤتمر 40 جمعية أمازيغية (بربرية) من (ليبيا، المغرب، الجزائر، أسبانيا، فرنسا، بلجيكا، هولندا، إنجلترا، سويسرا، ألمانيا، الولايات المتحدة، كندا..). وخلال أيام المؤتمر وزع على المؤتمرين النشيد الوطني الأمازيغي، ويحمل اسم (تورارتن تيللي) وكان مكتوباً بالحرف الآرامي واللاتيني وتيفيناغ، وردده الجميع أثناء حفل عشاء، ومن النتائج التي تمخض عنها المؤتمر:

1- تدويل الواقع الأمازيغي (البربري) عبر الهيئات الدولية للأمم المتحدة.

2- الدفاع عن الثقافة الأمازيغية وصيانتها وتطويرها وتنميتها.

3- اكتساب الوسائل المادية والمالية والتنظيمية من أجل تحقيق هذه الأهداف.

4- إعادة النظر في تاريخ شمال إفريقيا بما يخدم أهداف وطن «تامزغا المنشود..».

وجاء في نفس التقرير أيضاً: «لقد واكب إرساء أسس التنسيق على الصعيد الوطني بالمغرب والتفكير بكيفية جدية في خلق إطار دولي على صعيد بلد تامزغا (دول شمال إفريقيا)، أو الوطن الأمازيغي الذي يمتد من سيوة في مصر إلى جزر الكناري في المحيط الأطلسي.

ومن حوار أجرته جريدة «البيان» المغربية مع عضو بمكتب المؤتمر بتاريخ: 1996/8/10 جاء فيه ما يلي:

- حتى السكان الذين لا يتكلمون الأمازيغية في شمال إفريقيا- هم أمازيغيون في الأصل!

- أؤكد أن عبارة (الوطن العربي) غير منطقية، ولا وجود للمغرب العربي الكبير، واللغة الأمازيغية عامل أساسي لتوحيد شعوب المنطقة.

- يجب اختيار الحروف اللاتينية لأنها حروف متداولة وعملية.

- المؤتمر القادم سينعقد في صيف 1997، ومازلنا لم نحدد المكان

والزمان.

### مطالب الكونغرس الأمازيغي العالمي

ما يميز الحركة الأمازيغية أنها ذات وعي سياسي عميق بكل التحولات التي يشهدها المجتمع المغربي.

وانطلاقا من هذا الوعي وضع الأمازيغيون نصب أعينهم تعديل الدستور كمطلب أساسي وكخطوة من الدولة نحوهم للتعبير عن مصالحها الحقيقية معهم.

وفي هذا التعديل ينبغي التنصيص على الأمازيغية كلغة رسمية، إلى جانب اللغة العربية التي لا نطالب أبدا بالغاءها، بل بالمساواة معها، ومن المطالب الأخرى أيضا إدماج الأمازيغية في التعليم كلغة إجبارية، وليست كلغة اختيارية، وفي أقسام محددة، كما هو جار به العمل الآن.

ويجب أن تتوفر لها كل الإمكانيات المادية والموارد البشرية لتطويرها كلغة وطنية إلى جانب العربية.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف وغيرها يطالب الكونغرس الأمازيغي العالمي، بدسترة اللغة والثقافة الأمازيغيتين واعتماد الفيدرالية والاستقلال الذاتي للجهات كسبيل لإخراج الأمازيغ من التهميش الذي يعانون منه منذ عقود.

وتأكيدًا لذلك صدر بيان في الجريدة ذاتها في 2005/8/2 جاء

فيه:

طالبت مجموعة من الشخصيات القانونية والمدنية أمس السلطات القضائية بالتحرك لمحاكمة وإدانة فرحات مهني، رئيس ما يعرف بحركة «الماك» الداعية إلى الاستقلال الذاتي لمنطقة القبائل، والذي أدلى بتصريحات خطيرة في الملتقى الدولي للشعوب الأمازيغية في برشلونة بمقاطعة كاتالونيا الأسبانية يوم 30 جوان 2005، أين نفى صفة الإسلام عن الأمازيغ، وطالب بتدخل إسرائيل، ووصف البيان تصريحات مهني بالخيانة للشهداء ولتضحيات ثورة نوفمبر المجيدة، خاصة وأن التصريح جاء قبيل أيام فقط من الاحتفال بذكرى الاستقلال، كما سبق لمهني إعلان ذات المواقف عبر تصريحات صحفية وتجمعات شعبية في منطقة القبائل الكبرى والصغرى.

وحمل البيان الذي تلقت «الشروق اليومي» نسخة منه، توقيع مجموعة من مسؤولي تنظيمات مدنية كجمعية التضامن الشعبي بوهران وعدد من محامين، ونقابيين، وأساتذة جامعيين، إضافة إلى عدد من الموقعين على البيان الذي استنكر سكوت المؤسسات القضائية والرسمية تجاه نداءات تقسيم الوحدة الوطنية، على الرغم من المواد القانونية والدستورية التي تنص صراحة على ضرورة تحمل السلطات القضائية والنيابة العامة تحديد مسؤولياتها في ردع الأصوات الداعية إلى الانفصال وتهديد وحدة البلاد والمساس بالأمن العام، وكشف البيان تعامل العدالة الجزائرية بمكيالين مختلفين....  
وناشد البيان العدالة الجزائرية عن طريق النيابة العامة بصفتها

ممثلة للحق العام، بأن تحرك الدعوى العمومية ضد المعني بالأمر بفتح تحقيق جنائي ضده، لارتكابه منذ زمن لم يمض عليه أمد التقادم في الجرائم وخارجها جنائية: الخيانة وإضعاف الروح المعنوية للأمة، وجنحة: المساس بسلامة وحدة الوطن، والإخلال بالنظام العام، وهي الأفعال المنصوص والمعاقب عليها بأحكام المواد 2/61 و4/62 و79 من قانون العقوبات الجزائري الساري المفعول...

وتأكيداً لهذا الخطر الذي تمثله الحركة البربرية كما جاء في البيان السابق يقول الباحث الجزائري رزقي فراد في 2006/3/26 في الصحيفة ذاتها:

ورغم وضوح الرؤية بالنسبة للباحث المجد، فإن واقع الأمازيغية ليس على هذا القدر من البساطة إذ عاد الطرح الإيديولوجي التخريبي المفرنس إلى البروز بشكل أخطر من أي وقت مضى، فقد كان أنصار الأمازيغية في الماضي يجمعون حول مبدأ النضال من أجل أن تصبح لغة وطنية ورسمية، أما اليوم فقد جذر المتطرفون منهم موقفهم فتخلوا عن «الطرح الوطني للأمازيغية» وصاروا يعملون من أجل تكريس «الطابع الجهوي لها» وهذا لدعم مشروعهم السياسي الانعزالي وهو الأمر الذي يؤكد أن الأمازيغية لم تعد مطلباً ثقافياً أو هوياتياً بل مطية لأحداث شرخ في الجدار الوطني، ولعل أبرز المظاهر التي تتجلى فيها الإيديولوجية الانعزالية تتمثل في مصطلح «الشعب القبائلي» -وهو نتاج استعماري- الذي صار ذائعاً في وثائق (الحركة من أجل استقلال القبائل MAK) بقيادة السيد فرحات مهني، و«العلم القبائلي» ذي الألوان الثلاثة (أزرق - أخضر - أصفر) يتوسطها حرف زاي، ذو اللون الأحمر، وكذا مغازلة اليهودية والمسيحية، كلها عوامل يحاول الانعزاليون ركوبها

لتكريس «تمايز منطقة القبائل» عن باقي الجزائر، من أشهر المنظرين لمشروع «الشعب القبائلي»-بعد غلاة الاستعمار و«اللغة القبائلية» المكتوبة بالحروف اللاتينية السيد سالم شاكرا الذي أعلن معارضته لشعار «الأمازيغية لغة وطنية الذي رفعته الحركة الثقافية البربرية MCB واستبدله بشعار «اللغة القبائلية» لمساعدة منطقة القبائل في حصولها على الاستقلال الذاتي، نقراً ذلك في قوله: (.حتى الشعار المتداول بين صفوف الحركة الثقافية الأمازيغية MCB «الأمازيغية لغة وطنية» والمستعمل حالياً من طرف الأحزاب السياسية القبائلية يبدو خطيراً، لأنه بإمكان السلطة المركزية استعماله كما تشاء إن لم يتم توضيح محتواه بشكل دقيق، ولنتكلم بكل وضوح، على عكس الأطروحات الرسمية الجزائرية التي تبرز استراتيجية واضحة تهدف إلى تجريد اللغة الأمازيغية لأن اللغة -إلا في حالة ما إذا كانت ميتة- لا يمكنها أن توجد خارج إطار مستعملها، إن هدف الحركة الأمازيغية يجب أن يكون الاعتراف بالخصوصية اللغوية والثقافية لمنطقة القبائل في إطار استقلال ذاتي واسع للمنطقة، (أنظر كتابه: الأمازيغ وقضيتهم في بلاد المغرب المعاصر، ترجمة حبيب الله منصوري، دار القصة للنشر، 2003.

ويواصل أرزقي فراد قوله في ذات السياق: «مما تجدر الإشارة إليه أن الحركة من أجل استقلال القبائل MAK التي يتزعمها السيد فرحات مهني تعد الواجهة السياسية للمنظر الانعزالي سالم شاكرا، وقد اعترف فرحات مهني بصريح العبارة في كتابه: «الجزائر القضية الأمازيغية» -الذي يعد برنامج عمل لحركته المذكورة- بولائه للسيد سالم شاكرا باعتباره منظرًا لمشروع الاستقلال الذاتي للقبائل، وذكر في كتابه هذا بأن اللغة الأمازيغية الجامعة للمغاربة (شمال أفريقيا) ما هي

إلا «وهم» والسعي وراء إنجازها مضيعة للوقت، فهو يرفض العودة إلى اللغة الأمازيغية المغاربية مثلما رفضت الشعوب الأوربية ذات الأصل اللاتيني التخلي عن لغاتها للرجوع إلى اللغة اللاتينية الأم، وبعبارة أوضح فإن حركة «الماك» قد طلقت اللغة الأمازيغية الوطنية طلاق البائن لتعانق «اللغة القبائلية» لأنه برأيه- لا إنقاذ للقبائل إلا في إطار كيان قبائلي.

ومن مهام هذا الكيان القبائلي (يضيف) العمل على محاربة اللغة العربية لأن التعريب برأيه ما كان إلا سلاحاً سياسياً ضد القبائل، أما على الصعيد الخارجي فيرى أن الكيان القبائلي سيكون قلعة للفرانكفونية(\*)، كما ستكون له علاقات مميزة مع إسرائيل(\*\*) وهكذا يتجلى بوضوح تام لا يمارى فيه أحد أن كتابة الأمازيغية بالحروف اللاتينية هو خيار إيديولوجي سياسي هدفه عزل منطقة القبائل على مراحل بدايتها الاستقلال الذاتي».

وواصل قوله بأن لكل شعب الحق في العيش بأرضه وأن يكون محترماً من طرف محيطه، وبذلك أراد أن يساوي بين ما يسميه «بالشعب القبائلي» و«الشعب الإسرائيلي»، وربط مهني ذلك بالإشارة إلى أن «القبائل» تطالب بالاستقلال والحكم الذاتي»(1).

**نزعة الاستقلال الذاتي في منطقة القبائل: نبتت في رحم الاستعمار وازدهرت في ظل سلطة الاستبداد**

وتم زرع بذرة النزعة الانفصالية خاصة في منطقة القبائل، وللتذكير فإن الاستعمار الفرنسي قد التجأ بعد الانتصار العسكري إلى استراتيجية الاهتمام بعادات وتقاليد وخصوصيات

منطقة القبائل فركز ابحاثه عليها وجند لهذه المهمة خيرة ضباطه وصفوة علمائه المدعين بالمترجمين من أجل النفاذ إلى عمق المجتمع وفهم تنظيماته ولغته وحياة السكان الروحية، ومن أبرز المهتمين بهذه المنطقة الضابط الفرنسي) هانطو (الذي ألف عدة كتب عن المنطقة أهمها كتاب» عادات القبائل «سنة 1868. افاد الإدارة الفرنسية في فهم ثقافة القبائل، وعلى إثر ذلك شرعت في سياسة كسب ود السكان واستمالتهم إليها بالتقرب منهم عن طريق الخدمات الاجتماعية) تعليم- صحة - رعاية المرأة (..بواسطة الإرساليات التبشيرية التي أنشأها الكاردينال لا فيجري لتتصيرها سنة1867 ، إلا أن الفرنسيين قد فشلوا فشلا ذريعا في إحداث تصدع في منطقة القبائل خلال فترة الاحتلال... (1830 – 1962)

هذا إذن في عهد الاحتلال المباشر، أما الآن فالوضع مختلف كما هو ملاحظ مما سبق ذكره بأقلامهم ...وفي هذا الإطار ظهرت الأكاديمية البربرية في فرنسا في أواخر الستينات من القرن الماضي، كما أثبتنا ذلك في الفصل الخامس.

وكنموذج عن مواقف أقطاب هذه الأكاديمية يقول أرزقي فراد عن محند أعراب بسعود» :ولعل كتابه) صفحات من تاريخنا القديم والحديث(، الذي ألفه بمعية السيد سعيد آيت أعمر يعد مرجعا لأرائه السياسية الراديكالية التي تشكل خطرا على الوحدة الوطنية، فقد أعلن فيه بصريح العبارة عدااء للغة العربية التي يتهمها بكونها سببا في تأخر الجزائر...) إن هذه اللغة العربية هي

التي عرقلت النمو الفكري لشعبنا منذ ثلاثين سنة فلو تعلم الأطفال الجزائريون، باللغة الفرنسية لكانت النتيجة رائعة، لا تحقق لنا الاكتفاء الذاتي في الإطارات السامية فحسب، بل كنا سنصدرها إلى العالم الثالث- صفحة (-45 كما انتقد الاشراف المرابطين بشدة إلى درجة القذف والشتم باعتبارهم ممثلين للإسلام والعربية في منطقة القبائل، ثم أردف داعيا إلى طردهم من منطقة القبائل يقوله ..) ولعل من المفيد طرد هؤلاء إلى موريتانيا حتى يدركوا على الأقل أن لقب النبل الذي يتمتعون به غير مؤسس- صفحة.(33)

هذا هو الوضع الذي حققته فرنسا بالاستحلال للبقاء في الجزائر بلا مطالب بالاستقلال مثلما حدث ذات يوم من أبطال وزعماء بلاد المغرب العربي التي كان لها مكتب في القاهرة ينسق لاستقلال هذه البلاد التي تقع اليوم تحت الاستحلال، وهو الذي يحقق لفرنسا أهدافها بدون قتال، ومنها الإشعاع اللغوي في العالم بالفرنكوفونية، وهو ما نتناوله في الفصل التالي.

## الفصل الثامن

### علاقة الحركة البربرية بالفرنكوفونية

إن المعنى القديم لكلمة- Frank، هو إفرنجي، نسبة للقبائل الجرمانية التي إحتلت فرنسا في القرن السادس الميلادي، وهو المفهوم العربي، للأوروبي- الإفرنج، وقد نشأت اللغة الفرنسية من تمازج اللاتينية مع اللهجات السلتية عام 1539م، حيث أصدر فرانسوا الأول

مرسوما، يقضي باعتبار الفرنسية، لغة رسمية لفرنسا، ثم كرّسها لويس الرابع عشر، على حساب اللغات القائمة آنذاك، وفي المعاجم، نجد المصطلحات التالية:

1. Phile -Franco - محبّ لفرنسا والثقافة الفرنسية.

2. Phobe Franco - مبغضّ لفرنسا

3. Phone Franco - فرنسيّ اللغة- أو ناطق بالفرنسية.

- هناك أربعة مستويات، حددت آليات التفاعل مع اللغة الفرنسية وأدائها في الأقطار المغاربية العربية، للتمييز بين التعرف العلمي، إلى اللغة الفرنسية وأدائها تعرفًا إنفتاحيا إنسانيا، وبين التفاعل الإيدولوجي مع اللغة، باعتبارها لغة هيمنة:

### 1. المستوى الأول: التعرف الطبيعي:

يحدّد هذا المستوى، طبيعة التفاعل الثقافي للشعوب، بشكل تلقائي، يهدف إلى التعرف على لغة الآخر، وأدبه، بالإختيار الحر، حيث يتم تدريسها، كلغة أجنبية ضرورية، لنقل المعارف الإنسانية، والتعرف على ثقافة الآخر، وهذا يقتضي تفاعل الطرفين في الأخذ والعطاء تفاعلا نديا، ينطلق من علاقات تبادل ثقافي متكافئ، لهذا تصبح الفرنسية، لغة لنقل النتاج الأدبي، والثقافي الفرنسي العالي إلى العربية، وتصبح الفرنسية هنا، وسيلة للتواصل الثقافي الإنساني، بالترجمة المتبادلة.

### 2. المستوى الثاني: التفرنس

عندما تصبح التقاليد الثقافية الفرنسية، نموذجا يحتذى، تلجأ طبقة من شعب آخر إلى تقليد هذه التقاليد الثقافية الفرنسية، إنطلاقا من

الإعجاب والتقليد ، وقد ينقلب هذا الإعجاب من حالة التعرف الطبيعي الى اللغة، إلى حالة التقليد الكاريكاتوري، فتصبح شكليات اللغة وشكليات تقاليدها، هدفا للتقليد الأعمى، لهذا تجد ظاهرة (التفرنس) أي ظاهرة التباهي بمعرفة اللغة، دون الدخول الى عمقها، ونجد استخدام الكلمات الفرنسية في لغة الحياة اليومية العربية، ونجد إصطناعا للتحدث ببعض الجمل الفرنسية، أثناء الحديث باللغة العربية، وهذا الاتجاه سطحي أو قشري، لا يدل على معرفة عميقة باللغة، بل ينحو هذا التيار نحو التغريب والمباهاة الشكلية الساذجة.

### 3. المستوى الثالث: الفرانكوفونية:

يتعلق هذا المستوى، بإيديولوجيا الهيمنة، بعيدا عن الإنفتاح الطبيعي، وترتبط ( الفرانكوفونية- Phonie Franco)، بمفهوم العلاقة القهرية، بوساطة اللغة الفرنسية لأنها لا تعني الشعب الفرنسي، بل الدول والشعوب الأخرى الناطقة بالفرنسية، وهنا بيت القصيد، فالشعوب التي تتحدث الفرنسية، كانت شعوبا مستعمرة، تحت هيمنة الدولة الفرنسية، ثم إنتقلت إلى (حالة الاستقلال) فاننتقلت من حالة الاستعمار الفرنسي العسكري الى حالة الاستعمار الفرنسي الثقافي، ولم تكن العلاقة بين هذه الشعوب واللغة الفرنسية علاقة اختيارية، بل فرضت هذه العلاقة، حالة ( الإرث الاستعماري)، المتجدد ورغم أن مصطلح الفرانكوفونية، مصطلح قديم، ينسب للجغرافي الفرنسي،(ريكولوس-1837-1916)، حيث منحه صفة جغرافية، أي ربطه بالانتشار خارج فرنسا، أو كما قال:(مجموع السكان، الذين يتكلمون الفرنسية خارج فرنسا)، إلا أن ( الفرانكوفونية)، عادت إلى

الظهور، كما يؤكد ( إجزفبيه-Xavier) في نوفمبر 1962 في العدد الخاص من مجلة ( فكر Exprit) تحت عنوان (الفرنسية في العالم) ونلاحظ أن هذا التاريخ (1962) هو عام استقلال الجزائر، حيث تمت إعادة الاعتبار لهذا المصطلح وتحول الى دعوة أيديولوجية، وقد لعب (سنغور/بورقيبة/نوردوم سيهانوك/هنري سيمور/ شارل حلو/ بطرس غالي/ وغيرهم. دورا هاما في الدعاية لفكرة الفرنكوفونية، ثم ظهر المصطلح عام 1968 في قاموس (لوكيد)، ويستعرض (إجزافيه) تطور المصطلح في القواميس والموسوعات، ولكنه هو يفضل مصطلح، (لا فرانسيتي Francite la) لأنه يحتوى على مفهوم الحضارة الفرنسية، وإمتدادها خارج فرنسا في (بلجيكا/كندا/سويسرا/أفريقيا/جزر الأنتيل)، وغيرها، ويستشهد بقول الرئيس بوميدو الذي يحدّد الفرنكوفونية، بأنها تعني:(خلق تجمع للمصالح الإقتصادية والسياسية،يربط بين الجميع، رباط لغوي وثقافي وعاطفي).

### المستوى الرابع: الفرنكوفيلية:

يعني مصطلح الفرنكوفيلي - Francophilie، كما يقول قاموس المنهل، محب لفرنسا، ويرى الدكتور عبد الله ركيبي، أن الفرنكوفيلية، تعني:( الولاء السياسي لفرنسا، بالإضافة إلى الارتباط بها فكرا وثقافة ولغة، وبالتالي فإن هذا المستوى، يتعلق بتيار إختار الإندماج الكامل والتنكر للعروبة والإسلام)، وهو يختلف في الدرجة عن تيار الإعجاب والتبعية للفرنكوفونية(1).

وعن هذه العلاقة المباشرة بين الاستعمار الفرنسي والفرنكوفونية يقول الدكتور أسعد أبو خليل: «الفرنكوفونية، هي نتاج الاستعمار

الفرنسي من الناحية التاريخية والفعلية، وهي أيضا نتاج مرحلة ما بعد الاستقلال الشكلي، حيث تغير أسلوب التعامل الفرنسي مع المستعمرات السابقة، بالخروج من الباب العسكري، والعودة من الشباك الثقافي والاقتصادي والسياسي، بالتراضي الرسمي، وليس الشعبي، أي هيمنة من نوع جديد<sup>(1)</sup>.

ومما تقدم فإن الحركة البربرية هي صنيع الفرانكفونية في الجزائر والمغرب، بدون منازع، بدليل أن رأس الحربة لهذه الحركة يقع في الجزائر والمغرب في الوقت الحاضر، وليس في غيرها من بلاد المغرب العربي الأخرى كتونس وموريطانيا فضلا عن ليبيا وما كان لهذه الحركة في هذين البلدين أن تستفحل وتستأثر بهذه الأضواء والأبواق الغربية، وتؤسس لخدمتها عدة أحزاب سياسية في الجزائر والمغرب) كما رأينا في الفصل السابق (على شكل تنين ذي رؤوس متعددة ومثلها مئات الجمعيات تحت أسماء مختلفة كلها تحركها يد واحدة من وراء الستار، وتخدم هدفاً واحداً لا غير، كما سنبين بأمثلة حية من المغرب والجزائر على حد سواء.

وما كان لهذه الحركة أن تأخذ هذا الحجم في المغرب الأوسط لولا العزم وبعض الحزم الملاحظ في مجال التعريب (للتعليم (في هذا البلد، بكيفية لتواصلت على نفس الوتيرة) دون اصطناع عراقيل مماثلة من الداخل (لتحقق الاستقلال اللغوي عن اللغة الفرنسية في جميع مراحل التعليم وتخصصاته ولأصابت العدوى الايجابية بقية البلاد المغربية الأخرى، التي ما تزال فيها الفرنسية سيدة المدارس والجامعات ...والدليل الثاني لعلاقة

الحركة البربرية بالفرنكوفونية.. إن كل دعائها في الجزائر من الكتاب) بالفرنسية (أعلى الأقل من المتعلمين في المدارس الفرنسية) التبشيرية المسيحية (والذين لا يجهدون اللغة الوطنية فحسب، بل يناصرونها عداً صليبياً، لا يعادله إلا حقد) جون ماري لوبان(\*)، على المهاجرين العرب في فرنسا! والدليل الثالث على علاقة الحركة البربرية بالفرنكوفونية، هو أن جل زعمائها السابقين والحاليين لم يكن لأي منهم موقف وطني مشرف أثناء ثورة التحرير المجيدة فيما نعلم باستثناء القليل جداً ومنهم السيد حسين آيت أحمد.\*\*)

والدليل الرابع على أن الحركة البربرية صنيع الفرنكوفونية، وعميلة لها بدون منازع، هو هذا التصريح الرسمي لأحد زعماء حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية) وهو حزب نوطابع شعوبي (والذي يقول فيه بالحرف الواحد) وباعتبار الفرنسية لغة اتصال وعلم وتكنولوجيا، فنحن نختلف مع الذين يقولون بأن هذه اللغة ليس لها مكانتها في الظروف الراهنة وحتى في المستقبل<sup>(1)</sup>.. وحتى يموه على الذين يسارعون باتهام الحزب بالعمالة المباشرة لتأبيد عمليات مسخ الهوية الوطنية) العربية الإسلامية (للجزائر، يضيف قائلاً: «لكن نحن نعمل جاهدين من أجل أن تصبح الأمازيغية والعربية لغتي علم وتكنولوجيا وإدارة وصالحتين للحياة العملية» وهذا الكلام فيه إقرار صارخ بأن العربية لغة ميتة مثل البربرية، وهي ليست صالحة للحياة! وبوضعها في كفة واحدة مع الأمازيغية) أي البربرية (معناه اللاتعريب في الجزائر إلى الأبد، لأن البربرية لا يمكن أن تصل

إلى مستوى منافسة الفرنسية والعربية في الظروف الحالية على الإطلاق، وحتى لا يفسح المجال بالتعريب الحقيقي للعربية، كي تنافس بجدارة اللغة الفرنسية في جميع مجالات الحياة يعمد إلى اصطناع الضرة لعرقلة العربية ومناستها، بل مقاسمتها السيادة في التعليم والإدارة لكي يخلو الجو-حتمًا- للفرنسية وحدها، كي تمد الجذور في الواقع الاجتماعي إلى أجل غير مسمى، وهذا ليس إلا هدفا فرانكفونيا بعينه! والدليل التمويه الثاني الذي يثبت تنفيذ الخطة الفرنكوفونية بإحكام، هو قول الزعيم الحزبي في مكان آخر..» :وفي ميدان التعليم نحن لا نريد إن نقف كمنتقدين بل نقترح البديل والحلول، وفي اعتقادنا إن رفع المستوى يتوقف على التدريس بلغة الأم أي العربية والأمازيغية معا.»...

وإذا عرفنا أن في الجزائر أكثر من عشر لهجات متداولة في مختلف مناطق البلاد، وهي متفرعة في الأصل عن اللغة البربرية القديمة المندثرة منذ ما قبل الفتح الإسلامي) كما سنرى لاحقاً.(والسؤال المطروح هو أي لهجة من هذه اللهجات المتفرقة عبر الوطن سيصبح لغة رسمية ولغة أم ولغة وطنية؟! والنتيجة الحتمية- حينئذ -هي سيادة اللغة الفرنسية وحدها في الميدان، كبديل جاهز في كل حين لتفاهم الناطقين باللغات الجديدة) الوليدة ( في غياب العربية الوحيدة) !راجع الفصل السادس.)

والدليل الخامس على علاقة الحركة البربرية بالفرنكوفونية والاستعمار الجديد أو « الاستحلال»، كما نسميه، هو أنه على الرغم من تسمية حزبهم « بالتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية » إلا أننا لا نجد نشاطهم منصبا على غير اللغة، واللغة وحدها، فهل

الثقافة والديمقراطية عند دعاة البربرية لا تشمل إلا اللغة؟. إذا عدنا إلى التاريخ فإننا نجد أن اللغة اللاتينية هي التي كانت سيدة الموقف في هذه المنطقة، منذ أن دخلها الرومان، مع أوائل القرن الثاني قبل الميلاد... فلماذا يصب جام غضب دعاة الحركة البربرية على اللغة العربية البريئة التي أنقذت البلاد والعباد من الاحتلال الروماني المسيحي؟ فلماذا تتهم العربية (زورا وبهتانا) بأنها هي التي حطمت البربرية، في حين أن الحقيقة التاريخية الساطعة تثبت عكس ذلك تماما!؟ وأن العربية لم تمس البربرية بسوء منذ وجدت في البلاد، ولعل بقاء اللهجات البربرية المختلفة متداولة بكل تلقائية في كامل أقطار المنطقة المغاربية لأقوى برهان على ذلك!

ولقد كان من الأجدر أن توجه هذه التهمة إلى اللغة اللاتينية (أم اللغة الفرنسية) التي قتلت البربرية، قبل أن توجه إلى اللغة العربية، فالعربية عندما دخلت مع الفتح الإسلامي إلى هذه المنطقة وجدت اللغة اللاتينية هي السيدة الوحيدة، كلغة حضارة وادارة وعلوم بدون منازع... فما كان من اللغة العربية) كلغة عقيدة جديدة ولغة علوم وحضارة راقية(، إلا أن إزاحتها إزاحة طبيعية وعفوية وتلقائية من الألسن والواقع الاجتماعي، لتصبح الوضعية اللغوية في البلاد على الحالة المتجانسة التي وجدها عليها المحتلون الفرنسيون في القرن الماضي، والتي أحدثت الوضعية اللغوية الراهنة.»

وتحت عنوان: «الأمازيغية بالفرنسية» ورد في مقال منشور بجريدة المساء في عددها الصادر بتاريخ 1989/12/18 بامضاء

الكاتب الصحفي عمر أورتيلان جاء فيه:

«...لسنا ندري العقم أم لعاهة فيها بدت في آخر لحظة حالت دون اقتحام الأمازيغية قصر المؤتمرات بنادي الصنوبر لتنبؤاً مكانتها التي من أجل استرجاعها واستعادة سيادتها عقد دعائها وحماتها ومتبنوها مؤتمرهم منذ يومين، هذا المؤتمر الذي يخيل لمن تتبع أشغاله أنه مؤتمر فئة أو شريحة اجتماعية فرنسية متحزبة-لا يهم هنا توجهها -ولكنها فرنسية ومعترزة بفرنسيتها وانتمائها الغربي...لقد أثر هؤلاء وفضلوا استعمال اللغة الفرنسية التي كانت بدون منازع سيدة الموقف والقرار في مؤتمر (الأر.سي.دي (أي التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، وإضافة إلى هذا أيضا الوعاء الذي صبوا فيه أفكارهم، ومواقفهم من جملة القضايا والمسائل التي تناقلتها منشوراتهم، إذ لم تحظ الأمازيغية سوى بالجزء القليل من مساحتها..

قد يرجع هذا إلى عدة معطيات مرجعية، منها أن الأمازيغية لم ترق بعد إلى مستوى الخطاب الثقافي والسياسي، ومنها عدم تمكن كل المشاركين من السيطرة عليها، فاستعمالها بطلاقة في تدخلاتهم ومناقشاتهم، قد يكون هذا وقد يكون ذلك.. غير أن الغريب في أمر هؤلاء دفاعهم المستميت عن اللغة الفرنسية التي طالبوا بإعادة الاعتبار لها وكأنها فعلا تعرضت لإهانة في وقت ما..وليت ذلك حدث فعلا، لأنه شرف لنا ومفخرة.

لقد أهينت الأمازيغية في مؤتمرها، وتلك حقيقة وواقع عاشته لمدة يومين كاملين، فهل مرد ذلك أن حماتها تأمروا عليها، أم أنهم مقمومون فقط عليها، وبالتالي فهم محسوبون على

الأمازيغية وليسوا بأمازيغ أحرار...؟

إن واقع مؤتمر) الأرسى.دى (يؤكد هذه الفرضية إن لم نقل المسلمة والحجة قائمة وتظل إلى أن يثبت العكس. «!...»  
وتحت عنوان «:مؤتمر أمازيغى بالفرنسية «ورد مقال صحفى بجريدة المساء الصادرة بتاريخ 1989/12/17 جاء فيه:  
«مؤتمر مولع بنفسه إلى حد النرجسية، لم يعيه التصفيق بين الحين والحين، من العاشرة صباحا حتى منتصف الليل، لا يستثني من ذلك إلا أوقات الغذاء والعشاء..

فقد قال الأمين العام للحزب مثلا» :أنا أتكلم الفرنسية بلا عقدة، ولا مشاكل «...وذهبت القاعة إلى» ضرورة رد الاعتبار للغة الفرنسية» ...وإلى أن الفرنسية إرث عظيم»، بل وذهب المؤتمر كله إلى أن الفرنسية هي الأصل في النقاش، ولم تستعمل العربية والأمازيغية إلا مرات قليلة جدا في المناقشة العامة، وقراءة التعاليق ...أما الوثائق فلا أمازيغية فيها ولا عربية ولا هم يحزنون ...فنحن أمازيغ بحكم الأصل ويجب أن نعمق علمنا بأصلنا ولكن باستعمال الفرنسية من البدء إلى المنتهى.

وأتعجب لأحدهم حين قال» :أنا أمازيغى منذ أربعة عشر قرنا، ولكنني لا أحسن الأمازيغية «...وكان تدخله بالفرنسية ..ولم يضرب لنا المؤتمر المثل مرة واحدة في أنه أمازيغى قلبا وقالبا من ناحية استعمال اللغة الأمازيغية، فلم يشأ رئيسه أن يكلم الصحفى السورى بغير الفرنسية ليقول له» :لا شيء يربطنا بالعالم العربى «ولوكان

كلمه بالأمازيغية لكان أبعث للسوري ولنا على تقديره.»

تقدم الأمين العام للحزب ليتلو تقريره فبدأ كلامه بعربية بسيطة، ثم انطلق فصيح اللسان بفرنسية متقنة!! وعندما يتساءل صحافي عن جدوى البعد المتوسطي، فجوابه صارم وصريح، إذ أنه يتمثل في الثقافة المتوسطية أي الفرنسية بدون عقدة، وهو مرتاح ومنسجم مع نفسه ولا تكفيه أمازيغيته وعربيته وإسلاميته، ولا بد له من المتوسطية، لأنه مقبل على الألفية الثالثة، والتفتح على الثقافة الأنسانية يأتي قبل الهوية الوطنية، ولذلك لا يتحرج من إن يجيب صحافيا عربيا بالفرنسية ويطلب منه البحث عن مترجم!!

وتحت عنوان «: هل هي دعوة إلى فرنسة الجزائر»! ورد مقال للكاتبة الصحفية فتيحة محمد) الجزائر (بجريدة الشعب في 1990/1/31 جاء فيه :

«في تصريح متلفز لأحد أعضاء الحركة الثقافية البربرية أثناء التجمع الذي انتظم يوم الخميس الماضي أمام مقر المجلس الشعبي الوطني قال فيه» :لقد حاولنا تعلم اللغة العربية ونطلب من كل الذين لا يعرفون اللغة الأمازيغية أن يتعلموها، ولست أدري هل هذا المتحدث يعي ما يقول، أو يتجاهل عن قصد الأبعاد الحقيقية لهذه المطالب التعجيزية!؟

ومهما يكن من أمر فإن القضية واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار. إن الذين وراء هذه المطالب ولا أقول المطالبين يعرفون جيدا الأهداف الحقيقية التي يصبون إليها. وببساطة يريدون ترسيخ اللغة الفرنسية لكي تصبح أكثر من أي وقت

مضى، وإلى الأبد لغة الإدارة والمدرسة والمحيط...والأدلة على ذلك كثيرة منها:

إن هذه الحركة التي تدعي الاستقلالية عن أي حزب توهمنا بمغالطة كبرى ذلك أن أعضاء قياديين في حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية كانوا من العناصر التي لعبت دورا كبيرا، بل رياديا في إضراب 1980 ، وهذا ما بين إن هذه الحركة تابعة إلى هذا الحزب وحركت من طرفه!!

إن إضراب 1980 جاء مباشرة بعد الإضراب الذي شنه أنصار اللغة العربية والذي أتى بنتائج لا باس بها، وهذا ما أدى بعناصر من خارج الوطن إلى تحريك هذه الحركة للضغط على النظام لكي يضع حدا لتغلغل اللغة العربية في الإدارة والتعليم وخاصة التعليم التقني والطبي والتكنولوجي، لأنهم لا يستطيعون مباشرة المطالبة بإلغاء اللغة العربية لأنها دستورية.

فقد بدأت مطالبهم في بداية هذا الإضراب بإعطاء أهمية لما أسموه « باللغات الشعبية » ثم تحولت بعدها مباشرة إلى المطالبة بالثقافة الأمازيغية وحرية التعبير، ثم في الأخير بعدما تم تجنيد أكبر عدد ممكن تحولت إلى الإعلان مباشرة عن عدائهم للغة العربية، وضرورة محاربتها وشتم الإسلام، وأبطال الثورة التحريرية وجمعية العلماء المسلمين والعرب بصفة عامة؟!

وقد نجحوا إلى حد بعيد في مخططهم الذي هوفي الحقيقة مخطط استعماري خارجي لضرب التعريب!!

لماذا لم تطالب هذه الحركة وجميع الأحزاب السياسية التي بدأت هذا التجمع ومن قبل ما يسمى « باللغة » الأمازيغية، بطرد

اللغة الفرنسية لغة المستعمر البغيض! ؟

ولماذا لم تطالب هذه الحركة والأحزاب السياسية « الباكس والأرسي .دي، وحزب الأنسان رأس المال، وحزب القوى الاشتراكية، وحزب العمال» التروتيسكين «من الدولة إعطاء مكانة للغة العربية في جميع المجالات! ؟

ولماذا هذه المطالبة جاءت من منطقة القبائل دون غيرها من المناطق كبني ميزاب والشاوية؟

إن القضية تكمن في شيء واحد ، وهو ضرب اللغة العربية وترسيخ لغة المستعمر بالأمس القريب لا غير، ومن يقول غير ذلك فهو جاهل أو تحركه العاطفة القبلية التي ولى عهدا في عهد الأعمار الصناعية.

وتواصل صاحبة المقال ما يؤكد الدافع والغاية الفرنكوفونية للحركة البربرية فتقول في مكان آخر» :لقد كانت لغة فرنسا هي لغة التخاطب والحوار بين الأغلبية الساحقة من المؤتمرين بل أكثر من هذا فقد كانت محل دفاع عنها في تقرير الجنوب الذي طالب» بإعادة الاعتبار إلى اللغة الفرنسية لأسباب فنية وعلمية «وفي تدخلات عدد من المندوبين يرون إن التفتح على العالم لا يمكنه إن يكون إلا من خلال نافذة الفرانكفونية، بل إن العالم هو فرنسا والدويلات الضعيفة السائرة في فلكها، في حين إن الفرنسيين يشعرون بغربة كبيرة في اروبا الغربية نفسها، ذلك إن الأنجليزية في محيطهم الجيو -سياسي هي السيدة والسائدة دون منازع، وان الألمانية هي أقوى منها في هذه الساحة، وحائط برلين قائم بين الألمانيين، فكيف سيكون وضع

الفرنسية بعد سقوط الحائط وتوحد الألمانيتين الذي يربع الفرنسيين،  
يضاف إلى هذا أن الإيطالية والاسبانية تنازعان الفرنسية على كل  
شبر في المنطقة.

أنصار» التجمع «في موقفهم من اللغة الفرنسية ليس موقف  
الضحية، أي أنهم ضحية التاريخ، والظروف التي جعلت الفرنسية  
سيدة في بلدنا، وجعلتهم من المتعلمين بها جاهلين للغة العربية...  
ولكنه موقف الضحية من التاريخ والظروف التي جعلت  
العربية تنافس الفرنسية في هذا الوطن، فقد ذهب بعضهم إلى حد  
اعتبار الإطارات العلمية الجزائرية في الخارج تحت ما يسمى  
«هروب الأدمغة» ضحية التعريب في الجزائر، ورغم إن التعريب  
لم يدخل بعد الجامعات والمعاهد والمؤسسات العلمية، ولكن رغم  
ذلك فإن التعريب هو الذي اضطهدهم، وجعلهم يحزمون حقائبهم  
ويغادرون الوطن للعمل في الخارج!!

والحل حسب هذه النظرة يجب إن يكون مقلوبا بالطبع ويتمثل  
في إعادة الاعتبار للفرنسية، والتخلي عن التعريب، وهكذا تنقلب  
المعادلة، وبدلا من هروب الأدمغة إلى العالم المتقدم بإرادتنا  
سيمكنون من العودة إلى خدمة فرنسا في أرض الوطن، بكل  
ديمقراطية وشفافية، وبالفرنسية طبعاً!!

ونختم هذه الشهادات التي أدلى بها كتاب صحفيون  
ومواطنون من مختلف مناطق الوطن والوظائف والمستويات  
التعليمية بدليل آخر على ما نقول بهذا الجواب الصريح للناطق  
الرسمي لحزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية حامل لواء  
الفرنكوفونية في الجزائر في إجابة عن سؤال وُجّه إليه كالتالي

من جريدة الشعب:

الشعب: حزبكم لا يعترف إلا بلغتين الأمازيغية والعربية. لماذا الفرنسية إذن؟ وما هو موقفكم من هذه اللغة؟

الجواب: نحن لا نعترف إلا بلغتين وطنيتين في الجزائر وهما الأمازيغية والعربية زيادة على كون هذه الأخيرة لغة رسمية، غير أنه يجب أن نكون منطقيين وهو أن للغة الفرنسية مكانتها ولكن ليس على حساب الأمازيغية والعربية، وباعتبار الفرنسية لغة اتصال وعلم وتكنولوجيا فنحن نختلف مع الذين يقولون بأن هذه اللغة ليس لها مكانتها في الظروف الراهنة وحتى في المستقبل القريب. لكن نحن نعمل جاهدين من أجل أن تصبح الأمازيغية والعربية لغتي علم وتكنولوجيا وإدارة صالحتين للحياة العملية. إذن الجميع يفكر نفس التفكير، غير أننا نختلف عن غيرنا في كوننا نطرح أفكارنا علانية وأمام الجميع، والبعض يفكر لكن يغطي نواياه.»

ويضيف مجيبا عن سؤال يتعلق بالتخوف من قانون التعريب فيقول: «ولماذا التخوف إذا كان القانون، حسب معلوماتنا، يستهدف التقليل من استخدام اللغة الفرنسية في إدارات الدولة أكثر من استخدام الأمازيغية، التي لا توجد في الميدان؟

نحن لا ندخل في هذا النقاش، حيث ننطلق من أمور ملموسة وقانون التعريب يقصي تماما الأمازيغية من الاستخدامات المستقبلية في الحياة العملية للمجتمع، وحتى إذا جاء ليحارب الاستخدام «المفرط» للفرنسية في هياكل الدولة، فنحن ضد محاربة اللغات، إذ نعتبرها ثروة من خلق المولى عز وجل»<sup>(1)</sup>.

وهذا الموقف من الفرنكوفونية بالنسبة لحزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية نجده عند محمد إيدير آيت عمران (رئيس المحافظة السامية للأمازيغية في الجزائر) إجابة عن سؤال لجريدة الشرق الأوسط مفاده:

**كيف تلقيتم أخيرا دخول قانون التعريب حيز التنفيذ؟ فكان جوابه:**

«لقد سقط علينا من حيث لا ندري، كوننا كنا في طريق تحقيق المطالب الأمازيغية، وحل مشكلة الهوية الوطنية، وإذا ببعض الناس، ولو أنهم مخلصون، لم يفهموا تاريخ شمال إفريقيا وتاريخ الجزائر على الخصوص.

ولقد سبق لنا وأن صرحنا أننا ضده لأنه يقصي تماما اللغة الأمازيغية إذ يتحدث عن العربية وحدها من دون غيرها، ومما لا شك فيه سوف يترك «المعربين» يعتقدون أكثر أنهم عرب، ورغم احترامنا للأمة العربية الكبرى، والعرب إختنا حاربنا إلى جوارهم، إلا أننا لسنا عربا، وأول من عبر مضيق جبل طارق ليفتح الأندلس كان بربريا (طارق بن زياد)، لكن تغيير هويتنا لا نقبله. وموقف المحافظة ليس ضد استخدام اللغة العربية أو كونها اللغة الوطنية الرسمية التي نص عليها الدستور، إلا أننا عبرنا عن تخوفنا من التناقض الذي تحمله مواد هذا القانون ونصوص المرسوم الرئاسي الذي أسس المحافظة ويتحدث عن اللغة الأمازيغية»<sup>(1)</sup>.

هذا ما يتعلق بإثبات علاقة البربرية بالفرنكوفونية في الجزائر، أما في المغرب فإن الوضع هو ذاته من العربية والفرنسية، وفي ذلك يقول الباحث المغربي حسن أوريد: «هناك تراتبية بين الطوائف الثقافية في أعلاه تأتي الفرانكفونية ذات التأثير والقوة، ويتمتع

أصحابها ودعاتها بالنفوذ والحظوة إن في الميدان الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثقافي، وأغلب الفرانكفونيين جزء من المنظومة الحاكمة، وقبله هؤلاء باريس، منها يستقون طرائفهم ومرجعيتهم، وهم بذلك يمررون الارتباط مع فرنسا، يدافعون مثلا عن مكانة خاصة للغة الفرنسية باعتبارها نافذة نحو الحداثة أو العصرية والاندماج في السياق العالمي...»<sup>(2)</sup>.

وهو ما يؤكد مصطفى المسناوي الذي اعتبر الفرانكوفونية، أداة لتفجير الهويّات الثقافية، ويقول: «إنّ فرنسا خلّفت بعد رحليها من المغرب العربي، مجموعة من القنوات الثقافية التي مهدّت الطريق لبقاء بلدانه مرتبطة باللغة الفرنسية. ولاحقا بالفرانكوفونية، ويضرب المسناوي مثلا في مجال السينما، ففي مجال السينما، تعودّ المشاهد في المغرب والجزائر وتونس على متابعة الأفلام الأجنبية مدبلجة إلى اللغة الفرنسية، وبالتالي، لا يمكن لشركات توزيع الأفلام المحلية، إقتناء نسخ أفلامها مباشرة من موزعيها الأصليين (من الولايات المتحدة في حالة الفيلم الأميركي مثلا)، بل تجد نفسها مجبرة على شراء النسخ المدبجلة إلى الفرنسية، عبر وسيط فرنسي».

ويوافقه عبد اللطيف اللعبي بقوله: «الفرانكوفونية نقطة ارتكاز للاستراتيجية الاستعمارية الجديدة، إنها بمثابة انبعاث للإمبراطورية الفرنسية، يعود على الفرنسية بامتيازات بروقراطية».

فالفرانكوفونية لغة، هي (صوت-فرنسا)، ويوضح إحصاء 1992

أن هناك مائتي مليون وأربعة ملايين نسمة، يتحدثون بالفرنسية، وقد دخلت فرنسا بعد الاستقلال إلى الأقطار المغاربية، تحت عنوان (التبادل الثقافي) و(التداخل الثقافي للحضارات)، فاللغة الفرنسية، دعامة أساسية

لنقل نمط الحياة الفرنسية والاستعمار الفرنسي قائم على اللغة التي هي هنا الفرانكوفونية.

وتختتم الباحثة المغربية زينب عبد العزيز هذا الموضوع بالقول: «الفرانكوفونية، هي الآلة الحربية التي تساعد فرنسا على الإحتفاظ بمستعمراتها» كما يقولون<sup>(1)</sup>.

وكخلاصة لعلاقة البربرية بالفرانكوفونية كأداة من أدواتها الفعالة، يقول عز الدين المناصرة:

«أولاً: الفرانكوفونية: حالة ومؤسسة إيدولوجية، تهدف الى بقاء السيطرة الفرنسية على إفريقيا العربية، بأسلوب حدائي ثقافي إقتصادي سياسي، وبموافقة من الطرف الذي كان مستعمرا سابقا، بوساطة الآلة العسكرية الفرنسية، وتطوّرت الفرانكوفونية في التسعينات، حيث غيرت ميكانيزمات إقناع الآخرين، تحت شعار: (مقاومة العولمة والتأمرك)، باعتباره هدفا مشتركا للطرفين، الفرنسي والعربي، لكن فرنسا لم تقطع تحالفاتها مع الولايات المتحدة في عدد من القضايا العالمية، واتخذت موقفا وسطيا، تجاه قضية فلسطين، وقضية العراق، بحيث لاتغضب الولايات المتحدة وبريطانيا ولا تزعج التيار الفرانكوفوني العربي، لكي يستطيع هذا التيار أن يدافع عن الموقف الفرنسي، ومن جهة أخرى، يستمر الصراع بين فرنسا والولايات المتحدة على إفريقيا بكاملها.

ثانيا: تتحلى الفرانكوفونية الثقافية في الترويج للفرنسية، بشتى الطرق: الترغيب، والترهيب، والتخويف من سيطرة الإنجليزية (الأنجلوفونية)، لكنها في عدائها للهويّات العربية والإسلامية، حاربت اللغة العربية وشككت في إمكانية تطويرها، إنطلاقا من مفهومي: (اللغة الحيّة- اللغة التقليدية)، و( اللغة الراقية- اللغة المتخلفة)،

وساهمت فرنسا في الترويج للعاميات العربية، واللهجات ولغات الأقليات، تحت شعار ( التعددية الثقافية) لكي تتصارع هذه اللهجات واللغات مع اللغة العربية، في حين تبقى الفرنسية ، هي الحلّ الواقعي والممكن، وتسالت الفرنسية الى نظام التعريب وعطلته، ومنعته من النمو الطبيعي»<sup>(1)</sup>.

## الفصل التاسع

علاقة الحركة البربرية بالشيوعية

انطلاقاً من أن الشيوعية العالمية أكبر عدوللقوميات، على اعتبار أن القوميات تدعوى التمييز بين الأمم) على أساس العرق أو الدين أو الثقافة واللغة (وبقطع النظر عن التطبيقات التي يفرضها المستوى الاقتصادي لأفراد الأمة الواحدة، فإن الشيوعية تعمل دوماً على الحيلولة دون قيام الوحدات القومية القوية، ومن ثمة فهي تعمل جاهدة على تفتيت وتمزيق ما هو قائم منها أصلاً!

ومن هذا المنطلق عرف مصطلح « الأمم السائرة في طريق التكون » الذي اخترعه ولأول مرة « مورييس طوريس » رئيس الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1936 ، للإيحاء به للبلدان والشعوب المحتلة والتواقفة- حينئذ -إلى التحرر من الهيمنة الاستعمارية الفرنسية) وفي مقدمتها الجزائر (بأنها عبارة عن مجموعة من الخليط القومي المكون من مزيج لا حصر له من الأعراق واللغات والثقافات والديانات، التي تحول دون تشكل هذا الخليط في هيئة أمة واحدة متماسكة الأطراف، في أهم أركانها الثقافية، ومن ثمة وصفت الجزائر بأنها أمة في طور التكون «بالمفهوم الطبقي الماركسي «شريطة أن تسير في النهج الشيوعي، وتتمسك بمبادئه تمسكاً لا محيد عنه...وقد وقع الكثير من السذج في هذا الفخ الشيوعي، بدليل أن كل أقطاب الحركة البربرية في الجزائر اليوم» وخاصة من كبار السن «كانوا أعضاء عاملين في الحزب الشيوعي الفرنسي الذي أصبح فيما بعد جزائرياً بالاسم فقط، زيادة في التمويه والتضليل !وكان من نتيجة ذلك أن انكشف أمرهم وطردها من صفوف الحركة

الوطنية الجزائرية المتمثلة حينذاك) في الأربعينيات (في حزب الشعب الجزائري، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، ومن بينهم رئيس الحزب الشيوعي الحالي في الجزائر المعروف باسم حزب الطليعة الاشتراكية (والذي كان شيوعيا بربريا. وطرد من حزب الشعب الجزائري سنة 1949 لموقفه من وحدة الأمة) لسانا ودينا (التي كانت تنادي بها الحركة الوطنية الجزائرية، وفي مقدمتها حزب الشعب الجزائري، وكافح تحت لوائها حتى تفجير الثورة المسلحة سنة 1954 التي توجت باسترجاع الاستقلال السياسي سنة 1962 كما هو معلوم، وفي ذلك يقول السيد بن يوسف بن خدة في كتابه) :جذور أول نوفمبر» : (1954 إن أنصار النزعة البربرية لم يكونوا متأثرين بإيديولوجية الاستعمار الفرنسي فحسب، بل أيضا بالأيديولوجية الشيوعية . وللتذكير فان الشيوعيين كانوا يعارضون مفهوم « الأمة الجزائرية »المكونة سابقا، وإنما كانوا يدافعون عن مبدأ « الأمة الجزائرية في طور التكون »ابتداء من التعايش على نفس الإقليم لمختلف الجاليات (أوالقوميات :العربية، البربرية، اليهودية، الايطالية، المالطية، الاسبانية، الفرنسية، رافضين هكذا الدعامة أوالرابطة العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري .وكانوا في أوج ارتقائهم غداة الحرب العالمية الثانية 1946-1947 وكان يتسم الحزب الشيوعي الجزائري بالقوة، نتيجة المساندة التي كان يلقاها من نظيره الحزب الشيوعي الفرنسي .هذا الحزب الذي وصل تعداداه إلى مليون منخرط وأكثر من خمسة ملايين ناخب، و 166نائب في الجمعية الوطنية الفرنسية .وقد كان الحزب الشيوعي

السوفياتي يعتبر نفسه حاميا للاتحاد السوفياتي، لانتصاره على ألمانيا النازية، ونتيجة لذلك انتشرت بقوة أدبياته في الجزائر وكانت تستهدف- بالخصوص -الشباب المثقف!

ولهذا ولع الشباب البربري بالماركسية وكذا بدستور الاتحاد السوفياتي الذي مجد نظام الجمهوريات الإسلامية»: أذربيجان، الأوزباكستان، طاجيكستان، ... إلخ حيث كانت تؤكد أن كل شعب وكل عرق كان يتمتع بلغته الخاصة، وثقافته ويستفيد من «الاستقلالية» في تسيير شؤونه. وكنا نجد هذه الحجة غالبا عند الأشخاص الذين تحولوا إلى أنصار القضية البربرية.»

إلى أن يقول في مكان آخر...»: «عوقبوا) أي أعضاء الحركة البربرية من المندسين داخل الحركة الوطنية الجزائرية ( على مؤامراتهم التجزئية، وقد التحق معظم المطرودين بالحزب الشيوعي، منهم صادق هجرس الذي أصبح أحد قاداته، وما يزال إلى اليوم قائده الأول(1)»...

ويضيف قوله في مكان آخر ...»: «وموازاة مع هذا قاموا بحملة دعائية حادة معادية للعرب والمسلمين، والمستمدة من أدبيات الشيوعيين ومنظري الحركة البربرية ... وكانوا يدعون أن هذا الدين) الإسلام (والعرب، ولغتهم كانت السبب في منعنا من التقدم وهي سبب كل مأسينا، انه دين الشعوب المتخلفة.(2)» وهو ما يؤكد أنه أحد مسؤولي الحركة الوطنية الكبار المجاهد عمر بوداود في مذكراته حيث يقول: «دُعيت وقتها لجلسة عُقدت في بعض غرف الطلبة في نهج ميلوز، أذكر بوضوح أنني التقيت

فيها ب) يحيى هنين وصادق هجرس، ومبروك بلحوسين )  
وأشخاص آخرين... كانوا يحاولون بسط مشروعهم، الذي يؤكدون  
فيه على أن حزب الشعب الجزائري قد أخفق في مهمته، وبأن  
الحل الوحيد يكمن في الالتحاق بالحزب الشيوعي الجزائري .  
لاحظت وجود إحدى الوجوه المناضلة المعروفة في الحزب  
الشيوعي الجزائري يدعى) أوكانا(، ثرت في وجه الحاضرين  
قائلاً: «كل هذا إذن من أجل الالتحاق بصفوف الحزب الشيوعي  
الجزائري؟! ما الداعي إلى القيام بكل هذه المناورات من أجل  
الارتقاء في حزب موريس توريس، كان من الأليق لو أعلمتمونا  
بذلك مسبقاً. كل هذه هي في نظري أمور تفتقر إلى الجدوة قلت  
لهم وداعاً وغادرت المكان.»(1)(\*)»

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن اعتبار الدين من ألد  
أعداء الشيوعية التي تعتبره «أفيون الشعوب» «فكان من المنطقي  
والطبيعي أن تتحالف الشيوعية الجزائرية- والحالة هذه -وتعمل  
مع كل من يناصرها ضد العدو المشترك، وإدراكاً من قاداتها  
المحترفين، بأن الإسلام في الجزائر كان- وما يزال -يمثل أس  
الأساس في التمييز الثقافي، وبالتالي التمييز  
القومي(العربي-الإسلامي) للجزائر، بصفتها جزءاً أصيلاً من الأمة  
العربية الإسلامية، كما ينص على ذلك دستورها الحالي) المجدد  
في (1989/2/23) والذي يعتبر الإسلام واللغة العربية من الثوابت  
التي لا تقبل المناقشة، أوالتعديل كركائز أساسية للهوية والوحدة  
الوطنية للشعب الجزائري... فمن هذه الزاوية كان تركيز الحزب  
الشيوعي الجزائري والفرنسي معاً منصباً على دعم وتشجيع

الحركة البربرية المعادية للعربية بالدرجة الأولى، والتي تدفعها معاداتها للعربية) كلغة غريمة وعدوة (إلى محاربة الإسلام، عامل وجودها ورسوخها في المناطق المحسوبة على البربرية ذاتها، فضلا عن المناطق الأخرى، التي زالت آثار البربرية من على ألسنة سكانها منذ مئات السنين، كما هو معلوم... والدليل على هذا التحالف الواضح الأسباب بين الشيوعية والحركة البربرية وجود مؤيدين لهذه الأخيرة ومدافعين عنها من بين الشيوعيين الجزائريين (المعريين والمفرنسين (على حد سواء، حتى من الذين لا يعرفون أية كلمة بربرية، ولا يمتون بأية صلة وصل جغرافية) أولهجوية ) إليها، ومن هؤلاء على سبيل المثال نذكر الأديب الشيوعي (بالفرنسية (كاتب ياسين الذي يعتبر من أكبر الدعاة إلى ترسيم الدارجة الجزائرية بالحروف اللاتينية، كمنافس للغة القرآن، في المناطق المعربة، وإلى إحياء البربرية وترسيمها بالحروف اللاتينية- أيضا- في المناطق التي ما تزال مستعملة فيها كأحدى اللهجات المتداولة في الحياة اليومية) كداول العاميات العربية إلى جانب الفصحى في كافة أقطار الوطن العربي من المحيط إلى الخليج)، كما يعتبر أكثر الكتاب معاداة للإسلام والمطالبة بشن الحرب ضده دون هوادة لاعتباره السبب الرئيسي في تعريب البربر بعد الفتح الإسلامي (...مما حدا به إلى تأليف مسرحية معروفة في مطلع الستينيات من القرن العشرين بعنوان) يامحمد خذ حقيبتك (ومحمد هنا يرمز إلى الإسلام والعربية في نفس الوقت، كما هو واضح من العنوان، وقد صرح مرة في إذاعة فرنسية) سنة 1986 بأن العدو الأول للبربرية في الجزائر

هو الإسلام، ومن ثمة يجب القضاء عليه، وقال حينئذ إذا كان أجدادنا البربر قد انهزموا أمام الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي فمن واجبنا اليوم، وبإمكاننا ذلك، أن نثار لأجدادنا ونحن أقوى وأفضل حالا منهم قبل 14 قرنا!!

هذا موقف واضح لأحد دعاة الحركة البربرية من الشيوعيين الذين لا يعرفون البربرية، ولا يتحدثون بغير الفرنسية حتى في الحياة اليومية العامة، أما النوع الثاني من الشيوعيين المعريين المتعاطفين مع الحركة البربرية مع جهلهم أيضا لغير العربية) فصحاها وعاميتها (فهو الكاتب الروائي) بالعربية (الطاهر وطار، الذي يشن حملة في الوقت الحاضر على العرب والعربية ويدعو إلى اتحاد مغرب بربري، ويدافع عن إخوانه- في العقيدة -) أكراد الجزائر (المظلومين والمقهورين من طرف) دعاة القومية العربية، والبعثيين (... ومما قاله في آخر كتاباته حول هذا الموضوع ...» :عادة ما يكتفي بعض المعريين عندما يعالجون القضية البربرية بالسخرية والتهكم منذكرين الأكراد ومذكرين بهم، منطلقين في ذلك من رؤى ومفاهيم الخمسينيات، حيث كان المد المفهومي الوردية للقومية العربية يطغى على كل موضوعية وعلمية، وترتب على ذلك معاداة باقي القوميات.<sup>(1)</sup>»...

وهنا نلاحظ معاداة القومية العربية، من منطلق شيوعي كما أشرنا قبل حين في مستهل هذا الفصل، وإمعانا في التفنيت لهذه الأمة لحساب الفكر الأممي أو الدويلات، أو الامميات الطائفية الفسيفسائية، الكائنة أو الواقعة في طور التكون (...). يضيف الطاهر وطار قائلا في مكان آخر...» : هذا المغرب البربري،

الحقيقة الموجودة ليس له ألف مطلب، إنما له مطلب واحد هو عدم السماح لا لنفسه ولا لغيره بخنق أصوات أجداد اخترقت تلافيف التاريخ وجراحاته ووصلته في عصر ترقى فيه وسائل الهيمنة الحضارية، ويزدهر فيه التعليم وتشتد فيه حماية الضعفاء، ولمن يتساءل هل يحدث مثلما يحدث في الجزائر على مرأى من الدولة في مناطق أخرى، إنه في مختلف بقاع العالم بدءا من اسبانيا إلى التبت، إلى إثيوبيا والسودان. تنطرح المسائل القومية والعرقية والطائفية والأقليات بصفة عامة، بمختلف وسائل الطرح بما في ذلك العنف، وليس غير العرب يهولون قضاياهم ومشاكلهم ويواجهونها بالعاطفة، بدل المعالجة العقلانية الصريحة والهادئة.(1)»...

وتأكيدا لما ذهبنا إليه من تحليل نورد ها هنا نصا للمؤرخ الجزائري الدكتور إبراهيم لوني، حيث يقول في رده على هذا الكاتب الشيوعي عن مقاله المذكور ما نصه «...»: عندما طالعت مقالة الطاهر وطار) في البربرية وقضايا أخرى (أصبت بخيبة أمل كبيرة جدا لا لشيء إلا لتحامله الكبير على بعض الباحثين المجدين من دكاترتنا الذين تناولوا هذه القضية بدراسة تحليلية وعلمية وبصفة أخص فهو يقصد أستاذين لهما مكانتهما المحترمة في الأوساط الجزائرية المثقفة (\*) وإني أتساءل في استغراب ما هي الأسباب الكامنة وراء ارتدائه لعباءة البربرية في هذا الظرف بالذات، وأين كنت موجودا طيلة السنوات الماضية يا سي الطاهر؟ وإذا كنت هكذا غيورا على هذه الثقافة فلماذا لم تخصص لها رواية من رواياتك الخليعة وأن تقدر فيها الثقافة البربرية

بدلاً من تقديسك للشيوعية ياسي الطاهر؟ (1)» ثم يضيف الكاتب المؤرخ متسائلاً في استغراب قوله:

ويقول زعيم حزب شيوعي آخر مساند للحركة البربرية (P.S.T) ومعتزف بمطالبها... بأن اللغة العربية الفصحى ليست لغة الشعب الجزائري، ومن يدعي ذلك فهو شوفيني متعصب، كما دعا زعيم هذا الحزب إلى استبدال الفصحى لغة القرآن الكريم المقدسة في البلاد (وترسيم اللهجة العامية الجزائرية بعد تطويرها إلى لغة ووضع قواعد لها للتمكن من تعليمها واستعمالها في الحياة الرسمية والاجتماعية في البلاد... على غرار ما حصل للهجات اللاتينية التي انفصلت عن اللاتينية الأم في كل من فرنسا وإيطاليا وإسبانيا ورومانيا والبرتغال... لتصبح لغات قومية ورسمية في هذه البلاد... والغرض من وراء هذه الأدوار المنسقة كلها، للأحزاب ذات المنطلقات الشيوعية والفرنكوفونية... في الجزائر، هوتعاطفها وتحالفها المعلن وغير المعلن، مع الحركة البربرية لضرب اللغة الفصحى عماد القرآن، ورمز الوثائق العربي الإسلامي الذي يربط الجزائر العربية المسلمة بغيرها من البلاد في محيطها الثقافي والروحي والطبيعي الذي عرفت فيه وعليه منذ 14 قرناً من الزمان! والهدف الواضح من هذا الطرح هو القضاء على الإسلام والقرآن بالقضاء على الفصحى من التداول على السنة المسلمين، وتلحق الجزائر بتركيا العلمانية بعد مصطفى كمال، وهو مكسب لا يستهان به -إن تحقق- لصالح المعسكر المعادي للإسلام مهما يكن لونه السياسي!!

هذا فيما يتعلق بالأسباب المباشرة وغير المباشرة التي دعت

إلى التحالف أوالتأييد من الأحزاب الشيوعية للحركة البربرية لتلاقي مصالحها في محاربة الإسلام، والقضاء على لغة القرآن، لإبعاد عباد الله عن دين الله.

وعن هذه العلاقة بين الشيوعية والبربرية يقول الباحث المغربي أحمد عصيد في «دفاتر سياسية»: «وكان الصراع السالف الذكر على السلطة، والذي كان بين طرفين مصنفين آنذاك في إطار» القوى التقدمية «من جهة و»القوى الرجعية «من جهة أخرى، أثر كبير على توجيه النخبة الثقافية التي انقسمت بدورها إلى» مثقفين رجعيين «ارتبطوا بالسلفية الوطنية أو بالنخبة الإدارية الليبرالية الممثلة لتوجهات النظام السياسي، و«مثقفين تقدميين» حملوا ولو بأشكال مختلفة- الخطاب الاشتراكي الذي يستلهم أدبيات الفلسفة الماركسية والمنهج المادي التاريخي، وكان جوهر الصراع آنذاك هو دعم الخيار الشعبي أي الانحياز» للجماهير المسحوقة «ونقد السياسة الرسمية الممثلة لمصالح» البرجوازية الطفيلية «المتحالفة مع» النظام الرجعي «والتي تعمل على نهب الثروات الوطنية على حساب أغلبية الشعب المغربي (1)»

وحول هذا الموضوع الخاص بنضال نشطاء الحزب الشيوعي المستمر في حربهم ضد الفصحى لحساب البديل البربري والفرنسي والعامية يقول عز الدين المناصرة: «بينما نجد آسيا جبار ترى أن هنالك مشكلة في التعبير بالفرنسية، رغم أنها تكتب بها، وتجد مولود معمري، وكاتب ياسين يريان أهمية الفرنسية باعتبارها عامل إثراء للثقافة الجزائرية وكاتب ياسين أيضا، يرى أن الغنى في الثقافة

الجزائرية، يأتي من تجاور اللغات العربية- الفرنسية- الأمازيغية، وفي عام 1984، أي بعد الاستقلال باثنين وعشرين عاما، يرى كاتب ياسين، أن الحل يكمن في استخدام العامية الجزائرية، وهو يبرر هذا الحل، بما يلي: (هناك إغتراب، واقعي، يعيشه الكثير من مثقفينا وكتابنا، لكنّ التخلص من الاغتراب، لا يمكن أن يتم، إلا عبر العربية الشعبية التي تقرب المثقف الثوري من الشعب منبع كل عبقرية وإبداع»<sup>(1)</sup>.

وتحت عنوان «: ذنب لا يغتفر» يقول الباحث الجزائري عبد القادر خليفة ردا على هؤلاء الشيوعيين الذين يحاربون الفصحى ويدعون إلى ترسيم العامية الوطنية في مقال جاء فيه: «بتاريخ 89/10/04 طالعنا صحيفة (ال) الشعب (تحت عنوان) قضايا التعددية، والديمقراطية (التمخضة عن ندوة الأحزاب السياسية في يومها الثاني والأخير، بآخر المناقشات التي دارت بين الطلبة، والأساتذة الحاضرين، وممثلي الأحزاب السياسية الحاضرة، ومن بين القضايا التي دار حولها النقاش ونقلتها إلينا) الشعب (موجزة، هي إشكالية اللغة التي علق عليها ممثل الحزب الاشتراكي للعمال بقوله» :اللغة العربية الفصحى ليست بلغتنا (...). ومن لا يؤمن بهذا فهوفاشي ! ولذلك يجب علينا (تطوير (العربية، وخلق لغة جديدة يفهمها الشعب كله، ويتعامل بها.»

تري ماذا يقصد بكلامه هذا ؟ ثم إن اللغة الفصحى ليست بلغتنا فما هي لغتنا إذن هل هناك)عربية (أخرى أكثر تطورا من

«الفصحى»؟ من هو المعنى بهذا الكلام، أهو الشعب الجزائري أم  
مناضلو حزبه؟

-إن الشعب الجزائري قال نعم للغة القرآن الكريم وأنا على  
بينة بأن ممثل الحزب الاشتراكي للعمال هذا يعلم إن القرآن نزل  
عربيا فصيحاً، فهل يكون الشعب باعتناقه للقرآن العربي الفصيح  
فاشياً؟ إننا لو أخذنا بهذا الكلام وحددنا أبعاده لقلنا بأن هذا المتقول  
(ممثل الحزب الاشتراكي للعمال) نسي أن يقول أيضاً أن الإسلام  
ليس بديننا، وأن الفاتحين ليسوا بحملة رسالة إنسانية، إنما هم  
غزاة إرهابيون! كيف لا، وقد كنا بربرا لنا لغتنا غير العربية  
الفصحى، ولنا ديننا غير دين الإسلام؟<sup>(1)</sup>!

وهو ما يؤكد الباحث الجزائري السعيد محفوظ في مقال  
جاء فيه: «عملاً بحق الرد، إليكم هذه الرسالة التي صراحة  
أجديني أصرح بادئ ذي بدء أنني ما كنت لأكتبها لولا أن ألمني  
مقال جاء في جريدة المساء الصادرة بتاريخ 27 سبتمبر 1989  
تحت عنوان» ويبقى وطار في صف الكبار!!«لصاحبه المدعو  
عبد الرحمان بن الحسين من العناصر، بالجزائر العاصمة. هذا  
المقال الذي يدافع به كاتبه عن إنسان ظهرت نزعته الجاهلية  
وانجلت آراؤه الهدامة التي تصب في إناء الاستعمار مؤخرأ،  
بفضل ما سمي بحرية الرأي أو الشفافية أو الديمقراطية  
أو الفوضى، باسم هذا كله ترتكب أبشع الجنايات على شعب  
بأكمله ومقوماته الأساسية اللغة والدين والأنتماء العربي الإسلامي.  
ويضيف صاحب المقال المردود عليه قوله ..: «إننا نرفض

النزعة البعثية التي فشلت في المشرق ويريد هؤلاء الهالليون الجدد إحياءها في المغرب والجزائر بالذات «...من قال لك هذا يا هذا؟ إن الذي أسر لك بهذا الكلام إنسان جاهل ومعتوه.(1)» وتأكيذا لمعاداة الأحزاب الشيوعية للفصحى يقول الباحث الجزائري عبد القادر خليفة: «هذا ما فهمته من كلام ممثل الحزب الاشتراكي عندما نفى) الفصحى(، وستم كل من يؤمن بها منا نحن الجزائريين

-إن) العربية (في الحقيقة، قبل الإسلام كانت فروعا مختلفة اللفظ والمعنى، واللحن، والرسم لكنها مع كل هذا الاختلاف فهي تعود إلى أصل واحد): دون أن يصل العلماء إلى تحديد هذا الأصل، ويذهب بعضهم إلى أنه هو لغة آدم التي علمه اله بها الأسماء(\*)، ولما جاء الإسلام ظهر هذا الاختلاف جليا بين حفاظ وقراء القرآن الكريم من العرب(\*\*)، وكلنا يعلم كيف قضى هذا الاختلاف في عهد عثمان بن عفان)رضي الله عنه(، فأصبح المصحف نسخة واحدة، هي التي بين أيدينا اليوم، ولذا لا ينبغي أن نفهم اللغة العربية الفصحى بهذا المنظار الضيق، لأن العربية لم تكن فصحى إلا بفصاحة كلام الله) القرآن الكريم (ولم تكن عظيمة ومقدسة إلا بعظمة وقداسة كتاب الله.

-فبناء على هذه الحقيقة الثابتة أقول : العربية الفصحى لغتنا ومن لا يؤمن بهذا فهو الجاحد الفاشي. فإذا كان ممثل الحزب الاشتراكي للعمال يؤمن بالله، وينصر دينه)الإسلام (فكيف له أن يتنكر للعربية الفصحى، وهي اللغة المباركة التي اختارها الله عز وجل من بين اللغات الأخرى، فانزل بها هديه، ووضح

بها تعاليمه إلى الناس أجمعين.

-إن ممثل الحزب السالف الذكر يرى بأنه لابد من عربية جديدة متطورة يفهمها الشعب كله فهل معنى هذا أن الله عز وجل قد أخطأ لما اختار العربية الفصحى ليلبغ بها تعاليمه الربانية السحاء إلى كافة الناس ؟ هل يكون قد أخطأ وهو العزيز الحكيم ؟ هل يمكن أن نقول لله عز وجل أنك أخطأت عندما خاطبت عبادك بالعربية الفصحى التي لا يفهمها كل الشعب، ولا يتذوقها لتخلفها، وعدم تطورها؟ وهل أن العربية الجديدة المتطورة، والمزعومة التي تراود خيال ممثل الحزب الاشتراكي للعمال، تكون أكثر تطورا من العربية الفصحى؟ الجواب أقول: شتان بين العربية الفصحى» لغة القرآن «واختيار الرحمان، وعربية الأحلام» المتطورة «التي هي من صنع الأنسان! فالفرق واضح، والدليل قاطع، أما الفرق) فالفصحى (إعجاز بلاغي، ولغوي وبحر فكري، وعلمي، وذوق سحري، بالغة كل وصف، وكل معنى، ولغة ثابتة غير زائلة.أما العربية التي يبحث عنها ممثل الحزب الاشتراكي، فلا علم لي بها، ولا أظن أنها موجودة حتى في الأحلام، أما الدليل :فالعربية الفصحى يكفي أن الله عز ووجل قد خاطب بها البشرية جمعاء في كتابه الحكيم، ولم يقتصر بها على شعب معين، وهذا ما يثبت تطورها، ومكانتها الرفيعة بين كل اللغات الأخرى، ولا يمكن لنا أن نوازي حكمة الخالق بحكمة المخلوق، وان نحن نؤمن بالفصحى، فهذا لنكون مسلمين)محمديين (لافاشيين)موسولينيين (فالفاشية كلمة لا إنسانية لا أخلاقية، لا حضارية..كلمة تعني إحلال عصبية الجاهلية

الجهلاء التي دمرها الإسلام وأنقذ البشرية من شرها، وقد استطاعت العربية الفصحى إن تحوي كل معارف، وآثار، وعلوم الأمم الأخرى التي دخلت تحت حوزة الأمة الإسلامية، فهذبتها، وطورتها، ثم تجاوزتها إلى حد الإبداع، والابتكار المحلي الأصيل، ولولا) الفصحى (لجنت القرون الوسطى بظلالها على أوروبا، فالفصحى هي الأرشيف التاريخي الأثري الذي حفظ معالم حضارات الأمم من الأندثار، فهل كثير على الفصحى أن ندين لها بشيء من الجميل والعرفان؟ هل كثير عليها أن نؤمن ونعتز بها؟ إن) الفصحى (ليست لغة العرب وحدهم، بل لغة الكل وهذه هي الحقيقة التي يجب إن تظهر للوجود وتدعم حتى تنتصر كما انتصرت في بلاد الفراعنة والفرس، وغيرها من البلدان الإسلامية الأخرى. أما البربرية أو الأمازيغية فهي ارتنا الذي نعتز به ولا ينبغي أن ننكره، لأنه امتداد لإرثنا العربي الإسلامي الحضاري العريق... الأمازيغ فضلوا أن يلقبوا بالبربر على أن لا ينطقوا لغة الرومان) لغة الحضارة في ذلك الوقت ( ولكن نطقوا) الفصحى (واستأنسوها، وخدموا بها الإسلام طويلا، بل دافعوا عنها أيما دفاع حتى أنهم خلدوها، وثبتوا جذورها التي استعصى اقتلاعها على أيدي فرنسا وكل الأعداء، فيها وبهم وجدت الجزائر العربية الإسلامية، ووجد المغرب العربي الكبير. -فقصدي من هذا التحليل أني أردت القول بأن الذي ينفي العربية الفصحى في بلادنا، معنى ذلك أنه ينفي الإسلام) كتابا وسنة (أيضا في وقت نحن مطالبون بالعودة إلى كتاب الله، وسنة رسوله الكريم محمد عليه الصلاة والسلام .. ومطالبون أكثر

بدراسته والتعمق فيه لكشف كنوزه الإلهية النورانية غير الفانية، وحتى نظفر بهذه الكنوز علينا أولاً إتقان اللغة العربية الفصحى، واستيعابها جيداً، بل وجعلها تفرض نفسها حتى في الشارع أيضاً، وهنا يتحقق « التطوير » ويكون التعامل بها مفيداً.

-نريد الفصحى لكي نسمو بالقرآن الكريم، ونرقى به إلى مجتمع متخلق متطور، فهي الحصن العتيد الذي يحمي مقومات شخصيتنا، ووطنيتنا من التزييف والانحراف، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، وبتحليل سياسي) مرحلي (أدق، نسأل ممثل) الحزب العمالي (ما إن كان يقتصر على فئة معينة تناضل من أجل عرقية، وعصبية..؟ إنه على الأقل كان يحترم الفئة التي تؤمن بالعربية الفصحى حتى يكون ديمقراطياً أكثر!!

-الحقيقة أن ما صرح به ممثل الحزب الاشتراكي للعمال ما هو إلا شطحة مأكرة، ونزعة عرقية خبيثة، وتصور مريض لمستقبل) اللغة (ببلادنا، وتمثيل ساقط للحزب، فقبل إن تكون شطحة) شجاعة (فهي خيانة، ومغالطة حضارية لا تحمد عقباها، ولا يغتفر ذنبها.(1)»

## الفصل العاشر

### علاقة الحركة البربرية بالصليبية والحركات التنصيرية

من سخريّة القدر أن يقع تحالف مريب) وغير طبيعيّ بالمرّة (بين الشيوعية من جهة) كما بيّنّا في الفصل السابق (وبين رجال الكنيسة المسيحية في الجزائر والمغرب، لتشجيع الحركة البربرية، في بؤرها ذات الأقلية المسيحية، ضربا للإسلام الذي يمثّل العدو المشترك للجميع) أي البربرية والمسيحية، والشيوعية معا (ومن ذلك تمركز البعثات التبشيرية المسيحية منذ عهد الاحتلال في المناطق ذات التعامل باللهجات البربرية وقد استمر هذا الاهتمام حتى الآن، والدليل على ذلك هو الاهتمام الملحوظ من رجال الكنيسة المسيحية في الجزائر وتحمسهم الشديد إلى ترجمة بعض قصص الكاتب الشيوعي الجزائري الطاهر وطار،

وذلك لنشر ما تتضمنه تلك القصص المعادية لقيم الإسلامية من أفكار يرون انه من الفائدة بمكان نشرها باللغة الفرنسية لتعميم الفائدة لدى ناشئتنا المغتربة، ولدى كبار السن من المواطنين الذين لا يقرؤون باللغة العربية، وهذا إلى جانب عامل نشرها، والدعاية لها ولصاحبها، لتشجيعه على المزيد من اتخاذ المواقف المؤيدة للحركة البربرية) كما سبقت الإشارة (وهذا كله بأمل إبعاد الشبيبة بقدر الإمكان عن الوطنية والعربية والإسلام، تأثرا بالكتابات الشيوعية الإباحية لهذا الكاتب وغيره أيضا، محاولين المساهمة في إفساد أخلاق الشبيبة وإبعادها عن الأخلاق والثقافة الإسلامية، وعن الدين المتأصل في المجتمع إلى) اللاأخلاق واللادين (أوإلى اللائكية والشيوعية كأضعف الإيمان» خدمة «للكنيسة) في اعتقادهم (أفضل من أن يبقى هذا الشباب في حظيرة الإسلام، بعد إن فشلوا فشلا ذريعا في تنصيره بالكيفية التي خطوا لها، وإدخاله في حظيرة الفاتكان!!

وذلك اقتناعا من رجال الكنيسة بأن انحلال وإباحية ولا دينية الشباب الجزائري أقل خطرا على المسيحية والبربرية من بقاء الإسلام راسخا كما هو الآن في عقول وقلوب ملايين الجزائريين من الشباب المؤمن الذي يلتف ويناضل في صفوف الأحزاب الوطنية ذات التوجه الإسلامي، ومن مظاهر هذه المحاولات المماثلة، رعاية رجال الكنيسة في الجزائر لكل الملتقيات التي تنقب عن التراث البربري المسيحي في كل بقعة من التراب الوطني الجزائري، في الهقار أوفي الشمال، وكمثال حي على ذلك إقامة ندوة برعاية) الأسقفية الكنسية (في الجزائر

(في شهر ماي من سنة 1989 تحت عنوان « جزائرية القديس أوغسطين »وهو الفيلسوف الجزائري المسيحي المثقف والكاتب باللاتينية والذي عاش في القرن الثالث بعد الميلاد، والمدفون في مدينة بايطاليا، حيث توجد كنيسة ضخمة تحمل اسمه بمدينة عنابة بالشرق الجزائري بنيت في عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر !وهذا التحالف المسيحي الشيوعي مع دعاة الحركة البربرية في الجزائر يذكرنا بتأييد الشرق الشيوعي والغرب اليهودي) المتمثل خصوصا في أمريكا وإسرائيل (للعقيد الانفصالي) الشيوعي -المسيحي -الوثني) (جون غارنغ (في جنوب السودان، لضرب شماله العربي المسلم !! وهذا كله يدخل كما هو واضح في خطة بعيدة المدى تخدم فكرة تحقيق مبدأ اللاتجانس القومي الذي أشرنا إليه في فصل سابق، والذي كان يدعيه الجنرال دوغول) رئيس الجمهورية الفرنسية الخامسة ( أثناء حرب التحرير الجزائرية المسلحة، لسد الباب أمام كل مطالبة بالاستقلال عن فرنسا، من قبل الشعب الجزائري العربي المسلم على امتداد 14 قرنا، كما سبق التوضيح والتحليل في الفصل الأول والثاني ..وإدراكا من الكنيسة الاستعمارية الفرنسية بأن استقلال الجزائر عن فرنسا هو هبة صادقة من الإسلام والعربية اللذين لولاهما لكانت الجزائر اليوم أندلسا ثانية، وجزءا من السوق الأوروبية المشتركة، أي مثل غرناطة أو مرسيليا !ولهذا الغرض كان التحالف المسيحي- الشيوعي الذي لا يجمع أطرافه إلا شيء واحد ، هودعم الحركة البربرية لضرب الإسلام واللغة العربية والوحدة الوطنية للجزائر المستقلة!!

وتأكيدا لعلاقة الحركة البربرية بالتنصير والمسيحية يقول أحد الكتاب الجزائريين ما يلي: «لقد زحفت علينا الصليبية قديما من الغرب المسيحي واليوم بدأت زحفها علينا من نادي الصنوبر (بالجزائر العاصمة) (لتدوس بأقدامها على مقدسات شعبنا من ثوابت ومبادئ استشهد من أجلها عشرات الملايين من الشهداء على مدى 130 سنة) من 1830 الى. (1962)

وأخيرا أضم صوتي لصوت المجاهد مصطفى بن عودة الذي طلب في المؤتمر الاستثنائي الأخير لحزب «جبهة التحرير الوطني» «بكشف حزب فرنسا في الجزائر، لأن المبادئ التي تبناها حزب المرثدين هي نفس المبادئ التي تبنتها فرنسا منذ 1830 وعملت المستحيل على تحقيقها، إلا أنها فشلت كما قلت أمام صلابة الشعب الجزائري الذي لم يتخل يوما عن دينه ولغته، وهاهي فرنسا اليوم تعيد الكرة عن طريق بعض المرثدين وسيكون مآلهم الفشل رغم الدعم اللامشروط لهم من فرنسا.<sup>(1)</sup>»

وحول هذا الموضوع أيضا ورد مقال في جريدة «الشعب»

بعنوان) حزب الآباء البيض (جاء فيه على الخصوص» :لم يحدث وأن برز حزب في أية دولة كبيرة أو صغيرة تحترم نفسها يدعو إلى العرقية والتفرقة . فكل الأحزاب متفقة على ترقية المواطن اجتماعيا وسياسيا والسهر على مصلحته العليا في إطار دساتيرها ومواثيقها، إلا أن العكس هو الذي حصل عندنا تماما . فباسم الديمقراطية انتهكت حرمة الدستور وباسم الديمقراطية وجد أبناء الآباء البيض وأحفادهم وكل الحاقدين على الإسلام والقرآن

واللغة التي نزل بها ضالتهم المنشودة. وباسم الديمقراطية فتحت الجزائر أبوابها أمام المغامرين والعابثين بمقدساتها وتراثها ومبادئها التي كافحت من أجلها سنين طويلة. وباسم الديمقراطية أسسوا حزب» التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية «على أساس عرقي عنصري يهدف إلى تفرقة الشعب الجزائري وضرب وحدته التي تشكلت في بوتقة الإسلام. فبعدما وحده الإسلام ديناً ولغة وحضارة منذ أكثر من أربعة عشر. أراد المرتدون دفعه إلى هاوية لا قرار لها.(1)»

ونفس ما هو واقع في الجزائر بالنسبة لعلاقة الحركة البربرية بالتنصير جرى ويجري في المغرب، وحول هذا الموضوع يقول الباحث المغربي محمد حركات: «وفي هذه الأثناء كانت حملة التبشير المسيحي ونشر اللغة الفرنسية ومحاربة اللغة العربية، جارية على قدم وساق وبكثافة، وعلى الخصوص في مناطق القبائل المغربية المسماة بالبربرية لتعليم البربر اللغة الفرنسية ومبادئ الدين المسيحي قصد إبعادهم عن دينهم الحنيف وقطع عرى الارتباط بينهم وبين اللغة العربية»(2).

وعن استمرار هذه السياسة الفرنسية التي تثبت العلاقة بين الحركة البربرية والتنصير في كل من الجزائر والمغرب حتى الوقت الحاضر، يقول الباحث الجزائري محمد أرزقي فراد: «أما المغني معطوب الوناس- معبود الشباب في منطقة القبائل لما تميز به من جرأة وبلاغة التهور في طرح القضية الأمازيغية- فقد ذهب به التهور بعيداً في نم الإسلام والدعوة إلى تمزيق الوحدة

الوطنية بواسطة توظيف الأغنية السياسية، ثم أكد مواقفه الراديكالية في كتابه بعنوان) الثائر معطوب الوناس (فقد ذكر فيه أن معاقل» المرابطين «هي نفسها معاقل الأصوليين ودعا إلى النضال ضد الجبهات الثلاث :السلطة- الأصوليون -المرابطون (صفحة 93) وما تجدر الإشارة إليه أن هذا المغني لم يخف اعجابه بالمبشرين المسيحيين وفضلهم في تكوين شخصيته ، كما قال حرفيا ..» :إنني متأكد اليوم أنهم لعبوا دورا هاما في استرجاع وعيي الهوياتي صفحة (23) ليضيف قائلا في الصفحة نفسها ..) وبدون شك فإنه بفضلهم وعيت عمق جذوري القبائلية.(1) وفي مقال آخر للباحث ذاته بعد ثلاث سنوات بعنوان» حديث في تاريخ التنصير»، يقول فيه» :لذلك لا يختلف اثنان حول ارتباط ظاهرة التنصير بالاستعمار الفرنسي، بدليل أنه بالرغم من النفور السائد بين الملك الفرنسي» لويس فيليب «والكنيسة، فقد أعلن في مجلس وزرائه قائلا ..» :من حسن التدبير العمل على تنصير العرب الذين لا يمكن ان يكونوا فرنسيين إلا إذا أصبحوا مسيحيين .«كما نظر البابا» قريقورا لسادس عشر «إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر بارتياح باعتباره نصرا للمسيحية، ثم سرعان ما تحالف المدفع والصليب لتقتيل الجزائريين ومسح هويتهم، ولاشك أن» إيمل دوفيلار «هو أول من جسد هذه السياسة في الميدان قبل أن يتبلور تنظيم المسيحية في الجزائر، ومن أبرز الأسماء المسيحية التي وظفت التنصير لتكريس الاستعمار الفرنسي نذكر الأسقف «دوبيش»، والكاردينال» لافيغري»، والأب» دوفوكو»، وخلافا لما

ذكره المطران» هنري تيسيبي «في كتابه CHRETIENS EN ALGERIR :  
الذي وصف فيه مهام الكاردينال لا فيجيري، والأب فوكو بكونهما  
«مهام إنسانية» تهدف إلى تكريس الأخوة في العالم عن طريق دعم  
العلاقات الروحية مع المسلمين في إطار الاحترام المتبادل بين  
الأديان، فإنهم جعلوا المسيحية في خدمة ظاهرة الاستعمار.(2)»

...ولعل ما ورد في كتاب» مذكرات معطوب الوناس»  
Lounes Matoub Rebelle من إعجاب وتقدير للمبشرين يؤكد ذلك، فقد  
جاء في قوله (...): بالنسبة للأباء البيض كان معظمهم يتحدث بالقبائلية،  
وتميزوا باحترامهم لمجتمعنا، كانوا يساعدوننا نحن الأطفال وكذا  
الكهول وأمهاتنا وأبائنا، وكان مقر الأخوات البيض غير بعيد عن  
قريتنا، كن يسعفن النساء في الولادة وفي إعدادهن لدور الأمهات،  
فضلا عن تعليم البنات فن الخياطة والنسج والطرز، كل ذلك في إطار  
احترام تقاليدنا. ومن واجبا أن نعترف بفضل هؤلاء في صيانة جزء  
من ذاكرتنا... فقد نشروا القواميس وأنجزوا أبحاثا في اللسانيات، إن  
المجتمع القبائلي يدين لهم بالفضل) ص. (26- 25 ومن آثار السياسة  
التبشيرية الواضحة أن أفراد القاموس» رجال ونساء بلاد القبائل.»  
الذي أشرف على نشره الباحث سالم شاكور، مكانة مرموقة لرموز  
الحركة التبشيرية وهما: الأب (1909 – 1972) Jean- Marie Dellet  
والأب (1913- 1978) Genevois Henri باعتبارهما باحثين ألفا ونشرا  
العديد من الأبحاث والكتب حول اللغة الأمازيغية وتراثها.

وفي بحث آخر عن التنصير في الجزائر للباحث أرزقي فراد  
أيضا جاء فيه: «بعد أن تمكن الاستعمار الفرنسي من احتلال

الجزائر عسكريا، سعى إلى تفكيك المجتمع بطرق شتى، منها زرع سياسة « فرق تسد»، مع تركيز جهوده على بلاد الزواوة ذات اللسان الأمازيغي، وزعم الفرنسيون ضباطا وأطباء وإداريين (الذين آمنوا بمشروع « الوهم القبائلي le Mythe «Kabyale أمثال العقيد» أوجين دوماس «والنقيب فابر والدكتور وارنيي وكميل ساباتي والأسقف لافيجيرري وغيرهم، كلهم زعموا أن سكان الزواوة يشكلون شعبا بربريا متميزا، يختلف عن الشعب العربي كل الاختلاف، وبينهما عداوة مستحكمة (!) برأيي دوماس، كما أدعوا أن إسلام القبائل سطحي وفاتر، يخفي العقيدة المسيحية المتجذرة في دواخل مجتمعه التي يؤكدونها) حسب رأيهم (وَشْم في شكل صليب يحملونه، وأنهم من أصول أوربية جرمانية، لذلك فهم أقرب إلى الحضارة الفرنسية).

هذا وتركزت جهود الفرنسيين حول تنصير سكان القبائل بقيادة الأسقف لا فيجيرري، بمعية إميل ماسكاري المشرف على مشروع المدارس الفرنسية في المنطقة، عن طريق:

1- استغلال الكوارث الطبيعية، من جفاف ومجاعة وانتشار

وباء الطاعون، ما بين (1870 - 1865)

2- غلق الزوايا وتعويضها بمدارس فرنسية بشكل مكثف.

3- تعطيل الشريعة الإسلامية وتشجيع العرف المحلي،

كتمهيد لتكريس القوانين الفرنسية.

وذكر « جول ليونيل «في كتابه» قبائل جرجرة «الصادر

سنة 1892 م، ان الفرنسيين فكروا في استقدام المسيحيين

الموارنة من لبنان من أجل إضعاف الإسلام بهذه المنطقة، ودعم التنصير باعتباره رافداً لسياسة الفرنسة، ولم تتراجع حكومة فرنسا عن ذلك، إلا بعد أن تأكدت من عدم جدوى هذه السياسة. والحق أن أهل الزواوة قد صمدوا صموداً بطولياً أمام إصرار الفرنسيين على تكثيف حملة التنصير في أرضهم، وسجل في هذا الصدد سكان قرية آث فرح بعرش يرانثن موقفاً حازماً، إزاء مشروع كان يقضي بتوطين أحد الرهبان في قريتهم في الستينيات من القرن التاسع عشر، فراسلوا مسؤول الإدارة الفرنسية يخبرونه بعزمهم على التصدي لحملة التنصير هذه. وجاء في رسالتهم: «لن نفرط أبداً في ديانتنا، فإذا أرادت الحكومة أن ترغمنا على ذلك فأنا سنلتمس وسيلة لمغادرة البلاد، فإن لم نجد، فإننا نفضل الموت على اعتناق ديانتكم.»<sup>(1)</sup>...

وفي تحقيق صحفي ورد في جريدة «الشروق اليومي» بعنوان: «معلومات سرية تكشف أساليب الإيقاع بالجزائريين في فخ التنصير» جاء فيه: «وثائق خطيرة تفضح بنودها أساليب عمل بعثات التنصير في الجزائر، وتكشف عن مخطط شيطاني يفتح الباب أما حملة صليبية عسكرية جديدة على الجزائر، مدعومة بأتباع الصليب في الجزائر. لكن السؤال الذي يلح بشدة... من يقف وراء هذا المخطط الخبيث الذي يسعى لضرب الإسلام في عمقه؟»

عديد الوثائق التي وقعت بين يدي تؤكد أن أنشطة التنصير تغلغت في الجزائر في السنوات الأخيرة عبر منظمات مسيحية

فرنسية وإيطالية وإسبانية، انطلاقاً من منطقة القبائل، حيث استغلت بعثات التنصير تدهور الوضع الأمني في العشرية السوداء، وتقلص دور الدعوة الإسلامية، وظهور نماذج سلبية شوهدت صورة الإسلام وأتاحت الفرصة لأعدائه للتجني عليه.

...لكن المفاجأة أنني وجدت بين السطور ما يؤكد أن برامج التنصير في الجزائر بدأت منذ عام 1830 ، أي منذ وقوع الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي، ولم تتوقف تلك البرامج على مدار 178 سنة، فكانت تقل تارة وتزداد تارة أخرى، وفقاً لحالة البلاد الاقتصادية والسياسية، وبدأت هذه البرامج عندما اصطحب قائد الحملة الفرنسية على الجزائر «دربانيك» وبتوصية من دائرة ما عرف بالأراضي الفرنسية في الخارج- دائرة الاستعمار- التابعة لوزارة الخارجية، 14 رجل دين من أبرز القساوسة الفرنسيين، ومن الأشياء الجديدة التي لا يعرفها الكثيرون أن الحملة كانت صليبية بالدرجة الأولى، فقد كان هؤلاء القساوسة يقولون للجنود الفرنسيين بأن «الهلal- لفظ كان يطلقه الفرنسيون على الإسلام- يجب أن يندحر في الجزائر لتعود الجزائر إلى أحضان الصليب»، لذلك كانت المهمة الفرنسية في الجزائر ليست سياسية استعمارية بقدر ما هي دينية مقدسة مثلما ثبت عن هؤلاء القساوسة.

وكانت الخطة الاستعمارية لا تستهدف احتلال الجزائر فحسب، بل مسح كل مقومات الشخصية الجزائرية عبر مسح اللغة والعقيدة، وهنا برز في الإطار مخطط «شارل سولفون» «الشهير،

الذي كان يعتمد في النهاية على ثالوث» الدين واللغة والسياسة » لأجل صياغة ما كان يسمى في منتصف القرن العشرين بالجزائر الفرنسية، والتي لم تكن إلا النموذج النصراني في معتقد» شارل سولفون»، وهي تحويل المساجد إلى كنائس وفرض البديل الفرنسي اجتماعيا وثقافيا عبر جملة من الممارسات ومنها جعل أكثر من 120 قسا فرنسا يدخلون إلى الجزائر في منتصف الخمسينيات لأجل الدعوة إلى» السلم» عبر الدعوة إلى المسيح في دولة كانت الحرب الجهادية ضد المحتل تصنع أمجادها بفضل إصرار الثوار على عدم التنازل عن الأرض، وحماية الدين.

### أسماء جمعيات التنصير الجزائرية

بالعودة قليلا إلى الوراء، نجد أن وسائل التنصير الفرنسية في الجزائر تنوعت واتخذت أشكالا شتى، إذ أسس الاستعمار منظمة» إرساليات العالم العربي» خلال العام 1883 لإتمام مشروع انطلق في جبال القبائل من طرف بريطانيين بمساعدة رجل دين سويسري، ومع مرور الوقت وسعت هذه النشاطات من عملها لتشمل كامل منطقة الشمال الإفريقي، أما الفرع الفرنسي منها فهو ينشط في فرنسا منذ العام 1980 بهدف التنسيق مع الكنائس من أجل إيجاد معاهد للتكوين الإنجيلي مع المسيحيين المنحدرين من أصل مسلم. ولكن أشهرها هي بالتأكيد تلك المسماة «الجمعية المسيحية للتعبير البربري» التي تأسست في الجزائر عام 1987 بهدف إنتاج وسائل مسيحية خاصة بالقبائل» أشرطة سمعية وبصرية، ترجمات بربرية للإنجيل بالإضافة إلى الأناشيد

والتراينيم»، إلى جانب أنها ساهمت في إقامة عدة كنائس بالمنطقة خصوصا بولاية بجاية.

ولم يقتصر الأمر على منطقة القبائل، بل تشعب ليمتد عبر كل أرجاء التراب الوطني، حتى وصل لـ« التوارق (\*)» في أقصى الجنوب، امتدادا لدول شمال الساحل تحت حجة مراقبة الجماعات المسلحة،...والمنصرون الإنجيليون لا يتورعون عن القيام بأي شيء في سبيل تحقيق هدفهم الرامي إلى إضعاف الإسلام، حتى أن الإحصائيات تشير إلى أن عشرة جزائريين ينتصرون يوميا، وكل هذا يتم تحت رعاية لجنة خاصة في الكونغرس الأمريكي، ومكتب تابع لوكالة المخابرات الأمريكية.(1)»

وفي فقرة أخرى تكشف الوثيقة الكثير من طريقة عمل بعثات التنصير في الجزائر، حيث ورد فيها على الخصوص: «تسعى بعثات تنصير الجزائر أولا إلى تأسيس كنيسة يسوع المسيح في العالمين البربري والعربي، ولدينا فرق تعمل في صفوف أكثر من المليون مسلم جزائري في فرنسا، ونبث برامج مراسلة وإذاعية لنشر الإنجيل على أوسع نطاق ممكن، إنطلاقا من مركزنا الإعلامي الموجه إلى الجزائر.»

وفي تقرير أممي آخر ورد بقلم الكاتب الصحفي جلال بوعاتي، عن مجلة« باري ماتش «ليوم الأربعاء 61 أبريل 8002 مقال بعنوان« :صراع أمريكي -فرنسي حول التنصير في الجزائر»، جاء فيه« :كشف تقرير أممي وجود صراع « أمريكي -

فرنسي «حول من يقود حملات التنصير في الجزائر-ونبه إلى ضرورة الإسراع بتطويق الظاهرة قبل اتساع رقعتها وتصبح مطية لقوى أجنبية للتدخل في الشأن الداخلي بحجة حماية أقلية مسيحية في البلاد.

أوضح التقرير أن هذا الصراع يهدف للسيطرة وإحكام القبضة على «كنيسة وازية «بولاية تيزي وزو، والتي تعتبرها الجمعيات التنصيرية الأمريكية والفرنسية « نواة حقيقية «لأنشطة التنصير في منطقة القبائل التي تمتد إلى ولايات أخرى. ووصف نفس المصدر هذه الكنيسة بأنها» أكثر الكنائس نشاطا وحركة.»

ولا يفرق التقرير بين الكنائس البروتستانتية ومثيلتها الكاثوليكية، حيث أكد على أنهما وان تختلفان في الشكل و الطرق التي تستعملانها لاستمالة الجزائريين، فإنهما متفتتان تمام الاتفاق على هدف واحد وهو ضرب وحدة الجزائر في دينها على المدى المتوسط، وعلى المدى البعيد المساس بوحدة التراب الوطني»، وذلك من خلال إيجاد أقلية مسيحية في منطقة القبائل تحديدا.

وينبه التقرير إلى» زيارات مشبوهة «تقوم بها» شخصيات وقساوسة أجنب «إلى منطقة القبائل، في إطار ملتقيات ومؤتمرات ولقاءات، لكن في الحقيقة يقومون بنشاطات تنصيرية.

وحول هذا الموضوع ورد في جريدة الخبر مقال بعنوان

(الجماعة البروتستانتية ببجاية تطالب باستعادة كنيسة بالقصر )

جاء فيه» :علمت» الخبر «عن طريق الناطق الرسمي للجماعة

(ك.ش (بأن طلبا رسميا وضع بمكتب رئيس البلدية وأن ممثلين

من الكنيسة البروتستانتية بالجزائر العاصمة يكونون قد باثروا اتصالاتهم مع سلطات ولاية بجاية لتلبية الطلب والترخيص لبلدية القصر بإعادة مقر الكنيسة إلى البروتستانتين حتى يجمعوا شملهم فيها بدلا من التشتت في مقرات مختلفة عبر عدة بلديات بالولاية. وللتذكير فإن كنيسة القصر بُنيت سنة 8391 من قبل متطوعين من الجماعة البروتستانتية، حيث كانت تستغل للعبادة وأغراض التبشير الديني إلى غاية الاستقلال، لتتحول بعدها إلى مطعم مدرسي يقدم فيه الحليب لجميع التلاميذ إلى غاية سنة 8791، ولم تجرؤ المجالس المتعاقبة على استرجاع الكنيسة رغم المراسلات العديدة للبروتستانتين من الداخل والخارج...

لقد أكد الناطق الرسمي للجماعة البروتستانتية «للخبر» أن الجماعة المحلية تتوفر على الاعتماد الرسمي من قبل السلطات وتزاوّل نشاطها بشكل علني ولا شيء يمنع بلدية القصر من وضع الكنيسة تحت تصرف البروتستانتين.<sup>(1)</sup>» ونختم الفصل بهذا المقال الوارد تحت عنوان السيدة الإفريقية بالعاصمة تجتذب الشباب ومنطقة القبائل مرتع خصب للتبشير (جاء فيه على الخصوص): «إن أول ما لفت انتباهنا هو طريقة معاملة الراهبة التي كانت في استقبالنا، والتي لم تدخر جهدا في الترحيب بنا وإرشادنا إلى القس لشرح تعاليم المسيحية، عارضة علينا اقتناء شموع أو سلاسل بها صلبان معروضة عند المدخل، دون أن تنسى إعطاءنا قصاصات تحوي جميع أرقام وعناوين الكنائس على مستوى الوطن، وكذا برنامج الاحتفالات وأوقات أداء التراتيل والقداس. في هذه الأثناء، بدأت الحركة تدب

في المكان، بمجيء غفر من الناس على مجموعات، منهم من جاؤوا كسياح، أما أغلبهم، فكان يبدو عليهم أنهم مسيحيون، وأغلب من تحدثنا إليهم أتوا من منطقة القبائل...

...واعتبرت دراسة أكاديمية أن النشاط التبشيري الحاصل خطرا جسيما على مستقبل ووحدة الجزائر، ونوّهت إلى أن المبشرين يتحركون كيفما شاءوا دون أدنى مراقبة حكومية، حيث كثفوا خلال السنوات الأخيرة تحركاتهم التنصيرية مستهدفين أوساط الشباب، بغية إيجاد ما أسموه أقلية دينية تدافع عن حقوقها، على غرار ما وقع في دول مجاورة. وتعتبر منطقة القبائل مرتعا خصبا للتبشير، إذ يلجأ الكثير من المبشرين القادمين من الغرب إلى هذه المنطقة، مع تسجيل عدد لا يستهان به من المرتدين عن الدين الإسلامي.

وأفادت الباحثتان سلاف رحموني ونسيمة رقيق أن إهمال مشكل التنصير لسنوات عديدة من قبل الجهات المسؤولة، وظهور فئة لا يستهان بها من المرتدين، خصوصا على مستوى منطقة القبائل، بجانب رفع ستار الممارسة الدينية عن الأعمال التبشيرية التي تقوم بها الكنائس المنتشرة عبر القطر الجزائري خاصة في المدينة، معسكر، عنابة وجنوب البلاد، عوامل تضافرت لتدفع موجة التنصير في الجزائر بشكل مثير ومقلق، خاصة في أوساط الشباب، وسلطت رحموني ورقيق الضوء، من خلال تحقيق أكاديمي، على ما يدور داخل الكنائس الجزائرية، حيث تفاجأتا بما يحدث خلصة وعلانية<sup>(1)</sup>»

## الفصل الحادي عشر

## علاقة الحركة البربرية» بالثقافة والديمقراطية»

يلاحظ أن الهدف البعيد الذي ترمي إليه الحركات البربرية في كل من الجزائر والمغرب على وجه الخصوص هو محاولة إثبات التميز عن المجتمع المحلي الغالب في أي شيء، ابتداء من اللهجة إلى اللباس إلى أية سمة أو جزئية من جزئيات الثقافة الشعبية والفلكلور الذي يريدون أن يصنعوا من حباته قبابا تحوي داخلها أجنة مطالبهم الهوياتية، وبالتالي الانفصالية التي نقرأ في كل أدبياتهم عنها تلميحا وتصريحا، كما سنبين بعد حين من تصريحاتهم الرسمية وغير الرسمية، ولذلك نجدهم يركزون في لازمة دائمة على موضوعين اثنين، هما الثقافة بصفتها هي أساس وأرضية الهوية الجهوية أو الوطنية أو القومية، إذا غدتها عوامل لغوية ودينية، كما هو واضح في الفصول السابقة، ولتحقيق هذا الهدف والتمهيد له، لا بد من وسيلة أخرى جاهزة وفعالة هي الديمقراطية، ولذلك لا يستغرب الخبراء ببواطن الأمور أن يكون أول حزب بربري يظهر في المغرب العربي بعد الانفتاح الديمقراطي التعددي الذي حدث في الجزائر عقب الأحداث المفتعلة في أكتوبر 1988 ، هو حزب» التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية»، ففي الثقافة تكمن الخصوصية الهوياتية، وفي الديمقراطية يوجد مفتاح الانتشار واكتساب الشرعية الدستورية والاعتراف بالحزب بصفة رسمية للانطلاق في العمل السياسي لفرض الوجود عبر الحدود والتحالف مع كل الأحزاب

الأخرى المعتمدة ذات التقاطعات والمشارب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعقائدية معه، فضلا عن الحركات والجمعيات ذات الأهداف المماثلة داخل الوطن وخارجه في المنطقة والعالم، وتحت مظلة الديمقراطية يدخل تحالفهم مع العلمانية ضد شرائع الأديان، ومع الليبرالية ضد عباد الرحمن من الفقراء والمساكين، ومع الفرنكوفونية ضد العربية، ومع الصليبية ضد الإسلام، ومع الشيوعية ضد كل الأديان وخاصة الإسلام باعتباره غريما هوياتيا مضاعفا بإيمانه ولسانه، وهو ما ظهر في تحالفهم وتعاونهم مع كل ما هو ضد ثوابت الهوية الوطنية» العروبة والإسلام»، وتحالفهم حتى مع الشيطان ضدتهما، فضلا عن عدو الأمس الذي أصبح صديقا وحاميا، كما بينا ذلك بألسنتهم وأقلامهم في هذا الكتاب .

وبما أن التميز الهويتي والانفصال التميزي لوحدة الأمة المحمدية هو الغاية البعيدة التي تهدف إليها كل هذه الحركات، كما أسلفنا، فإن أي نتيجة تحققها ضد العروبة والإسلام ستصب في صالح أعداء الأمة السابقين واللاحقين وفي مقدمتهم فرنسا التي أخرجت بفضل هوية الجهاد من البلاد وفي نفسها شيء كثير من ثقافة وهوية العباد، وهذا هو الغطاء الثقافي والديمقراطي الذي ألبسته فرنسا ومعها إسرائيل) كما سنبين في فصل لاحق (برنسا محليا» استحلاليا «لا رائحة فيه لما يمت بصلة ظاهرة إلى عهد الاحتلال المباشر، ماعدا محاربة الإسلام واللغة العربية غريمي فرنسا الصليبية والشيوعية والعلمانية والصهيونية، كما أثبتنا في الفصول السابقة وسنثبته كذلك في الفصول اللاحقة، وكدليل على

كل هذه الأهداف المتسترة وراء عنوان « الثقافة والديمقراطية »  
نورد هذه النصوص التي خطتها أقلام زعمائهم في كل من  
الجزائر والمغرب، ونبدأ بالجزائر بحكم التاريخ والجغرافيا، وثقل  
الرهان، ومستوى الالتزام والإيمان...

وفي هذا الخصوص يقول الباحث الجزائري محمد  
أرزقي فراد في دراسة نقدية له لكتاب « قاموس الثقافة البربرية  
في بلاد القبائل (Dictionnaire de la culture berbère en Kabylie) »  
للكاتبة الفرنسية «Camille Lacoste-dujardin» الصادر عن دار  
«La découverte» بباريس سنة 2005 في جريدة « الشروق  
اليومي » بتاريخ: 05/24/ 2010 وهكذا يتجلى بوضوح أن  
مقاربة الباحثة كاميل لأكوست ديجوردان تتماهى مع النزعة  
الانفصالية القبائلية التي تبناها طيف سياسي متطرف، معروف  
بمعاداته للإسلام والعربية، اتخذ من فرنسا قاعدة لبث نشاطه،  
فهل يعد ذلك مجرد صدفة؟ أم تعاطف معه ومغازلة له؟

ومما يثير أيضا التساؤل حول الخلفية السياسية لهذا  
القاموس أن الباحثة قد أقحمت بعض الشخصيات الفرنسية التي  
ساهمت في تكريس الاستعمار ضمن الثقافة الأمازيغية القبائلية !  
كالضابط أ. كاريت (E. Carette) ، الذي قدّم للإدارة الفرنسية  
معلومات دقيقة عن بلاد القبائل سنة 1848 من خلال كتابه  
«دراسة حول القبائل (Etude sur la Kabylie proprement dite) » ،  
لعل أهمها معلومات تتعلق بقضية الأمن، إذ أحصى عدد الأسلحة  
المتوفرة في كل قرية من قرى القبائل، وذكرت الباحثة أيضا

الجنرال أدولف هانوتو، وأحد الأباء البيض وهو جان ماري دالي الذي تعاطى التعليم في آث يني وألف قاموس» القبائلية الفرنسية.» للذكر هنا فإن منظر مشروع» القومية القبائلية «سالم شاكر كان سباقا إلى إدراج الأباء البيض ضمن القاموس الخاص برجال ونساء القبائل الذي أشرف عليه من باب تقدير جهودهم في بعث الثقافة القبائلية، في حين أقصى شخصيات قبائلية ذات البعد الوطني، لأنه كما أوضح لا مكان في هذا القاموس إلا لمن ساهم في بعث الوعي الهوياتي القبائلي.(1)»

وتأكيدا لهذا المسعى الديمقراطي الثقافي لمنظري حركات النزعة البربرية في المغرب العربي، يقول الباحث المغربي الأستاذ كمال عبد اللطيف في جريدة» العلم»: «لم يكن أمرا مستغربا أن تعود الأطروحات الامازيغية إلى الظهور في مغرب نهاية القرن العشرين، بأساليب جديدة في العمل السياسي، المرتكز على الواجهة الثقافية، فقد ظل إشكال «الخصوصية المغربية» و«الهوية الثقافية الأمازيغية» للمغرب، من المكبوتات المؤجلة، والقابلة للاستخدام السياسي في أي وقت وحين.

وإذا كان المرء يسجل بروز ظاهرة جديدة في المغرب تتعلق بالجمعيات الثقافية ذات الطابع الامازيغي، وفي مختلف أطراف الجغرافية المغربية، في الجنوب وفي الأطلس، وفي الريف، فإن المسألة قد حددت في العمق، عودة المكبوت السياسي الامازيغي، متقنعا بالمظهر الثقافي والمؤسسة الثقافية، للدفاع عن لغة وثقافة وهوية، ينظر إليها باعتبارها مقموعة من طرف «هوية مستوطنة»

تروم محوها إلى الأبد..(1)»

وقد روي عنه في جريدة» السياسي «بقوله» :يلاحظ انتشار الجمعيات الثقافية الأمازيغية في المغرب، مثل (الجمعية المغربية للبحث والتبادل) و(الجمعية الجديدة للثقافة والفنون) و(جمعية الجامعة الصيفية) في أغادير واستطردا فهناك 200 جمعية من هذا النوع في أنحاء المملكة تتركز نشاطاتها على إضاءة خصوصيات الثقافة المغربية الأمازيغية.(2)»

وتضيف الجريدة قولها» :ويلاحظ عبد اللطيف أن العمل من أجل إبراز الهوية الأمازيغية للمغرب ظل يشكل بكثير من الحذر وسط النخب التي تعنى بالبحث اللغوي في كليات الآداب منذ الستينيات، وانطلاقا من الرباط وفاس، وقد تشكلت خلايا هامة من الأساتذة الفرنسيين والأمريكيين الذين اشرفوا على أطروحات جامعية مغربية متعددة باللغتين الفرنسية والانجليزية في علم الفنولوجيا واللسانيات الأمازيغية مع أبحاث مقارنة باللغات الأخرى .

في هذا السياق تفهم الدعوات الجارية لإنشاء كراس في الجامعة المغربية للثقافة الأمازيغية واللغة الأمازيغية، وإنشاء خلية للتفكير في كيفية تدريس اللغة الأمازيغية في المرحلة الابتدائية وإطلاق مشروع بث النشرات الإخبارية بثلاث لهجات وإقامة أكثر من منبر إعلامي أسبوعي وشهري ودوري لتسويق النشاطات الخاصة بـ (الانبعاث الأمازيغي)»(1).

وهو ما يؤكد أيضا الباحث المغربي لحسن رامي في مقال له في جريدة» الأحداث المغربية»، جاء فيه «...»: إن الأمازيغية ترتبط

بالمشروع المجتمعي الديمقراطي والحدائي، حيث لا ديمقراطية بدون أساس وعمق ثقافيين.

إن احترام الأمازيغية وتطويرها لا يعني الانغلاق والنزعة الماضوية، وبهذا عزل الخطاب الملكي الأمازيغية عن النزاعات الأصولية الماضوية المتشددة وأدمجها تماما مع خيارات الحركة الأمازيغية وتوجهاتها الحدائية (2)»

ونفس التحليل يتبناه الباحث المغربي عبد الله بونفور في «صحيفة» أنوال «حيث يحدد مفاهيم الحركة الأمازيغية، على المستوى السياسي والثقافي بقوله:

«أولا: المستوى السياسي: هناك ثلاثة أحزاب مغربية، تعلن عن هويتها الأمازيغية، هي: الحركة الشعبية (المحجوبي أحرسان)، وحزب التقدم الليبرالي (الدار البيضاء) وحزب العمل (الرباط)، منذ السبعينيات، وقد كرست النشأة المتزامنة لهذه الأحزاب، شرخا مزدوجا:

أولا: إبتعاد البرجوازية السوسية، المقيمة بالدار البيضاء، عن حزب الإتحاد الوطني، للقات الشعبية الذي كان مهيمنا في أوساطها، لكنها لم تمنح الثقة لحزب الحركة الشعبية ، ثانيا: عجز هذه البرجوازية عن التوافق مع المتقفين الناطقين بالأمازيغية ،مما أدى إلى ولادة حزب العمل، وهذا الإنشقاق المزدوج، كشف أمورا عديدة منها .

1 - عدم وجود عمل فكري ناضج بالنسبة للأمازيغية.

2 - لم يكن لهذه الأحزاب مشروع سياسي، بل تصوروا

أنفسهم، كجماعات ضاغطة.

3 - ضعف المعرفة بالتيارات الإيديولوجية ، الأكثر قدرة على

التعبئة في صفوف المثقفين، فقليل من المثقفين إلتحقوا بهذه الأحزاب.

4 - سوء تقدير الوزن الرمزي للحركة الشعبية، رغم أنها كانت

في حالة إنحسار.

5 - تسمى هذه الأحزاب أمازيغية، لأن زعاماتها أمازيغية،

وبسبب شعارات الدفاع عن اللغة الأمازيغية، ولهذا يمكن الأخذ

بفاعلية الحركة الشعبية (أحرضان) لأنها ممثلة في البرلمان، وتؤثر

في قرارات الدولة.

6 - حزب الاستقلال، (الإسلام)، والإتحاد

الاشتراكي(عروبة)، لم يطعنا في الخيار الأمازيغي، لأنها تضم

مناضلين أمازيغ، فالأمازيغ يحددون موقفهم من الأحزاب، وفق

طروحاتها، بالنسبة لمسألة الأمازيغية، وهذه النزعة لا يجب المبالغة

في أهميتها، ولا التقليل من شأنها.

ثانيا - المستوى الثقافي: توجد حركة ثقافية أمازيغية، لها خصائص

متعددة،

1. توجد على الأقل أربع جمعيات أمازيغية، ساهمت رغم

ضعفها، في خلق دينامية الاهتمام، كما جمعية (الناضور)، التي تقيم

مهرجانا شعريا.

2. تساهم هذه الجمعيات في جمع وتسجيل ونشر اللغة والثقافة

الأمازيغيتين.

3. ساهم وجود الجمعيات في ولادة تفكير مزودج: الأول، تفكير

علمي خالص في مجال اللسانيات والأدب، والثاني، تفكير إيديولوجي حول وضعية الأمازيغية في المغرب.

4. الإنتاج الفني في مجال الشعر والموسيقى، بعد أن ظل الإهتمام

محصورا في فلكور القدامى والبادية»<sup>(1)</sup>.

وهو ما يؤكدّه أيضا الباحث المغربي عبد اللطيف أكنوش في جريدة «المستقبل»، حيث يتحدث عن مراهنه الحركة البربرية على الثقافة والديمقراطية، فيقول: «إن الأمازيغية في نظرنا مسألة تتطوي على ثلاثة رهانات، إن كسبها المغاربة كسبوا انتقالهم الديمقراطي وإن خسروها حكموا على أنفسهم بالبقاء تحت نير ظلمات الإيديولوجية القومية العروبية الراحية للثنائي) عارف - جاهل (وتحت ظلمات خطابات وتصرفات تحتمي بالإسلام لسلب المغاربة» أعز ما يملكون «و»أعز ما يطلبون «والمتجسد في ثقافتهم الأزلية، فهناك رهان ثقافي / لغوي، وهناك رهان حول الطابع اللائكي لثقافتنا الضاربة في عمق آلاف السنين من أيام مسينيسا ويوغورطا وجوبا، وهناك رهان حول خلق ثقافة المساواة المطلقة في الحقوق والواجبات أي في الضرائب وفي أين تصرف تلك الضرائب. فالمسألة ليست، ولن تكون مسألة عرقية أو إثنية تتصارع حولها الأقوام، إن صلب المشكل يبقى هضم حقوق المغاربة في هويتهم عبر إيديولوجية» وطنية عروبية «حاولت، ونجحت إلى حد ما، في جعل المغاربة ينسون هويتهم ولسانهم وثقافتهم، ويعتقدون أنهم من جنس آخر، ومن ثقافة أخرى»، استلاب «كما تسميه الأدبيات

الماركسية التقليدية، وذلك انطلاقاً من تماهي إيديولوجي بين الدين واللغة، بين الإسلام والعروبة، وأفضت في النهاية إلى احتكار الخيرات المادية والرمزية من طرف أولئك الذين يظهرون بمظهر القيمين على ذلك الدين وتلك اللغة، وقد رصدت الدولة المستقلة، تحت مراقبة هؤلاء، الأموال العمومية والسياسات التعليمية والتواصلية العامة لإنجاح مشروع نزع هوية المغاربة من المغاربة، وجعلهم غرباء على أرضهم بإيهامهم أن لغتهم ليست لهم.(1)»

وعن علاقة الحركة البربرية في المغرب بالثقافة والديمقراطية وتطوراتها المرحلية، يقول الباحث المغربي عبد الله حتوس: «الحركة الديمقراطية الأمازيغية عرفت كيف تقيس درجة حرارة الوضع السياسي بالمغرب، وكانت حريصة على ألاّ تجازف في مغامرات قد تأتي على البناء بأكمله، فقد انتظرت عقداً ونيفاً بعد تأسيس أول جمعية أمازيغية سنة 1967 لتطور خطابها وتحاول توسيع دائرة شبكة الفاعلين والمناضلين، فتأسست ثلاث جمعيات أخرى في كل من الناظور والرباط وأكادير، وعقدت سنة 1980 أول ملتقى من نوعه في أكادير تحت شعار الثقافة الشعبية والوحدة في التنوع .

وكغيرها من التنظيمات الديمقراطية المغربية اكتوت الحركة بسنوات الجمر خلال عقد الثمانينيات، حيث تم إرهاب المناضلين الأمازيغيين ، وتم اعتقال والحكم على بعضهم، وبعد سنوات الجمر تلك، ومع الانفراج السياسي النسبي الذي عرفه المغرب مع بداية التسعينيات التقطت الحركة الديمقراطية الأمازيغية بكل

عقلانية بوادر التغيير، وأصدرت ميثاق أكادير) أوت (1991 الذي يمكن اعتباره ملفا مطلبيا أمازيغيا، حيث طالبت الجمعيات الأمازيغية من خلال الميثاق بالاعتراف بالأبعاد المتعددة للهوية المغربية وبدسترة الأمازيغية ودمقرطة التعليم والإعلام...

وأصبح الميثاق بعد ذلك الوثيقة والمرجعية التي استندت عليها كل المبادرات التنسيقية والنضالية للحركة الديمقراطية الأمازيغية. فخلال تلك الفترة خلقت الحركة ميكانزمات للمقاومة حتى تتمكن من الاستمرار والنمو، فاستقطبت العديد من الأطر والكفاءات واتسع انتشارها حتى تجاوز مجموع الجمعيات الأمازيغية مائة (100) جمعية، إضافة إلى تأسيس المناضلين الأمازيغيين للعديد من الجمعيات التنموية، خصوصا في منطقة سوس بالجنوب، ولعبهم دورا فعالا في العديد من الجمعيات النسائية والحقوقية والمهنية، وفي النقابات.»

وإذا استطاعت الحركة الديمقراطية الأمازيغية خلال السنوات الأخيرة التأثير على مواقف مكونات المجتمع المدني والسياسي المغربي والانتقال بتلك المواقف من الإنكار التام والعداء أحيانا إلى الاعتراف الرمزي والمساندة المحتشمة أحيانا أخرى، فإن العديد من المناضلين الأمازيغيين يرون بأن الحركة في حاجة إلى استراتيجية جديدة قصد التأثير على القرار السياسي وانتزاع مطالب الحركة الأمازيغية، وفي هذا السياق جاءت العديد من المبادرات، لعل أهمها مبادرة جمعية «تماينوت «المتعلقة بتدويل القضية الأمازيغية وإسماع صوت الأمازيغيين في المحافل الدولية، قصد الضغط على النظام المغربي، والمبادرة الثانية هي

مسيرة « تاوادة » من أجل المطالبة بالاستجابة لمطالب الحركة الأمازيغية، والتي تعمل من أجل إنجاحها ست (6) مجموعات جمعوية أمازيغية) من بينها الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي وجمعية تماينوت(، إضافة إلى تمثيلات المواقع الجامعية. وقد ظهرت في المغرب ثلاث جاذبيات في أوساط الحركة الأمازيغية :

- 1 الجاذبية الأولى، هي جاذبية الاستمرار في العمل الجمعي الثقافي دون غيره، وأنصارها يرفعون شعار « ليس بالإمكان أبدع مما كان.»

- 2 الجاذبية الثانية، هي جاذبية تأسيس إطار سياسي في أسرع وقت ممكن وبدون ضوابط، وأصحاب الفكرة يبررون موقفهم باقتراب موعد الاستحقاقات الانتخابية.

- 3 الجاذبية الثالثة، هي جاذبية تأسيس جمعية ذات طابع سياسي، تتخذ شكل منتدى للنقاش السياسي الأمازيغي، تكون مهمتها المرحلية على المدى المتوسط هي بناء مشروع مجتمع ديمقراطي متكامل يشكّل أرضية للعمل السياسي الأمازيغي المنظم، ويعتبر أنصار هذا الطرح بأن الدعوة إلى تأسيس حزب سياسي على جناح السرعة وبدون توفر الوضوح السياسي المطلوب، ووجود مشروع منبثق عن عمل دقيق ومسؤول تعد في الظروف الحالية مغامرة غير مضمونة العواقب.

ومن خلال كتابات المناضلين الأمازيغيين، وخلال النقاشات والندوات التي نُظمت للإجابة عن سؤال: ما العمل؟ اتضح بأن أغلبية المناضلين الأمازيغيين يرغبون في الانتقال من مجال التفكير

السياسي حول الشأن السياسي إلى موقع الممارسة السياسية دون أن يعني ذلك خلق إطار بديل للجمعيات التي لا غنى عنها في ظروف الراهنة والمستقبلية، وبعد الخطاب الملكي ليوم 31 يوليو 2001 ، والذي استجاب فيه الملك لمطلب حيوي من مطالب الحركة الأمازيغية، ألا وهو مطلب الاعتراف بالأبعاد المتعددة للهوية المغربية، وقرار الملك بإحداث المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، وما يشكله ذلك من حافز للفعاليات الأمازيغية قصد مضاعفة الجهود.».

وتأكيدا لما قلناه عن اتخاذ الديمقراطية مطية للعلمانية ومحاربة الإسلام واللغة العربية، يقول الناشط «الأمازيغي» المغربي أحمد عصيد: «وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ قَدْ حَانَ الْوَقْتُ لِإِنْهَاءِ هَذَا الْحَيْفِ مَا دَمْنَا نَتَحَدَّثُ عَنْ انْتِقَالِ دِيمُقْرَاطِي، إِذْ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَخِيرُ شَامِلًا لِكَافَةِ الْجَوَانِبِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ»<sup>(1)</sup>.

وكما أشرنا في مقدمة هذا الفصل بأن أعضاء الحركة ينسقون فيما بينهم في كل من المغرب والجزائر ويتكاملون لتحقيق هدف واحد، يقول الأستاذ أحمد عصيد من المغرب: «اندلاع انتفاضة القبائل بالجزائر إثر مقتل أحد الشباب من طرف قوات الدرك أثناء الاحتفال بالذكرى الواحدة و العشرين للربيع الأمازيغي يوم 18 أبريل 2001 ، هذه الانتفاضة التي أَلْقَتْ بظلالها بشكل واضح على الأجواء المغربية، وأثرت تأثيرا واضحا في عمل الحركة الأمازيغية التي لم تتوقف عن إعلان تضامنها بشتى الوسائل، كما أثرت في الرأي العام الوطني، وجعلت القضية الأمازيغية تبرز لأول مرة في النقاش العمومي

بوصفها إيديولوجيا للتحرير ومواجهة قمع الدولة وإرهابها، لقد فشلت القومية العربية في بناء دولة ديمقراطية في الجزائر وكرست عكس ذلك) كما حدث في بلدان المشرق (سلطة العسكر وهيمنة الحزب الوحيد، كما فشلت الأصولية الدينية في المساهمة في توطيد الديمقراطية بسبب الطريقة السيئة التي استعمل بها الدين في الحملات الانتخابية، ثم في معاملة الخصوم السياسيين وتهيج الشارع، مما قاد إلى توقيف «اللعبة الديمقراطية» و الاحتكام إلى العنف الدموي، وهاهي الأمازيغية تخلق الحدث وتقوم بتأطير الشباب ليس من اجل مطالب أمازيغية) لغوية صرفة (بل من اجل تنمية حقيقية شاملة، ومن اجل كرامة المواطن الجزائري وحرية، ولهذا لم تجد انتفاضة القبائل بدا من أن تتخطى الرقعة الجغرافية الصغيرة نحو العاصمة ونحو مناطق أخرى، وكان السؤال الذي طرحه الجزائريون والمغاربة أيضا هو: هل تحرر الأمازيغية الجزائر المقموعة؟ وهو سؤال كان يحمل ضمنا سؤالا آخر يتعلق براهن المغرب وبأزماته الخاصة، فهل يمكن لانتفاضة القبائل أن تثير لدى المسؤولين المغاربة الشعور بضرورة تغيير السياسة الثقافية والإعلامية والتربوية المتبعة، و التي تقوم في عموم ثوابتها وأسسها على نوع من الميز بين ما هو عربي رسمي، وما هو أمازيغي أصلي، هذا هو السؤال الذي طرحته الحركة الأمازيغية بالمغرب طوال أيام انتفاضة القبائل.<sup>(1)</sup>».

وبعد عرضنا لأهم المطالب والطروحات التي تقدم بها نشطاء الحركة البربرية كما وردت بأقلامهم في كل من الجزائر والمغرب حول موضوع «الهوية والثقافة والديمقراطية»، والذي

يتضمن بعض المغالطات التي تتطلب الوقوف عندها لتوضيحها للقارئ حتى لا يلتبس عليه الأمر، وتختلط أمامه الخيوط الثقافية والسياسية والجغرافية، في هذه المسألة الجوهرية التي تتمحور حولها كل أهداف الحركة البربرية التي تسعى في النهاية بطرق ملتوية، إلى تحقيق مطالب انفصالية سياسية هوياتية، انطلاقاً من بعض الطروحات الثقافية والديمقراطية، كما أسلفنا في المقدمة.

ولذلك نرى لزاماً علينا أن نتوقف قليلاً لتوضيح بعض المسائل الأساسية والمفصلية حول الثقافة والهوية، وتحديد المفاهيم المتواضع عليها علمياً وعالمياً حول هاتين النقطتين المحوريتين في أهداف الحركة البربرية بكل خلفياتها وأبعادها لتنجلي الأمور أمام الجميع ويتبين العلمي فيها من الوهمي، والسياسي من الثقافي والجغرافي، والثابت والضروري من المتغير والفلكلوري.

## أولاً: الهوية:

تعتبر الهوية من المصطلحات الأكثر تداولاً في الساعة السياسية والساحة الثقافية على امتداد الكرة الأرضية، وهو مفهوم حديث لا يتجاوز نصف قرن تقريباً.

والهوية اصطلاحاً هي عبارة عن مجموعة صفات متكاملة، ومتفاعلة فيما بينها لتعطي لشخص أو شعب معين، مميزات يعرف بها، ولا يختلط أمره معهم فيها أفراداً وشعوباً وأماً وقوميات...

ومن هنا جاءت عبارة «بطاقة الهوية» وهي تعني تحديداً وثيقة رسمية خاصة بإثبات هوية شخص بعينه، وهي تنقسم إلى قسمين أو نوعين منفصلين ومتداخلين في ذات الحين هما:

**1 - هوية فردية:** وهي مجموعة علامات أو سمات وقرائن نفسية وجسدية، خاصة بشخص بعينه تميزه عن غيره من أبناء جنسه، وهذا النوع لا يهمننا.

**2 - هوية وطنية أو قومية:** (نسبة إلى الوطن أو إلى الأمة التي ينتسب إليها شعب متميز بخصائص هويته) ومن هنا يمكن تعريف هوية أية أمة أو شعب من الشعوب بأنها هي مجموعة من الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إلى هذه الأمة أو هذا الشعب. والاختلاف في مقومات الهوية الفردية والهوية القومية، هو اختلاف في النوع وليس في الدرجة، فالهوية الفردية ذات سمات جسدية في الأساس والهوية القومية ذات سمات ثقافية في الأساس (دون أن يوجد أي تناقض بين الهويتين، بل هما ترتبطان بعلاقة جزء بكل...) وفي معادلة موجزة يمكن القول بأنه إذا كانت بصمات الأصابع «الفردية» تميّز شخصا ما عن آخر كما قلنا... فالثقافة الوطنية أو القومية في عمومياتها هي البصمات الخاصة التي تجعل كل أفراد

هذه الأمة أو تلك يتميزون (بهويتهم الجماعية) عن غيرهم من الشعوب والأمم... فحدد لي ثوابت ثقافتك الوطنية أحدد لك سمات هويتك القومية.

### ثانيا: مفهوم الثقافة:

إن الثقافة (كما ورد في آخر تعريف لها في مؤتمر مكسيكو 1982) «هي جماع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات، وان الثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته والتي تجعل منا كائنات تتميز بالإنسانية...».

ونلاحظ أن هذا التعريف وغيره من عشرات التعاريف التي وضعها العلماء للثقافة على امتداد أكثر من قرن من الزمان لا تخلو جميعها من الإقرار بخاصيتين أساسيتين في الثقافة هما:

1- إن الثقافة شيء مكتسب ولا تمت بصلة إلى المسائل الغريزية أو الجسدية في الإنسان، ومن ثمة فتوحيدها والمحافظة على أنماطها العامة التي لها علاقة بالهوية تظل دائما رهن إرادة الإنسان الواعي بوجوده كفرد في أمة ذات هوية متميزة.

2- إن الثقافة متبادلة التأثير مع الإنسان، وتؤثر بصفة خاصة

على السلوك الفردي والجماعي.

وتأكيدا لهذا المعنى يقول أحد علماء الأنثروبولوجيا الثقافية (وهو

رالف لينتون (Ralph Linton) في كتابه (Personnalité la de culturel

Le fondement) عن الإنسان وعلاقته بالثقافة... «إن الإنسان هو كائن

له شكله الفيزيقي، وتراثه الاجتماعي وسماته الثقافية، إن الطفل قد يولد

زنجيا من الناحية الفيزيكية... ولكنه لو ينشأ في فرنسا مثلا فإنه يكتسب

عادات اجتماعية وسيتصف بسمات ثقافية تميزه عن أقرانه الذين لم

يبرحوا موطنهم الأصلي في القارة الإفريقية».

وهكذا نلاحظ أن الثقافة في مفهوم العلماء وفي أنماطها العامة

أبعد ما تكون عن الفلكلور والثقافة الشعبية كما يذهب إلى اختصارها

بعض الزعماء السياسيين لأغراض انفصالية مغلقة بالهوية كما هو

واضح مما أوردناه من نصوص بأقلامهم!!

ولبلورة هذه المعاني العامة للثقافة وتجسيدها في أمثلة ملموسة

في حياتنا اليومية نقول بأن للثقافة جانبين متكاملين هما:

1- جانب معنوي: ويتمثل في التأمل والتفكير والشعور

والاعتقاد.

2- جانب سلوكي ومادي: ويتمثل في قواعد المعاملات في

جميع مجالات الحياة «العلائقية» بين الأفراد في المجتمع، وكذلك

جميع الاختراعات القيّمة (العلمية والفنية) التي يحققها هؤلاء الأفراد.

وكما أن للثقافة جانبين (مادي ومعنوي) فلها أيضا مستويان لكل

جانب:

1- مستوى عالمي، وهو خاص بالإنسان كإنسان مقابل الحيوان... كظاهرة ارتداء الحد الأدنى من الملابس لستر العورة (حتى في فصل الصيف)، وظاهرة اللغة وظاهرة الاعتقاد وظاهرة العلاقات الأسرية وظاهرة السلطة وما إلى ذلك من الخصائص الثقافية.

2- مستوى محلي وطني (نسبة إلى الوطن) أو قومي (نسبة إلى القوم) وهو تخصيص أو انتقال من العام إلى الخاص، ومن المشترك إلى المتميز، أي الانتقال من ظاهرة ارتداء الثياب إلى نوع الثياب بالذات، ومن قواعد الأخلاق إلى نوع القواعد ومحتواها القيمي في ذاتها، ومن ظاهرة النطق إلى نوع اللغة، ومن ظاهرة الاعتقاد إلى نوع المعتقد بذاته... وهذا ما يجعل أنماط الثقافة الوطنية التي هي أساس الهوية الوطنية تختلف بالضرورة عن الأنماط الثقافية العالمية في النوع وليس في الدرجة من الجانبين (المادي والمعنوي) في حين أن مميزات الثقافة الوطنية في عمومياتها هي واحدة النوع بالضرورة في الجانب المعنوي على الأقل، وقد تختلف من منطقة إلى أخرى داخل الوطن الواحد في بعض الجوانب المادية الداخلة في عداد

البدائل أو الخصوصيات الجغرافية والمناخية (...)

فمن هذا المنطلق -إذن- يتم الفرز بين الثقافة كظاهرة إنسانية عامة والثقافة النوعية في المجتمع «الأمة» ذي الثقافة المتجانسة في الأسس كما يفترض أن تكون.

ولوضع الأيدي على نقاط الاتفاق الملزم والاختلاف المباح في هذه الأسس المتداخلة الأطراف، (بقصد إدراك هذه العلاقة القائمة -أو التي يجب أن تقوم- بين الهوية والسمات الثقافية العامة المميزة لهذه الأمة عن تلك) نورد هذا التقسيم العلمي للثقافة إلى مستويات أو دوائر ثلاث هي:

**1- العموميات:** وهي النظم ذات العلاقة الوطيدة بالثقافة «والهوية» وذات التأثير المباشر لها منها وعليها، والتي يتبعها ويخضع لها كل أفراد المجتمع الواحد... كاستعمال اللغة الوطنية في الأماكن العامة مع أبناء الوطن الواحد بصفة خاصة، أو التزام حدود الشريعة الإسلامية في الدول غير اللائكية (...).

**2- البدائل:** أما البدائل الثقافية فهي مجموعة من النظم التي لا تطبق على كافة أفراد المجتمع في الوقت ذاته وبنفس الكيفية، وإنما هي نظم وأنماط ثقافية اختيارية بحيث يمكن للفرد أن يختارها كلها أو يختار بعضها أو يتركها دون حرج ودون أن يناله عقاب من أحد.

3- الخصوصيات: إذا كانت النظرة الخارجية للمجتمع تعطينا صورة شكلية عن الطابع الثقافي العام الذي يميز المجتمع الواحد، ويسم هويته الوطنية بطابع خاص... (كما سبقت الإشارة) فإن النظرة إلى المجتمع من الداخل مع بعض التدقيق تكشف لنا عن وجود خصوصيات ثقافية ذات علاقة قوية ببعض الفئات الاجتماعية دون الأخرى، وهذه الفئات تتحدد بحسب السن والجنس والمهنة والمناطق الجغرافية داخل البلد الواحد، ومن هنا نجد أفراد المجتمع الواحد إذا كانوا يلتقون بالضرورة في العموميات الثقافية أو في بعض البدائل (كما أسلفنا) فإنهم على العكس من ذلك قد يختلفون في الخصوصيات الجغرافية و الفلكورية التي تعتبر من مكونات الهوية (في مجموعها) دون أي تناقض معها.

وبما أن شعوب المغرب العربي كلهم مسلمون ومتجانسون دينيا وحتى مذهبيا، فإن لهذا العامل دورًا أساسيا وجوهريا في تشكيل العموميات الثقافية لكل سكان المنطقة إلى درجة التطابق الاجتماعي والثقافي بين الجهات، مما يؤكد دور الدين في المجتمع وعلاقته القومية والمتداخلة جدًا بالثقافة ومن ثمة بالهوية والوحدة الوطنية والقومية.

ولنوضح هذه العلاقة بين الثقافة في عمومياتها (الملزمة)

وبدائلها الفرعية (غير الملزمة)، نضرب المثال التالي من الواقع المجتمعي لكل الشعوب المغاربية المسلمة، فمن المعلوم للجميع أن كل العائلات المسلمة تحتفل بصبيها عندما يصوم أول يوم في حياته، ولكن هذه العائلات وإن اتفقت جميعها على مبدأ الاحتفال فإنها تختلف في طريقة الاحتفال من منطقة إلى أخرى إن لم يكن من عائلة إلى أخرى. فالاحتفال في ذاته يدخل في العموميات مثل الصوم أو الختان... أما طريقة الاحتفال فتدخل ضمن البدائل الثقافية الفرعية. وهذا أمر طبيعي جدا وعادي، ولا يتعارض في جوهره مع الثقافة الوطنية التي هي جزء أصيل من ثقافة الأمة في عمومياتها المتميزة بالشمولية والثبات.

والذي يهمننا التأكيد عليه في هذا الصدد هو أن الثقافة الفرعية الخاصة بالوطن والإقليم داخل الأمة الواحدة لا يمكن أن تتناقض في جوهرها مع الأنماط الثقافية العامة والثابتة لهذه الأمة.

فالمسجد المبني بالحجر والطوب -مثلا- لا يتناقض في وجوده مع المسجد المبني بالإسمنت المسلح والرخام، والمسجد الكبير لا يتناقض مع وجود المسجد الصغير. ولكن الذي يتناقض مع وجود المسجد، أو بعبارة أخرى مع الثقافة الوطنية أو ثقافة الأمة في عمومياتها هو عدم وجود المسجد أساسا في قرية، أو وجود كنيسة

أو بيعة أو صنم بدلا من المسجد أو إلى جانبه في أية قرية أو مدينة، وكذلك الصوم فلا يناقضه إلا الإفطار بدون عذر شرعي، وإذا صادف المرء ثقافة «فرعية» في بلادنا الإسلامية تروج لإباحة الإفطار في رمضان، فهي ثقافة غير إسلامية، وبالتالي ليست وطنية بكل تأكيد على اعتبار أن الإسلام يمثل جوهر وأساس ثقافة الوطن والأمة، ومن ثم جوهر وأساس الهوية الوطنية والقومية، كما يقر بذلك حتى المسيحيون العرب ومنهم المفكر القومي السوري ميشال عفلق الذي يقول: «لا يوجد عربي غير مسلم، فالإسلام هو تاريخنا، وهو بطولتنا وهو لغتنا وفلسفتنا ونظرتنا إلى الكون... إنه الثقافة القومية الموحدة للعرب على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، وبهذا المعنى لا يوجد عربي غير مسلم. . . وإن المسيحيين العرب عندما تستيقظ فيهم قوميتهم سوف يعرفون بأن الإسلام هو لهم ثقافة قومية يجب أن يتشبعوا بها ويحبونها ويحرصوا عليها حرصهم على أئمن شيء في عربيتهم... ولئن كان عجبي شديدا للمسلم الذي لا يحب العرب فعجبي أشد للعربي الذي لا يحب الإسلام» (1).

ونفس الرأي يؤكد مسيحي عربي آخر من لبنان هو فكتور سحاب بقوله: «إن النصراني لا يمكنه أن يكون عربيا، إذا لم ينتم إلى حضارة الإسلام، فكيف يكون عربيا ذلك النصراني الذي لا يتكلم لغة القرآن، ولا يطرب للموسيقى العربية المتحدرة من التجويد القرآني، ولا

يهتز قلبه للشعر العربي، ولا تسحره العمارة الإسلامية، ولا تلتهب شرايينه بنار مجاهدة الغرب الاستعماري، ولا تسير حياته مفاهيم العربية الاجتماعية الموروثة والمتجددة.

إن النصراني العربي ابن الحضارة الإسلامية، وليس أجنبيا عن التراث الإسلامي ... «فنحن أبناء حضارة واحدة، وهي حضارة منفتحة، بل لعلها أكثر الحضارات انفتاحا على التأثيرات الخارجية، وليس في وسعنا أن نشكو الانغلاق على وجه التأكيد، بل لعل الشكوى هي المبالغة في الانفتاح إلى الحد الذي سمح لمختلف الأهواء أن تختار الالتحاق بهذه الحضارة الأوروبية أو تلك، حتى أصبح الالتحاق السياسي أمرا ميسرا، والانفصال العربي أمرا واقعا، فإذا قبلنا العلمانية على أنها الحرية في العقيدة الدينية فالعلمانية مرفوضة في الحضارة، فنحن لنا حضارة واحدة هي الحضارة العربية وروحها الإسلام»<sup>(1)</sup>.

وعليه فإذا صادف المرء ثقافة في بلادنا الإسلامية تبيح الإفطار في رمضان فإن هذه الثقافة ليست إسلامية لسببين:  
السبب الأول: هو أنها تتعارض مع الثقافة الإسلامية في جوهر الإيمان بالله، وهو الطابع العام الذي يتميز به الفرد المسلم في حالته الطبيعية والعادية.

السبب الثاني: هو أن هذه الفئة المفطرة هي فئة شاذة لا تشمل، بل لا تمثل أبناء الوطن الإسلامي بخلاف الصائمين الذين يوجدون

في جميع أقطار الأمة، وقس على هذه الأمثلة كل العناصر التي يبدو فيها التأثير المباشر والعلاقة القوية بين الدين والثقافة في عمومياتها الثابتة.

وإن الذي يهمننا في هذا كله هو القاعدة العامة والغالبة وليس الاستثناء. فالاستثناء موجود في جميع أنحاء العالم، وفي جميع المجتمعات والأمم، ولكنه دائما يعيش على هامش التاريخ والواقع لتلك المجتمعات، ولا يغير القاعدة أبدا إن لم يثبتها!

إن التاريخ الثقافي الذي كتب بالإسلام وفي الإسلام لا يمكن أن يفصل عن التاريخ العام للوطن العربي الإسلامي وشخصية أفراد الأمة بكل أبعادها وخصائصها المتميزة.

وانطلاقا من أن الهوية لأية أمة هي منتج ثقافي صرف كما فصلنا آنفا، فإن الثقافة بكل مكوناتها ومركباتها، وأنماطها تختلف من أمة إلى أخرى.

ولإثبات علاقة الهوية الوطنية بالإسلام واللغة العربية كعموميات لا بديل عنها، في كل بلاد المغرب العربي، نورد هذه الردود لبعض الأعلام الوطنية لمختلف الفئات الشعبية، ومن ذلك هذا الرد على الأهداف الثقافية والهوياتية للحركة البربرية، فتحت عنوان: «هلا أعلنتموها صراحة» ورد مقال مطول في جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 19/11/1989 (بإمضاء) جماعة من

الشباب الوطني المسلم (من تيزي وزو نورد منه ما يهم موضوعنا في الفقرات التالية:

«قبل الدخول في صلب الموضوع لابد من رفع التباس قد يرد على بعض الأذهان فنقول: نحن جماعة من الأمازيغ ومن مختلف الأعمار، ولا ننتمي لأي حزب أو أية منظمة، وإنما الذي يجمع بيننا هو النظرة السليمة إلى الأمور والحكم الصحيح عليها. وحين اطلعنا على ما نشر في الصحافة عن موقف «حزب «من المرتد» سلمان رشدي «وكتابه» آيات شيطانية» أصبنا بالذهول!

نعم تناقلت الصحافة الوطنية أخيرا موقف «حزب «من قضية كتاب» رشدي «هذا الحزب الذي حاول أن ينصب نفسه وصيا على ثقافتنا لصيانتها- حسب زعمه -من الإندثار!!  
إننا لا ندري هل أن هذا الموقف يدل على بلاهة عمياء أويدل على خطة شيطانية مستمدة من عنوان الكتاب نفسه» آيات شيطانية.»

إذا كانت الأولى فان صاحب الموقف يجهل أن 99,99 % منا نحن الأمازيغ الأحرار نردد مئات بل آلاف المرات كل يوم اسم محمد) صلى الله عليه وسلم(، ونتبرك بذكره، فكم من مسجد يتعالى منه اسم الله واسم رسوله) صلى الله عليه وسلم(، وكم من فرد يفيض قلبه إيمانا إذ يؤم تلك المساجد كل يوم خمس مرات، كم من عائلة أمازيغية تؤدي شعائرها الدينية في منازلها أطفالا وكهولا، رجالا ونساء، وألسنتهم تلهج بالثناء على محمد) صلى

الله عليه وسلم (في متعة روحية، لا تدانيها متعة، وكم من لقاء يتم في قرانا لمناقشة بعض المشاكل. ولا يسمح فيه لأحد بتناول الكلمة إلا بعد الصلاة والسلام على رسول الله) صلى الله عليه وسلم(، وبكل خشوع ووقار وأجلال، وكم من احتفال بعقد قران بين زوجين ولا يتم الطلب والقبول إلا بعد الصلاة عليه وبناء على سنته) صلى الله عليه وسلم(، وإلا فان ذلك القرآن اعتبر لاغيا، مهما ضعف التدين في كلتا العائلتين، وكم من إنسان هاجت نزواته واستبد به الغضب فراح يهدر هدير الأمواج الصاخبة ولا شيء يمكن إن يهدئه ويعيده إلى رشده إلا إذا طلب منه إن يصلي على محمد) صلى الله عليه وسلم(..).

وحتى أولئك الذين يتكاسلون عن أداء شعائرهم الدينية تجدهم في مناقشاتهم العابثة يذكرون محمدا) صلى الله عليه وسلم (بكل أجلال، ويقسمون به غير حائثين، وكم..وكم..وكم..قل لنا بربك أيها الناطق باسم حزبه: ألا يستحق كل هؤلاء المؤمنون من إخوانكم الأمازيغ، ولو أدنى قدر من مراعاة لشعورهم، ولونفاقا وتزلفا عساكم تحتاجون إليهم يوما ليتعاطفوا معكم! ؟ ألم تفكروا في النتيجة العكسية التي يحدثها موقفكم هذا؟؟ ألا تدرون أنكم لموقفكم الاستفزازي هذا غررتم خناجركم المسمومة في عواطفنا نحن الأمازيغ المؤمنين بالله وبرسوله) صلى الله عليه وسلم (أدام الله علينا) وعليكم هذه النعمة!...

أهذا هودفاعكم عن ثقافتنا؟؟..أم أن الثقافة عندكم هي الأنسلاخ عن الدين، وعن التقاليد والأعراف والعادات؟؟ ..إلا أنها غباوة عمياء صماء عرجاء إن كنتم تعتقدون أننا سننسلخ يوما

عن ديننا وتقاليدنا وعاداتنا؟.

إن ذاكرتنا لتعود إلى عصر بعيد، إلى عصر الرومان الذي دام بالجزائر ما يزيد على خمسة قرون، والذي كان فيه الناس مقسمين إلى قسمين: الأحرار والعبيد.

أما الأحرار(الأسياذ) فهم الرومان، ولكن أتدرون من هم العبيد؟. إنهم الأمازيغ، كل الأمازيغ، وطوال هذه المدة بذل الرومان كل ما في وسعهم لجعل الجزائر رومانية، ولكن أجدادنا الأمازيغ لم يمكنوهم من ذلك. وهؤلاء الأجداد رحمهم الله هم الذين رحبوا بالدين الإسلامي لما أشرق عليهم نوره. فأصبحوا من أكبر الدعاة له، وكيف لا يكونون كذلك، وهذا الدين الجديد ينادي بأعلى صوته، ألاّ فضل للعربي الذي أتى به على صاحب البلد الذي يبلغ إليه إلا بالتقوى، أي أن هذا الفاتح لا فضل له عليك أيها الأمازيغي، بل يمكن أن تكون أنت أفضل منه، إذا تفوقت عليه بالتقوى. وعند الرومان تعرف بالعبد! تحت ظلال هذا المبدأ الأنساني السامي العادل الديمقراطي حقا اندفع أجدادنا ينشرون الإسلام، أوليس جبل طارق، الذي كان يدعى صخرة الأسد، نقشا خالدا في ذاكرة الزمن، يخلد جهاد أجدادنا العظماء، في سبيل نشر الإسلام وحمائته وفدائه بالنفس والنفيس. ولكن مع الأسف نحن الأحفاد يبرز من بيننا من يتجرأ، وبكل وقاحة، على الاعتداء بمواقفه الضالة والمضللة، ليس علينا نحن الأحفاد الأحياء فحسب، بل على أولئك الأجداد الكرام. اللهم إلا إذا كان هؤلاء الأمازيغ مزيفين، لأن بعض من يزعمون أنفسهم امازيغ ليسوا كذلك في الحقيقة، بل هم من بقايا المحتلين السابقين

كالرومان والوندال!!..

ومما يرجح هذا الادعاء هوالتجاوب والأنسجام مع كل ما يأتي من الغرب، ولوكان ذلك هوكتاب« سلمان رشدي»،» آيات شيطانية «الذي تزلزلت منه الأرض حتى في البلدان الملحدة، ثم هاهي الأمازيغية تكتب بالحروف اللاتينية !ولا ندري هل هؤلاء (المتمازيغين (يجهلون أويتجاهلون أن للأمازيغية حروفا تسمى«:تيفناغ.»

ثم ما معنى هذا التهافت على الأكاديمية البربرية الفرنسية بباريس واحتضان كل ما يأتينا منها بكل حرارة وشوق، وصاحب هذا الفضل في إنشاء هذه المؤسسة كان بالأمس القريب لا يتردد في الزج بمن يضبطه يقرأ أشعار» سي محند وامحمد «في السجن.اشرحوا لنا بربكم أيها المتمازغون» العباقرة «كيف تحول هذا العدو اللدود للأمازيغية حين كان الأمر بيده، إلى صديق حميم بعد أن أفلتت الحبل من يده؟ أولم تعلموا إن المستعمر الفرنسي جاء لردم المسافة الزمنية الفاصلة بينه وبين أجداده الرومان، كأن أربعة عشر قرنا من الزمن لا وجود لها، أولا وجود للجزائر خلالها،) وتسمية الفرنسي بالرومي جاءت من هذا.)(\* )

أوتجهلون كذلك أن المحتل الجديد ركز عنايته المكثفة بشكل رهيب على القبائل ليجعل منهم أداة لتسلخ الجزائر، بل إفريقيا كلها من ماضيها ومن حضارتها خاصة الإسلامية !. وكأنا بصاحب الموقف المؤيد لزعيمه الروحي» سلمان رشدي «يقول :دعونا من كل هذه الخزعبلات، وهذه الفلسفة،

إنكم تحاولون مغالطة السذج، أما نحن دهاة العصر فلا تنظلي علينا حيلتكم!!

نعم له أن يقول ذلك فهو حر فيما يقول وما يعتقد وإنما فقط نستسمحه في أن يتفضل بالاستماع إلى هذه الفقرة الواردة في خطاب» لافيجري «أبوالحركة التبشيرية في الجزائر أمام الوالي العام في المؤتمر المسيحي:

«...إن فرنسا لا يمكنها أن تتجب من الأجيال ما تعمر به أرض فرنسا وأرض الجزائر الفرنسية في نفس الوقت، ولكن اطمئنوا سيادة الوالي العام وطمئنوا الدولة الفرنسية بأننا وجدنا حلا لهذه المعضلة.. إننا عازمون على تمسيح مليونين ونصف من القبائل، وحين يتم لنا ذلك فهم الذين سيمسحون لنا الجزائر كلها بل إفريقيا كلها.»(\*)«...»

ما رأيكم في هذا التصريح أمام عدد ضخم من خلق الله يا دهاة العصر؟ أم إن « لافيجري » كان يسفسط هو أيضا ويريد مغالطة دولته) الساذجة(؟!.

ألا فلتعلنوها صراحة أيها...وقولوا: إنكم آليتم على أنفسكم إن تكونوا امتدادا لتلك الحملات وأداة لتنفيذ تلك المخططات، ولم لا تصارحون أتباعكم الطيبين؟ ولم تخدعونهم بالعناوين الغامضة والبراقة في نفس الوقت؟ ولم تلبسون مسوح الراعي الذي يحمي القطيع من الذئب، وأنت الذئب الذي يخشى منه على القطيع ! ولكن ثقوا أن من خدعتموهم سيكتشفون يوما خداعكم يومئذ سيكون لهم معكم حساب عسير . !! لا . أيها المارقون من الدين، إن فيض الإسلام ارتوت به أرواحنا.وارتوت به أبداننا، وارتوت

به حيواناتنا ونباتاتنا وحتى صخورنا. فهوباق إلى الأبد في هذه الربوع حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ومن يدري لعل طارقاً آخر سيظهر في المستقبل لينشر نور الإسلام من جديد، ولكن هذه المرة ليس في الأندلس وحدها، بل في كل أروبا ولم لا في كل الغرب !!

ويختم المقال بالآية الكريمة التي تلخص كل الموقف وهي:  
(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون).(\*)

وتحت عنوان « نحن معك يا صرخة الحق » ورد مقال بإمضاء محمد بن نذير، وأكلي عياط في جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1989/12/24 كله تأييد ومساندة لأصحاب المقال السابق ) ومما جاء فيه:

«لقد أتحدثنا جريدة» الشعب «الغراء في عددها 3103 بتاريخ 89/11/19 بمقال تحت عنوان» :هلا أعلنتموها صراحة.» هذا المقال الذي تناول فيه أصحابه مسألة حساسة وخطيرة معاً، كشفوا به بعض الجوانب للمكائد التي تحاك ضد الوطن وضد الإسلام، وما أكثرها. هذه المكائد التي تبناها بعض أحزابنا عن غفلة أسوء نية تحت غطاء الديمقراطية وحرية التعبير والدفاع عن الثقافة إلى غير ذلك من العناوين البراقة الخادعة؟! وبين كذلك أن هذا نوع من السم في الدسم يراد به خدمة أغراض أعداء الوطن وأعداء الإسلام تحت ظلال الشرعية الحزبية.(...)

قولوا لنا أيها القراء الأفاضل الأعزاء :أمن المستبعد أن

يحصل هذا الحزب المنفذ لسياسة أسياده بكل أمانة- عن وعي أوعدمه -على هدية ثمينة جزاء وفاقا على فعلته الشنعاء (بالنسبة لنا (والرائعة) بالنسبة لهم)؟

ولم لا؟ فهؤلاء على استعداد تام لبذل أموال باهظة وجهود مضنية لجعل مثل هذه الأفكار الهدامة تسرب إلى المجتمعات التي أتعبتهم كثيرا عبر التاريخ الطويل !خاصة إذا جاءت هذه المحاولات من أفراد المجتمع نفسه، لأنها تدرك أنها اشد تأثيرا وأكثر فعالية.

ألا فتنبا لهم من قوم أغبياء يريدون أن يقذفوا بنا وبأنفسهم ووطنهم وتراثهم المجيد بين أشدق الوحش الذي كان بالأمس -وما يزال -يتربص بنا الدوائر، متى ستسرح الفرصة للأنقضاض علينا وازدرادنا جميعا!

وباختصار فإن كل ما ورد في المقال يعبر عن مشاعرنا أصدق تعبير لا سيما ما يتعلق بتبني مشاريع الأكاديمية البربرية بباريس» بشوق وحرارة.(!\*!!)»

إنها حملة شعواء حقا على الوطن وعلى التراث، ولكنها مع الأسف تحت غطاء الثقافة والديمقراطية، وتحت حماية الشرعية الحزبية!!

ألا فلتكتشف هذه المشاريع التخريبية حتى تسقط الأقنعة فتظهر الوجوه على حقيقتها كي يمكن للشعب أن يقول فيها كلمته الحاسمة قبل فوات الأوان.

وتحت عنوان» :مزيدا من الحذر واليقظة «نشر مقال بإمضاء مجموعة من الشباب بجريدة الشعب في 1989/12/22

(تنديدًا بالتأييد، وتأييدًا للتنديد (جاء فيه:

«وبعد، فلقد اكتشف إخوتنا الأحرار زيف شعار الدفاع عن الثقافة الأمازيغية الذي ينادي به حزب» التجمع والثقافة والديمقراطية «بعدما نشرت الصحف الوطنية خبر موقف هذا الحزب من نشر كتاب» آيات شيطانية «للمرتد سلمان رشدي.

الذي جاء في مقال بجريدة الشعب يوم 19 نوفمبر 1989 تحت عنوان» :هلا أعلنتموها بصراحة «إن هذا الرد الشجاع شجب بقوة شعارا لا يخدم سوى الأطماع السياسية الاستعمارية الجديدة. هذا وإن كنا لا نشك في إيمان إخوتنا الأمازيغ وإخلاصهم للدين الذي أخرج آباءهم من الظلمات إلى النور، وحررهم من الذل والعبودية طيلة فترة الاستعمار الروماني، فإننا كنا نود أن يعلنوها صراحة قبل هذا اليوم!

إلا أننا نلتمس لإخوتنا العذر لانخداعهم بشعارات زائفة. إن الإسلام ما زال بخير في هذا البلد، وأن من يحاول المساس به، تحل به نقمة الأمة ويسقط من حساباتها. فمزيدا من الحذر واليقظة فما زال للاستعمار أذنان وخدام ببلادنا.»

وتحت عنوان» :اللائكية وأشياء أخرى «..ورد مقال بإمضاء الكاتب الصحفي بشير حمادي، منشور بجريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1989/12/26 جاء فيه على الخصوص:

«لقد برزت على الساحة السياسية عندنا منذ قرار التعددية (دستوريا (أحزاب تحمل في تسميتها كلمة» الديمقراطية «ومن هذه الأحزاب من قام من أجل الديمقراطية، أي انه قام دفاعا

عنها، عاملا على جعلها حقيقة، مكذبا بذلك» مونتسيكو «هذا التنظيم السياسي يسمى» التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية » الذي عقد مؤتمره الأول يومي 16 و 17 ديسمبر 1989 ، وحضرنا جانبا من أشغاله التي أسالت حبر أقلام بعض زملائنا في المهنة خاصة كوكبة جريدة « المساء » التي أزعجت التجمع إلى حد رفض التعامل مع الجريدة ككل!!

إن هذا التنظيم السياسي قائم على أساس ثلاثية مضمنة في تسميته وهي: التجمع، الثقافة، الديمقراطية.

وهذا التنظيم يؤكد في برنامجه من خلال تصريحات قاداته على مبادئ تشكل هي الأخرى ثلاثية تتمثل في: الأمازيغية، العروبة، الإسلام.

وعقد هذا التنظيم مؤتمره الأول تحت شعار يتضمن ثلاثية أخرى هي: الصراحة، الوفاق، التفتح. وقد بعثت مجريات أشغال المؤتمر وما تلاها ثلاثية تتمثل في: الفرنسية، اللاتينية، الاستبداد .

إنه لمن الصعوبة بمكان أن يجد المرء الخيط الرابط بين الثلاثية التي قام من أجلها هذا التنظيم السياسي، وبين مبادئه المعلن عنها، وبين شعار مؤتمره الأول، وبين الممارسة، فإذا أخذنا من الأساس» التجمع «فإننا نجد» الوفاق«امتداده في الشعار، وإذا أخذنا «الثقافة» فإننا نجد» الأمازيغية «امتداد لها في المبادئ و«الفتح » امتداد لها في الشعار وإذا أخذنا» الديمقراطية «فإننا نجد «الصراحة «امتدادا لها في شعار المؤتمر، ولكن أين امتداد

## العروبة والإسلام ؟

إن هاتين الكلمتين تظهران وكأنهما مقحمتان وسط الكلمات الأخرى، ولهذا نجد أن ثلاثية الممارسة جاءت معاكسة لهما تماما، وهذا من خلال» إعادة الاعتبار للفرنسية «التي كانت سيده الموقف بدون منازع ...سيده على العربية الفصحى، وعلى الدارجة، وحتى على الأمازيغية، وكذلك من خلال» اللاتينية « التي جاءت» حامية الدين «عند التجمع!!

-أما فيما يتعلق بالديمقراطية التي تشكل أحد مبررات وجود» التجمع «فقد كان محبا لها حب القطة لأبنائها، حب وصل إلى حد الأكل، وبنوع من الافتراس البشع، يسمونه في لغة السياسة :الاستبداد، وهناك مؤشرات كثيرة عن الحب الافتراسي للديمقراطية عند» التجمع «نذكر منها:

(1)المناقشة العامة كان الرأي فيها مشروطا، أي انه لا يجب إن يخالف المتدخلون رأي المؤسسين» للتجمع «فإن قال المؤسسون» الأمازيغية لغة وطنية دستورا «فإنه يحرم على كل واحد إن يقول خلال ذلك حتى وان كان لم يسمع طوال حياته بلغة أمازيغية ولم يشاهد حروفها وأرقامها، وان قال المؤسسون «اللاتينية «فانه يتحتم على الجميع إن يرددوا هذه الكلمة حتى وان كان أغلبهم لا يدرك معناها.

(2)منع المندوبين من الحديث إلى رجال الإعلام.

(3)إن الفصل أوالإبعاد من « التجمع «مثلما حدث فيما عرف بقضية» بابوش «يتم وفق قواعد الأنضباط العسكرية، بل

إن هذه أكثر ديمقراطية، ذلك إن الفصل يتم دون المرور عن لجنة انضباط أولجنة إثبات العضوية للمؤتمر، دون الاستماع إلى رأي المفصول، فيما ينسب إليه من خصمه، فالخصم كان خصما وحكما!.

ولا نظن أن هذا التقرير الصحفي الوافي الذي يغطي وقائع المؤتمر الأول للحزب المستمى «التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية» هو في الحقيقة يثبت لنا أنه تجمع من أجل «الدكتاتورية والفرنكوفونية واللائكية» ولا يحمل من الثقافة والديمقراطية إلا الشعار الفارغ من أي محتوى لما يرمز إليه اسمه شكلا أو مضمونا!!

## الفصل الثاني عشر

علاقة الحركة البربرية باللائكية

إن العلمانية أو اللائكية في معناها الصحيح تعني «اللا دينية» (أو الدنيوية) المفرغة من كل محتوى أخروي، وفي الجانب السياسي تعني عدم إدخال الدين في شؤون الحكم وسياسة الدولة، وهو اصطلاح لا صلة له بكلمة «العلم»، وقد نشأت هذه الدعوة في أوروبا وعمّت الكثير من الأقطار العربية والإسلامية بتأثير الاحتلال والتنصير والشيوعية...

وإدراكا من أقطاب الحركة البربرية، بأن القضاء على الإسلام) في عصر الصحوة الإيمانية والإسلامية (يعد مستحيلا سواء عن طريق الحركة الشيوعية الإلحادية، أو عن طريق الحركات التنصيرية) كما سبقت الإشارة (والتي لم تثمر كل الجهود المبذولة من خلالهما لتضليل الناشئة بهما ..تعتمد الحركة البربرية في الوقت الحاضر إلى التركيز على سلاح آخر خطير وفعال، وهو الإقرار ظاهريا بالإسلام كدين لغالبية أفراد الشعب، ولكنهم يطالبون بفصل الدين عن الدولة فصلا تاما، حتى يخلو أقطاب هذه الحركة العمل في حل من أي قيد أخلاقي أوديني .هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهم لا يخفون حقدهم وعداوتهم الشديدة للإسلام لوقوفه سدا منيعا في سبيل أي دعوة للتشردم الوطني وتمزيق صفوف وحدة الأمة، إلى جانب اعتبار الإسلام بدون منازع أكبر سند لانتشار اللغة العربية والمحافظة عليها لدى كل المسلمين في سائر أنحاء مناطق الوطن، حتى في

أقصى الجبال التي ما زال سكانها يتحدثون ببعض اللهجات البربرية، مما حال دون الجهود المضنية للحركة البربرية كي تفصل بين الإسلام والعربية كلغة وحدة وتوحيد، فأخفوا السلاح الشيوعي (الإلحادي) (والسلاح التبشيري) الصليبي (الذي يعمل في صمت وأظهروا فقط سلاح العلمانية بصفته سلاحاً محايداً) (يقرهم عليه العديد من ذوي الاتجاه الليبرالي الغربي والاشتراكي، والحركات النسوية الإباحية وكل المناهضين للإسلام عموماً!) وهكذا ظهرت الأحزاب والحركات البربرية كحامل للواء اللائكية. وفيما يلي نص لأحد أقطاب هذا الحزب أيضاً في الجزائر، يدافع فيه عن اللائكية ويربطها ربطاً عضوياً ومصيرياً بالديمقراطية موجهاً نقداً مباشراً للدستور الوطني) الجزائري (الذي أوجد الديمقراطية ذاتها، وهذا هو النص حرفياً تحت عنوان: «الديمقراطية تستلزم اللائكية» منشور في جريدة المساء الجزائرية، في عددها الصادر بتاريخ 1989/9/25 وقد جاء في مستهله، كمقدمة تمهيدية، تتم عن العديد من الخلفيات التي نريد للقارئ أن يتلمسها بنفسه كبرهان على ما ذهبنا إليه في قولنا، سواء في الجزائر أو في المغرب، كما سنثبت ذلك بأقلامهم أيضاً في هذا الفصل.

ومما ورد في النص المذكور قوله...: «: آثار موضوع اللائكية نقاشاً على صفحات الجرائد الوطنية، المكتوبة منها بالعربية على الخصوص، بمجرد بروز بعض الأحزاب الوطنية الديمقراطية التي نادى بها صراحة. ففهمها البعض صنواً للإلحاد، والبعض الآخر اعتبر أن المناداة بها يمثل موقفاً عدائياً

للإسلام في حين أن الأمر لا هذا ولاذاك..

تعرف اللائكية بأنها، النظام الذي يبعد الكنيسة عن ممارسة السلطة السياسية والإدارية وعلى وجه الخصوص تنظيم التعليم تطبيقاً لمبدأ « فصل الدين عن الدولة».

وعن التعليم اللائكي يقول: «معناه مجموع المدارس العمومية التي تقدم تعليماً يستبعد التربية الدينية، وهذا ما يميز هذه المدارس عن المدارس الروحية، أي تلك التي تقدم لمريديها تعليماً دينياً حسب العقيدة التي تتبناها، ومثال ذلك الكنائس والمساجد. وغيرها من المؤسسات المعدة لهذا الغرض.» ثم يضيف مستشهداً بفقرة للشيخ محمد البشير الإبراهيمي كتبها المرحوم في سياق آخر غير هذا، فيقول:

«وهي) يقصد اللائكية (على حد تعبير المرحوم الشيخ البشير الإبراهيمي) أن يكون الدستور كدساتير الأمم الديمقراطية، خالصاً للدنيويات التي يشترك فيها الناس جميعاً، خالياً من الدينيات التي تخص الطوائف...»

وبعد حديث منقول جله من كتب التاريخ عن اللائكية في أوروبا، وعن ظلم الكنيسة والإقطاع، والثورات ضدها، والصراع الدموي الطويل الناتج عن تعارض المصالح كما هو معلوم، وهو كله أمر صحيح ومسلم به تاريخياً، بالنسبة لواقع أوروبا المسيحية (غير المسلمة (فينتقل هذا الكاتب الحركي) نسبة إلى الحركة البربرية) إلى نقد الدستور الوطني الجديد، فيقول في هذا الخصوص:

«يجدر بنا أن نأخذ الجانب النظري والجانب التطبيقي بعين

الاعتبار في تعرضنا لهذا الموضوع.

### أولا : الجانب النظري:

تنص المادة 2 من الدستور على أن الإسلام دين الدولة. طريقة صياغة هذه المادة توحى بالتملك. أي أن الإسلام ملك للدولة، ويعني هذا إن نظام الحكم يمكن إن يستعمله كمنورة سياسية متى شاء. ولعل تلك الخطب التي ترسل من وزارة الشؤون الدينية إلى الأئمة لإلقائها في أيام الجمعة، خير دليل على ما نذهب إليه.

وليس من السهل أن تصاغ مثلا) الجزائر دولة مسلمة ( أو)الدولة الجزائرية تدين بالإسلام (أو)دين الدولة الجزائرية هوالإسلام (نظرا لاعتبار أساسي هوكون الشعب الجزائري مسلما في غالبيته، يعني انه مسلم في مجموعه.

ومن جهة أخرى، إذا عرفنا الدولة على أساس العناصر الأساسية المكونة لها وهي :الشعب، الإقليم، التنظيم السياسي...وهوالمجموع أوالكل الذي يصح إن نطلق عليه مصطلح الدولة، فهل يحق أويجوز في هذه الحالة إن نضيف صفة الإسلام لإقليم أولنظام ؟ إذا كان الجواب بنعم يكون بإمكاننا في هذه الحالة أن نقول بأن) مصنع الحجار مسلم، سد العبادة مسلم؟ إلى غير ذلك مما نعتقد أن المنطق يرفضه، لأن الدين في الواقع مسألة شخصية تخص الفرد ولاشيء غير الفرد.

### ثانيا :الجانب التطبيقي:

الشريعة الإسلامية عندنا ليست هي المصدر الأول للقوانين ..إذ

أن المصدر الأول لقوانيننا هو التشريع. فالقانون المدني والتجاري والجنائي والإداري، وغيرها من التقنيات تركز على التشريع أولاً وليس على الشريعة.

عملاً بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان فإن الدستور الجزائري

يضمن:

-مساواة المواطنين أمام القانون دون تمييز في المولد والعرق والدين والرأي والعقيدة...

-مؤسسات الدولة تضمن المساواة في الحقوق والواجبات بين المواطنين والمواطنات وإلغاء كل ما من شأنه إن يعرقل مساهمة المرأة في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

-كما يضمن الحريات الأساسية وحقوق الإنسان ويمنع الالتجاء إلى العنف البدني والمعنوي ضد المواطنين والمواطنات وكذلك يضمن بصريح العبارة حرية المعتقد والرأي إلى غير ذلك من الحقوق والحريات بما فيها الحق في إنشاء الجمعيات ذات الطابع السياسي.

بعد عرض المبادئ اللائكية للحزب بشكل لا لبس فيه، بيدي الكاتب بعض الملاحظات على مواد الدستور الوطني) نتجاوز عنها هنا لعدم أهميتها (ونكتفي هنا بتساؤله الذي يمثل بيت القصيد بالنسبة للموضوع الذي نعالجه في هذا الفصل فيقول: «كيف يعقل أن نضمن حرية المعتقد من جهة، ونفرض تعليماً دينياً إجبارياً من جهة أخرى؟ أن اللائكية التي ينادي بها الوطنيون الديمقراطيون التقدميون تقتضي إصلاحاً عميقاً لنظام

التربية والتعليم، يرسخ مبدأ الديمقراطية الحقة، في ظل مدرسة تحفز الفكر المبدع وتفتح باب المشاركة في ثورة العصر العلمية لكل أبناء البلاد، على اختلاف معتقداتهم الدينية.

فاللائكية إذن تتعارض مع الإسلامية السياسية، فهي تعمل على سيادة المفاهيم التي تعلي قيمة الإنسان من حيث هو إنسان. إن اللائكية عنصر من عناصر الديمقراطية فهي إذن ترفض الاهتمام بالانتماء الضيق وهي إذ تعترف بالاختلاف فإنها ضد تسعير النزاعات الدينية.»

ويستشهد بألم اللائكية فرنسا فيقول: «ولعل أهم مثال نوره بهذا الصدد هو ماجاء في مقال تحت عنوان» ثلاثة ملايين مسلم في فرنسا «جاء فيه»: في فرنسا مئات المؤسسات والمنظمات الإسلامية، وحوالي 800 مسجد ومكان عبادة من بينها جامع باريس الكبير الذي تأسس عام 1926 بمبادرة من الحكومة الفرنسية، اعترافا منها بوجود المسلمين ومكانتهم في المجتمع الفرنسي... وأن المسلمين في فرنسا بدأوا يحتلون مواقع سياسية اجتماعية مهمة... وقد طرح حوالي 200 مترشح مسلم أنفسهم لانتخابات البرلمان الأوروبي «..انتهى النص.

### تعليق ومناقشة:

وإننا، رفقا بالقارئ النبيه، لا نريد هنا أن ندخل في مناقشات طويلة لإظهار كل المغالطات الواردة في النص لعدة اعتبارات) وقد نوردها في مكان لاحق عند مناقشة الأطروحة البربرية من مختلف جوانبها في الفصل الرابع عشر.

أولاً : أن القارئ الكريم يستشف بنفسه الأفكار المسبقة لمحرر النص بهدف خدمة غرض واحد ، وهو الذي أشرنا إليه في مقدمة هذا الفصل..

ثانياً : أن النص في ذاته قد حقق لنا الغرض من إدراجه في الكتاب، وهواثبات علاقة الحركة البربرية باللائكية، وقد حققه النص بكيفية لا تترك مجالاً للشك، أوالإضافة، خاصة في الأخير حيث اتخذ فرنسا كمثال يذكرنا بشعار« الجزائر الفرنسية »التي تتعايش فيها الأديان!!

ثالثاً : أن الغرض من هذا الكتاب هوإظهار الأبعاد الخفية والمستترة من الحركة البربرية وليس إثبات موقفنا نحن من العلمانية) معها أوضدها (هذا الموضوع قد نخصص له كتاباً بذاته في المستقبل إنشاء الله.

رابعاً : أن الدخول في مناقشة النص من ناحية موقفنا من العلمانية هوخارج-منهجيا -من غرض هذا الكتاب، وللتدليل على الأهداف الواضحة للحركة البربرية، وتزعمها لعملية الدفاع عن اللائكية والدعوة إليها بكل الوسائل... نكتفي بذكر دليلين اثنين في هذا السياق:

أولاً :إن الاستشهاد بنص الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي دعا فيه إلى فصل الدين عن الدولة في الثلاثينيات من هذا القرن، أي في عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر، هو من قبيل توقفنا عند قوله تعالى في الآية الكريمة) :ولا تقربوا الصلاة(.....، ذلك أنه لا يخفى على القارئ الكريم أن دعوة عالم من علماء الإسلام، مثل الشيخ الفقيه والعلامة محمد البشير الإبراهيمي لفصل الشؤون

الدينية عن الإدارة الاستعمارية التي كانت تطبق) اللاتكزية (تجاه اليهود والنصارى وترفض تطبيقها على الإسلام في الجزائر، حتى لا تترك الحرية للعلماء المسلمين الجزائريين، كي يسيروا شؤونهم بأنفسهم، لتتوير العقول والقلوب، بما يوعي الناس بضرورة الجهاد في سبيل التحرر من الحكم الاستعماري! فكيف نقارن بين المطالبة بفصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية الصليبية الجائرة ... والمطالبة بفصل الدين عن الدولة الجزائرية الإسلامية التي تفرض المادة الثانية من الدستور الوطني لدولة الاستقلال أن دينها هو الإسلام!؟ هذه مغالطة أولى! والمغالطة الثانية التي لم يذكرها صاحب النص، ولن يذكرها أبداً، هو أن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي نفسه مات تحت الإقامة الجبرية) في عهد حكومة الاستقلال (نتيجة موافقه من السلطة الحاكمة في ذلك الوقت (1965) من تطبيق الشريعة الإسلامية! ولو كان الشيخ قد دعا إلى فصل الدين عن الدولة بعد الاستقلال لنال حظوة كبيرة من النظام الحاكم حينذاك) أثناء حكم الرئيس أحمد بن بلة (بدلاً من السجن والجزر والقهر له ولابنه الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي!!\*) هذا دليل المغالطة الأولى.

أما الدليل القطعي الثاني الذي يثبت الحقد الشديد الذي يضمه دعاة الحركة البربرية للإسلام، كما سبقت الإشارة في كل ما خطوه بأقلامهم وطبقوه بسلوكهم، هو إرسالهم رسالة رسمية باسم أحد الأحزاب التي تمثل اتجاههم) وهو حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية (إلى دور النشر الفرنسية يحييها فيها على تحدي الضمير الإسلامي العالمي والفرنسي، بنشرها لكتاب

المرتد سلمان رشدي باللغة الفرنسية، ونترك هذا التعليق للصحفي، مكتشف الوثيقة) الفضيحة (ليعبر بنفسه للقارئ الكريم وهو منشور مع صورة طبق الأصل لرسالة الحزب) وهي باللغة الفرنسية (والمقال حولها مع الترجمة منشوران في جريدة المساء ليوم 26/10/ 1989 ، واليكم التعليق كاملا، والغني عن أية إضافة مني حول الموضوع برمته:

«حدثت» مضت عليه أزيد من ثلاثة أشهر، دون أن يصلنا عنه خبر واحد ... إنه حدث « وطني « وقع من وراء البحار، وبالضبط في العاصمة الفرنسية باريس ... كان ذلك يوم 19 جويلية 1989 ، تاريخ صدور بيان رسمي عن حزب» التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية» يحيي فيه» حدث «نشر كتاب سلمان رشدي» آيات شيطانية) «الذي أثار ضجة استنكار إسلامية وعالمية (في فرنسا، معتبرا ذلك» الحدث-«على حد تعبير البيان الذي هو أمامكم» - انتصارا لحرية الإبداع والنشر الرمزي على الرقابة والإرهاب!!»

كما يحرص» حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية» -نص البيان -على» أن يلتزم المسلمون في فرنسا بممارسة شعائر عقيدتهم في إطار احترام القوانين والمؤسسات اللائكية - العلمانية -للجمهورية الفرنسية»...

هذا ما عثرنا عليه أخيرا في « حولية الضفتين) «كرونيك دي دوريف (الناطقة باسم حزب» التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية «في فرنسا، والتي عبر فيها بيان هذا الأخير عن

موقفه الحقيقي و«الرسمي» من قضية سلمان رشدي الذي انتهك بوقاحة منقطعة النظير مقدسات المسلمين ومشاعرهم، بما فيها الطعن في سلوك وأخلاق النبي الأعظم محمد) صلى الله عليه وسلم (وزوجاته الطاهرات.

يأتي هذا الموقف «الرسمي» من حزب» التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية «في الوقت الذي صدر فيه بيان استنكاري رسمي من وزارة الخارجية الجزائرية التي اعتبرت الكتاب مسا صارخا لمشاعر المسلمين، ومكانة رموزهم ومقدساتهم، هذا بالإضافة إلى السخط الذي عم عدة أوساط سياسية وإعلامية غير إسلامية، نذكر منها،) على سبيل المثال وليس الحصر،) رفض صحف ألمانية مثل يومية» دي والت «و»فرانكفورت راندشو « المحافظتين و«سويدانش زآيت ونغ «الليبرالية- كما جاء في جريدة المساء -نشر إعلانات عن الطبعة الألمانية لهذا الكتاب، وقد بعث أكثر من سبعين صحفيا تابعين لهذه الصحف رسالة احتجاج لدور النشر التي قبلت بطبع الكتاب...

وحول الطابع اللائكي المتلازم في الوجود مع) حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية (يقول الكاتب الصحفي بشير حمادي في مقال له منشور بجريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1989/12/26 جاء فيه على الخصوص» :إن ديمقراطية التجمع لا تحتمل حتى رائحة الشك في ثوابته فبمجرد تساءل مندوب في» المناقشة العامة :«ألا يشكل اعتناق العلمانية خطرا على الإسلام الذي هو دين الأغلبية العظمى لشعبنا؟ قاطعه

رئيس المؤتمر بقوله «:إن ثوابت)الأر.سي.دي (هي) الأمازيغية والعلمانية (ولا شيء غيرهما لأنه قام لأجلها، ولأجلها فقط، وبدونها فان) الأ.سي.دي (يعتبر معوقا وبدون رجلين، وبالتالي فانه لا يتحرك، ولن يذهب بعيدا، ومن يعارض أحد هذين الثابتين فما عليه إلا الانسحاب....ويظهر إن بعض الإخوة قد اخطأوا الباب، وما عليهم إلا طرق أبواب أخرى غير (باب)الأر.سي.دي.)

لقد كنا نعتقد أن « التجمع » قام من أجل الثقافة والديمقراطية، ولكن تبين من كلام رئيس المؤتمر انه قام من أجل « الأمازيغية واللائكية » ولأجلها فقط.»!

وتحت عنوان « :تساؤلات » ورد في جريدة الشعب بتاريخ

1989/12/21، مقال بامضاء المواطن ص.ب) ذراع بن خدة (

جاء فيه:

«أثناء المؤتمر الأول لحزب» التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية (الذي انعقد يوم 15 ديسمبر 1989 في قصر الأمم بنادي الصنوبر، أجاب ممثل حزب التجمع- عندما سألته الصحافة الوطنية عن المادة الثانية من الدستور التي تنص على أن» دين الدولة هوالإسلام- «قائلا بأن هذه المادة لم تعرف إلا بعد سنة1962 ، بمعنى أن الجزائر كانت قبل هذا التاريخ دولة «لائكية»فارتدت عن المسار الصحيح، فأصبحت بعد الاستقلال تنص في قوانينها على الإسلام.

لقد نسي ممثل» التجمع «بأن الثورة الجزائرية الكبرى

فجرتها أرواح طاهرة من ذلك الرعيل الفريد، جيل نوفمبر، أمثال العقيد الحواس، والعقيد عميروش) الذي استشهد وفي جيبه المصحف الشريف (والعربي بن مهدي، وزیغود يوسف وغيرهم...

هؤلاء الصناديد الذين صاغوا توجه ثورتهم في بيان أول نوفمبر سنة 1954 الخالد والذي جاء فيه بالخصوص « إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية في إطار المبادئ الإسلامية، وتحقيق وحدة شمال إفريقيا في إطار العروبة والإسلام، ثم إن المادة الثانية التي تضمنها دستور سنة 1989 قد صادق عليها الشعب في استفتاء نوفمبر 1988 ، لست أدري كيف يهتف بأن السيادة تعود إلى الشعب وحده من جهة، ثم يستهزئ بمشاعر هذا الشعب من جهة أخرى!؟.

أما عندما سئل عن « اللائكية » فأجاب الدكتور ممثل وزعيم حزب « التجمع » قائلاً بأن « شيخ الجامع » أو « شيخ الدشرة » يجب أن يبقى في دائرته أي في « المسجد » كما كان ذلك في السابق، ولا يتدخل في الشؤون السياسية والاقتصادية للبلاد... هذا في حين أن هناك بعض القرى « ثوذرين » من القبائل الكبرى إلى يومنا هذا، ما زال « شيخ الجامع » الذي يترأس الجمعية العامة للقبيلة المسماة بـ « تجمعت » ترجع له الكلمة الأخيرة في الفصل بين المنازعات الواقعة في حدود قبيلته.

فنحن نتساءل مرة أخرى، لماذا يخول الدكتور لنفسه) وهوطبيب أمراض عصبية (الحق بأن يتدخل في الشؤون

السياسية ويحرم غيره من إبداء الرأي بمجرد أنه « رجل دين »  
أهذه هي « الديمقراطية! »؟

وتحت عنوان « حقوق المرأة !! واللعبة المخفية؟؟»، رد  
مقال بإمضاء المواطن محمد.ط، بجريدة الشعب الصادرة بتاريخ  
25/12/ 1989 جاء فيه على الخصوص:

«طغت، في أيامنا هذه، مسألة اصطلاح على تسميتها: قضية  
الحقوق المهضومة ؟ المرأة في مجتمعنا...؟!»

والطرح بهذه الصورة، في هذا الوقت، ليس وليد الصدفة ..  
بل أن في الأمر حسابات وأشياء كثيرة تطبخ بإحكام، ومكر،  
سرا، من طرف عناصر مدسوسة في الداخل، ، معروفة بولائها  
لكل ماهوات من وراء البحر؟ !وبالخصوص نحو بلد معين؟ (\*).!  
لهم حساسية شديدة نحوه!

وهناك أكثر من دليل يثبت أن القضية تتعدى مسألة رفع  
جور؟ !وظلم !!حاصل ضد المرأة..

بل إن القضية في مجملها أصبحت ورقة في يد كثير من  
الأطراف والجهات، للمساومة بها، والعزف على أوتارها، لتحقيق  
مآرب، ليس للمرأة ناقة فيها ولا جمل!!...

...كل هذا وأكثر من هذا رسخ في عقولنا أن هذه  
الجمعيات النسوية مستعملة من قبل أطراف أجنبية !!كمعاول  
لضرب الإسلام، ومحاربة ثوابت الأمة، واختيارات الشعب...

ومما يدعم الاعتقاد، ويتركنا نشك فيهن وجعلهن موضع  
ريبه وخطر على المجتمع، هو أن الذي أعطى شرارة الانطلاقة

لحركتهن المشبوهة هي) إيزابيل أجاني (في أحضان» مدام لافرانس...«ومن ثمة فإن هناك اعتقادا لدى قطاع واسع من أبناء الشعب إن جمعياتكن طرف له تمثيل في» حزب فرنسا...!!« وتحت عنوان» : لا علاقة بين حزب علماني والإباضية (\*)» ورد مقال بامضاء محمد سليمان بوكراع) من معهد الحقوق جامعة الجزائر (صادر بجريدة الشعب في 1990/01/30 جاء فيه على الخصوص:

-«كثيرا ما نسمع ونشاهد في وسائل الإعلام الوطنية المختلفة وحتى الأجنبية منها أحاديث وآراء يريد بها أصحابها «إنارة» الطريق للتعبير الحر، وتوسيع دائرة النقاش البناء على مسرح الأحداث الوطنية، غير أن معظم هذا حاد عن الطريق الايجابي وأخذ بمنهاج التعصب والتفرقة والتغريب.

-كيف ونحن نطالع بعض الصحف للتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية نجدها تنادي إلى العلمانية» اللائكية «واعتبارها من الثوابت الأساسية للتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، هذا من جهة ومن جهة ثانية نطالع في نفس الصحف عن علاقة «الحزب» الأرسيسي.دي «تجاه إحدى الجماعات الإسلامية العريقة في الجزائر، وهي جماعة الإباضيين» الميزابيين «والغرض أوالهدف من كل هذا هو كسب تأييد هذه الجامعة المسلمة في إطار حملة الحزب لتوسيع قاعدته الشعبية، وإعداده للانتخابات المقبلة، وهنا السؤال الذي يطرح نفسه، هل زعماء وأنصار حزب» الأرسيسي.دي «تناسوا أم تجاهلوا أن هذه الجماعة

المسلمة من الاباضيين، هم الذين أسسوا أول دولة جمهورية طبقت أحكام الفقه والشريعة الإسلامية في الجزائر ؟ وهي الدولة الرستمية التي بلغت ذروة التطور في كافة المجالات، سواء كانت اقتصادية، اجتماعية، سياسية أو ثقافية، وأن التاريخ لخير شاهد على ذلك.

-إذن من هذه المعطيات التاريخية والموضوعية نلاحظ التعارض والتناقض من المبادئ إلى الأهداف، وان الجانبين يقفان على أسس مختلفة جذريا، ذلك إن موقف جماعة الإباضية (الميزابية (من الدين الإسلامي غير موقف حزب«الأر.سي.دي» من الدين الإسلامي. وكذلك موقف جماعة الإباضية من الثقافة والهوية مخالف تماما لموقف«الأر.سي.دي» «حيث أن حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية حزب علماني، ينادي بفصل الدين عن الدولة، وهذا استنادا إلى قول أمينه العام) إن ثوابت» الأر.سي.دي «هي الأمازيغية والعلمانية، أي اللائكية، ولاشيء غيرهما، لأنه قام لأجلهما ولأجلهما فقط وبدونهما يعتبر» الار.سي.دي «معوقا بدون رجلين، وبالتالي فإنه لا يتحرك ولا يذهب بعيدا).

إذن الأسس الإيديولوجية للحزب وبرنامجها السياسي ينبع ويصب من وفي العلمانية بصريح الألفاظ والمحتوى، وهذا ما أعلنته قيادة الحزب المتأثرة والمنخدعة بالثقافة والقيم الغربية، وهذا يتجلى كذلك واضحا لما راج من أخبار عن الوكالة الفرنسية للأنباء» التي أشادت بالشجاعة السياسية والأدبية التي

تحلى بها حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية في مطالبته بفصل الدين عن الدولة، وباعتماد اللهجة الأمازيغية كلغة وطنية وبإعادة الاعتبار للغة الفرنسية.»

وكذلك جاء في تدخل ممثل الحزب الاشتراكي الفرنسي في المؤتمر الأول لتجمع «الأر.سي.دي» وقال بالحرف الواحد «استمروا في عملكم فإننا معكم.»(\*)

-إذن كيف يرفع الحزب شعار فصل الدين عن الدولة ساعيا مع ذلك جلب جماعة من الجماعات الإسلامية المتمسكة أكثر من غيرها بالشريعة الإسلامية، وتعمل بها، وهي الداعية إلى إقامة شرع الله في العباد والبلاد لما فيه الخير، وقد عبرت عن هذا الأسلوب في حياتها اليومية من خلال علاقاتها الأسرية والاجتماعية والاقتصادية.

-الإباضيون) الميزابيون (هم الذين يوصفون بالفضيلة والعدل، ويوصفون بالاستقامة ويدعون إلى الحق ويبشرون به بين الناس، ويدعون الناس إلى التمسك بأهداف الفضيلة والتمسك بمبادئ الكتاب الكريم والسنة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم)، والإباضية تدعو إلى إتباع النظام الذي كان عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام، والذي كان عليه الخلفاء الراشدون، إذن الإباضيون وقفوا عند حدود الله، وعملوا بسنة الرسول محمد) عليه الصلاة والسلام(، ولم يتعدوا قيد شعرة ما جاءت به أوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه،...

وليعلم زعماء وأنصار وضحايا «الأر.سي.دي» أن من المبادئ الأساسية في الحياة العامة للإباضية(الميزابيين (هونظام

الولاية والبراءة عملا بقوله تعالى: (وقد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه، إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) (1) ولهذه الآية أبعاد دينية واجتماعية وسياسية، إذن لا شك إن ولاء الإباضية عامة هو ولاء للإسلام.

فكل التصرفات والادعاءات التي تصدر من «الأرسي.دي» وأدعيائه سواء كانت عن جهل أو معتمدة لكسب وجلب الشباب الإباضي المسلم والمتقف بالثقافة الإسلامية، ستسقط ولا مجال لها في أحوال العرقية والتغريب، وليدركوا قيمة ونبل أبناء الإباضية في ميزاب بمساهماتهم في الماضي والحاضر خدمة للإسلام والمسلمين، وهم الذين ساهموا ويساهمون في حركة النهضة السياسية والإصلاحية الإسلامية ليس في الجزائر فحسب، بل في كل المغرب العربي الإسلامي الكبير، والتاريخ حافل بهذه المساهمات.

أما موقف التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، من قضية التنوع والتعدد اللغوي للشعب الجزائري، فإنهم لم يقفوا عند حد الأمازيغية، بل راحوا يطالبون بإرجاع اللغة الفرنسية إلى كافة مجالات الحياة الاجتماعية، ومبررهم في ذلك هو التنوع والتعدد الذي يؤدي إلى التفتح على العالم والاستفادة منه.

لكن الأمر ليس بهذه البساطة كما يتوهم أغلب ضحايا «الأرسي.دي» «لأن وراء هذه المطالب عدة أغراض وأهداف منها العرقية والعنصرية التي تدخل في سياق خدمة العلمانية والتفسيخ والتغريب.

بعيدا عن كل التعصب الذي تقف وراءه أياد أجنبية خفية، لكنها معروفة ومكشوفة لدى كل مواطن غيور على وحدة وطنه، وهذه الأيدي الخفية الحاقدة، لها أهداف ونوايا خبيثة على هذه الجماعة المسلمة في مسلسل التهديم والتفسيخ، تحت شعار حماية حقوق الجماعة (الإباضية) الميزابية (ثقافيا وسياسيا، وإخراج هذه الجماعة من تقوقعها وانزوائها، هذا حسب زعم زعماء «الأر.سي.دي.»

وليعلم أخيرا كل زعماء وأنصار وضحايا حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية إن الاباضيين (الميزابيين) (الجزائريين) يرفضون كل حزب لا يتماشى مع المنطق الإسلامي، وهم الذين يرجعون كل مقومات ومكونات الثقافة الوطنية إلى معيار أساسي واحد وهو مدى قربها وبعدها عن المكون القاعدي والجوهري لها أي الإسلام.

وتأكيدا للطبع اللائكي المعادي للإسلام وشريعته، يقول الناطق الرسمي للحزب المذكور أنفا إجابة عن أسئلة وجهتها له جريدة الشعب بتاريخ 19/3/1989 في حوار مطول جاء فيه:

**«الشعب: هل برنامج الحزب يرفض قانون الأسرة؟»**

**الجواب: نعم في الملتقى نادينا بإلغاء قانون الأسرة الحالي.**

**الشعب: حزبكم يرفض قانون الأسرة وهذا الأخير مستمد**

**من الشريعة الإسلامية، هل معنى هذا أنكم ترفضون الإسلام، أم أن لديكم نظرة أخرى بشأنه؟**

**الجواب: بدون ديماغوجية أعترف بأن الإسلام دين**

**الأغلبية الساحقة من المواطنين الجزائريين وعندما نقول بأننا**

مسلمون ليس هذا بديماغوجية أو إرضاء البعض فنحن مسلمون ونحس بذلك، لكن حزبنا ينادي بفصل الدين عن الدولة، ومن شأن الفصل أن يزيد في خدمة الإسلام أكثر مما هو عليه.

**الشعب: كيف ذلك؟**

**الجواب:** إن فصل الدين عن الدولة من شأنه أن يمنح حرية تامة للعبادة وممارسة الشعائر الدينية، وحماية الأماكن المقدسة وما إلى ذلك. بينما جعل الإسلام دين الدولة كمبدأ من المبادئ سيحدث تناقضا بين الشريعة وبين الدولة التي تتصرف تصرفات مدنية، وكمثال على ذلك منذ أكثر من 10 سنوات كان وما زال الإسلام دين الدولة فكان من نتيجة هذا أن السلطة التنفيذية تسلم الخطب لأئمة المساجد وتكون جيشا من المواطنين ليخطبوا على المسلمين أيام الجمعة وفي الأعياد الدينية.

**الشعب:** عبر السيرة الطويلة للفتوحات الإسلامية تأسست الدولة الإسلامية، وأرست دعائم دولة قوية ممتدة من الجزيرة العربية إلى غرب إفريقيا، وتفرعت جذورها إلى كافة القارات، فهل هذه الشريعة التي حررت البلاد والعباد هي قاصرة اليوم على إرساء دعائم دولة قوية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وأكثر من هذا وذاك حضاريا؟

**الجواب:** أنا لا أقول بأن الشريعة الإسلامية قاصرة على بناء دولة، أقر فقط بأن فلسفة حزبنا مبنية على مبدأ الفصل بين الدين والدولة، فما هو البرنامج المقترح من طرف دعاة الشريعة الإسلامية في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، في كل مرة يقول هؤلاء ننحن نعود إلى القرآن والسنة، هذا صحيح لكن

عمليا وإلى حد الآن لم أعرف حزبا استمد برنامجه السياسي وفلسفته من الإسلام واقترح برنامجا متكاملا وشاملا لحياة الأمة ! وعليه نحن نطالب بضرورة فصل الدين عن الدولة، وهذا لا يعني بأننا ننادي بالإلحاد، وإنما ندعو إلى اللائكية.

وعن هذا الطابع العدائي للإسلام من طرف أصحاب النزعة البربرية يقول الباحث الجزائري أرزقي فراد: «ومن أبرز الأسماء التي دعت في السبعينيات من القرن الماضي إلى بعث الأمازيغية على أنقاض الإسلام والعربية الفنان» ايدير «في أغنية بعنوان) لست أدري (انتقد فيها الإسلام بطريقة صريحة اذ اعتبر الفتح الإسلامي قهرا) لما رأيت القبلة أمرتني بالركوع ( فالركوع هنا يفيد القهر والعنف والتعسف، كما يتجلى نمه للإسلام في أغنية) إمام القرية قد سقط (وكلها تجريح لشخصية الإمام الذي يرمز للإسلام ، حيث يقول فيها بالقبائلية ما مفاده بالعربية:

«لقد سقط الإمام وجرفته السيول ابتعد عني بمشاكلك.»  
وتجلت دعوة المغني إلى تقويض أركان الإسلام في أغنية (ستشفى (وهي أغنية أخذها من التراث وفيها» لازمة «تتكرر بين مقاطع الأغنية وهي) ستشفى ان شاء الله (لكن المغني حرفها بإضافة حرف» من «بعد الفعل لينقلب المعنى ويتغير رأسا على عقب فتحولت الجملة على النحو التالي» :ستشفى من إن إنشاء الله «وهي دعوة صريحة إلى التخلي عن الإسلام ! ومما يثير الدهشة أن الكثير من المستمعين لم يتفطنوا لهذا التحريف

الخطير فظلوا يرددون هذا المقطع في شكله الأصلي فخابت آمال دعاة التغريب الذين لم يحققوا هدفهم.»

وإن سبب هذا التحالف الوحيد في جانب منه يعود إلى العمل بالمبدأ التقليدي المعروف الذي يقضي بصداقة عدو العدو، وتفادي الخطر الأكبر بقبول الخطر الأصغر، ولذلك وجدنا أول الأحزاب السياسية التي تحارب الدين تحت ستار العلمانية تارة أو الشيوعية تارة أخرى هي الأحزاب ذات الاتجاه اليساري ( والشيوعي، ومنها على سبيل المثال حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، الذي يصرح ناطقه الرسمي في استجواب له مع الصحافة الوطنية بقوله: «بالنسبة إلى الدستور والديباجة التي جاء بها والتي تجعل من الجزائر أرضا إسلامية وجزءا لا يتجزأ من المغرب العربي الكبير... فنحن لا نوافق على هذه الديباجة، وسنعمل في إطار حزبنا من أجل تغيير ما لا يتفق مع مبادئه.(1)»

ويقول زعيم هذا الحزب في مكان آخر: «أننا سنعمل على فصل الدين عن الدولة، وأننا نعتقد انه لم يشهد التاريخ نجاح دولة لم تفصل الدين عن الدولة.(2)»

ولعل هذا الموقف المعادي للإسلام بشكل سافر هو الذي دعا الشارع الوطني إلى التهمك على هذا الحزب وخاصة بعد موقفه المؤيد لسلمان رشدي حيث شرحوا حروفه الثلاثة باللاتينية وهي (R.C.D) أي التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية إلى قراءة معناها بالفرنسية RASSEMBLEMENT ( CONTRE DIEU أي التجمع ضد الله)، إلى جانب موقف هذا

الحزب من قانون الأسرة الجزائري المستمد كله من الشريعة الإسلامية....حيث ما انفك هذا الحزب يطالب بإلغاء هذا القانون بكل الوسائل وأوجد لهذا الغرض أكثر من عشر جمعيات نسوية (شبه وهمية) للمطالبة بإلغائه لتحقيق المساواة (في رأيهم ورأيهن) (مع الرجل، وهذا ما أدى بالشعب الجزائري في العاصمة إلى تنظيم مسيرة احتجاج ضمت أكثر من مليوني شخص حسب تقدير وكالة الأنباء الألمانية، و 750 ألف، حسب تقدير وكالة رويترز، ونصف مليون حسب تقدير جريدة لوموند الفرنسية الصادرة بتاريخ) 1989/12/23 وبضع مئات (حسب تصريح القناة الخامسة الفرنسية التي نقلت الخبر!! هذا عن الحزب البربري الأول. أما عن الثاني الذي يسمى بجبهة القوى الاشتراكية F.F.S فإن زعيمه كان أول ما عبر عنه في أول اجتماع له مع الجمعيات النسوية هو ترسيخ اللائكية، مع الكفاح من أجل إلغاء قانون الأسرة المذكور آنفاً (لأنه) كما قال (يمثل أكبر اهانة للشعب الجزائري بعد الاستقلال (انظر جريدة المساء ليوم. (1989/12/17)

وعن هذا الالتزام العلماني بالديمقراطية في الحركة البربرية في كل من الجزائر والمغرب، تقول مليكة الجشتيمي في جريدة الأحداث المغربية في جوان: « 2001 ومن جهة أخرى لا بد من التأكيد على أن) الديمقراطية (كل لا يقبل التجزئ فممن حق الجميع ممارسة السياسة ومن أي منطلق يريد، الشرط الوحيد الموجود في الديمقراطية لهذا الحق هو عدم المس بحق الغير في فعل نفس الشيء، فمن حقي أن أناضل من منطلق أمازيغي

دون أن أمس بحق غيري في عروبتة أو إسلامه أو يهوديته، لأن كل هذه عناصر ثقافية موجودة في بلادنا، والعمل ضدها يعتبر عنصرية، كما أن معاداة الأمازيغية عنصرية حقيقية مارسها أصحاب العروبة وأصحاب الإسلام السياسي، ولا ينبغي أن يقع فيها التيار الأمازيغي، فينهي عن شيء ويأتي مثله، ولا يعتبر الإسلاميون أعداء للديمقراطية، إلا أنهم يضعون في مقدمة أهدافهم) محاربة العلمانية (أي محاربة حق غيرهم في أن ينطق من مرجعية مخالفة، إذا ليست العلمانية سوى الحق في الاختلاف العقائدي والسياسي واللغوي وغيره من مظاهره وجود البشر على الأرض، ومن لا يقبل هذا الاختلاف المشروع فإنما يسعى إلى الفاشستية بالقضاء على الجميع وتنصيب نفسه) إماما أوحد ( للجميع.

وفي الجزائر ورد في جريدة الشعب الصادرة بتاريخ / 01 1990 / مقال حول علاقة الحركة البربرية باللائكية جاء فيه : « ومن أجل إتمام عمليتهم الدنيئة، قام المرتدون بعقد مؤتمرهم الأول في نادي الصنوبر يوم 15 و 16 ديسمبر 1989. وأجمعوا على ضرب ثوابت الأمة ومقدساتها، وقالوا جميعا دون حياء أو خجل، لا للإسلام وشريعته، لا للغة العربية التي عرفنا بها الإسلام، ونزل بها القرآن الكريم على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، ولتحطيم الخلية العائلية نهائيا قالوا أيضا لا لقانون الأسرة المستمد من القرآن والشريعة، واستبدلوه بقانون الأسرة الفرنسي وهي نفس المبادئ التي عملت فرنسا على تحقيقها طيلة وجودها في الجزائر، إلا إن كل مساعيها تحطمت على صخرة

الإسلام والعروبة، ووضع المسلم الجزائري الصلب الحد النهائي لها طيلة ثورة أول نوفمبر 1954 ، باسم «الله أكبر» والجهاد في سبيل الله!»

ولقد بلغت الجراة بزعيم المرتدين واللائكيين في الجزائر (سعيد سعدي) (بأن قال في استجواب له لجريدة الشعب يوم 1989/12/14 .

«التاريخ لم يقدم مثالا عن تطور مجتمع يجمع بين الدين والدولة» وتعامى عن الحضارة الإسلامية وما قدمته للبشرية والتي كان لها الفضل الأكبر في تطور المجتمع البشري بهذه السرعة المذهلة. ثم قال في مكان آخر من نفس التصريح عن المرأة» كبش فداء «طالب فيه بإلغاء قانون الأسرة وإبطال العمل بأحكام الشريعة الإسلامية، لأنه يريد من المرأة الجزائرية المسلمة أن تتخلى عن عفتها وأن تصبح عاهرة زانية لا تفارق الحانات، تشرب الخمر وتمارس الجنس مع كل من هب ودب على شاكلة المرأة الغربية التي لا يعرف أبناؤها من هو أبوهم، وهذه نظرية يهودية لإفساد المجتمعات عن طريق الخمر والنساء حتى تسهل السيطرة عليها واقتيادها، وهذا ما تفتن له الزعيم الألماني هتلر؟

لقد أرحتم النقاب عن نواياكم الهدامة باسم الديمقراطية والكلمة الأخيرة الآن للجماهير المسلمة المتمسكة بكتاب الله وسنة رسوله وبلغه قرانه، أينما كانت هذه الجماهير في جرجرة أو الأوراس أو شمال قسنطينة أو في الصحراء...

وتأكيدا لما قاله زعيم الحزب المذكور، يقول الكاتب الصحفي بشير حمادي بجريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1989/12/26 تعليقا عن ما وقع في أول مؤتمر للحزب من تصرفات ومواقف المؤتمرين من الإسلام واللائكية يقول: «والذي ينبه القاعة إلى التصفيق قياما أوالتصفيق قعودا، أوعدم التصفيق، كلمات- مفاتيح -تفعل في المؤتمرين فعل السحر...اللائكية تبعث على التصفيق» اللائكية حماية للدين «تبعث على التصفيق قياما، و«اللائكية هي الضمان الوحيد لشرف المرأة «تزيد من كثافة التصفيق وتضيف إليه زغاريد النساء، وهكذا تستطيع إن تقيس على ذلك» التطرف واللاتسامح «و«غلق كتاتيب تعليم القرآن.» ونكتفي بهذا القدر من الأدلة التي تثبت العلاقة العضوية بين اللائكية والحركة البربرية، في نسق من العلاقات التكاملية المتساندة بين الصليبية والفرنكوفونية و«الديمقراطية «الصورية التي تتشابك معظم خيوطها مع الصهيونية بكل أبعادها ووسائلها المعروفة الظاهرة والمستترة، كما سنبين ذلك في الفصل التالي:

## الفصل الثالث عشر علاقة الحركة البربرية بالصهيونية

وتأكيدا لما أشرنا إليه بأن الحركة البربرية في بلاد المغرب العربي تتقاطع مع العديد من الحركات والإيديولوجيات، وهي لا تتردد في التحالف والتعاون مع كل من تجد فيه راحة إمكانية الدعم لها من قريب أو من بعيد على تحقيق أهدافها القريبة والبعيدة التي أسهنا الحديث حولها في أكثر من فصل، وبما أن الحركة الصهيونية العالمية، وفي قاعدتها إسرائيل التي تتقاطع وجوديا مع كل ما يفتت وحدة الأمة العربية الإسلامية، فهي تعمل كل ما في وسعها لخلق «بربرستان» في بلاد المغرب العربي مثلما وجدت لها قاعدة قوية في شمال العراق لتطل منها على أعدائها في كل من سوريا وإيران وتركيا ولبنان وتتخذ منها قاعدة خلفية لتنفيذ كل مخططاتها الجارية في المنطقة، بدءا بتحطيم العراق والبقية في الطريق مشرقا ومغربا...

وفي هذا المعنى يقول المفكر المغربي محمد عابد الجابري :  
«إن هناك قوى دولية، ودون أن نستبعد أبدا الحركة الصهيونية العالمية، تسعى لنزع الصفة العربية الإسلامية عن بلدان المغرب العربي، ولقد كان الحضور اليهودي لافتا في (مؤتمر الأقليات) في قبرص، لا بل أن احد الحاضرين لم يتردد في القول انه على الأقليات في الشرق الأوسط، وصولا إلى شمال إفريقيا، أن تتمحور

حول أقلية مركزية، وهي الأقلية اليهودية. باعتبارها لم تتعرض للتلوث الثقافي ولا للتلوث العقائدي وفضلا عن ذلك فإن انتشارها في أصقاع الدنيا أعطاها بعدا كونيا...»<sup>(1)</sup>.

وتضيف الجريدة قولها: «وتعبير (السكان الأصليين) يوضع الآن في التداول بقوة، إما العرب فهم طارئون يريدون أن يوحوا إلينا في كل ما يكتبون ويقولون ويتحدثون عن (تغريبة بني هلال) التي يمكن أن تعود أدراجها إلى المشرق من حيث أنت، وبعبارة أخرى فالعرب في المغرب ليسو سوى جالية، وبطبيعة الحال لا يمكن للجالية أن تفرض قيمها السياسية والثقافية على الأكثرية، فالبنسبة إلى (محمد بوسلاف) لا مجال أمام العرب إلا أن يقرروا بالحقيقة المغربية، أي بالأصول الحقيقية للمغرب متسائلا: (لقد أمضي الأتراك في المشرق العربي أربعة قرون فلماذا لم تصبح المجتمعات هناك تركية). وبالتالي فإن المجتمع المغربي لا يمكن أن يكون عربيا»<sup>(1)</sup>.

وتحت عنوان «:تلهيج «اللغات و»تلغية «اللهجات كتب الدكتور حسين رايس) باحث بجامعة السوربون : (ليس المراد هنا تناول اللهجات ومشاكلها ولا كيف ينبغي اعتبارها، إنما المراد أن ننبه القارئ إلى أحد مصادر تغذية الشعور بتوجب استعمال اللهجات والدارجات بدل اللغة العربية بالشمال الإفريقي التي يتكلمها الجميع ويستعملها في جميع الميادين منذ 14 قرنا بكفاءة وإمعان بالغين وحب واعتزاز ما بعده اعتزاز، وهي لغة القرآن ولغة الأصل، وهكذا يعتبرها الجميع المصادر التي توجه الناس وترسم لهم خطط المستقبل، وتعلمهم كيف ينتزعون أنفسهم من

الأصالة ويخلعون عنها صفة الاستلاب، نقصد بها» معهد الدراسات الشرقية «بباريس الذي جعلنا نخرج بانطباع أن كل الجهود التي بذلت ولا تزال تبذل على يد أساتذة متخصصين في حقول عدة من المعرفة سيما المعرفة التي تتعلق بالبلدان النامية، من لغة وعقيدة واجتماع واقتصاد وغيره من فروع واختصاص، أما لهجاتنا» البربرية «فقد بدأ تدريسها بهذا المعهد سنة 1913 بصورة رسمية، وقد دشن درس هذه اللهجات من طرف الأستاذ» ادموند ديستان (Edmond Destaing) «الذي استمر يدرس هذه المادة إلى سنة تقاعده (1) 1940 فخلفه غيره من الأساتذة الاستشراقيين مثل انري باسي (A. Basset) ابن روني باسي (Rene Basset) المعروف، الذي قام بنشاط حثيث طوال وجوده بالمغرب العربي مدرسا وباحثا في سبيل إحياء فكرة لغة أولغات» بربرية «بجانب اللغة الفرنسية تمكنها وتدعمها من دور إضعاف اللغة العربية في وطنها وبين ذويها. وقد بدأت مناهج الدراسات والإرساليات العلمية المتعددة تملأ الفراغ متواجدة ومتنامية بتواجد وتنامي السلطة الفرنسية بهذه البلاد.»

ويضيف الباحث قوله» قامت هذه الدراسات الموجهة لإحياء النعرات البربرية ضد» غيرهم «من السكان بشمالنا الإفريقي، وكانت في شكلها ومضمونها محدودة لدرجة أنه أمكن عد القائمين بها من مختصين ومدعمين لهم وقتها على رؤوس الأصابع. إلا أنها بدأت تتوسع في العقود الأخيرة في شكلها ومضمونها وأصبحت تنال حصة الأسد فيما يدرس ويقدم من

مواضيع تخصصية إلى الطلاب والباحثين من طرف أساتذة متمرسين مطلعين على شؤون الوطن العربي، وعلى أيديهم تطورت هذه الدراسات بوتيرة مدهشة في العقود الأخيرة، بلغت قمتها القصوى مع استقلال هاته الشعوب المغربية من ربة الاستعمار، وهي الآن في عز شبابها من حيث الكم والكيف، وتعددت المراكز وانشئت لها توابع مثل: « إكس أون بروفانس » (Provence-En-Aix) ذات المراجع الواسعة عن السكان المغاربة، تدخل حلبة الصراع من أجل تطوير الدراسات البربرية والبحث عن إيجاد لغة قادرة على القيام بمهام الحياة العلمية والأدبية لمنافسة العربية، وهذه أكاديمية بربرية يعلن عن قيامها وتدشينها سنة 1967 من طرف أحدهم لا علاقة له بالعلم، لا من بعيد ولا من قريب<sup>(1)</sup>، وهذه فروع تزداد شهرة وتعددا في باريس وضواحيها ولعل في أماكن أخرى، يشرف على توجيهها علميا وأدبيا خبراء في فن التزييف الذين أشرنا إليهم سابقا!.. وهم يعرفون الكثير عن الشعوب المغربية بحكم المدة التي عاش أكثرهم فيها بهذه البلدان، وبحكم الإمكانيات المادية والمعنوية التي كانوا يتوفرون عليها أثناء وجودهم بالمغرب كحكام ومسؤولين، فتوغلوا في المجتمع واصطنعوا الوسائل الفعالة، وجهزوا أنفسهم بما في ذلك تعلمهم اللهجات البربرية، ويأتي على رأس القائمة الأستاذ جلان (Galand) وخليفته المساعد له (لوجي)<sup>(2)</sup> وهما يعملان دون كلل رغم تقاعدهما رسميا، راغبين في الوصول في أعمالهما المتواصلة إلى وضع نظرية على المدى البعيد تكون أساسا للغة والحضارة اللتين « ستزيحان اللغة

والحضارة العربية الإسلامية من الشمال الإفريقي. أما جامعة فانسان (Vincenne) الموجودة من شمال باريس بضاحية» سان دوني ((Saint-denis «فإنها في وضعها الدراسي التلفيقي لم تنج من تبني سياسة» فرق تسد «في دراستها وبرامجها التي تقوم عليها ثلة من أساتذة» الاستشراف «و» الساميات «بالمفهوم الإديولوجي لا العلمي الذين يخضعون ويسيروا وفق آراء «ماكسيم رودنسون Maxime Rodinson «و» دافيد كوهين «David Cohen ومن سبقهم أمثال» مارسيل كوهين «الذي يعتبر «أبا الساميات «قبل هذين الرجلين. (\*)»

وتطبيقا لهذه المخططات من طرف بعض الأحزاب السياسية التي لها علاقة مباشرة بإسرائيل، نورد هذه المقنطفات من حوار أجرته مجلة «الإنسان الجديد» المغربية مع الأمين العام للحزب الديمقراطي الأمازيغي جاء فيه:

«تعددت الصفات والألقاب، والشخص واحد، وهو د. أحمد الداغني، فاعل أمازيغي، لا يمكن التحدث عن تطور الحركة الأمازيغية في المغرب، دون استحضار اسمه.

حين استقبلنا في المكتب الذي يمارس فيه عمله كمحامي في مدينة الرباط، أجاب عن كل التساؤلات بهدوء وبنبرة الواثق من نفسه ومن قناعاته.

فقد قال لمجلة «الإنسان الجديد»: «أنا من حقي اختيار القضايا التي تستحق أن أكرس لها حياتي، إن للمغرب أولويات لا يهتم بها أحد. فهل ينشغل عرب المشرق بمصير الأمازيغ؟ هل في المشرق

العربي من يحمل هما لعودة الأمازيغية إلى العالم الحديث؟  
لو لقيت لدى المشرق ذرة محبة واحدة للأمازيغ، لما ترددت في  
تأييدهم، أنا أريد من المغاربة أن يهتموا بمن يهتم بهم، وخاصة الذين  
يحسون أنهم أمازيغ، من حقنا ان نناصر من يناصرنا، وان نتحالف  
مع يحالفنا وأن نقطع الصلة بمن يجافينا، وأن نولي الاهتمام اللازم  
لقضايانا الداخلية.

يجب علينا أن ألا ننشغل بمشكلة إسرائيل وصراعها مع جيرانها  
تلك أمور بعيدة بآلاف الكيلومترات وليس بمقدورنا «أن نقدم أو نؤخر  
فيها».

وحين تواجه الأستاذ. أحمد الداغري بأن هذا يدخل في إطار  
تضامن المشرق مع المغرب، ينبري قائلا: «إن تنصيب أبطال دول  
المشرق العربي في شوارع مدننا «يتعدى التضامن لهيه». والنتيجة  
ان فضاءاتنا ومعالمنا وقرانا لا تحمل أسماءنا.

حين أعلن الأستاذ. أحمد الداغري في 31 يوليوز 2005 عن  
إنشاء الحزب الديمقراطي الأمازيغي المغربي، انتصبت أكثر من  
علامة استفهام واندعاش، فلماذا هذا الحزب أصلا؟  
ألا يشكل ميلاده خطوة تفتح المجال أمام المطالبة بقيام أحزاب  
قبلية، وحزب صحراوي، وحزب عرقي، وديني، مما يتنافى مع  
القانون؟

لكن الأستاذ. أحمد الداغري يملك إجابة مختلفة، قد تقنع  
البعض، وقد تثير عدم الاقتناع لدى البعض الآخر: «إن المساحة  
السياسية كانت في حاجة ماسة إلى هذا المشروع السياسي، وأظن أن  
إنشاء حزبنا جاء متأخرا عن مواعده بعدة سنوات!! (انظر الملحق

رقم 8).

وهذا ما يؤكد أيضاً تحليل منشور في صحيفة الحرية جاء فيه على الخصوص: «حول هذه الفكرة بالذات يلتقي البربريون مع اليهود».

لماذا هذا التقارب؟ لأنهم يلتقون في حرصهم على الانتماء إلى الثقافة الإغريقية – اللاتينية واليهودية- المسيحية بالنسبة لنا كوطنيين، الفكرة الإغريقية- اللاتينية واليهودية – المسيحية هي نفس السلعة. إذن هنا يوجد أكثر من تقارب بين البربريين أو دعاة البربرية واليهود.. ويلتقي اليهود والبربريون أيضاً مع نظرية اليهودي موريس طوريز زعيم الحزب الشيوعي الفرنسي حول فكرة الجزائر أمة في طور التكوين»<sup>(1)</sup>.

هذا إذن ما يتم الإعداد له، كما نرى، لتفتيت المجتمعات العربية من ناحية الهوية، حسب قول المفكر المغربي الدكتور محمد عابد الجابري الذي أوردناه قبل حين.

وهو ما يؤكد الناشط الحركي (البربري الجزائري) فرحات مهني، كما أوردته جريدة الشروق الجزائرية بتاريخ 2005/6/5: «عاد فرحات مهني الناطق الرسمي لما يسمى بالحركة من أجل استقلال القبائل إلى القول لدى تدخله في اجتماع الجمعية الفرنسية الإسرائيلية.. المنعقد بباريس يوم 27 ماي المنصرم، بأن الجزائر أخضعت منطقة القبائل لنفس السياسة التي تتعامل بها مع إسرائيل قصد إعطاء الشرعية لضغوطها على الشعب القبائلي، وقال بأن الدولة اتهمت القبائل سنة 1980 بتحريكها بدعم أجنبي وحتى من الموساد.. بهدف إعطاء الانطباع بأن القبائل يهود جدد وأن القبائل

إسرائيل أخرى!!

وواصل قوله بأن لكل شعب الحق في العيش بأرضه وأن يكون محترماً من طرف محيطه، وبذلك أراد أن يساوي بين ما يسميه «بالشعب القبائلي» و«الشعب الإسرائيلي»، وربط مهني ذلك بالإشارة إلى أن «القبائل» تطالب بالاستقلال والحكم الذاتي».

وقد قال عنه محمد أرزقي فراد: «أما فرحات مهني المشهور بنضاله الطويل من أجل القضية الأمازيغية فقد وطف بدوره الأغنية السياسية لقضاء وطره ولم يدخر جهداً لنقد وذم المرابطين الأشراف الذين أدخلوا الإسلام إلى عمق جبال القبائل، ونشر اللغة العربية فيها، ولعل ما يميز هذا الفنان السياسي (جرأته في طرح أفكاره السياسية الجهورية إذ كان سابقاً في إعلان تأسيس حركة الاستقلال الذاتي) الماك (في منطقة القبائل عقب انفجار أحداث الربيع الأسود في أبريل 2001. وذكر في تصريحه ليومية ((la Dépêche De Kabylie بتاريخ 2002/12/21 ما مفاده ..) ان منطقة القبائل هي مهدي الروحي والعاطفي وكان نضالي منذ شبابي من أجل الهوية الأمازيغية، ومن أجل منطقة القبائل بصفة خاصة (وبنفس الجرأة تخطى في هذا التصريح عتبة مطلب الاستقلال الذاتي ليعلن عن فكرة الدولة القبائلية» (1).

وعن علاقة الصهيونية بالفكرة المتوسطية والبربرية يقول

---

<sup>1</sup>(1) يومية الشروق اليومي الصادرة بتاريخ 2003/03/8.

عز الدين المناصرة» :الفرانكوفونية، روجت للمتوسطية انطلاقا من مفهوم انعرالي- أي توظيف فكرة المتوسطية، لصالح الأفكار الإنعزالية( الفينيقية- الفرعونية- الأمازيغية)، في مواجهة الفكر العروبي والإسلامي، والأخطر من ذلك، دعوة الفرانكوفونية المتوسطية، تحت شعار ( ثقافة السلام)،إلى إدماج- إسرائيل (آخر دولة إستعمارية في العالم)، في المتوسطية، وشطب فلسطين، ومعنى ذلك الإعتراف بشرعية الإحتلال وتحت شعار،( حوار الأديان والثقافات والحضارات) ثم الترويج لمتوسطية وشرق أوسطية، تهدف الى إعتبار دولة إسرائيل- دولة طبيعية!!<sup>(1)</sup>.

وعن هذه العلاقة البربرية الصهيونية يقول الدكتور محيي الدين عميمور: «لم أتوقف كثيرا عند المغالطات، بل رحت أبحث في البلاغ، عبثا، عن اسم أب الأنبياء، عن إبراهيم الخليل وأبنائه وخلفائه إسماعيل وإسحاق، ثم عيسى بن مريم البتول، ثم محمد (صلى الله عليه وسلم) خاتم المرسلين، بعد أن فشلت في العثور على إشارة واحدة للإنجيل والقران، بعد التوراة والتلمود.

وأعتقد أنني وجدت بعض ما يفسر الاختفاء وذلك في المشروع الذي يدعو له البلاغ ،وهو إنشاء كونفديرالية «أمازيغية» تمتد من جزر الكناري إلى البحر الأحمر، يستبعد منها بالطبع كل رباط آسيوي، في حين أن ألف باء الجغرافيا السياسية تجعل المنطقة الآسيوية جناحا مرتبطا بالشمال الإفريقي، المصلحة المشتركة لكليهما في التكامل العضوي بينهما، لمواجهة الشمال المتغطرس في مرحلة أولى، ثم تحقيق توازن للقوى تسترجع به المقدرة التفاوضية، لنتمكن من التعامل معه تعامل الند للند، يمكن تحقيق الشراكة الحقيقية المبينة

على الاحترام المتبادل»<sup>(2)</sup>.

وعن علاقة الحركة البربرية بفرنسا وبالصهيونية، يقول السيد عبد السلام بلعيد رئيس الوزراء الجزائري السابق: «هناك أطراف خارجية تزرع بذور الفرقة والشقاق خاصة بعض الأوساط الفرنسية وهدفها الحقيقي ليس الدفاع عن اللغة البربرية بل محاربة العربية لغة وثقافة».

وهناك طرف آخر وراء هذا الأمر لا ينتبه إليه الكثير من الناس، إن محاولة إبراز الأقليات في العالم العربي الإسلامي وراءها الصهيونية العالمية التي تحرك المسألة بطرق علمية بما فيها البربرية.

لنأخذ العناصر الفرنسية مثلا وراء الحركة البربرية فإننا نجد أغلبيتهم من اليهود بحجة الدفاع عن حقوق الإنسان، والأقليات المضطهدة، ولكن الهدف الحقيقي لليهود، والصهيونية هوتفجير البلدان التي تقف ضدهم وخلق عدم الاستقرار فيها»<sup>(1)</sup>.  
وتأكيدا لعلاقة الحركة البربرية بكل من المغرب والجزائر ودورها في تأسيس ما يعرف بحكومة القبائل في فرنسا ووقوفها وراء المملكة المغربية في تحقيق هذه المطالب، ورد في جريدة «الشروق» الجزائرية ما يلي: «تؤكد مصادر عليمة أن فرحات مهني الذي أعلن عن «تأسيس حكومته من فرنسا» أنه يقبض «راتبا شهريا» يقدر ب 13 ألف أورو.

---

<sup>(2)</sup>(1) جريدة الشعب، الصادرة بتاريخ 1989/10/08.

كما خصصت المخابرات المغربية (حسب نفس المصادر)، 40 ألف أورو، موجّهة تحديدا للأنشطة المرتبطة بالإتحاد الأوروبي، وأوكلت للمدعو كلود مونيك، رئيس «المركز الأوروبي للدراسات الإستراتيجية»، ومقابل هذه الأموال أوكلت مهامًا مشبوهة لما يُعرف بـ «الحركة من أجل الحكم الذاتي بمنطقة القبائل»<sup>(2)</sup>.

وفي سياق متصل، كانت أخبار إعلامية متطابقة تحدثت عن اجتماع حضره أعوان من الموساد الإسرائيلي، حيث اجتمع مهني مع المستشار السياسي الإسرائيلي، وقد أذاع راديو «صوت إسرائيل» في وقت سابق في برنامج على الهواء حصة خاصة بـ «القبائل الكبرى» و«الحكم الذاتي» للمنطقة، وفتح البرنامج الذي بثه القسم العربي المجال لتدخل ثلثة من أصوات إعلامية مغربية.

وتحدث عندها بيان صادر عن «الماك» من فرنسا أن اللقاء الذي جمع مسؤولة فرع الجزائر مع فرحات مهني المصحوب بأرزقي بوسعيد رئيس مكتب باريس، وكذا جميلة أمقود عضو المكتب التنفيذي، تناول بالأخص ما وصفه بـ «الطبيعة المأساوية للعلاقة بين باريس ومنطقة القبائل (...)!»

علما أن هذا الممغنّي زار إسرائيل مرتين بجواز سفر مزوّر إنتحل فيه شخصية المسمى «كاري لويس» عبر مطار تل أبيب (...)، أين لم تتردّد الدبلوماسية الإسرائيلية (خافيت ماريان) عن وصف فرحات مهني بـ «الصديق الذي يحظى

---

<sup>3</sup>(2) جريدة «الشروق اليومي»، الصادرة بتاريخ 2010/04/22.

باهتمام كبير جدا من طرف السلطات الإسرائيلية على أساس دعم الأقليات القبائلية في كل من الجزائر والمغرب وتونس وليبيا!»  
وتسليطا للضوء على هذه الخبايا (البربرية الإسرائيلية الفرنسية المغربية) يقول الكاتب الصحفي الدكتور عبد العالي رزاق في جريدة الشروق بتاريخ 0102/60/02 تحت عنوان «حكومة كاري لـ (يهود جدد) في الجزائر» ما يلي: «يحمل السيد فرحات مهني جواز سفر جزائريا وآخر فرنسيا باسم (كاري لويس) بعد إنشائه «الحركة من أجل الاستقلال الذاتي لمنطقة القبائل» التي شرحها في كتابه «المسألة القبائلية» في باريس سنة 4002، وبالرغم من أنه من مواليد شهر استشهاد عميروش في 5 مارس 1591 إلا أنه فضل شهر الهزائم والانقلابات ليعلن عن تشكيل حكومته في 2 جوان 0102 لتقود شعب القبائل الذي وصفهم بـ «يهود جُدُد!» وبالرغم من أنه كان أحد مؤسسي «التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية» إلى جانب مصطفى باشا ومقران آيت العربي، وسعيد سعدي، إلا أنه يعتبر نفسه قائدا للحركة البربرية التي ظهرت سنة 0891، وأن الرئيس السابق الشاذلي بن جديد أصدر عفوا عنه عام 7891، إلا أنه كاد يورط الرئيس اليامين زروال عام 5991 حين قرر استقبال أعضاء الحركة البربرية لولا أن مستشاريه نصحوه بعدم استقبال حركة لا تعترف بالدولة الجزائرية وغير معتمدة رسميا، مما جعل الرئيس زروال يتراجع عن وعوده «البربرية» آنذاك.

يقال إنه زار باسم «كاري لويس» إسرائيل مرتين، وأنه يحظى بالدعم الصهيوني في باريس وبعض الأنظمة العربية، خاصة وأنه

أول جزائري يحمل مشروع المطالبة بانفصال المنطقة القبائلية عن الجزائر، وهي الفكرة التي حاولت فرنسا التركيز عليها في إنشاء حزب قبائلي داخل «حزب الشعب» الجزائري سنة 1949 وأنشأت إذاعة خاصة بالمنطقة» (أنظر تفاصيل ذلك في الفصل الثالث من هذا الكتاب).

ثم يضيف الدكتور عبد العالي رزاق في المقال ذاته قوله: «إنه من حق كاري لويس الفرنسي أو فرحات مهني الجزائري أن يكون مواليا لفرنسا وإسرائيل، وأن يحمل الكراهية للإسلام والمسلمين، ولكن ليس من حق المجتمع المدني في المنطقة القبائلية أن يسكت إزاء وصف القبائل بـ «اليهود الجدد» أو الإساءة إلى البلاد».

ونختم هذا الفصل بتصريح لزعيمة حزب سياسي مشارك في السلطة، مفاده أن دعاة الانفصال في الجزائر تحركهم إسرائيل، وقد ورد في تغطية صحفية على لسان زعيمة الحزب ما نصه: «اتهمت الأمينة العامة لحزب العمال السيدة لويزة حنون أمس في تجمع شعبي للحزب (بقاعة سينما ميزاب بغرداية) إسرائيل ودول غربية بالاسم، بالعمل على زعزعة استقرار البلاد من خلال استغلال سياسيين برزوا مؤخرا على الساحة كورقة ضغط ضد الجزائر.

وتضيف الصحيفة في نفس تغطيتها للحدث قولها عن زعيمة الحزب بأنها: «أكدت على أن هذه الحركة ومثيلاتها مدعومة من قبل إسرائيل ودول غربية، لاستغلالها كورقة ضغط ضد الجزائر في مراحل مدروسة ومحددة سلفا»<sup>(1)</sup>.

---

<sup>4</sup>(1) جريدة «الشروق اليومي»، الصادرة بتاريخ 2010/05/14.

## الفصل الرابع عشر

### مناقشة أطروحات الحركة البربرية

لقد كان من نتائج هذه المرحلة المعيشة من الديمقراطية والتعددية الحزبية، وحرية التعبير النسبية في البلاد المغربية، وخاصة في الجزائر) مابعد أكتوبر (1988 أنها بينت للذين

---

لا يعملون، أشياء كثيرة طفت على السطح، وما كان لهم أن يصدقوا بوجودها قبل ذلك في أعماق المستنقع! ولعل ما أشرنا إليه في المقدمة وما أوردناه من نصوص ومقالات لمختلف الاتجاهات،) في الفصول السابقة(لأقوى دليل على ما نقول.

وانطلاقاً من هذه المفارقات) العجيبة (التي تلاحظ في الخلط بين الهدف والوسيلة وبين الأمة والقبيلة...حيث انحرفت المناقشات لدى بعض الأحزاب من إطار البحث عن الكيفيات لترسيخ الثوابت الوطنية لأركان الأمة، إلى التشكيك في البديهيات، كالبحث عن الذات، وكأننا هذه الدول العربية التي درّست أوروبا وحضرتها لعدة قرون قد خرجت اليوم إلى الحياة!!

فمن هذه المفارقات لدى بعض التشكيلات السياسية الطافية على السطح) في الساحة الديمقراطية والتعددية الحالية، كما هو ثابت بأقلامهم (ما يلاحظ من محاولة الإنكار تارة لعروبة هذه البلاد وإسلامها، وأثبتات إسلامها دون عروبتها...أو إقرار عروبتها دون إسلامها...ووجدت هذه الأحزاب نفسها تطرق) أوتقل (أبواباً فتحها الفاتحون الأول منذ قرون! ولئن كان طرق هذه الأبواب لا يفيد، فإن محاولة غلقها لا يعيد التاريخ إلى الوراء، على اعتبار أن الإنسان إذا كان يمتلك بعض القدرة على التحكم في الحاضر أو المستقبل، فإنه لا يملك أية قدرة على أن يجعل الذي كان وكأنه لم يكن!!

وطالما أن الجهل قد اختلط بالتجاهل في هذه المسألة الهامة والمصيرية، المتصلة بالهوية الوطنية والقومية. فإن الأمر يتطلب الوقوف للتذكير ببعض البديهيات العلمية والسياسية...ومنها أننا

لوتناولنا الموضوع من الزاوية الاصطلاحية العلمية نجد أن كل النظريات الأنثروبولوجية التي تبحث موضوع الهوية والقومية تثبت أن مسألة العرق لا تمت بصلة إلى موضوع الثقافة التي هي أساس الهوية، لأن الثقافة من صفاتها الأساسية أنها مكتسبة (كما أثبتنا في الفصل الحادي عشر)، أما العرق فهو وراثي، ومن ثمة فإن السمات الشخصية لأي شعب تتكون من نوعية ثقافته وليس من فصيلة دمه، أولون بشرته، أولون شعره، أو شكل جمجمته.. ولو كان للعرق دور في الشخصية القومية للشعوب لكان أبناء البشر كلهم أمة واحدة، لأنهم في حقيقة الأمر منحدرين من أصل واحد ، سواء (من) آدم الإنسان (عند المؤمنين، أو من) آدم القروء (عند الداروينيين؟

ومما يجدر مناقشته هنا هو المغالطة المتمثلة في قولهم بأن القومية تنبني على فكرة العرق الواحد، وينتج عن التسليم بهذه المقدمة الخاطئة، أن تصبح دعوة المطالبين بالوحدة الوطنية والقومية<sup>(1)</sup> خاطئة من أساسها بحجة أن العديد من المناطق التي يعدها أولئك المطالبون بالوحدة الوطنية والقومية في الوطن العربي والإسلامي، هي أجزاء أو أقطار مكونة من أقوام أقل ما يقال عنهم أنهم غير عرب من الناحية العرقية، ولا يمكن لأي كان أن يثبت علمياً، أنهم منحدرين كلهم من أصلاب قحطان منذ غابر الأزمان،

---

<sup>5</sup>(1) نسبة إلى قوم محمد على حد تعبير الإمام عبد الحميد ابن باديس ذاته في مقال له بعنوان:

«محمد رسول القومية العربية».

وهو ما ينتج عنه في المقابل أيضا أن كل المغاربة لا يمكن أن يدعي أحد أنهم سليلو عرق واحد بعينه، لما يلاحظ فيهم من اختلاف في السمات الفيزيولوجية، ولون البشرة والشعر وحجم القامة وما إلى ذلك من السمات المعروفة في علم الأعراق والسلالات. كما يؤكد ذلك (جون ب. وولف) في كتابه «الجزائر وأوروبا» بما نصه: «...الفينيقيون، والرومان، والبربر والعرب والفرس، وجميع هؤلاء قد تقاطعوا في هذه البلاد، تاركين وراءهم آثارا من دمائهم مع السكان الذين وجدوهم بقطع النظر عن أصلهم، ومن الصعب جدا معرفة كمية قطرات الدم التي خلق منها البلدي (الحضري) والقبائلي، والعربي»<sup>(1)</sup>.

وهذا هو الثابت بالفعل علميا وواقعيا لأن أساس الوحدة الوطنية والقومية للأمم والشعوب هو الثقافة (كما رأينا في الفصل الحادي عشر) وليس وحدة الأصول العرقية بدليل أن الآلاف من الأندلسيين الذين أبيدوا ثقافيا بعد سقوط غرناطة سنة 1492م هم في غالبيتهم من القوط سلاليا، كما أن العديد من سكان إسبانيا المسيحية اللاتينية في الوقت الحاضر هم أصلا من شمال إفريقيا العربية الإسلامية ومن أحفاد ابن رشد وابن طفيل وابن زيدون ومن أجداد ابن خلدون كذلك!؟

---

<sup>6</sup>(1) الجزائر وأوروبا، جون ب. وولف، ترجمة د. أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية

ومن أهم العلماء الذين يؤكدون هذه المغالطة العرقية في القومية العربية الإسلامية، نذكر الإمام عبد الحميد بن باديس (الصنهاجي) الذي يؤكد في أكثر من مقال وموقف بأن نقاء العنصر و طهارة الدم مغالطة لا تعتمد إلا على الأساطير، وأن التأكيد على وحدة العنصر في تحديد الكيان القومي للمجتمع العربي مشرقا ومغربا خطأ قاتل، وأن الذي يؤلف بين جماعة من الناس ويصهرهم، ويصيرهم أمة واحدة... إنما هي مقومات معنوية ثقافية وليست عنصرية مؤكداً بأن القومية ليست لها علاقة بالعرق الواحد، وإنما أساسها هو وحدة اللغة والدين والثقافة المشتركة أو اتحاد الفؤاد و اتحاد اللسان، على حد تعبيره في مقال له بعنوان: (كيف صارت الجزائر عربية) حيث يقول: «ما من نكير أن الجزائر كانت أمازيغية، من قديم عهدها، وما من أمة من الأمم استطاعت أن تقلبها عن كيانها، و لا أن تخرج بها عن أمازيغيتها، أو تدمجها في عنصرها، بل هي التي كانت تبتلع الفاتحين فينقلبوا إليها، و يصبحوا كسائر أبنائها، فلما جاء العرب، و فتحوا الجزائر فتحا إسلاميا لنشر الهداية – لا لبسط السيادة – و إقامة العدل الحقيقي بين جميع الناس، لا فرق بين العرب الفاتحين و الأمازيغ أبناء الوطن الأصليين، دخل الأمازيغ من أبناء الوطن في الإسلام و تعلموا لغة الإسلام العربية، طائعين فامتزجوا بالعرب بالمصاهرة، ونافسوهم في مجال العلم، و شاطروهم سياسة الملك، و قيادة الجيوش و قاسموهم كل مرافق الحياة»

(إلى أن يقول): «فأقام الجميع (العرب والبربر) صرح الحضارة الإسلامية يعبرون عنها و ينشرون لواعها بلغة واحدة هي اللغة العربية الخالدة، فاتحدوا في العقيدة والنحلة، كما اتحدوا في الأدب و اللغة، فأصبحوا شعبا واحدا عربيا متحدا غاية الاتحاد، ممتزجا غاية الامتزاج، و أي افتراق يبقى بعد أن اتحد الفؤاد و اتحد اللسان»<sup>(1)</sup>. وهنا نلمس بكل وضوح مفهوم الإمام لأسس تكوين الأمة المبني أساسا على وحدة الدين ووحدة اللغة و آدابها، و ثقافتها المشتركة في عمومياتها (الثابتة) مع إبعاد العامل العرقي، إلى جانب عدم اعتبار الاختلاف العرقي -إن وجد افتراضا- حائلا دون تحقيق العروبة الكاملة للشعب الجزائري أو أي شعب مماثل في العالم على اعتبار أن أي مسلم هو مشروع عربي، أسوة برسول الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ ذاته العدناني (المستعرب) الذي يعود أصله إلى الكلدانيين من ناحية الأب (إبراهيم) عليه السلام وإلى المصريين من ناحية الأم (هاجر)، وليس القحطاني (العارب) كما يقول الجاحظ في رسالة إلى الفتح بن خاقان قولاً سبق به عصره بقرون في علم الثقافة والهوية الوطنية والقومية وهو يحاجّه في وحدة الأمة المحمدية، على الرغم من اختلاف تناسلها من قحطان (العرب

---

<sup>7</sup>(1) مجلة «الشهاب» قسنطينة، عدد فبراير 1938.

العربية) وعدنان (العرب المستعربة) فقال: «إن قلت كيف كان أولادهما جميعا عربا مع اختلاف الأبوة؟ قلنا: إن العرب كانت واحدة فاستووا في التربية، وفي اللغة والشمائل والهمة والأنفة والحمية، وفي الأخلاق والسجية، فسبكوا سبكا واحدا، وأفرغوا إفراغا واحدا، وكان القلب واحدا، فتشابهت الأجزاء، وكانت هذه الأسباب ولادة أخرى»<sup>(1)</sup> وهذه الصفات كلها تنطبق انطباقا كليا على المجتمع العربي في الجزائر وكل البلاد الإسلامية الناطقة بالعربية في مشارق الأمة ومغاربها.

على أن ابن باديس إذا كان يتصدر أصحاب هذا الاتجاه في إسقاط العامل العرقي من الحساب في المعادلة القومية، إلا أنه يفوقهم في التأكيد على عنصر العقيدة الإسلامية التي كانت أساس تلك القومية في نظره، ويدل على ذلك قوله في النص المذكور: «وأي افتراق يبقى بعد أن اتحد الفؤاد واتحد اللسان» فسبَّق ذكر الفؤاد وهو الروح والعقيدة، و آخر ذكر اللسان وهو اللغة، والإمام هنا في غاية المنطق والواقعية مع التاريخ وعلم الهوية والقومية في الوقت ذاته، فالعربي عند ابن باديس هو من كان قلبه مفعما بالإسلام، و لسانه ناطقا بالعربية... وهنا نجده يختلف عن أصحاب الاتجاه (الأممي) الذي يعتمد على الدين وحده،

---

<sup>8</sup>(1) عبد الرحمن البزاز، هذه قوميتنا، دار القلم، القاهرة (بدون تاريخ)، ص 96.

ويسقط العوامل الأخرى كاللغة والثقافة والتاريخ، كما يختلف عن الاتجاه (العلماني) الذي ينفي عامل الدين في القومية ويسقطه من حسابه وهو الاتجاه البعثي والعلماني، المنتشر في المشرق العربي عموماً، لأسباب طائفية معروفة ومفهومة، ويضرب -في الوقت نفسه- الاتجاه الانعزالي الذي قد يظهر في بعض الأقطار العربية ممن انطلت عليهم المغالطة الاستعمارية التي سبق الإشارة إليها قبل حين وقد لخصنا ردنا عليها وموقفنا منها منذ عقود في مقولة مفادها أن «العروبة بالسلالة للحصان والعروبة بالرسالة واللسان للإنسان».

فكان لهذا الوعي الوطني والقومي الرفيع لدى الإمام دور عظيم في إحباط المخططات الاستعمارية التي ظلت تستهدف الوحدة الوطنية لشعوب المغرب العربي عموماً والجزائر خصوصاً بترويج ادعائه المغلوط هذا في أرجاء أقطاره الخمسة وما يزال؟! . . . فكتب تنفيذاً لهذا الادعاء الاستعماري المغالط قائلاً: «أما أبناء يعرب وأبناء مازيغ فقد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرناً ثم دأبت تلك القرون تمزج بينهم في الشدة والرخاء، وتؤلف بينهم في العسر واليسر وتوحدهم في السراء والضراء، حتى كونت بينهم خلال أحقاب بعيدة عنصراً مسلماً جزائرياً، أمه الجزائر وأبوه الإسلام»<sup>(1)</sup>.

---

<sup>9</sup>(1) المرجع السابق ذكره.

ويرجع -في نظرنا- هذا المفهوم القومي المركب من الإسلام والعربية (وصفة العربية هنا بمعنى العروبة) استنادا إلى نص الحديث القائل: «ليست العربية بأحدكم من أب أو أم وإنما هي باللسان فمن تحدث العربية فهو عربي». قلنا يرجع هذا المفهوم الممزوج مزج الإسمنت بالماء. . . إلى خلو بلدان المغرب العربي من دين غير الإسلام، خلافا لبلدان المشرق العربي التي كانت تجتذب المثقفين المسيحيين واليهود فيه فكرة القومية العربية العلمانية والعرقية (المفرغة من عنصر الدين) كوسيلة للتحرر من نفوذ الخلافة العثمانية في مطلع هذا القرن، وإيجاد بديل مقبول لفكرة الجامعة الإسلامية التي كانت تختمر في عقول المثقفين المسلمين، والتي كان غير المسلمين يخشون أن يؤدي انتشارها إلى إغراق الأقليات الطائفية التي يمثلون أغليبيتها في الوطن العربي... كما قد يرجع مزج الإسلام بالعروبة في المفهوم المغاربي (نسبة إلى بلدان المغرب العربي) إلى سياسة فرنسا التي انتهجها المحتل الفرنسي، في شكله الصليبي، مع هذه البلدان والتي جعلت مفهوم العروبة لدى السكان المغاربة ملتصقا عضويا بالتراث الإسلامي الأصيل بما يمثله من لغة وثقافة تمثل المرتكزات الجوهرية للشخصية الوطنية التي حالت دون تجنس السكان وذوبانهم في هوية المحتل الصليبي الذي كان يستهدف

---

جعل الجزائر أندلسا ثانية في تاريخ الأمة المحمدية الحديث!!  
وإننا لنعتقد جازمين أن وحدة الوطن ووحدة الأمة (وإن هذه  
امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فأعبدون) لا تتحقق إلا بالوسيلة التي تحققت  
بها أول مرة، مصداقا لقوله تعالى: (لتكون من المنذرين بلسان عربي  
مبين) وفي آية أخرى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)  
والسؤال المطروح هنا هو هل قوم محمد ﷺ المقصودين في هذه الآية  
هم أمثال أبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة، أم أمثال بلال  
الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي الذي وصف في حديث  
شريف بأنه من آل البيت كما هو معلوم...؟ وإذا كان الجواب القاطع  
بنص القرآن هو أن الإسلام دين للبشرية جمعاء ودين عالمي (وما  
أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) لا يعترف بأعراق ولا بألوان ولا  
بحواجز جغرافية أو فروق معيشية، أو حدود سياسية أو قطرية إلا  
بالتقوى، فإن أي مسلم على وجه الأرض يعتبر من قوم محمد ﷺ  
ويظل مشروعا عربيا وبالتالي فإن لغته يجب أن تكون لغة قوم محمد  
ﷺ بدون أي مانع غير عنصر، ومن ثمة فإن من لا يريد أن يكون  
من أمة محمد ﷺ فليختر أية لغة أخرى، أو أية أمة أخرى تبعا لذلك،  
دون نفاق أو رياء أو التواء!! والدليل على ذلك أن أحفاد بلال وأحفاد  
طارق وأحفاد صهيب وأحفاد سلمان هم الذين تعلموا العربية وعلموها

للعرب والمسلمين أنفسهم وتبنوا جميعهم العربية عبر القرون بعد أن صح إسلامهم وأصبحوا من آل البيت بالتشهد وبالتقوى وإتقان اللسان المنزل به القرآن قبل خلق الإنسان ذاته كما ورد في قوله تعالى: «الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان» وذلك في اعتقادنا لفهم وتدبر آيات القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد إلى قيام الساعة.

وهو ما يعيدنا إلى عامل اللغة الذي يوليه الإمام ابن باديس أهمية كبيرة في المسألة القومية، حيث نجده يرد بقوة على دعاوى فرنسا للتشكيك في عروبة الشعب الجزائري اللسانية والرسالية (وليس الحصانية) حيث يقول: «إن اختلاط الدماء في فرنسا والدول الأوروبية قائم، و لم يحل ذلك دون أن تكون فرنسا أمة واحدة لاتحادها فيما تتكون به الأمم، بينما نجد على جبال فرنسا وفي قراها من لا يحسن اللغة الفرنسية، ولكن ذلك القليل نظرا للأكثرية- لم يمنع من أن تكون فرنسا أمة واحدة... (ثم يضيف في السياق ذاته) وهذه الحقيقة الموجودة في فرنسا يتعمى الغلاة المتعصبون عنها، ويحاولون بوجود اللغة البربرية في بعض الجهات وجودا محليا، و جهل عدد قليل جدا بالعربية على رؤوس الجبال، أن يشككوا في انتماء الجزائر إلى الأمة العربية التي كونتها القرون و

## شيدتها الأجيال»<sup>(1)</sup>.

وهكذا نتبين الربط الموفق بين الإسلام والعربية في تكوين الأمة المحمدية، مع إسقاط العامل العرقي تماشياً مع منطلق العصر، وتفادياً الوقوع في الفخ الاستعماري، وتفويتنا على الأعداء فرصة التسلل لتقويض الوحدة الوطنية والقومية للأمة المحمدية، فيردّ عليهم ابن باديس بقوله: «ليس تكون الأمة يتوقف على اتحاد دمها، ولكنه يتوقف على اتحاد قلوبها، وأرواحها اتحاداً يظهر في وحدة اللسان وآدابه واشتراك الآلام والآمال، (إلى أن يقول) تكاد لا تخلص أمة لعرق واحد، وتكاد لا توجد أمة لا تتكلم بلسان واحد، فليس الذي يكون الأمة ويربط أجزاءها، ويوحد شعورها ويوجهها إلى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة، وإنما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد»<sup>(2)</sup>.

فلنأخذ العبرة والدرس المفيد في هذه المسألة الحيوية، «والمصيرية» من الأمة الفرنسية ذاتها في الماضي أو الحاضر، فبالنسبة للماضي القريب يقسم علماء اللغة اللهجات الرومانية التي

---

<sup>10</sup>(1) نقلا عن كتاب التعليم القومي والشخصية الوطنية للدكتور رابح تركي، الجزائر (ش. و. ن. ن.)، ص 52.

<sup>11</sup>(2) مجلة «الموقف العربي»، عدد يناير 1979.

كانت سائدة في فرنسا» اللاتينية «قبل أن تصبح لدولتها لغة وطنية ورسمية مشتركة تخطت الحدود الجغرافية إلى ما وراء البحار لتفرض على مجتمعاتنا الإفريقية فرضا (...). يقسم العلماء تلك اللهجات إلى قسمين رئيسيين هما: اللهجات الشمالية واللهجات الجنوبية، ويطلق على المجموعة الأولى اسم) لهجات الأويل (ويطلق على المجموعة الثانية اسم) لهجات الأوك (واللغة الفرنسية الحالية تمثل أرقى الدرجات التي وصلت إليها لهجات الأويل (الشمالية، والبروفانسية الجنوبية تمثل أرقى الدرجات التي وصلت إليها لهجات) الأوك (الجنوبية، والفرق بين الاثنين كبير جدا، إلى درجة أن الاختلاف بينهما يصل إلى مستوى الاختلاف الموجود حاليا بين اللغة الإسبانية واللغة الإيطالية كما يقول العالم اللغوي الفرنسي الشهير) انطوان ميه (ومن الطبيعي أن هذا الفرق لا يترك مجالا للتخاطب والتفاهم بين اللغتين دون أو ترجمان!!

ويعود هذا الاختلاف الشاسع بين القسمين إلى مدى تأثير كل من اللغة اللاتينية في الجنوب والجرمانية في الشمال الفرنسي. فاللهجة العامية التي انحدرت منها اللغة الفرنسية الحالية تمثل ضواحي العاصمة الباريسية في الوقت الحاضر، والتي تعرف باسم» جزيرة فرنسا «قد تطورت وانتشرت فيما بعد نتيجة عوامل التوحيد اللغوي الأنفة الذكر ومن جملة الأسباب والعوامل أن المنطقة المذكورة كانت مهدا للأسرة التي أسست المملكة الفرنسية، ولذلك اكتسبت لهجاتها مكانة سياسية خاصة، مكنتها من التغلب شيئا فشيئا على اللهجات الأخرى تبعا لتوسع

نطاق حكم الأسرة المذكورة.

فكلما دخلت مقاطعة من المقاطعات تحت حكم المملكة الفرنسية كانت تدخل في الوقت ذاته تحت تأثير اللغة الفرنسية، وكانت بهذه الكيفية تتغلب على اللهجات المحلية أولا في المدن، ثم باقي المناطق الريفية تدريجيا...

وقد تم انتشار اللغة الفرنسية في باقي مناطق لهجات)الأويل (قبل مناطق لهجات)الأوك (وذلك لأن التوحيد السياسي والإداري في المناطق الشمالية كان اسبق من المناطق الجنوبية التي لم تنضوتحت المملكة في توحيد الجنوب مع الشمال، إذ بقيت لهجات الجنوب مصونة من سيطرة اللغة الفرنسية، مدة أطول، مما جعل آثارها متبقية إلى الآن، عكس مناطق الشمال التي تفرنست في وقت مبكر، فضلا عن أن لهجات) الأويل ( كانت أقرب إلى الفرنسية الحالية من لهجات)الأوك (مما مكن للأولى أن تلتحم باللغة الفرنسية، قبل الثانية التي وجد الناطقون بها صعوبة في التكيف السريع مع اللغة الفرنسية، التي تختلف كثيرا عن لهجاتهم المحلية...)

وقد كان للأدب المكتوب باللغة الفرنسية دور كبير في انتشار هذه اللغة إلى جانب العوامل السياسية المذكورة... فمع مطلع عصر النهضة الفرنسية في القرن السادس عشر عرفت المملكة الفرنسية حركة أدبية وفكرية قوية على أيدي أمثال ديكارت) الذي يعتبر أول من كتب آثاره الفلسفية والأدبية باللغة الفرنسية (جان جاك روسو وباسكال، وغيرهم من الذين ألفوا مجموعة من الآثار الأدبية والفكرية الخالدة باللغة الفرنسية، مما مكن اللغة الفرنسية،

نتيجة لذلك، من أن تكتسب مكانة مرموقة بين جميع الفرنسيين، وأخذت في التغلغل لدى عامة الناس، والمتقنين بصفة خاصة، ومن ثمة في طرد اللهجات وتضييق الخناق عليها لتحل مكانها كلغة فكر وأدب وثقافة الواحدة تلو الأخرى، وهونفس ما حدث من قبل للغة العربية بعد انطلاق عملية التعريب في المناطق التي شملتها الفتوحات الإسلامية الأولى في المشرق والمغرب العربيين...

إلا أن ما يجدر ذكره على الخصوص هنا هو أن تلك اللهجات الفرنسية المختلفة لم تنقرض نهائيا من الواقع الفرنسي نتيجة الحركة الفكرية والأدبية المذكورة... بل ظلت مخلفاتها محصورة في بعض المناطق الريفية) كما هوشأن البربرية في بلدان المغرب العربي الحالية (... كما عبر عن ذلك الإمام عبد الحميد بن باديس في مقاله الشهير السالف الذكر) كيف صارت الجزائر عربية (حيث قال) : «وهذه الحقيقة) أي وجود لهجات محلية من مخلفات الماضي في أرياف فرنسا (يتعامى عنها الغلاة المتعصبون، ويحاولون بوجود اللغة البربرية في بعض الجهات وجودا محليا، وجعل عدد قليل جدا بالعربية في رؤوس الجبال أن يشككوا في الوحدة العربية للأمة الجزائرية التي كونتها القرون وشيبتها الأجيال» وذلك ما استدعى اهتمام رجال الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر وجعلهم يتدبرون الأمر لإيجاد الحلول الجذرية لها، تقاديا لأبعادها المستقبلية على وحدة الأمة الفرنسية السياسية والثقافية، والاجتماعية (..) وكان مما قدمه أحد المهتمين بهذا الموضوع إلى مجلس الثورة الفرنسية سنة 1790 تقريرا جاء فيه» إننا نستطيع إن نؤكد بأن نحو ستة ملايين من

الفرنسيين- ولا سيما في الأرياف- لا يعرفون شيئا عن اللغة القومية وعددا لا يقل عن ذلك، إذا عرفوا شيئا منها، فإنهم لا يستطيعون إن يواصلوا التحدث بها، والذين يحسنون التحدث بها بفصاحة لا يتجاوزون الثلاثة ملايين، وأما الذين يستطيعون متابعتها على وجه الصحة فهم أقل من ذلك أيضا.. ويضيف التقرير الذي قدمه أحد رجال الثورة البارزين قوله: إن مبدأ المساواة الذي أقرته الثورة يقضي بفتح باب التوظيف أمام جميع المواطنين بدون تمييز، ولكن تسليم زمام الإدارة إلى أشخاص لا يحسنون اللغة القومية، يؤدي إلى محاذير كبيرة (...). وحيث إن ترك هؤلاء الجاهلين للغة القومية خارج ميادين الحكم والإدارة يخالف مبدأ المساواة الذي تؤكد عليه الثورة... فيترتب عليها - والحالة هذه - أن تعالج المشكلة معالجة جدية، وذلك بمحاربة اللهجات المحلية ونشر اللغة الفرنسية الفصيحة بين جميع المواطنين» (1).

وانطلاقا من هذا الاعتبار أخذ رجال الثورة الفرنسية ينظرون إلى اللهجات المحلية على أنها مخلفات من عهود الإقطاع، وقالوا بوجوب محاربتها من هذه الوجهة أيضا. غير أن اللهجات لا يمكن أن تزال بين عشية وضحاها بقرارات تتخذها الحكومة أو بيانات تصدرها المجالس التمثيلية مثل التي ألغت الامتيازات المحلية، بل إن زوال اللهجات

---

<sup>12</sup>(1) عن مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، نيسان 1957.

أوتوحيدها يتطلب عملا متواصلا وتخطيطا دقيقا محكما ينفذ بصرامة، وقد يستمر عدة أجيال بحسب الظروف والإمكانات، ولذلك دعا مجلس الثورة الفرنسية جميع الناس إلى الاهتمام بهذا الأمر، أي الاعتناء باللغة القومية المشتركة إلى درجة التقديس والتخلي أو الترفع بها عن اللهجات المحلية الضيقة... ومن ذلك ما جاء في بيان لقيادة الثورة في شهر أبريل من السنة الثانية لتاريخ الثورة حيث يقول «أيها المواطنون فليدع كل منكم إلى تسابق مقدس للقضاء على اللهجات في جميع أقطار فرنسا، لأن تلك اللهجات إنما هي من بقايا عهود الإقطاع والاستعباد»... (1)

وهكذا أخذت الثورة تستحث الشعب ومختلف الدوائر الحكومية والتعليمية والهيئات العلمية على بذل الجهود المكثفة والجادة لنشر اللغة الفرنسية الفصيحة وتحقيق الفرنسية الكاملة لأبناء الأمة الفرنسية، وفي هذا المعنى يقول ساطع الحصري: «عندما أقرت الثورة الفرنسية مبدأ التعليم الإلزامي العام، رأى رجال الفكر أن تكون مكافحة اللهجات المحلية والعامية من جملة الأهداف التي يرمي إليها التعليم بوجه عام» (2).

---

<sup>13</sup>(1) نفس المرجع السابق.

<sup>14</sup>(2) آراء وأحاديث في اللغة والأدب، دار العلم للملايين بيروت 1958، ص 72 - 73.

هذا بالنسبة لفرنسا في الماضي أما في الحاضر، فيكفي أن يلاحظ كل ذي عقل سليم أن الصراع الحزبي العقائدي والسياسي قد يحدت، حول العديد من الوسائل المتعلقة بالمهاجرين) المغاربة ( أوالمسلمين الأفارقة بصفة عامة، أو عن قبول أو رفض اللباس الإسلامي، أو فرض) اللباس (اللائكي العلماني، على الطالبات المسلمات) الفرنسيات وغير الفرنسيات (فينتصر ذلك لهذا وينتصر هذا لذلك، ويحدث الخلاف بين لوبان وديستان وشيراك، ومتران، وساركوزي وروايال ... وفي الحين نفسه، رغم العداوة الفرنسية الظاهرة، نجدهم صفا واحدا بالنسبة للوحدة الوطنية وسيادة اللغة الفرنسية داخل الوطن الفرنسي، وكذلك حول الاستراتيجية العامة للوطن، والإشعاع الفرنكوفوني خارج التراب الفرنسي وخاصة بلدان المغرب العربي التي يتخذون منها حديقتهم الحلفية» المتوسطة «ومفتاحا لبسط نفوذهم على كل إفريقيا الفرنكوفونية (...). وحول هذا الموضوع بالذات نورد هذه النصوص الصريحة الموحدة لأبناء الأمة الفرنسية تحت لواء اللغة الفرنسية ...

فهذا تصريح لميشال دوبري،) رئيس وزراء سابق في حكومة دوجول (في خطابه أمام مجمع الخالدين في بلده، على أثر اختياره عضوا عاملا فيه؟ حيث يقول:

«يجب أن نعلم أنه لكي تبقى فرنسا في المرتبة الأولى على الصعيد الأوروبي واتحاد الشعوب الحرة، خاصة في الوضع الراهن العالمي الذي يتسم بوضع حربي، أن الشعب الذي يعول على نفسه في بناء ذاته بهذا العمل شعب آخر في مكانه، ولا

يتأتى هذا إلا بالتخطيط للمستقبل.

إن القوة الرادعة ليست فوق إمكانياتنا المالية، والفرنسيون قادرون على رفع اقتصادهم إلى المستوى الضروري الذي يؤهلهم إلى احتلال مكانة مرموقة على المستوى الأوربي والعالمي:

إن التعاون الدولي في ميدان البحث في المرحلة الأولى يتطلب سياسة وطنية كبيرة في الميدان العلمي والأنخفاض الملحوظ في مواليدنا لا يعتبر مصيبة، لأن وجود سياسة عائلية تحظى بالأولوية تستطيع أن تضمن لنا الحصول على نسبة كبيرة من الشباب الذي هو الشرط الأول لبقائنا.

...وعلاوة على ما سبق، فإنه يجب تذكيركم، أيها السادة بأهمية مسؤولياتكم تجاه اللغة والثقافة لأن فرنسا ولغتها هي تعبير عن وجدانها.

وفي هذا المضمار، ساهمت الأكاديمية في ميدان اللغة الفرنسية بفضل مؤسسها على المحافظة على وحدة البلد، وفي القرن الثامن عشر سمحت مهمتكم في خدمة اللغة الفرنسية على بسط نفوذ فرنسا، أما في القرن التاسع عشر فإن لغتنا قد أخذت مكانتها بين اللغات العالمية.

أما في القرن الحالي فقد أعيد النظر في نفوذها وللأسف، ويمكن إعادة النظر حتى في وحدتنا في القرن المقبل، الأمر الذي يجعل دراساتكم تحظى بالأهمية القصوى.

لقد هوجمت اللغة الفرنسية من قبل لغات أجنبية، لا تكمن قوتها في نوعيتها الجوهرية، بل في عدد الأفراد الذين

يتكلمونها، ويجب أن تفرض) الفرنسية ( على اللغات «الجهوية» حتى لا تكون ترقيتها في بعض الأحيان اصطناعية تعبر عن تفكك سياسي! ولهذا فالفرنسية تواجه جبهتين، وعليه فان مهمة الأكاديمية محددة الاتجاه...أولا :ضمان نوعية اللغة الفرنسية والتذكير بمتطلبات الإملاء والنحو، ثم جعل وحدة اللغة تخدم نوعية الثقافة وأخيرا تشجيع استعمال لغتنا ومساندة من يفعل ذلك من الأقطار الأخرى.

فليكن زميلنا الرئيس) ليوبولد سيدار سينقور (وأميننا الدائم)موريس دريون ( مشكورين على عنادهما لتأكيد الفرنكفونية، التي ستكون مهمة أساسية لكل حكومة، كما أثبتته الوزارة التي يديرها زميلنا)آلان ديكو (ولكونها تعبيراً عن وحدتنا ونفوذنا وباختصار عن سيادتنا، إذ تدعونا إلى معركة كبيرة حيث وصف)كليمنصو (اللغة الفرنسية بلغة» الوضوح «لغة» العدالة » لغة» الصداقة «ولغة» الحرية».(1)

ومن أوجه هذا الصراع الحاد الدائر بين الإمبراطوريتين اللغويتين) الأنجليزية والفرنسية (في هذا الخصوص نذكر الضجة التي قامت في فرنسا حول معهد) باستور (لاعتماده اللغة الأنجليزية كلغة بحث دون الفرنسية.... (2)

---

<sup>15</sup>(1) جريدة «لوموند» 1989/01/23.

<sup>16</sup>(2) أنظر تفصيل ذلك في كتابنا «التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي، دار الأمة الجزائر.

وتكلمة لما سبقت الإشارة إليه باختصار في الفصل الحادي عشر بالنسبة للثقافة والهوية التي يتخذون منها حسان طروادة نريد أن نتناول هذا الموضوع هنا ببعض التفصيل حول الثقافة. إن الثقافة في آخر تعريفاتها العلمية الشاملة المقررة في المؤتمر العالمي لوزراء الثقافة بمكسيكوسنة 1982 هي «...»: أن الثقافة بمعناها الواسع اليوم هي جماع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه، أوفئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات، وأن الثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، والتي تجعل منا كائنات تتميز بالإنسانية المتمثلة في العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي...»

ومن هنا كانت نوعية الثقافة تساوي نوعية الشخصية ومحصلة خصائص الهوية الوطنية والقومية، فحدد لي ثقافتك (بما فيها من دين وقيم وتقاليد راسخة، وعموميات ثابتة) (أحدد لك شخصيتك وهويتك الوطنية أو القومية المتميزة عن كل الأغيار الخارجين عن تلك الثقافة، ولذلك فإن حجة العرقية، وصفاء العنصر، والأرومة السلالية، لا تمثل إلا سلاحا لخدمة الاستعمار الجديد في تحطيم وحدة الشعوب المتخلفة التي لا تقلد المستعمرين فيما يفعلونه مع أنفسهم في أوطانهم الأصلية، وإنما تقلدهم، وتعمل برأيهم- فقط -فيما ينصحون به سكان مستعمراتهم

---

(السابقة واللاحقة (مع أن الفرق بين ما ينصحون به غيرهم، وما يفعلونه مع أنفسهم في الوطن) الأم (هو الفرق بين الموت والحياة) كما بيّنا وسنبين في هذا الفصل!!)

ومن ذلك- مثلا -أن الاستعمار الفرنسي، كان منظوره، وما يزالون، يصرون على اعتبار الفتوحات الإسلامية للجزائر، والمغرب العربي عموما، على أنها استعمار، والحقيقة أن هذه التسمية في حد ذاتها تتم عن اعتراف بأن وجود الأقوام الأروبية قديما وحديثا في هذا البلد كان استعمارا بالمعنى الحقيقي للكلمة، وليس نشرا للحضارة، أو استرجاع أمجاد روما، بإخراج الشعوب المغربية من الظلمات، ورفع الضيم عنها وتخليصها من الاحتلال العربي-الإسلامي، كما ظلوا وما زالوا يزعمون..

كما تتم هذه التسمية للفتوحات الإسلامية بأنها استعمار عن حقد دفين على الإسلام الذي حل محل الدين المسيحي في هذا البلد قديما، وقاوم الغزو الصليبي الفرنسي حديثا.

والأسئلة المنطقية والعلمية التي تطرح نفسها على هؤلاء وأولئك من الذاهبين في هذا الاتجاه هي:

لو كان المسلمون مستعمرين- حقا -كما يقولون، فلماذا بقي الإسلام راسخا في الجزائر وكل بلاد المغرب العربي دون الأشكال الأخرى المختلفة من أنواع الاستعمار التي عرفتها كل هذه البلاد، من قبل الفتوحات الإسلامية وبعدها؟

وعن آخر استعمار للجزائر وكيفية اندحاره وتحطمه على صخرة الإسلام والهوية الأبدية العربية الإسلامية للشعب الجزائري كما قلنا، يؤكد الكاتب والمؤرخ الفرنسي المختص في

تاريخ الاستعمار في المغرب العربي، بنجامين سطورا، في حوار له نورد منه ما يهمنا فيما يلي:

\*ستبقى الجزائر فرنسية، كما أصبحت فرنسا رومانية، مقولة لديغول، تتعارض مع فرضيتك، التي تقول بأن هذا الأخير يرى أن الجزائر بالنظر إلى انتمائها للدين الإسلامي، ستبقى دائما منفصلة وغير قابلة لأي إدماج مع فرنسا، ما تعليقكم؟

\* \* لقد صرّح ديغول بهذه الأفكار بصفته فرنسيا من الجزائر، لكن ذكرت في كتابي «ديغول الغامض... خياراته بالنسبة إلى الجزائر»، العديد من الأحاديث الخاصة، بالأخص تلك التي جمعته بـ«ألان بايريفيت»، حيث شدّد على فكرة التعارض الموجود والواضح بين الإسلام والوجود الفرنسي في الجزائر. لقد كان ديغول رجل ثقافة متأصل، بالإضافة إلى إنسانيته اللاتينية والشخصية المسيحية المرتبطة بالقومية الفرنسية، فديغول يرى القومية والوطنية الجزائرية من هذا المنظار المرتبط بالدين واللغة.

وبإقراره تقرير مصير الجزائريين قد فصل بين الجزائر وفرنسا، باسم الدفاع عن القومية الفرنسية، وليس باسم الاعتراف بحقوق ومطالب الجزائريين.

\*هل نستطيع أن نفهم مما قلتم عن قناعات ديغول، بأن فرنسا هي التي استقلت عن الجزائر وليس العكس؟

\*\*أظن أنه لولا المعركة المسلحة التي قادها الوطنيون الجزائريون ضد الاحتلال، لبقيت فرنسا في الجزائر إلى اليوم، خاصة بعد اكتشاف الغاز والبتروول، مما فتح شهية المناضلين

والمنادين بـ» شعار الجزائر فرنسية .«لكن بالمقابل أصبح الحصول على السيادة والاستقلال، شعارات شعبية لدى كل الجزائريين، وكان يجب بالنسبة لديغول الخروج من وضع الجمود فيما يتعلق بالقضية، فآتم هذه الخطوة التي أدت في الأخير إلى استقلال الجزائر»<sup>(1)</sup>.

ثم إذا صح أن العرب الفاتحين كانوا دهاة في استعمارهم للجزائر..فأية فائدة للمستعمر أن يحتل بلدا ثم لا يحكمه أبدا؟ إبل يسلم السلطة لأهل البلد بعد إسلامهم ليحكموا أنفسهم بأنفسهم!؟ ثم لماذا لم يرتد البربر عن دينهم الجديد بعد أن كونوا دولتهم بل دولهم الموحدة والمستقلة بعد الفتح الإسلامي مباشرة، بدءا من الدولة الرستمية إلى آخر دولة بني عبد الوادي في تلمسان مرورا بدولة المرابطين، والموحدين، والفاطميين المتلاحقة!...!

إذا كان الإسلام واللغة العربية قد انتشرا بقوة السيف في الجزائر، في فترة قصيرة وزالت المسيحية واللاتينية من البلد تبعا لذلك...فلماذا لم تتمكن فرنسا من القضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية طوال قرن ونصف القرن من المحاولات الحثيثة؟!والجواب متضمن في الفقرة السابقة للمؤرخ الفرنسي المختص بالثورة الجزائرية.

فهل كان الفاتحون الأوائل أكثر ذكاء في معاملتهم

---

<sup>17</sup>(1) جريدة «الخبير»، 8 سبتمبر 2009.

للجزائريين في القرن السابع الميلادي من الفرنسيين في القرن العشرين؟! وإذا كان بقاء العرب في الجزائر وكل البلاد المغربية الحالية من القاهرة إلى نواكشوط يرجع إلى تواضعهم وعدم تكبرهم على البربر ومصاهرتهم والاختلاط بهم والتساوي معهم في الحقوق والواجبات.. أفلم تحاول فرنسا الاندماج مع سكان هذه البلاد بكل الوسائل.. ففشلت كل محاولاتها إلى أن خرجت مذمومة مدحورة كما أسلفنا!؟ ثم هل كان للمصاهرة بين البربر) الأصليين (والعرب) المحتلين، كما يصفهم أدياء الأصالة العرقية الجسانية) التي أثبتنا خطأها آفا (أن تحدث من طرف واحد لولم يكن البربر يرغبون في ذلك؟! وهل كان لأحد أن يرغب في المصاهرة مع أحد) أجنبي وغريب (يعتبره عدوا له ودخيلا أو أدنى منه عنصرا!؟) راجع الفصل الثاني).

وأخيرا لماذا لم تنجح فرنسا في إحلال المسيحية والفرنسية محل الإسلام واللغة العربية أثناء احتلالها المباشر، مثلما حل الإسلام والعربية تلقائيا محل المسيحية واللاتينية في الأول قبل 14 قرنا!؟

إن كل هذه الأسئلة وغيرها لا يجد لها هؤلاء المدعون تفسيراً أو أجوبة علمية تقنعهم، فضلا عن إقناع غيرهم بها!؟ وهكذا نرى أن الأطروحة التي أوجدها الاستعمار الفرنسي في الجزائر والمغرب بعد الاستقلال السياسي ستظل قائمة في هذا البلد ومتجددة ما بقيت اللغة الفرنسية سيدة الموقف فيهما، كما هي عليه الآن، وستظل أيضا ما بقي في المجتمع المغربي من يرفض أن تكون هذه البلاد فرنكوفونية، وأن تكون غير مسلمة

عربية في يوم من الأيام، لأن فرنسا أخرجت بالقوة من البلاد وفي نفسها أمل في عقول ونفوس بعض العباد(...). وهذا الأمل ما انفك يتسع ويخصب على مر السنين الأخيرة التي أعقبت الاستقلال لأسباب كثيرة وستتضح أبعادها أكثر في السنوات القادمة.

وعليه، فنكتفي هنا بمناقشة هذه الأطروحة (العرقية-اللغوية) التي تحاول أن تغرس في النفوس (..) مقولة مؤداها أن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي (نوميديا سابقا) كان استعمارا بأتم معنى الكلمة، وأن اللغة العربية المنتشرة في البلاد نتيجة لذلك هي لغة المستعمر التي يودون أن تحارب من أهلها أو من بعض أهلها لصالح لغة المستعمر الجديد (وهو بيت القصيد (كما لا يخفى على عقول غير المستعمرين (بفتح الميم)، وقد عبروا عن ذلك بمختلف الصيغ فيما أوردناه من استشهدات في الفصول السابقة .. وحجنا العلمية والمنطقية للرد على هذه الأطروحة المغالطة هي:

**أولا:** أن عامل العرق في القومية أو الوطنية هو خرافة لا أساس لها من الواقع، كما أثبتنا قبل حين (\*).

**ثانيا:** أن ادعاء أية جماعة بأنها ذات عرق رفيع متميز، وأنها محافظة على نقاوة هذا العرق .. هو ادعاء عنصري لا

---

18(\*) للمزيد حول هذا الموضوع، راجع للمؤلف «الردود العلمية على الأطروحات

العرقية..» دار الأمة الجزائر.

ينهض على أي أساس من العلم، ولا من الواقع في أي بلد من بلدان العالم، باستثناء الكيانات العنصرية).في ألمانيا النازية سابقا ودولة الصهاينة في فلسطين المحتلة، وحكومة) بوتنا (في جنوب إفريقيا.

**ثالثا:** أن ربط نوع اللغة بالعرق لا ينهض على أي أساس من الصحة.

**رابعا:** أن مطابقة خريطة المتحدثين بالعربية في بلاد المغرب العربي على خريطة المتحدثين ببعض اللهجات البربرية في هذه البلاد ومقارنة كل منهما بتحديد ما يسمّى بالمنحدرين (جنسا أو عرقا (من الأصل العربي أو الأمازيغي كما يقولون، هي مقارنة أو مطابقة خاطئة للأسباب التالية :

1) أن نسبة الجزائريين والمغاربة الذين يتحدثون البربرية بلهجاتها المختلفة) التي قد تفوق العشر لهجات (هم لا يتجاوزون على أكثر تقدير ربع السكان من الأميين في الوقت الحاضر، أضف إلى ذلك أن نسبة 99 ٪ من هذه القلة يعرفون العربية (الدارجة على الأقل)، بل ويجيدونها في غالبيتهم بحكم ديمقراطية التعليم التي انتهجتها البلاد) وخاصة الجزائر (بعد الاستقلال، إلى جانب انتشار وسائل الإعلام والتثقيف الجماهيري باللغة الوطنية العربية) (التي عمت كل أرجاء الوطن في العقود الأخيرة.

2) أن الحس الشعبي لدى غالبية السكان المنتمين جغرافيا (بحكم الولادة أو الإقامة (إلى هذه المناطق المسماة ناطقة بالبربرية لا يهضم التمييز بين كلمة عربي وكلمة مسلم، فالعرف السائد عند العامة في هذه المناطق هو أن كل عربي مسلم والمسلم

لا يتصورونه إلا عربيا!

وهذا الخلط معقول ومقبول في بلد خال من الطوائف (المشرقية) ولم يعرف غير الإسلام دينا والعربية لغة منذ أن دخل في دين الله وتخلّى عما سواه!  
(3) انتقاء وجود أي شعور بالتمييز إزاء العروبة الإسلامية في هذه المناطق) كباقي المناطق الأخرى من الوطن (بدليل انتشار الأسماء العربية ك-) فاطمة ورقية، والزهران، وخديجة، ... والعربي، وعلي، وعمر، وعثمان، و«آيت العربي» (ومن ذلك مثلا-محمد أركون، وفقيه الثقافة الجزائرية) محمد (معمري المعروف بمولود) لأسباب نضالية فيما نعتقد؟ (والعقيد الشهيد) آيت حمودة (عميروش) أبونور الدين (الذي ظل ينظم تدريس العربية تحت القنابل الفرنسية، إبان ثورة الجهاد، للمحافظة على روح وكيان الإنسان في أهم مراكز الولاية) كمزرانة وثامقوط، وبونعمان (...). والواقعة اليوم في ولاية تيزي وزو حسب التقسيم الإداري الجديد...

كما ظل يرسل مئات الشبان من قلب الولاية الملتهبة بروح الجهاد، لدراسة اللغة العربية في الأقطار الشقيقة استعدادا لاستكمال مسيرة الاستقلال الأكبر، بعد الاستقلال الأصغر الذي اكتفى به بعض الصغار دون الكبار) بطبيعة الحال (من أبناء الأمة، والذين لا أخالهم، إلا على درب وعهد الشهيد سائرون، والجنة داخلون!

(4) التمسك الشديد لسكان هذه المناطق) على غرار باقي المناطق الأخرى من الوطن (بالتقاليد والقيم الثقافية العربية

الإسلامية في عمومياتها الثابتة) وليس في جانبها الفلكلوري كما رأينا في الفصل الحادي عشر،) بدليل أنها كانت منذ قيام الدولة الرستمية حتى الآن، من أشد مناطق الوطن محافظة على لغة القرآن، وأخصبها إنتاجا للعلماء والكتاب والشعراء، ويكفي دليلا على ذلك إن ابن خلدون تلقى العلم في بجاية على أيدي أحد مشايخ القبائل ومنهم الشيخ أحمد ودريس المدفون بجبال جرجرة، منذ قرابة الخمسة قرون، بالقرب من معهد سيدي عبد الرحمان (اليولي) (الذي يعتبر أحد أقوى القلاع والمعازل، وأسطق المنارات المشعة للعربية والإسلام في هذا الوطن<sup>(\*)</sup>)، والذي ظل وما يزال عامرا بالعلم والعلماء، وقد خرّج أجيالا من مصابيح هذه الأمة في أحلك ليالي الاحتلال وما يزال يخرج المئات من الشموع بعد إعادة بنائه سنة 1981 على أحدث طراز، للتجاوب مع متطلبات المرحلة) الاستقلالية (ومحو آثار الدمار الذي لحق به من قنابل المحتل سنة 1957 وعلى غرار هذا المعهد أقام الأهالي أكثر من خمسة عشر معهدا مماثلا في المنطقة، وبمجهوداتهم الخاصة، تعبيرا وبرهنة على الوفاء بالعهد لنهج لالا فاطمة نسومر، وجهاد أحفادها من قادة نوفمبر ومؤتمر الصومام، استكمالا لمقومات الاستقلال الذي لم تكن سنة 1962 إلا مرحلة من مراحل المعبرة، وذلك مصداقا لما كان يستهدفه القائد الشهيد) عميروش (

---

<sup>19</sup>(\*) ونفس ما قام في الجزائر قام مثله وأكثر منه في المغرب الأقصى، ولعل جامعة

القرويين بفاس أقوى دليل على ذلك!!

في إرساله المئات من الشبان الذين هم الآن قيمون على هذه المنارات المشعة الجديدة التي ستتكمّل في وظيفتها) الأهلية (مع الجهود الرسمية التأصيلية والتنويرية لإزالة كل مخلفات العمليات التنصيرية التي استهدفت المنطقة في الماضي وما تزال تستهدفها بكل الوسائل وتحت ألف ستار،) كما بيّنا ذلك في الفصل العاشر).

هذا في الشمال، أما في جنوب البلاد فيكفي دليلا على ذلك أن شاعر الجهاد المقدس وصاحب النشيد الوطني الخالد،) مفدي زكريا (من نتاج معهد الحياة النابض بوادي ميزاب، معقل الأصالة العربية الإسلامية التي كانت وما تزال) رغم تحدث أهلها بالميزابية في الحياة الأسرية (تضاهي جميع المناطق الوطنية الأخرى التي زالت البربرية من على السنة أهلها منذ قرون!!) والحديث بالبربرية في الحياة اليومية، أمر طبيعي ومرغوب اجتماعيا وفلكلوريا، ليس داخل البلاد المغاربية فحسب، بل حتى على صعيد الوطن العربي، بما فيه اليمن والحجاز وعمان وصعيد مصر، حيث تتعايش الفصحى مع العاميات، بمختلف مصادرها وأصولها، بشرط أن تظل الفصحى هي لغة الأفكار والعلوم والثقافة الراقية والحضارة والفلسفة والسياسة وإدارة الأمصار... وتبقى العامية) ولا فرق في ذلك بين أية لهجة بربرية أو عربية دارجة (وسيلة التداول بين العوام في الحياة اليومية، وجوانب الثقافة المادية، والمسائل الفلكلورية... وحينئذ لا يبقى أي تعارض مفتعل بين الفصحى، وأية عامية من العاميات المتداولة في العالم العربي على

الإطلاق، من مسقط إلى نواقشط.

هذا إن لم يوجد تكامل وثيق بينهما) أي العاميات والفصحى (إذا التزمت كل واحدة منهما حدها وظلت لغة الكتابة هي الفصحى وحدها كما عرفت منذ تأسيس أولى الدول الإسلامية ذات اللسان العربي في هذه الربوع. (\*).

(5) أن النسبة الغالبة من أفراد الشعب في مختلف المدن والمناطق الحضرية في بلاد المغرب العربي من لا يتكلمون أولاً يتداولون إلا اللغة العربية، ولا يعرفون سواها كلغة حديث يومي (بقطع النظر عن معرفة بعضهم للغة الفرنسية بحكم الوجود الفرنسي الذي كان سبب كل المصائب السابقة واللاحقة!)

والسؤال المطروح هنا لفضح هذه المناورة الاستعمارية الجديدة هو: هل هؤلاء الناطقون باللغة العربية في بلاد المغرب العربي أو شمال إفريقيا من مدينة الإسماعيلية على قناة السويس إلى طنجة وأغادير على ساحل المحيط الأطلسي هم كلهم عرب قدموا من جنوب الجزيرة العربية مع طلائع الفتح الإسلامي الأول في القرن 7 الميلادي، أم هم في غالبيتهم العظمى من سكان البلد الأصليين وتعربوا جماعياً، وإرادياً، على مر القرون ليصبحوا على هذه الدرجة من الكثرة الغالبة في البلاد؟.

فإذا كان الجواب بنعم على الشرط الأخير من السؤال

---

20(\*) من الدولة الإدريسية والرستمية والأغلبية إلى دولة الأمير عبد القادر الجزائري وعبد

الكريم الخطابي في القرن العشرين.

(وهو الأصح والمنطقي كما أثبتنا ذلك في الفصل الأول والثاني )  
في طرح السؤال التالي وهو: كيف يمكن لأي عالم أجهاز علمي أن  
يميز في هذه المناطق الناطق أهلها باللغة العربية وحدها، بعد  
امتزاج عضوي عن طريق التزاوج المباح بين أبناء الأمة الإسلامية  
الواحدة، وامتزاج لغوي وثقافي وحضاري ظل متوصلا بين أفراد  
هذه الأمة الواحدة على امتداد أربعة عشر قرنا من التاريخ!؟

وإذا كان الجواب بالنفي ومؤداه هو أن المتحدثين بالعربية  
هم العرب» الغزاة) «كما يوصفون من دعاة الحركة البربرية )  
والمتحدثين باللغات البربرية هم وحدهم السكان الأصليون،  
فالسؤال الذي يطرح نفسه حينئذ على أصحاب هذه الأطروحة  
هو: كيف يعقل، وبأي منطق يبرهن، على أن الفرع أو الجزء  
يكبر الكل بعشرة أمثال، حيث أن مجموع سكان الحجاز اليوم أقل  
من عشر تعداد الشعوب الناطقة بالعربية فوق الكرة الأرضية.

علما بأن العديد من الفاتحين لشمال إفريقيا ومن أعقبهم،  
لم يكونوا أصلا من العرب القحطانيين أو العدنانيين، كحسان بن  
نعمان وعبد الرحمان بن رستم وغيرهما، شأنهم في ذلك شأن  
طارق بن زياد ورجاله من البربر المجاهدين الذين عربّهم  
الإسلام فأقاموا حضارة إسلامية الروح عربية اللسان في  
الأندلس دامت ثمانية قرون، وقد عاشت لعدة قرون تحت قيادة  
مسلمين من شمال إفريقيا، كيوسف بن تاشفين وغيره..

ولعل أقوى دليل إحصائي على تهافت هذه الحجة هو أن  
عدد السكان الناطقين بالعربية وحدها في الجزائر والمغرب هم  
أربعة أضعاف عدد سكان الجزيرة العربية في الوقت الحاضر!

وإذا كان هذا شأن الجزائر والمغرب وحدهما، فكيف يكون الجواب إذا تعلق الأمر بما يقارب الثلاثمائة وخمسين مليون عربي) مسلم وغير مسلم (الموزعين على امتداد نصف الكرة الأرضية من المحيط إلى الخليج؟ فهل كلهم مستعمرون قذفت بهم جبال مكة) المكرمة (دفعة واحدة في زمن واحد، مثلما قذفت بلاد الغال بالجيوش الصليبية إلى هذه البقاع بعد ذلك بقرون!!؟

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان نسبة معتبرة من سكان تلك المناطق) المصنف أهلها في عداد البربر في الجزائر وبلاد المغرب عموما (هم من يعتبرون أنفسهم عربا، ويطلقون على أنفسهم اسم المرابطين ويعتقدون أن أجدادهم قد وفدوا على تلك المناطق الجبلية في فترات متلاحقة من التاريخ) إما بغرض نشر الإسلام واللغة العربية في الأول، أو هروبا من موجات الاحتلال المتعاقبة لاسبان والفرنسيين فيما بعد (فتأثروا نتيجة لذلك المقام الطويل والطيب في تلك المناطق، باللهجة المتداولة فيها، شأنهم في ذلك شأن تأثر أي نازح مهاجر في العالم بلهجة أولغة البلدة أو المنطقة التي يقيم فيها).

وعليه فان إجابة هؤلاء الوافدين للهجة البربرية المحلية، إلى جانب العربية، بطبيعة الحال) كما سبقت الإشارة (لا يمكن أن ينهض دليلا علميا أو منطقيًا، على أنهم- في الأصل -من سكان تلك المناطق الجبلية، بالضرورة منذ فجر الخليقة؟؟

وتطبيقا لحديثنا النظري في الفصل الحادي عشر عن الثقافة والهوية بمقوماتها الجوهرية (الدينية واللغوية) نورد أمثلة حية في

هذا الفصل من تاريخ الجزائر المعاصر. فالجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي ضيقت جنسيتها الوطنية وزالت من على الخريطة كدولة مستقلة ذات سيادة، لتصبح جزءا من الدولة والأمة الفرنسية على الورق، وفي الخرائط الجغرافية المدرسية وغير المدرسية، ولكنها في حقيقة الأمر لم يضيع شعبها مقومات شخصيته وهويته العربية الإسلامية، ومن ثمة ظل الشعب ممسكا بأساس التميّز الثقافي والشخصاني عن فرنسا الغاصبية، وبالتالي ممسكا بحجة المطالبة بالاستقلال السياسي أو استعادة أوراق الجنسية الملغاة، وهذا ما قد حصل بالفعل كما هو ثابت بشهادة المؤرخ الفرنسي بن يمين سطورا الذي أوردناه آنفا عن الجنرال دوقول، ولو فرضنا أن الشعب الجزائري لم يقاوم الذوبان الشخصاني ولم يعتصم أبناؤه الأصلاء بمقومات شخصيتهم، وتمكن المحتل من تسوية جميع سكان الجزائر بسكان مرسيليا وباريس في الجنسية والهوية معا، فإنه لن يوجد في هذا البلد من يفكر مجرد التفكير في الاستقلال عن فرنسا!!

وهو ما نقرأه بوضوح وصفاء مثل أرواح الشهداء في بيان أول

نوفمبر 1954 الذي يقول حرفيا في ما يتعلق بالهوية الوطنية:

الهدف: الاستقلال الوطني بواسطة:

1- «إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة

ضمن إطار المبادئ الإسلامية.» (غير الشيوعية وغير اللائكية).

2- «تحقيق وحدة شمال إفريقيا في إطارها الطبيعي العربي الإسلامي.» ونلاحظ هنا الإعلان الصريح عن الانتماء الطبيعي والهوية الوطنية ذات الأصل الثقافي والبعد الجغرافي والطبيعي (العربي الإسلامي، وليس الإفريقي أو المتوسطي أو النوميدي، فضلا عن الروماني أو اللاتيني أو «الفرنكوشوني»).

3- «احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني»، ونلاحظ بجلاء هنا عدم وجود كلمة «لغوي» في البند، وهو ما يعني صراحة أن البيان النوفمبري الوحدوي والسيادي يقر حرية الاعتقاد وتعدد الأديان داخل المجتمع، وكما هو شأن كل البلاد الإسلامية في العالم، وكما يقره الإسلام ذاته (لا إكراه في الدين) ولكن البيان يرفض التعدد اللغوي الرسمي، لأنه هو الفيصل القاطع في السيادة، وإن التلاعب فيه أو التلاعب به سيؤدي حتما إلى ما لا يقبل التعدد على الإطلاق ألا وهو الهوية، لأن الإنسان الجزائري وأي مواطن عربي في أي قطر من المحيط إلى الخليج لا يمكن أن يكون عربيا وغير عربي في الوقت ذاته ! أو يكون عربيا مسلما في نوفمبر سنة 1954 تحت الاحتلال، ويصبح غير ذلك بعد أكتوبر أو ديسمبر ( 1988 أو 1992) في زمن الردة والاستحلال، وهو ما يعتبر خيانة

للبيان في أهم بنوده بما لا يحتاج إلى برهان !!

4- وتفاديا لاحتمالات المستقبل «الغدار» والمتقلب الأطوار، يطالب البيان بحس وطني منقطع النظير، وكأنه استشراف ما يدور في أيامنا هذه من محاولة التلاعب بأسس الكيان والهوية الثقافية والانتماء الأصيل لغير هوية الأمة المحمدية ( دينا ولسانا)...فيقول محررو البيان في أحد بنوده، مطالبين فرنسا حرفيا بـ: «الاعتراف بالشخصية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية ملغية بذلك كل القرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات للشعب الجزائري».

وهذا الرفض القاطع من قادة الثورة للانتماء إلى جنسية الأمة الفرنسية وهويتها الثقافية الدينية واللغوية معناه صراحة أن للجزائر هوية متميزة تتكامل فيها كل المقومات التاريخية والجغرافية واللغوية والدينية والثقافية التي تجعلها غير فرنسية وتمد بالتالي أبناءها المخلصين بمشروعية المطالبة بالاستقلال وإفحام سياسة فرنسا بالحجج الدامغة في المحافل الدولية، وإذا لم تكن لغة الشعب الجزائري هي اللغة الفرنسية، كما ينص البيان، ولم يكن دينه هو المسيحية كما ينص البيان أيضا، فما هو بديل هذه اللغة وبديل هذا الدين غير العربية والإسلام المؤكدين في البندين (1و2).

وإذا قال بعضهم بأن اللغة المقصودة في البيان ليست العربية

نحيلهم على نص نشيد (فداء الجزائر) لحزب الشعب الجزائري المذكور في الفصل الثالث والذي ينتمي إليه كل مفجري ثورة نوفمبر المجيدة ويجسده شعاره الخالد المطبوع على بطاقات انخراط المناضلين في كافة أنحاء الوطن وهو «الجزائر وطننا، الإسلام ديننا، العربية لغتنا». وهو الشعار ذاته الذي كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد وضعت عند تأسيسها سنة 1931م، كما أسلفنا، مع اختلاف في الترتيب علما أن الترتيب الباديسي الثقافي أدق من الترتيب السياسي والجغرافي لحزب الشعب وهو ما يثبت وحدة الهدف لكل الوطنيين مع اختلاف في الاجتهادات والوسائل والبدائل حسب المراحل!

ولولا ذلك الكفاح الصامد، فلماذا لا يطالب سكان مرسيليا أو تولوز أو بوردو اليوم أو غدا بالاستقلال عن باريس ويطالب به سكان الجزائر التي كانت عبارة عن ثلاث ولايات فرنسية وراء البحر!! فالجواب هو أن الهوية في الجزائر لم تحتل أو تستأصل مقوماتها من وجدان غالبية أفراد الشعب رغم ضياع أوراق الجنسية في الإدارة والخريطة المدرسية الفرنسية، والدليل على ذلك أن الذين مازالو يحاربون إلى اليوم (وبكل الوسائل المتاحة) ثوابت الهوية الوطنية للشعب الجزائري هم كلهم من مخلفات الثقافة الفرنسية الصليبية

والعلمانية لغة وسلوكا، من الذين فرض عليهم استقلال الجنسية الجزائرية فرضا (بحكم نتائج الأغلبية الشعبية في الاستفتاء على تقرير المصير سنة 1962)، وهو ما راهن عليه الجنرال ديغول الذي يقول بالحرف الواحد في كتابه «الأمل» (دار عويدات بيروت 1970، ص49) حول هذا الموضوع بالذات وكأنه حاضر معنا الآن، يقول: «...وهل يعني هذا أننا إذا تركناهم يحكمون أنفسهم (أي الجزائريين) يترتب علينا التخلي عنهم بعيدين عن أعيننا وقلوبنا؟! (يجيب بقوله) «قطعا لا! (ويعلل ذلك النفي بقوله) فالواجب يقتضي منا مساعدتهم لأنهم يتكلمون لغتنا ويتقاسمون معنا ثقافتنا».

وكانه بناء على ما سبق تفصيله حول علاقة الثقافة بالهوية في الفصل الحادي عشر يريد أن يقول لنا بعبارة «يتحدثون لغتنا ويتقاسمون معنا ثقافتنا» بأن الهوية الفرنسية في الجزائر ما تزال بخير وستبقى كذلك حيث يقول في مكان آخر من الكتاب ذاته: «ستبقى الجزائر فرنسية» وهل تبقى الجزائر فرنسية بغير اللغة الفرنسية، وهل يعقل أن نكون عربا بدون عربية أو مسلمين بدون إسلام، وبعبارة أوضح وأفصح، فهل يمكن لفرنسا أن تكون فرنسية بالألمانية أو الانجليزية، أو تكون إسبانيا إسبانية بالعربية التي لم تتخذها «غنيمة حرب» بعد انهزام المسلمين في الأندلس إثر سقوط غرناطة سنة 1492م ، وقد كانت اللغة العربية في ذلك الوقت

هي اللغة الأولى في العالم بأسره مثل اللغة الانكليزية اليوم !  
وعن هذه الفئة التي وقع ويقع عليها الرهان الفرنسي بعد  
الخروج العسكري يقول الدكتور محمد العربي ولد خليفة:  
«أصدرت الأسبوعية اليمينية الفرنسية (نوفيل أسرفاتور) سنة(92)  
عددا خاصا عن الجزائر، بعد ثلاثة عقود من الاستقلال، شارك فيه  
(40) من كبار المفكرين والكتاب المختصين في الشؤون الجزائرية مع  
زملائهم من الجزائريين، ومن المثير للانتباه أن عددا من المؤرخين  
وعلماء الاجتماع والسياسة الفرنسيين ابداوا سرورهم وتفسيراتهم  
لازدهار العلاقة بين الجزائريين والفرنسة التي أصبحت جزءا من  
تكوينهم (CONSTITUE LES QUI FRANCITE LA) بينما ذهب البعض من  
زملائهم الجزائريين إلى ابعد من ذلك، وأكدوا عن طريق نصف الحقيقة  
وعكسها أن الراديكالية والشعبوية هي التي منعت الشعب من الاتحاد مع  
فرنسا، وتجاوز التناقض الشكلي بين أمتين تلتقيان في شخص القديس  
أوغسطين وحضارة روما»<sup>(1)</sup>. ولا نعتقد أن هذا الطرح الانقلابي على  
الشهداء كما هو مبين في بيانهم المذكور قبل حين، يسمح لنا أن نقف  
صامتين دون أن نعري أصحاب هذا الطرح بما يسمونه بالهوية

---

<sup>21</sup>(1) محاضرة له بعنوان: «عناصر من حصيلة وملاحظات عن التواصل والقطيعة» ألقاها

ببانتة يوم 14 أكتوبر 1994.

الوطنية الثلاثية الأبعاد (عربية، إسلامية، أمازيغية) أو الثلاثية (Trinité La) كما هو واضح من ذكرهم في النص السابق للقديس أوغسطين وحضارة روما لما تتضمنه هذه الأطروحة الخطيرة من مغالطة كبرى يجب فضحها هنا للذين لا يعلمون المقصود بالبعد الامازيغي في الهوية الوطنية... فهل هو بعد تاريخي في الزمان ينتهي في القرن السابع الميلادي لغة ودينا وقيما اجتماعية؟ أم هو بعد أفقي أو جغرافي في المكان يسير بالتوازي مع الزمان؟! فإذا كان الجواب الأول فلا احد يجادل في صحته، في أي قطر من أقطار الوطن العربي الذي يعتز بالحضارة الفينيقية والفرعونية والأشورية والبابلية والأمازيغية و القرطاجنية... ويعبر عن كل تلك الأمجاد بالعربية وحدها دون أية عقدة فرانكفونية دونية، مثل سوريا ولبنان وفلسطين والعراق وليبيا وتونس وغيرها من كل أقطار الوطن العربي الاسلامي.

وإذا كان الجواب الثاني (أي الهوية المثلثة في المكان) فالنتيجة الحتمية هي استئصال جذور وحدة الهوية الوطنية على الطريقة اليوغوسلافية أو القبرصية والتيمورية والسودانية إن آجلا أو عاجلا، ذلك أن الاختلاف الديني إذا أمكن تفاديه أو معالجته باللائكية (على الطريقة الفرنسية أو اللبنانية أو التركية...) فان الاختلاف اللغوي

الرسمي والمؤسساتي في المكان لا يوجد له دواء غير الصراع الدائم أو الزوال الحتمي والدائم لأحد الطرفين أو لثنتين معا لصالح ثالث !! وهو بيت القصيد والهدف الأساسي من هذا الطرح «الاستحالي» الفرنسي كله كما هو واضح.

ولذلك فان رفع لبس هذه المغالطة (الثلاثية) يكمن في أن الهوية الوطنية الجزائرية اوالمغربية والعربية عموما في الاتجاه العمودي التاريخي في الزمان هي امازيغية عربية إسلامية، أو بابلية عربية إسلامية، أو سريانية عربية إسلامية، أو فرعونية عربية إسلامية، أو فينيقية عربية إسلامية،... ولكنها في الاتجاه الأفقي في المكان هي عربية إسلامية فقط، وأي طرح غير هذا، لن تكون نتيجته غير تمزق الوطن الواحد، أو القطر الواحد، إلى أشتات وشراذم لا حصر لها من الهويات و القوميات!! ذلك أن اللغة الوطنية والرسمية، في نفس المكان و الزمان، هي عنوان السيادة ومرآة السياسة و الهوية الموحدة، وهذه الأخيرة لا تقبل التعدد على الإطلاق!!

وللإجابة عن ادعاءات ومطالب أولئك الذين يريدون أن يوقفوا التاريخ ويعودوا بالجزائر إلى عهد الاحتلال الروماني متذرعين (بالأصالة) و(الجزارة) و(التاريخ الوطني) و(الشخصية) و(الهوية) ويصرون في كل نداءاتهم، وشعاراتهم،

وتصريحاتهم الرسمية وغير الرسمية، بأن هذه الهوية هي ذات تركيب أو ترتيب ثلاثي (...) نقول لهم (ومن منطلق وطني وحدوي خالص) بأننا نوافق على هذا المطلب وهذا الطرح أو هذا التركيب أو الترتيب، بشرط أن يكون (كما هو الشأن في فرنسا ذاتها، وفي جميع البلاد العربية الإسلامية الحالية) ترتيبا عموديا في الزمان، وليس تمزيقا أفقيا في المكان!! ولتبيان ذلك للذين يهمهم أمر( الأمة) ومصيرها وتاريخها، وتوضيح المعنى الحقيقي للاستمرارية التاريخية للشخصية والهوية الوطنية الجزائرية (الأمازيغية العربية الإسلامية)، فإننا نتمثل بعملية تلقيح الأشجار في العلوم الطبيعية، والتلقيح هنا ثقافي بالدرجة الأولى، كما قلنا، وليس عضويا لأن التلقيح العضوي ثانوي جدا، بما يسمح لنا أن نقول : بان العرب ذابوا عرقيا في البربر والبربر ذابوا ثقافيا في العرب وان التطعيم -كما نعلم- يتم بنقل فرع من شجرة معينة ومختارة، ليطعم به جذع شجرة أخرى لها وجود وجذور ممتدة في أعماق الأرض، ما شاء لها التاريخ أن تمتد... والتطعيم يحتمل النجاح ويحتمل العكس، كما أن له شروطا من جملتها التقارب والتشابه في فصيلة الشجرة والنوع، أي تطعيم نوع من الشجر مع نوع مشابه له في الفصيلة وليس تطعيم نوع من الشجر مع نوع

من الحجر ولقد فصلنا الحديث حول هذا التقارب في الفصل الأول!!

وإذا ما نجح التطعيم نجاحا كاملا، وكبرت الشجرة المطعمة، فيصبح جذرها من نوع وبقية الكيان (الجذع والأغصان والثمار) من نوع آخر، بمعنى أن ما تحت التراب نوع، وما فوق التراب نوع آخر، وكما لا تستطيع الشجرة أن تنفصل عن جذرها أو تغيره ولو أرادت (على اعتبار أن التطعيم يتم في الجذع وليس في الجذر) فكذلك يظل من المستحيل أن يكون للشجرة وجود ملموس لو قطعت من مستوى التربة (أي من مكان التطعيم الذي أزالته معالمه القرون وصيرت الجذع كتلة عضوية واحدة) علما بأنها ستعطي نفس الثمار حتى ولو شقت أو قطعت!! وتبقى النتيجة الوحيدة لعملية القطع أو الشق هي تأخر نمو الشجرة أو قتلها، وليس تغيير نوع الشجرة ككل!! وهذا المثال لا يخص الجزائر وحدها بل هو نفس الوضع في كافة بلاد المغرب العربي، وهو ما يؤكد الأستاذ الفضيل الورتلاني في الفصل الثاني (ص60)، وكذلك الأستاذ حسن بلحسن (ص 61).

وهو ما كان قد أكده الإمام عبد الحميد بن باديس قبل ذلك في مقاله الشهير «كيف صارت الجزائر عربية» المنشور في مجلة الشهاب، (عدد فبراير 1938)، الذي سبق فيه عصره بالرد على

هؤلاء «التثليثيين» الذين يعتبرون الهوية الوطنية ثلاثية الأبعاد (أمازيغية عربية إسلامية) أفقيا وليس عموديا بقوله: «ليس تكون الأمة يتوقف على اتحاد دمها، ولكنه يتوقف على اتحاد قلوبها، وأرواحها اتحادا يظهر في وحدة اللسان وآدابه واشتراك الآلام والآمال، (إلى أن يقول) تكاد لا تخلص أمة لعرق واحد، وتكاد لا توجد أمة لا تتكلم بلسان واحد، فليس الذي يكون الأمة ويربط أجزاءها، ويوحد شعورها ويوجهها إلى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة، وإنما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد».

وهو ما يجعلنا نطرح بكل مشروعية ومنطقية في هذه المناقشة سؤالا مفاده أن فرنسا (بشهادة الجنرال دوغول نفسه فضلا عن التاريخ) كانت غالية (نسبة إلى شعب الغال) فلماذا اليوم لا تعتبر هويتها ثلاثية الأبعاد غالية فرنسية مسيحية؟! في الوقت الذي تطالبنا بما لا تطبقه هي مع نفسها في وطنها بالنسبة للهوية ثلاثية الأبعاد، فأصبحت اليوم الهوية فرنسية مسيحية فقط وليس غالية فرنسية مسيحية، وهو ما ينطبق قياسا على واقع الجزائر اليوم وكل البلاد العربية في المشرق والمغرب

على انه ومن بين الاحتمالات الواردة في هذا المجال (المتعلق بالهوية الثلاثية التي ما أنزل الله بها من سلطان)، أن تظهر من حين لآخر بعض الفروع الفاسدة أو الميتة، أو بعض الأغصان الطفيلية التي تتفتق من جذع الشجرة الوطنية في الغابة القومية، إلا أنها لا تلبث أن

تخضع لعملية الزبر الموسمي (في الأحوال الطبيعية) من قبل المهندس الفلاحي (تطبيق قوانين الدستور) حتى يترك المجال لنمو الشجرة ، بكيفية عادية، كبقية أشجار البستان، علما بأنه لو تترك الشجرة لمدة أطول من اللازم دون المعالجة بالسقي والتهوية و الزبر والأدوية، والتهذيب الضروري الذي تقتضيه كل شجرة مثمرة في هذا الوجود.... فان بعض ثمارها قد تبدأ بالفساد والتدني في الجودة شيئا فشيئا، ومع مرور السنين على نفس الحال وفي غياب العلاج اللازم للشجرة (بالتعليم والتربية الدينية والوطنية) قد تكثر الفروع والأغصان الطفيلية والثمار الفاسدة، وقد تصيب بعدواها بقية الثمار الأخرى، أو على الأقل تقلل من مردود الشجرة من الثمار الطبيعية المغذية والمفيدة، وان قيمة الأشجار المثمرة تقاس دوما بنوعية ثمارها وليس بطول أغصانها أو كثرة ثمارها الفاسدة والمفسدة!!

ونعتقد أن طرح موضوع الهوية الوطنية في الجزائر اليوم بالذات هو محض اختلاق وافتعال لمشكل لا أساس له، وقد حله الأجداد المستنيريون (منذ 14 قرنا)، على أن خلفيات طرح الموضوع اليوم في حقيقتها تدخل في إطار تصفية الاستعمار ومخلفاته، وتدخل في مجال الصراع بين الاستقلال و«الاستحلال»، أو الصراع بين ثقافة وهوية الهلال، وثقافة وهوية الصليب، وبعبارة أخرى الصراع

بين الفرنكوفونية و«الاسلاموفونية» وليس أبدا صراعا بين لغات أو لهجات عربية أو بربرية على الإطلاق؛ فابن خلدون درس ودرّس في بجاية بالعربية على أيدي الأجداد، وكان يقضي حوائجه في السوق بالعامية (العربية أو القبائلية) دون أي عائق فرنكوفوني...!!

إن عدم التفريق بين استقلال الجنسية واستقلال الهوية مع التواطؤ الخياني أحيانا من بعض ولاية الأمور، هو الذي نقل الهوية الوطنية من قضية بيداغوجية إلى قضية «إيديولوجية» تعود إليها -في جزء كبير منها- كل المأساة التي تعيشها بلداننا في الوقت الحاضر، والتي قد تستمر فيها مستقبلاً إذا لم يطبق الدستور الوطني (مثل فرنسا في فرنسا)!!

**خامسا:** وإذا كانت فرنسا بريئة من اختراع هذه القنبلة الإنشطارية في الجزائر والمغرب بتأسيس الأكاديمية البربرية في عاصمتها باريس، فلماذا ظلت طوال مائة و ثلاثين سنة من احتلالها للبلاد جاهلة ومتجاهلة للغة البربرية، ولا تدرسها بجدية ولا تعترف بها) كلغة قوم» مستقلين «ذوي حضارة وثقافة وهوية وسيادة، كما يدّعي وكلاؤها اليوم (إلا سنة 1967، أي بعد بضع سنين من خروجها من البلاد، على أيدي الأحفاد الشرعيين)لماسينيسا، وتاكفاريناس، وعقبة بن نافع، وحسان بن نعمان، وطارق بن زياد... الخ(؟)!

وإذا كانت فرنسا بريئة من هذا الاختراع، فكيف يجاب

على ذلك النص الرسمي) ذي الطابع السري (لوزير العدل الفرنسي الذي يوصى فيه بتشجيع الحركة البربرية في الجزائر والمغرب العربي عموماً لأسباب إستراتيجية تخدم المصلحة العليا لفرنسا) راجع كل تلك الوثائق الدامغة في الفصل الخامس وفي الملاحق).

**سادسا:** إذا كانت هذه الأطروحة أو النظرية الفرنسية المستحدثة) في العرقية اللغوية والقومية (علمية وصحيحة في نظر هؤلاء المستوردين أو المتبنين لها من المتجنسين) بالجنسية الجزائرية والمغربية بعد الاستقلال السياسي (فلماذا لا يحاولون العمل على تطبيقها وترقب نجاحها، أولاً في) الوطن الفرنسي ( ذاته، المكون من أشتات من الأعراق والسلالات والألوان الفسيفسائية، التي لم تجمعهم ماضياً ولا تجمعهم حاضراً ولن تجمعهم مستقبلاً، سوى مقومات الوحدة الفرنسية، التي تأتي في مقدمتها وحدة اللغة الفرنسية، رمز السيادة، وعنوان الجنسية وأساس الوطنية) ... انظر مقالا في جريدة) لوموند (بعنوان «اللغة هي الجنسية «للمفكر الفرنسي» جيلبير كونت «بتاريخ 1978/7/15، وهذا بحكم النظرية الفرنسية ذاتها في القومية، الراضة أصلاً للعامل العرقي، والمبنية أساساً على مبدأ إرادة التعايش ووحدة الثقافة واللغة كما أوردنا على لسان رئيس الوزراء الفرنسي السابق) ميشال دوبري(، أم أن رافض الشيء لنفسه أو فاقده- أصلاً -يمكن أن يعطيه يوماً لغيره؟! فهل هو تواطؤ أم غباوة أم استحلال وخيانة!؟

**سابعا:** إذا كانت هذه النظرية) الجديدة (مطبقة في

الديمقراطية الفرنسية اليوم، فلماذا تفرض دولتها اللغة الوطنية (الفرنسية (على مقاطعة) البروتان (و)كورسيكا (وتحارب كل نزعة انفصالية لهاتين المقاطعتين، مع رفضها بالتالي لأي اعتراف رسمي أو غير رسمي بأي طابع مميز لسكانها عن بقية الفرنسيين في كافة أنحاء الوطن الفرنسي الموحد ترابا وشعبًا!.

**ثامنا:** إذا كانت فرنسا مقتنعة بجذوى هذه الأطروحة

المصدرة إلينا من باب الموضوعية العلمية والنصيحة) الأخوية ( فهل تقبل فرنسا ذاتها إن تعتبر ما يقرب من خمسة ملايين) من الحاملين للجنسية الفرنسية عن جدارة واستحقاق (والمنحدرين من بلاد الأطلسين بلهجاتهم) البربرية والعربية ( المختلفة، وبشرتهم السمراء) الشمال افريقية المعروفة (هل تقبل أن تعتبرهم بربرا أو عربا، أو تقسمهم إلى أقليتين وتعترف لكل واحدة منهما) حسب العرق أو اللغة (بحقوقهم القومية داخل التراب الفرنسي؟ وخارج الأمة الفرنسية الواحدة ذات الرسالة الحضارية والديمقراطية) (الخالدة (والشعار المثلث الشهير ب) الحرية، الإخاء، المساواة)، فهل هو إخاء في الأصل الغالي،) نسبة إلى الأجداد الغاليين ( الذين كان ينسب إليهم أجداد هؤلاء) المتجنسين (على الورق، في البرامج المدرسية الفرنسية طوال 130 سنة من احتلال البلاد! ؟ وإذا افترضنا هذا السبب صحيحا... فلماذا يعتبر هؤلاء الفروع) غاليين ( ويصر على الاعتراف -الآن فقط -بان أجداد، بل آباء هؤلاء المتجنسين هم خليط من أعراق الأمازيغ) الأصلاء (والعرب) (الدخلاء (بل فلماذا لا تتمسك فرنسا بالمقولة) الغالية (الأولى) وتطالب بالحق) التاريخي (في إلحاق ما في الغيب بما في الجيب

أوالحاق الأصل) العاق (هنا في بلاد الأطلسين بالفرع) البار ( هناك، وتضرب بذلك عصفورين بحجر واحد، حيث تخلص أبناء العمومة) الغالين (من الاستعمار العربي من جهة، وتحقق من جهة أخرى الوحدة الترابية للأمة الفرنسية الواحدة التي كانت- إلى سنة 1962- قطعة ارض واحدة تمتد من دانكارك إلى تامنغست

يعبرها) نهر (اسمه البحر الأبيض المتوسط!؟

وإذا لم يكن الجواب كذلك) وهو ما نعتقه (فكيف إذا يفرض الإخاء بين أشتات من الأعراق البشرية ) والتي لم تعرف التجانس حتى الآن على التراب الفرنسي (تحت لواء إرادة التعايش والولاء لمحتويات العلم ومقومات وحدة الوطن في فرنسا، ويرفض أويشكك في الإخاء) الرباني الوجداني (تحت لواء التوحيد الإسلامي ولغة التنزيل القرآني، لأفراد أمة انصهروا بإرادتهم الواعية في بوتقة واحدة أفقدتهم مع مرور الزمن أدنى الفواصل والمميزات العرقية بعد تلاحم عضوي تم تلقيحه بنجاح منذ أربعة عشر قرنا من التاريخ المتواصل الحلقات والمختوم بملايين الشهادات!؟.

تاسعا :وإذا كان الذين يتبنون هذه الأطروحة الأنشطارية (ضد الوحدة الوطنية (ولاء للوطن وإخلاص لوحدة الوطن وذرة من الوطنية .فكيف يصبحون دعاة، أو منفيين للمخطط الاستعماري الفرنسي الذي فشلت فرنسا ذاتها في تنفيذه بقوة السلاح طوال بقائها المادي في البلاد!؟

إذا كانت هذه الأطروحة المفضوحة غير معروفة الأصول والإبعاد الفرنسية لدى متبنيها فهم معذرون فيما

فات، وإذا أصروا على الاستمرار في الإحلال) المباشر (محل الاحتلال في عملية تدمير الذات الوطنية، فاللوم لا يعود حينئذ على محتليّ الأمس، أكثر مما يعود على «مستحليّ» اليوم، من بقايا العملاء، وأصحاب القابلية) للاستعمار (الذين صوتوا بـ لا) (في الاستفتاء الحر على تقرير المصير الأخير في الجزائر يوم 3 جويلية 1962!! وكانت نسبتهم آنذاك لا تتجاوز 2,5 ٪ على أكثر تقدير حسب المحاضر الرسمية للإدارة الفرنسية؟! والخلاصة التي يمكن إن نخرج بها من هذا الموضوع هوإن المجتمع الجزائري والمغربي أو الشمال إفريقي عمومًا، يقطع النظر عن الأصل العرقي لبعض أفراده، أووجود بعض اللهجات القليلة غير العربية فيه هو مجتمع عربي من حيث الانتماء (...). والعروبة هي الانتماء اللغوي والثقافي والحضاري والتاريخي وليس الانتماء العرقي الذي يريد الاستعمار الفرنسي إن يغالط به الشعوب) كما هو واضح (وقد أثبتناه في أكثر من موضع في فصول هذا الكتاب! وكل ما يقال عن الجزائر يقال عن سائر بلاد المغرب، وجل بلاد المشرق العربي في هذا الخصوص...

وما دنا في موضوع المناقشة لأطروحات أصحاب النزعة (الأنفصالية) البربرية فيبدولنا من الأنسب إن نورد في هذا السياق مجموعة من الأسئلة المطروحة من المؤلف على زعيم حزب «التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية» «في برنامج» لقاء مع الصحافة «المقدم مباشرة في التلفزة الوطنية) الجزائرية(، يوم الثلاثاء 1990/02/22 م.

مع الملاحظ أن مناورات، ومضايقات المسؤولين على الحصة، لم تسمح سوى بطرح 05 أسئلة وهي على التوالي 6، 4، 5، 7، 10. ومع ذلك فلم يجب زعيم الحزب على أي سؤال من الأسئلة المطروحة عليه، باستثناء محاولة الإجابة على السؤال السادس، ثم امتنع عن الإجابة عندما انتبه إلى حتمية وقوعه في التناقض الذي ينسف قواعد حزبه من الأساس؟؟

### نص الأسئلة:

(1) إن حزبكم يعتبر الثقافة من ثوابته.. فهل الثقافة التي يدعو إليها هي الثقافة الوطنية العربية الإسلامية) لغة ودينا (أم الثقافة الفرنسية أم الثقافة الأمازيغية؟ وهل يوجد فرق جوهري بين الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر والثقافة الأمازيغية في نظركم وما هو هذا الفرق؟ أعطني مثلا واحدا من الواقع!!

(2) إن فرنسا) أم اللاتينية (تقرر اللاتينية في الدستور، وتحارب اللاتينية في الواقع، مع المسلمين): تمنع بنتين مسلمتين من غطاء الرأس، وتسمح للفرنسية بحمل الصليب على صدرها، وتسمح لليهودي بوضع قلنسوته المتميزة طائفا؟؟

وعندنا نحارب اللاتينية باللسان، ونطبقها في الميدان، والدليل على ذلك أنك موجود معنا هنا مع أنك لائكي، ولم يفرض عليك أحد أن تصلي أو تصوم أو أن ترتدي نساء حزبكم الحجاب الإسلامي، فلماذا تطالب باللاتينية وهي موجودة؟ أم هي مسألة مبدأ، وانزعاج- فقط -من المادة الثانية من الدستور؟؟

(3) إن اللاتينية تعني فصل الدين عن الدولة، فهل رأيت

في الجزائر إماما رئيسا للبلدية أو واليا أو وزيرا أوقاضيا؟ أعط مثلا واحدا!؟.

(4) إن فرنسا تطبق اللائكية في الدين مع إخواننا وأبنائنا هناك، ولكنها لا تطبق معهم اللائكية في اللغة، في قطاعات سيادتها، ونحن نطبق اللائكية مع أبنائنا هنا في الدين واللغة معا، فهل هذا لا يمس السيادة الوطنية في الصميم على اعتبار إن اللغة هي الجنسية واللغة هي الشخصية الوطنية، واللغة هي السيادة في نفس الوقت على رأي ساسة فرنسا أنفسهم»، فهل سيعمل حزبكم على تكريس توحيد الاستعمال اللغوي الوطني، أم سيشجعه هذا الوضع» الشاذ» الذي توجد عليه البلاد في الوقت الحاضر، والذي أكدتموه بقولكم بأن الإنسان لا يستطيع أن يخاطب» جميع الجزائريين «بلغة واحدة!؟!

(5) إن كان حزبكم يؤمن بالوحدة الوطنية للجزائر فهل الوحدة الوطنية في نظركم هي وحدة التراب أم وحدة الشعب؟ إذا كان الجواب بأنها وحدة التراب ووحدة الشعب معا فهل تعتقدون بوجود شعب موحد في الثقافة والشخصية بلغتين ودينين، وأذكرك بمثال: إيرلندا وبلجيكا، وكندا، والسودان، ولبنان، وقبرص، وإسبانيا، والاتحاد السوفياتي...!؟!

(6) إنكم تقررون بأن الهوية الوطنية تتكون من ثلاثة عناصر هي: الأمازيغية والعربية والإسلام... والسؤال هو: يمكن للإنسان أن يكون مسلما فرنسيا) مثلما كنا قبل (1962 و) مثل المسلمين في فرنسا اليوم)، ويمكن أن يكون أيضا عربيا مسيحيا) مثل الأقباط في مصر والمارونيين في لبنان (فهل يمكن للإنسان أن

يكون مسيحيا مسلما في نفس الوقت، أو يكون عربيا فرنسيا في نفس الوقت، أو يكون أمازيغيا فرنسيا في نفس الوقت...؟ وهل يمكن أن يكون عربيا أمازيغيا في نفس الوقت؟ كيف يتم ذلك دون تقسيم الوطن إلى قوميتين، وبالتالي إلى أمتين ودولتين إن أجلا أو عاجلا؟!

(7) إنكم تقرّون بوجود أغلبية مسلمة في الجزائر، وأغلبية تتحدث العربية، فهل هذا الواقع ناتج عن استعمار عربي، أم هو وضع تلقائي قبله أجدادنا وساهموا في نشره حتى في الأندلس لعدة قرون!!

إذا كان الجواب بنعم يعني هو استعمار عربي، فحدد لي من هو المستعمر، ومن هو المستعمر هنا فيما بيننا في هذه القاعة! وإذا كان الجواب هو أن العرب ليسوا مستعمرين، فلماذا لا نبقى شعبا واحدا دينه الإسلام ولغته المكتوبة (هي لغة القرآن، ونطرد الفرنسية العدو؟ مثلما طردنا الفرنسيين الأعداء على أيدي كل أبطال الوطن من المجاهدين الحقيقيين؟!

(8) أريد منكم إجابة صريحة عن عدو اللغة العربية (الوطنية) في الجزائر، هل هي الفرنسية أم الأمازيغية بلهجاتها المختلفة؟ ومن هو عدو الأمازيغية هل هي العربية أم الفرنسية؟ (9) هل يستقيم مفهوم الجزائر الجزائرية (أو) الجزائر الأمازيغية (أو) الجزائر الفرنسية (مع سيادة اللغة العربية بالقول والفعل في الجزائر؟

وهل يمكن القضاء على اللغة العربية في الجزائر، دون القضاء الكلي على الإسلام الذي أوجدها، وحماها في البلاد على

امتداد القرون، أي هل يمكن للجزائر أن تصبح أندلسا ثانية باستئصال الإسلام والعربية بمحاكم التفتيش الشهيرة؟!

(11) إن اللغة الفرنسية ليست لغة محايدة في الجزائر، لأنها تحمل للمواطن شحنا من الآلام والعذاب والجراح فهل فكر حزبكم في المطالبة ببديل أحسن منها، كلغة أجنبية» حية «وهي اللغة الأنجليزية لغة العلوم، ولغة معهد باستور في باريس؟!

(12) لو اتصلون إلى الحكم فهل تبقون على المادة الثانية والثالثة من الدستور الحالي؟

(13) إن الشعب الجزائري قد صوت بأغلبية ساحقة (97,5%) في استفتاء على تقرير المصير والاستقلال سنة 1962 م بأن الجزائر ليست فرنسية، بل شعب واحد... عربي مسلم) .. كما تنص على ذلك وثائق اتفاقيات إيفيان (فهل تشكون في نتائج ذلك الاستفتاء النزيه بشهادة العالم أجمع، وباعتراف فرنسا ذاتها، وقد غادرت إدارتها الجزائر بمقتضاه؟ وهل تنوون إعادة الاستفتاء مرة أخرى لوتتاح لكم الفرصة؟

(14) لو تحرر الجزائر من الاستعمار اللغوي» الفرنسي «فهل ذلك سيسهل في نظركم انتشار اللهجة الأمازيغية (القبائلية)، التي تطالبون بها، كلغة علوم وتكنولوجيا، وإدارة، كما تطمحون في برنامجكم؟

(15) هل عندكم خطة لتعريب الإدارة، والعلوم والطب في الجامعة الجزائرية؟

(16) تصرون دائما على الأصالة وتطالبون ببعث لغة لم تكتب منذ أكثر من 20 قرنا، وفي الوقت الذي تدافعون فيه عن

الشخصية...تكتبون هذه اللغة بالحروف اللاتينية، علما بأن اليابان والصين وكوريا لم تتقدم في التكنولوجيا بتبديل حروفها الصعبة والكثيرة التي تعدّ بالآلاف وتعود إلى آلاف السنين؟!

فهل العبرة في الإنسان أم في اللغة أم في الحروف؟، مع العلم أن الحروف العربية هي أكثر الحروف انسجاما وتعبيرا عن النطق البربري) س، ص، ح، خ، ز، ض، ط، ث، ق (بما فيها حرف الضاد الذي تتميز به العربية وحدها في العالم. في) اسافو، اطاص، أحنوت، أخام، اذفل، ثابورث، اقشيش، اسميضم، أضو، أضاضم، ثاضوط (...ولقد كتب بها الشاعر الشعبي المرحوم سي محند ومحمد) أمقران نشوعرا (كل أشعاره الرائعة، والتي كانت بسبب وطنية محتواها، ومناهضتها للاحتلال الفرنسي (ممنوعة من التداول العلني من قبل هذا المحتل نفسه الذي أصبح حاميكم والصديق لحزبكم اليوم!!

(17إن لغة الغالين) أجداد الفرنسيين ( تختلف اختلافا كليا عن اللغة الفرنسية الحالية المنحدرة من خليط» لاتيني غالي « والمرسمة والموطنة في فرنسا منذ ما لا يزيد عن 4 قرون، فهل هذا التغيير اللغوي، والتحول اللساني أساء إلى الشخصية الفرنسية والجنسية الفرنسية والسيادة الفرنسية، المفروضة على كل الأعراق البشرية الموجودة في فرنسا اليوم، ومنهم أبناء المغرب العربي) من الحركى والخونة والمتجنسين (دون إن يطالبوا أو أن يسمح لهم بالمطالبة بإحياء أو إحلل اللغة البربرية أو الغالية) أو غيرها (باسم الأصالة بدل اللغة الفرنسية الوطنية والرسمية في الدستور والواقع هناك؟!

(18)تقاليدنا الثورية العريقة علمتنا أن الرجال يزولون والمبادئ تظل دوما هي المتحكمة في الباقيين السائرين على الدرب...والواقع عندنا يوحي بعكس ذلك تماما بالنسبة لموضوع استكمال ممارسة السيادة الوطنية المتمثلة في التعريب الكامل للإدارة والفروع العلمية في الجامعات الوطنية..فهل توافق على هذا القول؟ وإلا كيف تفسرون إلغاء اتفاق رسمي مبرم مع الحكومة السورية) الشقيقة (حول تعريب الفروع العلمية بالجامعات الجزائرية...وقد الغي بمجرد) ولربما لهذا السبب بالذات (!!تغيير الحكومة الأخيرة يوم 1989/09/09 م ؟؟ فهل لوكان اتفاقا مبرما مع فرنسا من أجل الفرنسية، فهل كان سيلغى في نظركم؟؟ وهل احتج حزبكم على هذا الإلغاء، أوطالب بتحقيق حول هذا الموضوع السيادي المصيري الخطير!؟

(19)في الماضي كان عندنا فرنسيون بالجنسية وعرب مسلمون بالشخصية، وكان الفصل هو بين العربي، والرومي)أو أعراب أرومي(، واليوم أصبح عندنا مسلمون عرب بالأوراق والجنسية الورقية، وفرنسيون بالشخصية والسلوك اللساني والعلماني، فما هو برنامج حزبكم للقضاء على هذا الوضع الخطير الذي قد يرجع الجزائر فرنسية بالفعل، وليس بالقول؟ ومنها أن أحد كبار المسؤولين عندنا)وهو رئيس الوزراء( (\*)صرح أخيرا

---

22(\*) المقصود هو مولود حمروش، الذي خلف قاصدي مرباح في التغيير الوزاري المذكور أعلاه، والذي جمّد كل مشاريع التعليم في الفروع العلمية بالجامعات الجزائرية، على إثر هذا التغيير الوزاري، وإلغاء البروتوكول مع الحكومة السورية

في جريدة) لوموند (بأن اللغة الفرنسية هي اللغة الوطنية الثانية في الجزائر، والحقيقة) لوكان منصفا (فهي اللغة الوطنية الأولى، في الإدارات وأجهزة الإعلام، ومعاهد باستور الجزائرية؟! فهل احتج حزبكم) الحريص على الشخصية والأصالة والهوية الوطنية والسيادة (..على هذا التصريح الخطير الذي يمس بجوهر الهوية الوطنية ومستقبلها؟! أم إن عدو البربرية الأول والأخير هي العربية فقط -في نظركم، أما الفرنسية فهي أختها بحكم الرضاعة، وبحكم جغرافية البحر الأبيض المتوسط الذي ما يزال يعبر فرنسا في اعتقاد بعض أعضاء حزبكم؟!)

وهذا خطاب مفتوح موجه إلى المؤلف بعد اللقاء التلفزيوني المذكور. وقد نشرته جريدة المساء في عددها الصادر يوم 1990/03/01 وهو بعنوان «رسالة غير شخصية إلى السيد أحمد بن نعمان». «وهذا نصه كاملا:

...«في تدخلك كواحد من أعضاء الجمهور في الحصة التلفزيونية المذكورة أردت أن تلقي جملة من أسئلة مقتضبة دقيقة تحتاج كإجابة عنها) نعم (أو) لا (وكأنك تحاول أن تمثل دور سقراط في مناظراته المشهورة، بيد أن سقراط كان يحاول من خلال أسئلته البسيطة العميقة أن يتلمس محاوره الحقيقة بنفسه بينما أنت أردت من خلال أسئلتك ذات المنطق الساذج، والتي لم

---

ذات التجربة الرائدة في تعريب الطب والعلوم في الوطن العربي منذ استقلالها عن فرنسا؟!!

تنهها من حسن الحظ، أن توقع بإنسان له مسؤوليته المدنية والسياسية وله رصيده الثقافي والعلمي -تماما مثلك -ويمكنه غدا أو بعد غد أن يصبح رئيسا للجمهورية، أليس مزريا أن نخرج دونما طائل فردا نشطا في مجتمعنا يمكن أن تسند إليه مستقبلا أثقل المسؤوليات!؟

أعود إلى نعتي لأسئلتك بذات المنطق الساذج والسبب هو أن الإجابة عنها تؤدي إلى نتيجة هي عكس الأطروحة التي أردت الوصول إليها من خلالها فأحاول إذن إن أجاريك وأجيب عنها:

س-هل يمكن لإنسان ما أن يكون فرنسيا، مسلما؟  
ج -نعم) هذا إذا اعتبرنا اعتباريا أن الفرنسية جنسية وليست قومية).

س-هل يمكن لإنسان عربي أن يكون فرنسيا؟  
ج-لا

س -هل يمكن لإنسان عربي أن يكون أمازيغيا؟  
ج-لا.

وهنا تكمن الإشكالية فلو أمكن أن يكون الإنسان الأمازيغي عربيا» بمعنى القومية لهذه الكلمة «فلا يمكن أبدا أن تطرح قضية الهوية الأمازيغية في الجزائر، وحزب التجمع إذ يتبنى الأمازيغية بجانب العربية والإسلام إنما يتبنى الواقع الجزائري كما هو وبمعطياته جميعا.

وإذا طورنا القضية أكثر يمكن أن نقول أنه يمكن للأمازيغي أن يكون مسلما تماما كالفرنسي والإيراني والأفغاني.. و ...

وانطلاقا من مبادئ الإسلام ذاتها ليس شرطا لأعجمي أن يتعرب كي يكون مسلما.

وفي تدخلك الثاني كان سؤالك بشقيه محرجا أيضا ولا يليق بمتقف أو إنسان ذي منزلة مثلك، فقد سألت إذا كان الجزائريون مستعمرين فكيف نعرف الأمازيغي من غير الأمازيغي في هذه القاعة؟ وإذا كانوا غير مستعمرين فلماذا نعود إلى ما قبل 14 قرنا؟ إنني لا أجيئك، لأنه سؤال غير ذي محتوى ولكن أعاتبك فقط، هل نحن بحاجة إلى علم غزير كي نعرف أن في وقت ما من التاريخ) القرن السابع الميلادي (جاء إلى هذه الأرض أناس غرباء عنها وليسوا منها؟ هؤلاء جاؤوا للفتح، وليس للاستعمار، ثم في وقت لاحق) القرن العاشر الميلادي (جاء أناس آخرون من نفس أصول الأولين، ولكن ليس أناسا على درجتهم من التحضر والوعي والسمو البشري فعاث هؤلاء اللاحقون في الأرض فسادا قبل أن يذوبوا نهائيا في المجتمع العتيق الأصيل، الذي جاؤوه غزاة ولا أظن متقفا مثلك يجهل أنه منذ مجيء المسلمين الفاتحين تعاقبت على هذه الأرض دول أمازيغية مسلمة لم تستعمل فقط اللغة العربية استعمالا واعيا وطوعيا وإنما أيضا لم تحاول أبدا عن قصد مبيت أن تقضي على قيام الثقافة الأمازيغية التي تغطي كامل شمال إفريقيا.

ولذلك فإنني عندما كنت أشاهد حصة» لقاء مع الصحافة «لم أر في الأستوديو أمازيغا وعربا وإنما رأيت جزائريين، بعضهم لا يتكلم الأمازيغية، لأن أربعة عشر قرنا من تبني الإسلام والعربية أنستهم لسانهم الأصلي وهذا معقول منطقيا وليس عيبا على

الإطلاق، بينما بعضهم يتكلمها دون صعوبة إلى جانب العربية والفرنسية، وهذا أيضا ليس جريمة البتة.

وإذا أنستك نخوة الأنحياز الإيديولوجي والتحزبي مقتضيات الموضوعية، فلا اعتقد انه بالإمكان إن تنسيك ابسط قواعد احترام المشاهد الذي لا يرى رأيك وحديثك عن « الاستعمار » بعدما أمضينا ربع قرن في الحديث عن الاستقلال والسيادة يعد شتما لا مبرر له، وسواء أوضعت نفسك في خانة المستعمر أوفي خانة المستعمر فإنك في كلتا الحالتين تعبر عن عقدة نفسية -اجتماعية مازال للأسف كثير من أبناء هذا الوطن يعانون منها، وأؤكد لك يا سيد بن نعمان أننا لسنا مستعمرين، وأنه بإمكاننا أن نعود إلى ما قبل 14 قرنا مع الاحتفاظ بمكاسب هذه الأربعة عشر قرنا!

وفي الشق الأخير من رسالتي « غير الشخصية «إليك، أود أن أطرح عليك سؤالا معاتبا بصفتك رئيسا لجمعية» الدفاع عن اللغة العربية «كيف تسمح لنفسك أن تستنكر على جزائريين (ولست أنت أحسن حالا منهم، ولا أكثرهم وطنية (قضية الدفاع عن اللغة الأمازيغية وثقافتها وتسمح في نفس الوقت لنفسك- ومن معك -أن تكونوا جمعية الدفاع عن اللغة العربية، مع العلم أن اللغة العربية استحوذت على كل الاهتمام الجزائري، ودعمه معنويا وماديا، وسخر لذلك إمكانات هائلة، بينما بالمقابل قمعت اللغة الأمازيغية كل القمع، وتجهلت كل التجاهل، فأيهما أحق بالدفاع؟ إن الدفاع عن اللغة العربية لا يتم عن طريق الكلام الديماغوجي والسفطائي، ولا أعتقد أنك تجهل أن السفطائيين

أيضا استعملوا أسلوب المحاورة كما فعل سقراط، وإنما الفرق في غاية كل من الطرفين، وأقول لك إن المدافعين الحقيقيين عن اللغة العربية هم في مصر عن طريق طهاتهم وعقاديهم وحكمائهم ومحفوظيهم وإدريسيهم وهم أيضا في لبنان الحرية والديمقراطية سابقا (عن طريق دور نشرهم، بينما في الجزائر بقي الدفاع عنها لا يتجاوز مستوى الاستهلاك السياسي . وليكن في علمك من الآن فصاعدا أنه إلى جانب الأمازيغيين الذين يحسنون الفرنسية، بل يبدعون فيها، يوجد هناك أمازيغيون يحسنون العربية أيضا ويمكنهم أن يبدعوا فيها متى توفرت شروط الإبداع.

وإذا أصرت على أن ترى بأن فترة تاريخية من الزمن -مهما طالت- يمكن إن تنسي شعبا هويته فإنك في نهاية المطاف تنسف جهود الجمعية التي أنت رئيسها أما التاريخ لا يقاس عندما نقرأ بعدد السنين ولكن يقاس بكثافة حضور الأحداث ودقتها وتسارعها... فقد حققت الفرنسية مع الجزائر في مدة قرن ما حققته العربية في مدة أربعة عشر قرنا، ومع ذلك فلا يحق لأحد أن يثبطك عن مساعيك بأن يقول لا طائل من العودة إلى ما قبل الاستعمار الفرنسي....

**امضاء: أمعوز محند أورمضان**

جواب المؤلف عن الرسالة المذكورة أعلاه وقد نشر في نفس الركن من الجريدة المذكورة أعلاه، وهي «المساء» يوم 1990/3/11، وذلك في إطار «نعمة» حرية التعبير التي تعيشها

الجزائر، والتي كان من نتائجها صدور هذا الكتاب نفسه...ونظرا لأن هذا الجواب يتضمن مناقشات ومواقف وتوضيحات لبعض أطروحات أصحاب النزعة البربرية كما تتجلى من مضمون الرسالة» غير الشخصية «الموجهة إلى المؤلف...فإننا نورد نص الجواب عن الرسالة كاملا كما نشر، مقابل إيرادنا لنص الرسالة «الاعتراضية» كما نشرت وهذا نص الجواب بعنوان» :إلى صاحب الرسالة غير الشخصية:»

...لقد تلقيت رسالتك بكل سرور شاكرا لك اهتمامك الخاص بأسئلتني في حصة» لقاء الصحافة «في التلفزة الوطنية يوم الثلاثاء 1990/2/22 مع السيد رئيس حزب) ت.م.ث.د ( وشاكرا جريدتنا الوطنية» المساء «التي نشرتها في عددها الصادر يوم1/3/1990 ، وإنني إذ اسعد بالإجابة على جميع أسئلتك الموجهة إلي، والتي لوأجاب عنها رئيسك) المسؤول (في الحصة، لأقنعني واقنع ملايين المواطنين مثلي، ولربحهم في الانتخابات الرئاسية المقبلة، إن شاء الله، كما أشرت في رسالتك ...وأود قبل الإجابة عن أسئلتك في الرسالة، أن أصح لك بعض المفاهيم التي بنيت كل استفساراتك وأحكامك عليها.واقفا عند» ويل للمصلين «وملاحظاتي التصحيحية هي كالتالي:

أولا :أنا لست رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية، كما ذكرت في رسالتك، واعترف أنني من ملايين الجزائريين المدافعين عن أهم بنود الدستور في غياب حماية الدستور، والسلطة اليوم للشعب كما هو معلوم من الدستور

بالضرورة.

**ثانيا:** لقد قلت بأنني حضرت مع الجمهور المستجوب للسيد رئيس الحزب ..وهذا شيء اعتز به، ويشرفني إن أكون في صف الشعب أعبّر عن صوته دون أي تحيز لأية جهة مقابلة لإرادة الشعب الجزائري؟

**ثالثا:** لقد حضرت إلى اللقاء المذكور بطلب من المسؤولين على الحصة في التلفزة الوطنية، ولم ارفض « رغم المضايقات الملاحظة من الجميع »حتى لا اتهم باني تكبرت لا سمح الله، وأتخليت عن نداء الواجب الوطني الذي لم أتخذ عنه- فيما أظن - حتى الآن (...).

**رابعا:** لقد تلقيت بعض النصائح من بعض الإخوة على أن أرفض الحضور لاعتبارات كثيرة من بينها أنني من منطقة القبائل الكبرى) سابقا (ومع ذلك حضرت كمواطن جزائري بقطع النظر عن منطقتي الوطنية التي اعتز بالانتماء إليها والجهاد فيها والدفاع عن تراثها الزاخر، مثلما تعنز أنت تماما، ولا يفرقنا إلا التحزب إلى الوطن وثوابت الوطن ومقدساته، بدل التحزب إلى أشخاص وأفكار) إيديولوجيات (أوزعامات أوجهة من الوطن بعينها دون غيرها!؟

**خامسا:** لقد رجمت بالغيب واتهمتني أنني متحزب، وهنا أتحداك أن تجدني منخرطا في أي حزب سياسي من الأحزاب الراهنة، غير حزب الوفاء لعهد الشهداء الذين حملونا الأمانة الوطنية، والباب مفتوح أمام كل جزائري وطني أن يتحمل الأمانة كما سلمت لنا من الشهداء) كاملة غير منقوصة . (وإذا كانت

المواطنة بالجنسية التي تمنح وتمنع، فالوطنية لا تكون إلا بالتضحية !وكن أستاذا مثل أبطال الصومام بالأمس، أكن لك تلميذا مستوعبا، مثلما كنت لهؤلاء تلميذا مستوعبا بالأمس، وما أزال حافظا للعهد، لأن هذا من أهم شيم الأحرار بهذا الوطن المفدى؟

**سادسا :**لقد عاتبتي على أني أخرجت شخصا محترما قد يصبح رئيسا للجمهورية في المستقبل القريب، واعتقد انه كان من المفروض أن تهنئي وتشكرني على ذلك لوكانت تهمة سمعة الوطن، لأن الحوار بين الإخوة في التلفة الوطنية أفضل من إحراج شرف الوطن في المحافل الدولية مستقبلا!!

**سابعا :**لقد دافعت عن رئيس حزبك وهذا من حقك، وتشكر عليه، ولقد كنت أود أن يجيبي-هوشخصيا -مثل جميع المواطنين، بصفته شخصية علمية محترمة مثلي (كما قلت في رسالتك (ولا أظنه سوف يأخذك معه إلى اجتماعات القمة العربية المغلقة لتدافع عنه هناك، وإذا كان هذا غير ممكن، فلماذا لا تصبح أنت رئيس الحزب وتقع الجميع بالمنطق الذي ناقشتني به في رسالتك اللطيفة هذه؟؟

**ثامنا :**لوتتبع أسئلتني بموضوعية أثناء مشاهدتك للحصة لوجدتني متأدبا مع رئيسك إلى أقصى حدود الأدب واللياقة، وذلك بشهادة الجميع، ولوكنت أنت مكانه لأجبتني مثلما حاولت إن تجيبي عن بعض أسئلتني في رسالتك المفتوحة هذه إلي، والتي وضحت لي فيها أمورا أزال لي وللمواطنين بعض علامات الاستفهام التي لم أجد لها جوابا عند رئيس حزبك، ولوكنت أنا مكانه لأجبتّه دون استهزاء؟ وما أتمناه وارجوه أن يكون هومقتنعا

بإجابتك لي مثلما اقتنعت أنا ببعض تلك الإجابة ؟  
تاسعا: قلت بأنه من حسن الحظ أنني لم اتمم أسئلتى كلها  
وأنا الذي أتيت لأسأل في منبر للديمقراطية، عن الثقافة، رئيس  
حزب شعاره « الثقافة والديمقراطية » فممن حسن حظ من؟ السائل  
أم حظ المسؤول؟؟!

عاشرا: لقد قلت بأن « أسئلتى كانت ساذجة » فلماذا تهتم  
بالرد على أسئلة ساذجة ؟ فهل تشك في قدرة ووعي الشعب  
الجزائري في التمييز بين الأسئلة الساذجة والأجوبة الساذجة،  
حتى تأتي أنت لتوضح لهم الساذجة بما أتاك الله من علم وحكمة؟!  
وإليك الآن الإجابات عن الأسئلة المحددة الموجهة إلي في  
الرسالة:

وهنا لا أفف موقف الرفض من أسئلتك « المحرجة » مثلما  
وقف رئيسك موقف الرفض من أسئلتى الساذجة (على حد  
تعبيرك، على الرغم من أنني لست ادعي الزعامة، ولا حتى  
الرئاسة، إلا على نفسي وكلامي) بكل تواضع (إيمانا مني، بان  
الكلمة مسؤولية لمن يقدرها حق قدرها...

أولا: لقد قلت في سؤالك الأول هل يمكن لإنسان عربي إن  
يكون امازيغيا ؟ وأجبت بالنفي، وأنا أقول لك :ممكن لأنسان  
عربي إن يصبح امازيغيا، ويمكن لإنسان امازيغي أن يصبح  
عربيا، مثل الفرعوني الذي اصبح عربيا، وكذلك الفينيقي  
والأشوري، ولكن الشيء الذي يستحيل وقوعه على الإطلاق، هو  
أن يكون الإنسان أمازيغيا وعربيا في نفس الوقت، أو عربيا

وفرنسيا في نفس الوقت....

لأن ازدواج الشخصية الفردية أو الوطنية مرض لا يعرف خطورته على الأمة إلا الأطباء في الأمراض النفسية(\*)، أما كيف يمكن لإنسان أمازيغي إن يصبح عربيا فهو واقع في الجزائر منذ أربعة عشر قرنا، كما قلت في رسالتك، وأوافقك تماما أن الفتح الإسلامي لم يكن احتلالا وهذا ما قصدته بسؤالي في الحصة (...). وكننت أود أن أجد له جوابا في الحصة ذاتها... أما كيف يمكن لإنسان عربي أن يصبح أمازيغيا، فأقول نعم لو أنزل القرآن الكريم بالأمازيغية» الأم «أو حتى بالقبائلية، ولو تم ذلك لأصبحت كل الجزيرة العربية وكل البلاد الإسلامية الناطقة بالعربية اليوم أمازيغية، ولوجدتني أدافع عن الأمازيغية أو القبائلية في كل البلاد الإسلامية، كما أدافع اليوم عن لغة القرآن تماما، ولعلمك فإن العربية هي لغة العرب قبل نزول القرآن- فقط -أما بعد نزوله بلسان عربي مبين، فهي لم تعد لغة أبي لهب وأبي جهل، وإنما هي لغة سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي، وطارق الأمازيغي، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده الفرعوني، وابن باديس الصنهاجي. وإذا أردت إن تقضي على العربية في أي بلد مسلم فاقض على

---

23(\*) المقصود هنا هو: زعيم حزب» التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية «المتخصص

في الطبّ النفسي.

الإسلام أولاً، كما قال أحد) كتابكم (الراجلين. (\*\*)

ثانياً: لقد قلت في سؤالك الثاني» ... وإذا طورنا القضية أكثر، يمكن إن نقول بأنه يمكن للامازيغي إن يكون مسلماً تماماً مثل المسلم الفرنسي والأفغاني والإيراني... الخ. وانطلاقاً من مبادئ الإسلام ذاتها ليس شرطاً لأعجمي أن يتعرب كي يكون مسلماً «وأننا أوافقك تماماً على هذا الطرح، وأسألك بدوري، هل لو خرجت فرنسا من الجزائر) واقصد اللغة الفرنسية المحتلة ( سيكون سؤالك عن الأمازيغية مطروحاً اليوم؟؟ فإذا كان الجواب بالنفي، فيكون واجب جميع الجزائريين الوطنيين اليوم أن يتحدوا لطرد الاستعمار الأكبر» للشخصية»، مثلما اتحدوا جميعاً بالأمس القريب لطرد الاستعمار الأصغر) استعمار الجنسية (وإذا كان الجواب بالإثبات، فلماذا لم تطرح هذه الأسئلة منذ 14 قرناً الماضية، مع أننا كمازيغ، كنا أحراراً في تأسيس دولنا المستقلة بدءاً من الدولة الرستمية إلى دولة الأمير عبد القادر الجزائري، فكنا شعباً واحداً دينه الإسلام ولغته المكتوبة هي لغة القرآن، إلى إن جاء الاحتلال الصليبي الفرنسي الذي حارب لغة الأمة، كما هو معلوم، ولم يعاملها كغنيمة حرب، كما تريدون أن تعاملوها اليوم، في الجزائر المستقلة بكل وقاحة وفسفوسة، وقد كان المستعمر هو المنتصر

---

24(\*\*) المقصود هنا هو :كاتب ياسين) راجع الفصل الثامن).

عسكريا، قبل أن تهزمه ثورة نوفمبر، ذات المبادئ العربية الإسلامية) كما هو مسطر بكل وضوح في بيانها الخالد)، كما لم يعامل الاسبان اللغة العربية، كغنيمة حرب بعد سقوط غرناطة الشهير، أم نحن اليوم أنكى من هؤلاء وأكثر وطنية منهم؟!!!

والسؤال الثاني هو هل حرام على الأعجمي أن يتعرب مثلما تعرب أجدادنا الأمازيغ، وعلموا العربية للعرب أنفسهم، مثل ابن معطي الزواوي، وابن اجروم، على غرار سيبيويه، والخليل بن احمد، وهل منعتك أعجميتك من إن تتقن اللغة العربية التي سألتني بها أسئلة فصيحة أشكرك عليها، وأرجو أن تكون قدوة لغيرك فيها بمن فيهم رئيس حزبك، وهل القدرة التي مكنت بعض الجزائريين) بالجنسية (من إتقان لغة المحتل الفرنسي خانتهم في تعمل اللغة العربية، بعد ربع قرن من الاستقلال، مثلما لم تخنك أنت، ولم تخن من قبلك طارق بن زياد، والفضيل الورثلاني، وابن باديس، وغيرهم من علماء زاوارة الجهادية الذين تتلمذ على أيديهم ابن خلدون ذاته في جامعات أجدادنا الحماديين ببيجاية الحضارة والأصالة الإسلامية ذات اللسان العربي المبين؟

وإذا كان أجدادنا الأمازيغ كما هو معلوم هم الذين تبناوا لغة القرآن طائعين، كبديل للغة اللاتينية، التي رفضوها بصفقتها لغة المحتل الروماني.. فهل اليوم يكون عتابنا على العرب الفاتحين الذين لم يحتلونا) كما قلت أنت في رسالتك (أم نعاقب أجدادنا الأحرار ونحاكمهم في قبورهم على تبنيهم لغة القرآن لسانا قوميا واحد ا في البلاد على امتداد القرون الأربعة عشر الماضية، قبل أن تعرف بلادنا الاحتلال، ثم «الاستحلال» الفرنسي المشؤوم؟!!

إني أوافقك على أن إيران وأفغانستان والسنغال ومالي والنيجر هي دول مسلمة بامتياز دون أن تكون ناطقة بالعربية في غالبيتها، وإسبانيا لعلمك أيضا كانت ولمدة ثمانية قرون دولة مسلمة عربية(، فهل تريد أن تصبح جزائر المليون ونصف المليون شهيد) أندلسا (ثانية، في القرن العشرين! ؟ وهل يوجد ما يمنع الإيراني والتركي والألماني من إن يتبنى لغة القرآن لسانا ووطنيا ورسميا له دون عصبية) قومية (جاهلية) راجع مقالا لي في جريدة الشعب بتاريخ 1989/06/30 عن جهاد جمال الدين الأفغاني في هذا الخصوص مع العثمانيين (وقد قتله اليهود بالسم في إسطنبول سنة 1896 من أجل هذا الطرح بالذات الوحدوي الاستراتيجي للأمة المحمدية في إطار الجامعة الإسلامية الناطقة بالعربية، كلغة مشتركة بين كل شعوب ودول الخلافة، على غرار دول الكومنويلث، أو الدول الفرنكوفونية، التي تريد فرنسا أن تضم إليها الجزائر بفضل نضال أمثال رجال حزبكم!!

إني أوافقك تماما بأن الجزائر كانت أمازيغية كلها، وتعربت كلها نتيجة إسلامها الجماعي غير المفروض (..) فهل يمكنك اليوم (أن) تبربر (كل هؤلاء الجزائريين الناطقين بالعربية، كي تحافظ على وحدة الشعب الجزائري) مثلما كانت موحدة قبل الاحتلال الفرنسي وأثناءه(، والتي لا يمكن إن تتحقق دون سيادة لغة وطنية ورسمية واحدة، في كافة ربوع الوطن، بقطع النظر عن تعايش اللهجات البربرية) أو الأمازيغية (الكثيرة المنتشرة في ربوعها كجزء من التراث الوطني الذي ندافع ونحافظ عليه، بصفتنا شعبا مسلما ناطقا بالعربية، لم يبدأ تاريخه من القرن السابع الميلادي،

مثلما تدافع مصر عن تاريخها الفرعوني، والعراق عن تاريخها  
الأشوري والكلداني، وسوريا عن تاريخها الفينيقي والسرياني ...  
وهكذا، ولكن ما دخل ترسيم اللهجات العربية وغير العربية) على  
حساب اللغة الوطنية، ولحساب لغة الجلادين الفرنسيين القدماء  
والجدد (في هذا الإحياء!؟ فهل العقاد) كما قلت في رسالتك (وطه  
حسين وشوقي، وحافظ إبراهيم، واحمد أمين، دافعوا عن إحياء  
(و)توطين (وترسيم القبطية الميتة، أو) غنيمة الحرب (الأنجليزية، أم  
عن لغة القرآن في كل ربوع الإسلام؟ إذا وافقتني بأن أكبر  
عدوللغة الوطنية في الجزائر اليوم هوسيادة اللغة الفرنسية) رغم  
أنف الشعب المغيب(، ووافقتني بأن أكبر عدولإحياء التراث  
الأمازيغي الجماعي للأمة هوالثقافة الفرنسية) اليهودية المسيحية(،  
فأوافق على كل ما قلت في دفاعك المشروع عن حزب التجمع،  
وأضم صوتي ويدي إلى صوتك ويدك، لإحياء هذا التراث بعد  
طرد العدوالمشترك، والمتمثل في اللغة الفرنسية) هزيمة الحرب ( )  
وليست) غنيمة الحرب كما تدعون (!جهلا أو تجاهلا، وزورا  
وبهتاناً على الشهداء والسياسة، والتاريخ، والمنطق السليم!؟!

**ثالثا:** لقد وجهت لي سؤالك الأخير قائلا: «كيف تسمح لنفسك  
إن تستنكر على الجزائريين قضية الدفاع عن اللغة الأمازيغية  
وثقافتها وتسمح في نفس الوقت لنفسك- ومن معك -لتكونوا جمعية  
للدفاع عن اللغة العربية!؟»

لعلمك أنا لم ولن امنع أحدا من الدفاع عن أية لغة أو لهجة  
اقرها الشعب الجزائري في مواد دستوره، بل أدافع فقط عن اللغة  
الوطنية والرسمية ضد الفرنسية المستعمرة مثلما يدافع الفرنسيون

(الأحرار (عن اللغة الفرنسية ضد اللغة الألمانية والإنجليزية والعربية، وتؤكد انه لو كانت للجزائر لغة وطنية ورسمية غير اللغة العربية لدافعت عنها) من باب السيادة الوطنية (ودافعت عن العربية من باب العقيدة الدينية، ولكن طالما حابانا الله عز وجل، وأكرمنا بأن جعل لغتنا الوطنية والرسمية هي نفسها لغة عقيدتنا الخالدة، فاني سعيد بان أضعف دفاعي مرتين (..) وهمي الوحيد في ذلك كله هو وحدة شعبي، ووحدة أمتي، ووحدة عقيدتي، ولا وحدة وطنية بدون وحدة لغوية، ولا شخصية وطنية بدون سيادة اللغة الوطنية، ولا إسلام بدون عربية، فغير اللغة الوطنية والرسمية لأغلبية الجزائريين بكيفية ديمقراطية، سأكون أول الخاضعين لإرادة الأغلبية، مثلما خضعت فرنسا لإرادة الأغلبية عندما قالت» لا للجزائر الفرنسية «في الاستفتاء على تقرير المصير سنة 1962 ، علما بان هناك من المواطنين من صوت ضد هذا الاستقلال، ومنهم من ذهب مع عساكر المحتل، ومنهم من بقي خاضعا للجنسية الجديدة، التي أصبحت جزائرية) بعد أن كانت» فرنسية «مسلمة، لمدة 031 سنة كما هو معلوم (والذي نعمل له اليوم هو أن تتطابق شخصيتنا) غير الفرنسية(، مع جنسيتنا) غير الفرنسية(، أي الجزائرية العربية الإسلامية بفضل جهاد الشهداء وكل الوطنيين الأحرار الأوفياء، ولا يتحقق ذلك إلا بمواصلة الكفاح، والجهاد السياسي والثقافي والهوياتي من أجل تحقيق الاستقلال التام، علميا وإداريا، وسياديا عن اللغة الفرنسية، لأن اللغة هي الشخصية، واللغة هي الجنسية، كما قال الفرنسيون أنفسهم. وحتى لا أطيل في مقام لا يتطلب الإطالة؟ أسألك سؤالا

واحد ا هو كالتالي :إذا كان بإمكان الإنسان الحر إن يتحكم في المستقبل الذي لا يعرف المستحيل، أمام إرادة الشعوب التي هي من إرادة الله...فهل يمكن لأي مخلوق على وجه الأرض إن يتحكم في الماضي فيجعله غير موجود، أو غير ما كان عليه في حقيقته، وإذا كان هذا مستحيلا- كما اظنك تجيبني- فهل تعتقد بوجود شعب في العالم قرر مصيره مرتين في التاريخ؟ فأجيبك بنعم :هو الشعب الجزائري) الحر (الذي قرر مصيره في القرن السابع الميلادي، ضد الاستعمار اللاتيني الصليبي القديم، وقرر مصيره في القرن العشرين مرة أخرى، ضد إرادة الاستعمار اللاتيني الصليبي الجديد.فهل تطالب الشعب الجزائري) كل الشعب الجزائري (إن يقرر مصيره للمرة الثالثة ؟ !أم تعتقد بوجود عدة شعوب في الجزائر على رأي ديغول صاحب شعار «الجزائر الجزائرية !»الذي حاول أن يغالط به الشهداء ففشل فشلا ذريعا، ونحن بالمرصاد لكل من يحاول أن يبعثه من قبره مرّة أخرى !!إلى أن نلحق بكل قوافل الشهداء، وسيخلفنا أوفياء إن شاء الله، مثلما نحاول نحن أن نكون خلفاء لهم، أوصياء على عهدهم!

انتهى نص الرد

هذا ولعله من الأجدر في ختام هذا الفصل، وقبل الشروع في تحديد المواقف وتشخيص العلاج الطبيعي) في الفصل اللاحق (لهذه المسألة-القضية) المفتعلة (إن اترك أحد أحرار الجزائر الذين يحرصون على حرية الوطن، ووحدة شعبه

وازدهاره، في مناخه الطبيعي، الذي لم يخلق لغيره...وهو الأستاذ  
دحمان آيت يذير، وهو من أحرار القبائل أيضا، في مقال له  
منشور بجريدة الشعب بتاريخ 1989/11/20 ، تحت عنوان :  
«بربر يوبا الثاني وبربر طاكفاريناس.» جاء فيه ما نصه:

«قبل أن يستولي الوندال ثم البيزنطيون على شمال إفريقيا،  
كان الرومان قد نصبوا بها أنفسهم سادة دون كبير عناء، وعلى  
الرغم من إن مدة إقامة هؤلاء الغزاة بهذه الديار تزيد على خمسة  
قرون، فإن الثورات التي سجها التاريخ ضدهم تعد قليلة جدا،  
وزعماء البربر الذين فرضوا أسماءهم على تاريخ تلك الحقبة  
قليلون جدا أيضا..ويجوز تقسيم هؤلاء إلى فئتين اثنتين، فئة  
يمثلها يوبا الثاني الذي بهرته حضارة روما إلى حد رضي  
بوصايتها على دويلته وإلى مدى أصبح فيه يقلد الرومان في كل  
شيء، فتنازل وذووه عن الشخصية البربرية المتميزة.

أما الفئة الثانية فهي فئة تاكفاريناس التي ثارت في إباء  
وشهامة في وجه الجور الروماني البغيض، وتشبثت بما لديها من  
قيم وتقاليد.

وعندما حرر العرب البربر، فيما بعد، من الاستبداد  
البيزنطي أسرعوا إلى اعتناق الدين الذي ارتضاه الله للناس  
أجمعين، واختفى من أرض شمال إفريقيا بربر يوبا الثاني، وبقي  
بربر تاكفاريناس، وقد ازدادوا شرفا باعتناقهم الإسلام، فرفعوا  
هامهم بين الشعوب، وجعلهم جزءا من امة واحدة تجمعها كلمة  
التوحيد، يذودون عنها، ويبدلون من أجلها الغالي والنفيس، فظهر  
فيهم طارق بن زياد ويوسف بن تاشفين وزيري بن مناد،

وغيرهم كثير....وبعدما أصبحت شمال إفريقيا جزءا من دار الإسلام لم يشك أحد من البربر في انتمائه الحضاري الإسلامي، وبقي الأمر كذلك حتى أشهر الاستعمار الفرنسي في هذه الديار سلاح) فرق تسد (وأيقظ في القلوب النزعة الشعبوية، وقد دعمت الأنظمة الحاكمة بعد الاستقلال، هذه النزعة بوقوفها غير المشرف، من الثنائي الذي لا يمكن أن تعرف هذه المنطقة الاستقرار من غير استتبابهما فيها وهما الدين الإسلامي واللغة العربية.

ونحن واعون الآن بان العاقلين من البربر لا يمكن إن يصغوا إلى دعوة الردة التي رفع رايتها مشبوهون يمثلون في حقيقة الأمر، رأس جسر للصليبية الجديدة(\*)، كما أننا واثقون بان القيم الإسلامية التي تشبع بها الأحرار الخالص منهم ستبقى لديهم نامية مترعرة إلى إن يرث الله الأرض ومن فيها.

فلا ينبغي لأحد الآن إن ينساق وراء كل دعوة تفضي إلى

ظهور بربر يوبا الثاني من جديد.»

## الفصل الخامس عشر

خلاصة عامة تتضمن رأي التيار الوطني في البلدين من الاحتلال الفرنسي ودعاة النزعة البربرية حاضرا ومستقبلا

---

25(\*) راجع ما قلناه في الفصل الثامن.

إدراكا من الأمة للأبعاد الخطيرة لدعاة النزعة البربرية (كأداة طيعة في يد الاستعمار الجديد) (الدمرة للشخصية الوطنية والوحدة الوطنية لشعوب ودول المغرب العربي المسلم، ودفاعا عن شروط استقلال الشخصية الوطنية والقومية الكفيل بدوام استقلال الجنسية الوطنية لكل دولة، والمحافظة عليها على مر العصور وتقلب الأحوال القابلة لكل احتمال) ...راجع مقدمة الطبعة الأولى من هذا الكتاب).

وتمسكا بالأساس الجوهري لوحدة الأمة ( دينها ولسانها)، وإيماننا بالعلاقة الربانية الرابطة بين الإسلام واللغة العربية بكيفية لا تقبل أي تعارض أو أي انفصام.واقناعا بان أية محاولة لضرب دين الأمة هو ضرب للسانها، وكل ضرب للسانها هو ضرب مباشر لدينها، لكون لسانها هو عينه لسان دينها، وهذه نعمة من الله على الأمة، يجب المحافظة عليها لقوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، وقوله: (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون). ونظرا لاستحالة الفصل بين سيادة اللسان وسياسة الإنسان لتجسيد التطابق في الواقع بين استقلال الجنسية واستقلال الهوية الثقافية الكاملة للأمة... يتعين إقرار المواقف التالية:

أولا: الرفض المطلق لكل محاولة تستهدف ترسيم أي لهجة وطنية لاعتمادها لغة رسمية جهويا أو وطنيا، لأن سيادة العلم الواحد فوق الإدارة الوطنية لا تقابلها إلا سيادة اللسان الرسمي الواحد داخل الإدارة الوطنية، وحتتنا القوية نستمددها من الدولة الفرنسية ذاتها على أرضها كما بيّنا في أكثر من فصل في

الكتاب) وخاصة الفصل الرابع عشر).

**ثانياً: الإقرار بان سيادة اللغة الواحدة على الصعيد الرسمي والوطني لا يتعارض مطلقاً مع تعايش اللهجات المختلفة التي تعتبر عامل إثراء للتراث الشعبي الوطني، الذي يختلف في خصوصياته الفرعية من ناحية أو جهة داخل الوطن) أو الإقليم الوطني الواحد (إلى أخرى، باختلاف الموقع الجغرافي والمناخي...دون أن يشكل ذلك الاختلاف الفرعي،) كما بينا في الفصل(11 ، أي خطر على الوحدة الوطنية، وأعلى الهوية، إذا التزمت الفروع الثقافية حدودها ولم تحاول إن تنقلب إلى أصول مفجرة لكل تجانس ممكن، بين أطراف الأمة الواحدة ومؤسساتها الرسمية الجامعة، كما يحاول أعداء الأمة أن يحققوا ذلك بنواب الفاعل والوكلاء داخل بعض الأقطار العربية مشرقاً ومغرباً على وجه الخصوص، وهو موضوع هذا الكتاب، كما أوضحنا في المقدمة.**

**ثالثاً: عدم الخلط بين مشروعية استعمال اللهجات الوطنية المختلفة والمتعددة في الحياة اليومية للمواطنين) ...سواء كانت ذات الأصل العربي أوالأصل البربري (بقطع النظر عن كون كلا اللغتين منحدره من أصل واحد، وهو لغة آدم عليه السلام، التي سنخصص لها كتاباً بذاته في المستقبل إن شاء الله !**

**فالذي نركّز عليه هنا هو رفض تداول العاميات رسمياً وكتابياً من أي نوع كان، مع التزام الاستعمال الرسمي للغة الوطنية الوحيدة داخل التراب الوطني في إطار ممارسة السيادة للدولة المستقلة، وهو شأن كل الدول المستقلة، والأمم المعتمدة في العالم على امتداد**

## التاريخ!!

رابعا: التمييز بين إمكانية ومشروعية دراسة اللهجات الوطنية) في إطار التخصص الجامعي في الأدب الشعبي، والتراث الشفاهي للأمة (...وبين المطالبة والإصرار على إحلال بعض أوكل اللهجات الوطنية المتداولة شفاهيا محل اللغة الوطنية الفصحى، لتدريسها والتدريس بها، في المدارس والجامعات واستعمالها في المجال الرسمي كجزء من ممارسة السيادة (...). فبقدر ما يكون الاحتمال الأول جائزا ومفيدا ومشروعا يكون الاحتمال الثاني مدمرا وقاتلا لروح الأمة الواحدة مع سبق الإصرار والترصد!!

مع العلم أن أية لهجة في العالم مهما تكن ضعيفة يمكن أن تصبح لغة مكتوبة، إذا اصطنعت لها حروف... ووقفت وراءها نعرات سياسية أو قوى خارجية كما أن أي لغة حية وقوية يمكن أن تضعف أو تزول من خريطة الوجود إذا لم تجد طريقها إلى الاستعمال في الحياة الرسمية أو اليومية للناطقين بها. فاللغة في هذه الحالة بمثابة الظل للإنسان الناطق بها، ولا يعقل أن يستقيم الظل والعود أعوج على الإطلاق!!

خامسا: الرفض القاطع لأية محاولة داخل الأمة الواحدة بتحويل أية لغة مشافهة أو أية لهجة جهوية إلى لغة مكتوبة ذات قواعد موضوعية بأية حروف كانت لأن الحروف كما وضعت يمكن أن تستبدل بحروف أخرى، بجرة قلم.

والخطر الذي يجب التنبيه إليه بالنسبة للذين لا يرون حرجا في مباركة ترسيم بعض اللهجات الوطنية البربرية الجزائرية أو

المغربية أو الليبية وغيرها، بالحروف العربية، بدلا من اللاتينية .. فالخطر هنا يكمن أساسا في الترسيم، وليس في شكل الحرف (اللاتيني أو العربي أو الفينيقي) (الذي يظل قابلا للتغيير بمرسوم في أي وقت، بدليل ما وقع للحروف العربية في عاصمة الخلافة العثمانية سنة 1929 حيث استبدلت بها الحروف اللاتينية في الوقت الحاضر (..والدليل الثاني نستمد من اللغة الفرنسية ذاتها التي كانت قبل خمسة قرون مجرد لهجة من لهجات فرنسا المتعددة، تحت سيادة اللغة اللاتينية الأم، فرسمت وحلت محل اللاتينية في الإدارة الفرنسية، وفرضت شيئا فشيئا بقوة القانون على كافة أنحاء التراب الفرنسي، بهدف صنع الأمة الفرنسية ولحم الوحدة الوطنية والهوية والسيادة الفرنسية المنسوبة بالاسم إلى اللغة الفرنسية) كما بينا ذلك في الفصل السابق).

**سادسا:** إن العدو المشترك بين جميع الوطنيين في أقطار المغرب العربي اليوم هو اللغة الفرنسية التي أحدثت الوضع الخطير الراهن، كثمرة مرة، من ثمار الاحتلال المباشر في غفلة أوتواطؤ من بعض ولاة الأمور الجائمين على الصدور حتى القبور، رغم الدستور.(....)!

وعليه فالولاء يجب أن يظل للغة الوطنية ضد اللغة الفرنسية وليس للفرنسية) التي يقال أنها أجنبية في الدستور شاهد الزور (ضد اللغة الوطنية، بقطع النظر عن إتقان بعض الوطنيين في هذه البلاد المغاربية لهذه اللغة أو تلك، بحكم حتمية الظروف المعروفة..والدليل على هذا الحكم هو إن جميع دعاة التميز القومي) البربري (بكل اتجاهاتهم ونزعاتهم لا يتفاهمون

فيما بينهم إلا باللغة الفرنسية كما نرى ذلك في اجتماعات ما يسمّى بالكنجرس الأمازيغي العالمي... (هو وضع اللغة العربية وقداستها في وادي ميزاب بالجزائر، حيث لا يوجد من الميزابيين من يتحدث بغير اللهجة الميزابية في البيت، وفي الحياة اليومية، مع أفراد العشيرة... وفي الوقت ذاته لا يوجد فرد من وادي ميزاب يتعامل بغير اللغة العربية) شفاهيا أو كتابيا (مع باقي المواطنين، من أفراد الأمة في كافة أنحاء الوطن وخارجه، ولا أدل على ذلك من إن أروع الأناشيد الوطنية الخالدة،) فداء الجزائر.. قسما (...تفجرت من قرائح أبناء ميزاب الذين عربهم الإسلام فرفعوا للعربية ذكرا وقدرا في الأنام وفي أحلك أيام الظلام!

وفي خضم معركة التحرير من سيف الظلم المصلت على الهوية، وفي غمرة الرد على الادعاءات المغرضة، الهادفة إلى تشويه الأصالة، والتشكيك في حقيقة الانتماء، شارك مفدي زكريا الشعب في مقاومة الاعتداء على الهوية، ومحاربة مشروعات الاستهتار بالقيم والمقومات، فوقف ليوضح ما يحمله الشعب الجزائري من روح الانتماء إلى أمة الضاد مشرقا ومغربا. فارتجل أبياتا، في حفل أقيم في الدار البيضاء بالمغرب الأقصى، شاركت فيه وفود عربية، قدمت لتهنئة الشعب المغربي بعيد الاستقلال، فقال عن الجزائر ضمن الحديث عن المغرب العربي، الذي يؤمن به الشاعر وطنا واحدا، لا ينقسم ولا يتجزأ:

لسان الحال

سل الفصحى وقل للضاد رفقا

أفصح منك نطقا

وخل الشعر فالأيام شعر الأجيال تلقى  
قساندها على وته يا قلب فالأكوان نشوى  
وذب في كاسها نجوى وعشقا  
وفي قيتارة وسر في المغرب العربي لحنا  
الأعياد عرقا  
وقال أيضا عن هوية الشعب الجزائري وانتمائه الأصيل  
إلى وحدة أمة الخليل:  
شعب، دعاه إلى الخلاص بُناته  
النداء، وتطوعا  
وأراده المستعمرون عناصر  
أن يتصدّعا  
فأبت كرامته له واستضعفوه، فقرروا إذلاله  
أن يخضعا  
فأبت عروبتة له واستدرجوه فدبروا ..إدماجه  
أن يبلعا  
وعن العقيدة، زوّروا تحريفه  
أن يتزعزعا  
أسبابه بالعرب وتعمّدوا قطع الطريق، فلم تُرد  
أن تتقطّعا  
ألم، فأورق دوحه نسب بدنيا العرب زكى غرسه  
وتفرعا  
فجاعت) رسومي غمست بمظلول الجراحات ريشتي  
تلهم العقل والفكر  
ولا زلت حتى وواكبت في الأعماق ثورة أمتي  
(أرسم (البعث والنشرا

ويا عربيا في بلاد شقيقة  
يستطيع لها نكرا؟  
فما حربنا إلا امتداد لثورة  
يخذلنا خسرا  
فلسطين في أرض الجزائر بعثها  
المعاقل والثغرا  
فلا عز حتى تستقل جزائر  
الوحدة الكبرى  
عروبتنا ..من  
أراد لها من كان  
فمدوا يدا نحو  
ولا مجد حتى نصنع

سابعا :إن مصير الأمم لا يقرر في كل حين، ومصير الجزائر وكل بلاد المغرب العربي) الفرنكوفونية اليوم (قد قرر في المرة الأولى منذ دخول الإسلام واعتناقه الجماعي والطوعي من قبل السكان، وتبنى لغة القرآن لسانا رسميا للأمة في شؤون الدين والدنيا، والعلم، والحضارة على امتداد القرون دون أي لسان سواه..وقد جدد هذا التقرير للمصير في هذا القرن نتيجة الكفاح المرير الذي اوجد اتفاقيات) ايفيان (التي خير بموجبها، أبناء الشعب الجزائري، بكل حرية وديمقراطية، بين أن يكونوا فرنسيين مسلمين، أو عربا مسلمين، فكانت النتيجة أن أكثر من % 97,5 صوتوا لصالح استقلال الجنسية الجزائرية والشخصية العربية الإسلامية) كما بينا في الفصل السابق(، ولم يمنع الذين لم يقبلوا بنتائج الاستفتاء من أن يحافظوا على جنسيتهم الفرنسية بالذهاب مع المحتل لخدمة العلم الفرنسي، ومجيء من كان قاطنا هناك وراء البحر للتمتع بالجنسية والشخصية الوطنية هنا في وطنه المفدى، وقد تم الفرز على هذا الأساس القانوني والمنطقي . إلا أن الشيء الذي لا يقبله العقل على الإطلاق، هو بقاء نسبة

قليلة من الذين صوتوا بـ) لا (على الاستقلال الوطني ليظهروا في السنوات الأخيرة بنوع من الطرح الجديد لتقرير المصير مرة أخرى، قصد إرجاع الجزائر الفرنسية من النافذة اللغوية والثقافية...بعد أن أخرجت فرنسا من الباب العسكرية والسياسية إلى غير رجعة في نظر المفاوضين الوطنيين في) إيفيان (والحل السليم الذي لا محيد عنه هو انه مثلما طبق قانون السيادة الفرنسية على أبناء المغرب العربي الذين اختاروا الذهاب مع العدو للذوبان في كيانه اللساني والسياسي والسيادي والهوياتي...يطبق قانون الجنسية وقانون الشخصية الثقافية العربية الإسلامية، المنصوص عليها في اتفاقيات تقرير المصير الأخير<sup>(1)</sup> على كل من اختار البقاء، عن طواعية في وطنه الأصلي، وإذا أمكن ممارسة التسامح في الدين باسم حرية الاعتقاد) التي ضمنها الدستور (فلا تسامح على الإطلاق في التمرد أوالمساس بالسيادة اللغوية، لأن اللغة كما رأينا في فصول هذا الكتاب) وبشهادة الفرنسيين أنفسهم (هي عنوان الهوية وأساس الجنسية، وجوهر الشخصية الذي لا يقبل الازدواجية ولا اللائكية اللغوية على الإطلاق!!

**ثامنا:** إن أول ما يجب أن تتضافر من أجله جهود كل الوطنيين، على غرار ما كان عليه الأمر أثناء الكفاح المسلح

---

<sup>26</sup>(1) المقصود اتفاقيات إيفيان التي تم بموجبها الاستفتاء على تقرير المصير يوم

هو العمل بجد وإخلاص من أجل استرجاع السيادة الوطنية من اللغة الفرنسية، بدلا من العمل على القضاء على هذه السيادة المهدي، قبل إن تتحقق...وان أية محاولة لعرقلة بسط هذه السيادة الوطنية) اللغوية (تحت أي شعار من الشعارات، هو عمل استعماري صرف، كما هو ثابت بالأدلة التي لا تحتاج إلى تكرار هنا مرة أخرى.

ولقد كان من المفروض، لتوفر الحس الوطني، الذي كان سائدا أثناء الكفاح المسلح، بناء على مواثيق الحركات الوطنية في كل البلاد المغاربية العربية، كما نص على ذلك بيان أول نوفمبر 1954 في الجزائر على سبيل المثال، وقد كان من المفروض بناءً على هذه المواثيق أن يواصل العمل بعد الاستقلال من أجل إتمام عملية التعريب تجاه العدو الفرنكوفوني المشترك، بدلا من محاولة خلق أوضاع لغوية مصطنعة لصالح هذا العدو ذاته، وتبقى اللهجات المتداولة شفهيًا) عربية أوبربرية (متعايشة سلميا مع الفصحى ومساعدة لها، تأخذ منها المفردات العلمية والحضارية والثقافية الراقية، وتساعدها في التبليغ الشفاهي لدى الأوساط الأمية، مثلما كان الشأن على امتداد التاريخ الوطني العربي الإسلامي في كافة الأقطار الشقيقة مشرقا ومغربا، ولا قيمة لاستقلال الجنسية لأية دولة دون استقلال كامل لمقومات الهوية، وكل استقلال مرهون بقاؤه بالآخر، ولعل سقوط» جدار برلين «أخيرا أقوى دليل على ذلك)!! راجع مقدمة الطبعة الأولى من الكتاب في هذا الخصوص.

تاسعا: إن اللغة الفصحى في أية أمة هي بمثابة الملكة التي لا تقبل التعدد، واللهجات أو اللغات الشعبية المحلية) أي غير

المكتوبة (هي بمثابة الخدمات المساعدات للملكة في الأمور العادية اليومية) غير الرسمية (وإذا أمكن أن تقوم الفصحى- عند الضرورة -بأعمال الخدمات، فإنه لا يمكن للخدمات أن تتوب عن الملكة في المسائل والأمور السيادية الرسمية، لأن الملكة واحدة، بينما الخدمات متعدّات، ويمكن أن تتوب الواحدة عن الأخرى دون أي ضرر أو اثر سلبي على حياة الدولة والأمة ومسيرتها الحضارية نحو الرقي والتقدم المضطرد، بينما لتصبح الخدمات ملكات فإن أولى النتائج المترتبة على ذلك هو أن يصبح لكل ملكة شعب تحكمه أو تحكم به، وهذا لعمرى انتحار وطني لصالح الاستعمار الفرنسي وحده في بلاد المغرب العربي، الذي تأبى فرنسا إلا أن تجعله» متوسطيا «أو فرنكوفونيا، بعد خروج بعض عساكرها من أراضيها!

عاشرا: إن متطلبات تكوين الأمم وبقائها، هو العمل على إزالة عوامل التفرق، وتجميع عوامل الدعم والتحقق...ومن هذا المنطلق كان لزاما على كل المواطنين من أبناء الأمة أن يعملوا على التضحية بالجزء من أجل الكل وبالفرع من أجل الأصل، ويجتهدوا في تجميع اللهجات المتفرقة في لغة وطنية واحدة. فضلا عن أن يتهاونوا في هذا الأمر الخطير ويغضوا الطرف عن تقنيت وحدة الأمة نحو لهجات ولغات متناحرة مع الزمن، ولعل أبرز مثال لدينا هو إسرائيل التي لا تجمع سكان دولتها الوافدين من كل أصقاع العالم سوى عقيدة واحدة كانت سببا في جعل كل اليهود الذين كانوا ينتمون إلى أكثر من 120 جنسية يتحدون ويندمجون بلغة واحدة، هي اللغة الرسمية والوطنية للدولة العبرية المنبعثة من

العدم، بقوة العقيدة، وقدوة القيادة، وفرض السيادة...

**أحد عشر:** إن مبدأ اللائكية إذا كان معتمدا في الدين فإنه لا يوجد بلد في العالم يعتمد لائكية في اللغة، لأن اللغة هي استعمال ضروري يومي لا غنى عنه على الإطلاق، كما انه ملموس وغير قابل للتعويض إلا بصنوه، أي بلغة أخرى، إلى جانب أنه شامل لكل أبناء الوطن في كل حين. ومن هنا كانت ضرورة التمسك بسيادة اللغة الواحدة، إن وجدت وتوحيدها إن فقدت، لأن في اللغة تكمن وحدة الوطن بالتكامل مع الدين، إن كان للدين علاقة باللغة مثل الإسلام والعربية في البلاد المغاربية، وهذا مبرر آخر إضافي للتأكيد على الدعم والتوحيد اللغوي.

**ثاني عشر:** في الوقت الذي يفرض الإسلام نفسه في كل بقاع العالم وينتشر تدريس لغة القرآن تبعا لذلك في كل الأقطار الإسلامية وألتي بها أقليات إسلامية، لا يعقل أن تتخلى عنها البلاد المغاربية المسلمة التي كانت سباقة إلى هذه اللغة منذ فجر التاريخ الإسلامي على البشرية... وفضلا عن أن أسباب انتشار العربية في هذه الأقطار المسلمة هي أقوى منه في البلدان العربية الأخرى، ومثلما اجتمعت هذه الشعوب المغاربية في العقيدة الدينية التي لا يرضون عنها بديلا، فإنهم يجتمعون كذلك نحو لغة هذه العقيدة(\*)؟

---

27(\*) انظر للمؤلف في هذا الخصوص:

- 1التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي في العالم، لماذا وكيف؟! منشورات دحلب الجزائر. 1991

**ثالث عشر:** أن عدم البت القاطع في مسألة التحرر اللغوي للأمة بتوحيد وتعليم واستعمال اللغة العربية استعمالاً حقيقياً وشاملاً... سيعوق إعاقاً مباشرة وخطيرة تكوين وإرساء دعائم الأمة القوية، المتجانسة العناصر، المستهدفة تكوينها على غرار الأمم القوية المعاصرة كالأمة اليابانية أو الكورية أو الألمانية أو الصينية، ذات التقاليد العريقة والتكنولوجية المتقدمة دون أدنى تعارض بين سيادة لغاتها المعقدة وعلمها المتقدم في جميع المجالات من جهة، وإتقان اللغات الأجنبية لدى الخاصة من أفرادها للأغراض الحضارية والعلمية المتعلقة بالترجمة والانفتاح الثقافي والحضاري على العالم المتقدم من جهة أخرى، مثلما هو واقع الأمر بين فرنسا وأنجلترا وألمانيا وإسبانيا !

**رابع عشر:** لقد كانت حجة «الجنرال دوجول» «ضد الثورة على فرنسا وضد الاستقلال الوطني... أن الجزائر على مر التاريخ هي عبارة عن مجموعة من القبائل المتناحرة ولم تكن أمة في وقت من الأوقات، وكانت الحجة القوية لدى المفاوض الوطني) في إيفيان (هي إن الجزائر كانت أمة متكاملة المقومات) (دينا ولغة) (منذ قرون، أي قبل إن توجد الأمة الفرنسية ذاتها، وكانت العربية) اللغة الوطنية (رمز الأمة المتميزة عن فرنسا) (المحتلة)، تدرس تحت القنابل، وفي السجون والمعتقلات، للبرهنة على التمييز القومي عن فرنسا، ولم يطالب حينئذ أحد

---

2- الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، دار الأمة الجزائر. 1996

3- هل نحن أمة؟ إدار الأمة الجزائر. 1997

بتدريس البربرية في الجبال ولا في السجون، وذلك للبرهنة لإدارة الاحتلال الفرنسي بأن الجزائر شعب، ووطن واحد، وهو جزء من أمة واحدة، كما عبّر عنها أصدق تعبير، إمام جهادها وكفاحها الهوياتي الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس بقوله الجامع المانع :

شعب الجزائر مسلم  
من قال حاداً عن أصله  
وإلى العروبة ينتسب .  
أو قال مات فقد كذب .  
أو رام إدماجاً له  
رام المحال من الطلب ...  
وبالتالي فهي بالفعل ليست أشتاتاً من الشعوب اللامتجانسة  
في العرق أو الدين أو اللغة،) كما كان يدعي الجنرال دوغول (وكان  
الاستقلال بفضل هذا الوعي المتقدم لدى المفاوض الوطني ...  
واليوم يأتي بعض الخلف ليحاول التصديق بالاستقلال والوحدة  
الوطنية على فرنسا بالذات، عندما يطالب بتدريس إحدى اللهجات  
بالذات، أو غيرها من اللهجات البربرية في المدارس والجامعات  
وفرضها في الإدارة الوطنية في بعض مناطق البلاد<sup>(\*)</sup>، فلماذا لم  
يطالب هؤلاء» الاستقلاليون «بهذه السيادة أثناء الثورة التحريرية  
وقبلها. فإذا قيل بأن هذا المطلب قد تغاضى عنه بعضهم بحكم  
ضرورة الاتحاد ضد العدولافتكاك الاستقلال من الاحتلال ... نقول :  
وهل العدو الفرنسي القديم والمتجدد قد ترك السلاح ضد تفتيت  
الوحدة الوطنية اليوم، لتأييد سيادة لغته وثقافته، وبالتالي سياسته

---

28(\*) راجع مطالب الحركة البربرية في الفصل الخامس.

في البلاد، فلماذا لا يبقى نفس المنطق الاستقلالي سائدا للإبقاء على وحدة الأمة لدى كل من يدعي حب الوطن والوطنية... فلماذا لا يقبل هذا المدعي للوطنية اللغة العربية كموحد للأمة، مثلما يدعي انه قبل الإسلام بدلا من اليهودية والمسيحية اللتين كانتا سائدتين قبل الإسلام؟؟ فلماذا نقبل الإسلام بدل المسيحية ونرفض العربية بدل الفرنسية باسم التمييز، تميز من عن من، أم عن ماذا؟ أهو تميز عن الإسلام أم عن العربية؟ وهل يمكن الفصل العملي والعلمي في الجزائر وبلاد المغرب العربي الأخرى بين الإسلام والعربية أو بين المسلم والعربي؟.

**خامس عشر:** أن مفاوضات «إيفيان» التي توجت باعتراف فرنسا باستقلال الجزائر سنة 1962 كما هو معلوم كانت متسامحة في بعض الأمور، إلا أنها كانت متصلبة أشد التصلب في التشديد على نقطتين جوهريتين، هما: الاستقلال الوطني والوحدة الوطنية (الشعبية والترايبية) وهذا ما يحتم على الجيل الوصي على الاستقلال اليوم، أن يتمسك أكثر بالوحدة اللغوية والدينية لأنها هي أساس التجانس الثقافي<sup>(\*)</sup>، وبالتالي بقاء الوحدة الوطنية الحقيقية للأمة، وهي غير الوحدة المصطنعة على الورق والمفروضة بحد السلاح، على أفراد مشتتي الولاء وغير شاعرين بالانتماء إلى أمة

---

<sup>29</sup>(\*) نقصد هنا ما يصطلح عليه علميا بالعموميات الجوهرية الثابتة وليس الفلكلور والتراث الشعبي الشفهي الذي يختلف من جهة إلى أخرى داخل الوطن) راجع الفصل الحادي عشر).

واحدة، كما تهدف فرنسا إلى تحقيق ذلك بالأطروحة البربرية التي أنشأت لها أكاديميتها في عاصمتها ورعّت رجالها ودعمتهم بكل الوسائل،) راجع الفصل الخامس والسادس .

وإذا كانت الحكومة المؤقتة في مفاوضات الاستقلال متشددة في رفضها المطلق لعرض المفاوض الفرنسي عليها، بقاء مليوني كولوني في الجزائر مع محافظتهم على نظام متميز) في الثقافة واللغة والجنسية المزدوجة (إدراكا منها لما يشكله هذا الوطن من خطر على مستقبل وحدة الوطن والأمة المتجانسة) لغة ودينا ( حيث تصبح هذه الأقلية الفرنسية فتيلًا دائم الاشتعال، يخول لفرنسا التدخل في كل حين» لإنقاذهم»، وتكون الجزائر بذلك لبنانا ثانية، أو كندا أو قبرص أو البوسنة، أو بلجيكا، أو الشيشان، أو جورجيا، أو السودان، وإذا كانت الحكومة الجزائرية)المؤقتة ( تحت الضغط الاستعماري، قد رفضت هذه المسألة رفضا قاطعا، لكونها عاملا من شأنه- لوتحقق -أن يعيد الاستعمار من النافذة بعد أن أخرج من الباب، فكيف يعقل أن تقبل الحكومة» المستقلة وذات السيادة «أن يجعل من الجزائر أو أي بلاد مغربية بعد نصف قرن من الاستقلال) السياسي (لبنانا ثانيا، أو سودانا ثانيا، وبارادة أبنائها، جهلا أو تجاهلا، بأن التعدد اللغوي المنشود هوتحطيم للوحدة الوطنية مع سبق الإصرار والترصد، كما أثبتنا ذلك بالدليل القاطع من فرنسا ذاتها (\*\*\*)ولا ينبئك مثل خبير!؟

---

30(\*\*\*) انظر للمؤلف في هذا الخصوص:

أطلبوا الوطنية ولو في فرنسا، دار الأمة الجزائر.

ولذلك فإن أبناء الأمة الحقيقيين يناهضون بدون هوادة هذا الاتجاه الخطير، ولو كان الاختلاف موجودا بالفعل لعملت الأمة بأبنائها الحقيقيين على إزالته نحو التوحد مثلما تعمل الأمم الجديرة بالبقاء في التاريخ، كفرنسا ذاتها التي وهدت لهجات متعددة في لغة واحدة) كما أثبتنا في الفصل الرابع عشر .(قلو افترضنا -جدلا -أن اللهجات المحلية) العربية أو البربرية (انتصرت على لغة القرآن في الجزائر والبلاد المغربية الأخرى ...ألا تتنازع الجزائر أوتونس أوليبيا أوالمغرب أوموريتانيا مثلا عدة عاميات، فأى واحدة منها ستفصح وترسم؟ وإذا افترضنا انه وقع الاتفاق على واحدة ولتكن أقواهن انتشارا، فمن يضمن لنا أن هذه اللهجة لا تتفرع هي الأخرى إلى لهجات، مع مر الزمن) ؟؟؟ ) ويصبح كل من يتحدث بفرع منها يطالب بقومية مستقلة بذاتها، ودولة ذات سيادة، مثلما يحدث للأقطار العربية في الوقت الحاضر، وإذا كان لابد من وقف التقسيم اللغوي اللامتناهي الذي يفضي بالقطر الواحد إلى التمزق القومي تفاديا لزوال شخصية الدولة ذات الشعب الواحد) كالجزائر أوالمغرب أوالسودان، أوليبيا، أوتونس، أوموريتانيا (أفلا يكون من المنطقي أن يوقف هذا التقسيم من الأساس، نوقفه عند المستوى القومي) العربي ) قبل أن يصل إلى المستوى القطري الضيق، لماذا لا ننظر إلى واقع تلك الأمم،) الاستعمارية ذاتها (التي تحافظ على عناصر هويتها في أوطانها كيف تعمل على تفادي التقسيم اللغوي،

---

وتدعو إلى التوحيد بخلق وفرض اللغة المشتركة العمومية، من أشتات من اللهجات المحلية في أقطارها... ولعل المثال الفرنسي والألماني خير دليل على ذلك!

سادس عشر: اللغة العربية الفصحى التي هي اللغة الوطنية المكتوبة والمشاركة في كل بلاد المغرب العربي منذ الفتح الإسلامي، قد حلت محل اللغة اللاتينية في الإدارة والتعليم كما هو معلوم، وهي موجودة في البلاد ومتعايشة بكيفية تكاملية مع اللهجات العربية المتفرعة عنها بنفس الكيفية التي تتعايش وتتكامل بها مع اللهجات البربرية التي وجدتها متداولة في البلاد منذ ذلك التاريخ، أما اللغة البربرية (الأصل (فهي غير موجودة في أي بلد) كنموذج أصلي فصيح)، إن على مستوى التراث المكتوب أو التداول الشفهي... ولم يبق اليوم إلا اللهجات المتفرعة عنها منذ قرون، والتي يفوق عددها العشر لهجات في بلاد المغرب العربي، مما يجعل هذه اللهجات في وضعية) من حيث هي لهجات عامية (أشبه ما تكون باللهجات العامية العربية السابقة الذكر، مع الفرق إن اللهجات العربية لها مصدرها وموردها الذي تنهل منه المفردات للتداول اليومي، وهي اللغة العربية الفصحى، لغة الكتابة والتفكير والتأليف والإبداع... في حين إن اللهجات البربرية ليس لها معين تأخذ منه سوى العربية الفصحى، أو من الفرنسية ذاتها كما هو الحال بعد الاحتلال الفرنسي. ومثلما لا يمكن لأية لهجة عربية إن تستقل بذاتها عن الفصحى لتصبح لغة رسمية ووطنية في البلاد... لا يمكن أيضا ولنفس الأسباب، لأية لهجة من اللهجات البربرية إن يدعي متداولوها أنها هي اللغة البربرية الأم

أوالأصلية ..وهو ما يحتم، من منظور المحافظة على الوحدة الوطنية من جهة، ومن منظور الديمقراطية التي تخضع الأقلية إلى إرادة الأغلبية من جهة ثانية، ومن منظور ألا يمكن القضاء على اللغة العربية الفصحى في الجزائر وكل البلاد المغاربية، إلا بعد استئصال جذور الإسلام مثل الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، وهذا أمر مستحيل في الوقت الحاضر، فإن الحل الأمثل لهذا الطرح المفتعل وبعيدا عن الدوافع الاستعمارية الفرنسية، (التي اشرنا إليها في فصول هذا الكتاب (...هو أن تتعايش جميع اللهجات العربية والبربرية على قدم المساواة في التداول اليومي والثقافة الشعبية والفلكلور، دون أية حساسية كما كان الشأن دائما منذ الفتح الإسلامي حتى الآن.

وفي هذا المعنى نذكر جوابا لفضيلة الشيخ محمد الغزالي عن سؤال وجه إليه أثناء إلقاء محاضرة في مدينة تيزي وزو(الجزائر ) (ديسمبر 1989) رآيه في اللهجات المحلية؟ فأجاب بالحرف الواحد : «أنا أرى أن العربية الفصحى، يجب إن تسود، وهذا ليس بدعا، فكل أصحاب الألسنة الأخرى يفضلون الفصحى، ويعلنون أنها لغة التخاطب، وخصوصا في المجالس الجادة وفي الخطب الرئيسية، وفي المحاورات المحترمة. أما الرجوع إلى اللهجات المحدودة، فهذا يكون سببا في تقسيم الأمة ونحن نريد التوحيد لا التقسيم، نعم قد تعني هذه اللهجات أصحابها وأنا لا أردهم عنها، وإنما الذي يهم هو أن تكون لغة العلم ولغة العالم هي العربية الفصحى وحدها، وعندي القرآن هو الأساس في تفضيل لغة على أخرى، فلغة القرآن عندي هي أهم لغة في الأرض لأنها لغة الوحي الخاتم.»

سابع عشر: إن الدعوة إلى ترسيم اللهجات العامية في الوطن العربي ليس له سوى النتائج التالية:

أ (القضاء على سيادة لغة القرآن في هذا الجزء من العالم الإسلامي بعد تقليص رقعة الخلافة، قبل إلغائها نهائياً باسم العلمانية والوطنية) القطرية الضيقة (في عشرينيات القرن الماضي). (1924)

ب - (تفتيت كل قطر عربي إلى عدة دول بحسب عدد اللهجات العربية وغير العربية المتداولة بين أفرادها إذا قدر لها أن ترسم وتعلم!!)

ج - (إحياء النعرات العرقية وربطها باللهجات، بحيث يصبح لكل لهجة محلية عرق واسم وقومية تمثلها على الرقعة الجغرافية الإقليمية أو القطرية لأن الأمازيغية المرجعية الواحدة غير موجودة، ولن توجد في المستقبل والتاريخ بيننا!؟)

د - (القضاء على الرابطة الأولى التي ما تزال تربط العرب في الوقت الحاضر وتبرر وجود الجامعة العربية) ولوصوريا، والقضاء بالتالي على أي احتمال مستقبلي لأنبعاث متجدد للحضارة الإسلامية لتعود مثلما كانت عليه - لعدة قرون خلت - على اعتبار إن لا حضارة ذات طابع خاص بدون لغة واحدة.

وحضارتنا التي وجدت وسادت هي حضارة إسلامية الروح والفكر، عربية اللسان والبيان، ونظراً لأن حضارات الأمم تحمل أسماء لغاتها فإن تعدد الأمم يعني تعدد اللغات، والإسلام لا يعترف إلا بأمة واحدة كما ورد في القرآن الكريم: (وإن هذه

أمتكم امة واحدة). (1)

هـ - (إن التغاضي عن سيادة الفصحى في كل الأقطار الإسلامية عموماً، والعربية على وجه الخصوص، معناه تكرار مأساة الأندلس مرات عديدة في البلاد العربية، حيث ستظهر من داخل هذه الأقطار وبإيعاز من الخارج (...)) تيارات صليبية وشعبوية حاقدة على كل ما هو مسلم وناطق بالعربية، على اعتبار انه دخيل، وتعم الظاهرة اللبنانية والفلسطينية والسودانية والقبرصية في العديد من البلاد التي تظن نفسها في مأمن من هذا الخطر المتنامي تحت السطح سواء في المغرب أوالمشرق على حد سواء، لأن العرب إذا كانوا غير مباينين، أوغافلين، فالاستعمار الصليبي الغربي والشرقي غير نائم، ولا يهدأ له بال إلا عندما يتأكد من زوال شبح الأمة المحمدية الموحدة التي أقضت مضاجعه منذ وجدت حاضرة وغائبة أو « مغيبة!! »

**ثامن عشر:** وللإجابة في الختام عن ادعاءات ومطالب أولئك الذين يريدون أن يوقفوا التاريخ ويعودوا « بالأمة » في أقطارها المغربية إلى عهد الاحتلال الروماني متذرعين « بالأصالة » و«الجزارة » و«التاريخ الوطني » و«الشخصية » «أو»الهوية « الوطنية التي يصرون في كل نداءاتهم، وشعاراتهم، وتصريحاتهم الرسمية وغير الرسمية، بأنها ذات التركيب أوالترتيب الثلاثي :

---

<sup>31</sup>(1) سورة الأنبياء، الآية 29 ، وانظر للمؤلف حول هذا الموضوع كتاب هل

نحن أمة؟ دار الأمة، الجزائر.

«أمازيغية عربية إسلامية (...)» «نقول لهم بأننا نوافق على هذا  
المطلب وهذا الطرح أو هذا التركيب أو الترتيب، بشرط إن يكون  
(كما هو الشأن في فرنسا ذاتها، وفي جميع البلاد العربية الإسلامية  
الحالية) ترتيباً عمودياً في الزمان، وليس تمزيقاً أفقياً في المكان!!  
(كما أوردنا أمثلة عن ذلك في الفصل الرابع عشر).

ويبقى من المستحيل التمييز بين البربري الأصل والعربي  
الأصل، ولا التركي، ولا الإيطالي ولا الإسباني في بلاد المغرب  
العربي التي تلتقي فيها معظم الأعراق البشرية مثل فرنسا  
الحالية، التي لا يجمع بين سكانها في الوقت الحاضر إلا حق  
المواطنة في إطار سيادة اللغة الفرنسية وجنسياتها! !

ونحن إذا لم يكن بإمكاننا، ولا من صلاحياتنا أن نطلب من  
المستعمر أن يتخلى عن وظيفته وعن «لقمة» عيشه... إلا أنه  
يمكننا. وهذا من حقنا - أن نقف به، في عقر داره، فيما فعله  
ويفعله مع أبنائه، فهذا هو الوضع الذي توجد عليه الشجرة  
الجزائرية والمغربية والموريطانية والتونسية والليبية ضمن  
البلدان العربية الإسلامي في الوقت الحاضر، ويبقى كل شيء  
ممكناً في عالم الإنسان المتقلب - دوماً - عبر الزمان والمكان من  
قرطبة وصقلية، إلى طشقند وسامرقند، مروراً بكابول ولبنان،  
والقدس والسودان، وموريطانيا والسينغال والعراق وطهران...

والكلمة الأخيرة والفاصلة ستكون - ولا شك - للشعب  
الأصيل في هذه الديار المغاربية الذي ما قال يوماً لفرنسا، ولا  
لعملائها» نعم «عندما يترك حراً، أمام صناديق الاقتراع،  
والاستفتاء على تقرير المصير... والتاريخ سيظل بيننا هو الشاهد

الأمين!!

وهذا هو سر تناقض فرنسا مع نفسها حين تدّعي أنها أم الحرية والديمقراطية والأخوة والمساواة، وهي في ممارستها معنا عبر التاريخ تعتبر من أعدى أعداء الحرية والديمقراطية في بلادنا، والواقع» الديكتاتوري «و»التزويرقراطي «والمدعم منها بكل الوسائل المادية والمعنوية الظاهرة والخفية، مما لا يحتاج إلى المزيد من الإضافة إلى ما أوردناه بين دفتي هذا الكتاب من الأدلة على علاقة فرنسا الرسمية والشعبية، بالأطروحة «البربرنسية» «في الأقطار المغربية، المتوسطية، والإفريقية الفرنكوفونية، وغير الفرنكوفونية، وتلك هي القضية التي يجب أن تشد إليها الرحال الوطنية والسياسية الرسمية والشعبية !!

وختاماً نقول إن الذين يحاولون اليوم تمزيق وحدة الأمة في الجزائر بالبحث عن هوية أو هويات أخرى جديدة هم الذين كانوا يفرنسون الجزائر قبل الاستقلال وبعده تحت شعار «اللغة وسيلة للتنمية» وعندما وصلوا إلى الإفلاس المادي والمعنوي وبدأت الجزائر تدرك الخطر وتحاول استرجاع أهم مقومات هويتها والمتمثل في بداية تعميم اللغة الوطنية وإعادة الاعتبار إلى شريعة دينها في أواخر القرن الماضي. بدأوا يبحثون عن البديل اللغوي من العدم للتمكين للغة العدو من اكتساب الشرعية في السيادة التي لم تكن تحلم بها حتى أثناء الاحتلال الفرنسي الطويل المباشر!!

وعندما نتحدث عن العموميات الثقافية وعن الهوية لأي شعب كان، فالذي يهمننا هو القاعدة العامة والغالبة وليس الاستثناء الموجود في كل أنحاء العالم، وفي جميع المجتمعات والأمم، فالذي يجب أن يعمل من أجله أبناء الأمة الواحدة والموحدة، هو مواصلة الجهاد من أجل الحيلولة دون تحول الاستثناء إلى قاعدة، وتحول الأقلية الهامشية إلى «أغلبية» فاعلة أو «نائبه للفاعل» في غياب الاختيار الشعبي الحر والنزيه في الصناديق الوطنية الشفافة!

إذا أمكن للمرء أن يكتسب عدة جنسيات وجوازات سفر في الوقت ذاته، فإنه لا يمكنه أبدا أن يكون ذا هويتين مختلفتين في الوقت ذاته، وذلك لأن الهوية مثل الأم والشعب مثل الطفل، ومثلما لا يُعقل أن يكون للطفل أمان اثنتان أو ثلاث، فلا يعقل أيضا أن يكون للشعب الموحد هويتان مختلفتان أو أكثر. فإما أن يكون الشعب ذا هوية واحدة أولا يكون على الإطلاق!

وختاما نقول: إذا كان الاحتلال قد حمل معه - رغما عنه - بذور الاستقلال، فإن الاستقلال أيضا قد يحمل في طياته بذور الاحتلال كما أثبتنا ذلك من أقوال الجنرال ديغول ذاته، بدليل أننا كنا مستقلين (قبل 1830) فاحتلنا وكنا محتلين (قبل 1962) فاستقلنا، وهو ما يجعل المسؤولية واجبة الوقوع على كل جيل من الأجيال، لأن الأيام ما

فتنتت تؤكد لنا أنه لا يوجد احتلال دائم ولا استقلال دائم وإنما يوجد استعداد دائم بالموقف الحازم، والجهاد القائم، إن بدماء الشهداء أو بمداد العلماء السابقين والحاضرين في أهم الميادين...

وإن المعركة ما تزال قائمة على أشدها، وستزداد استفحالا في المستقبل، إلى أن يتحقق الاستقلال التام لأرض الموحدين السابقين واللاحقين، الشهداء منهم والشرفاء الذين يفرقون بين الشرف والعلف، والجنسية والهوية، ويميزون بين الغاية والوسيلة والأمة والقبيلة.

تلكم هي أبعاد وخلفيات وأهداف الأطروحة البربرية في البلاد المغربية.

اللهم اشهد أننا قد بلغنا بالقلم واللسان، وهو أوسط الإيمان فيما تبقى

لنا من إمكان في هذا الزمان!!

# الملاحق

- الملحق رقم 1 : وثيقة الصومام
- الملحق رقم 2 : بيرفيت، المخابرات ومنطقة القبائل.
- الملحق رقم 3: لائحة رفض من المجلس التاريخي للولاية الأولى.
- الملحق رقم 4: لائحة رفض من المجلس التاريخي الموسع.
- الملحق رقم 5: رسالة من مدينة بجاية: لا للنزعة البربرية.
- الملحق رقم 6: رأي الأستاذ محمد البصري في المسألة البربرية.
- الملحق رقم 7: رأي المستشرق الفرنسي جاك بيرك.
- الملحق رقم 8: المسألة الأمازيغية في المغرب العربي (مقابلة مع قناة العالم).
- الملحق رقم 9: اللغة الأمازيغية ضحية «البريكولاج».

**الملحق رقم 10:** تدريس الأمازيغية بالحرف اللاتيني لا يخدم إلا الفرنسية.

**الملحق رقم 11:** وزارة التربية تتحمل مسؤولية تراجع تعليم الأمازيغية.

**الملحق رقم 12:** شهادة المجاهد سيد علي عبد الحميد (أحد قادة الحركة الوطنية الجزائرية) حول علاقة البربرية بالشيوعية.

**الملحق رقم: 2**

علاقة المخابرات الفرنسية بالحركة البربرية في الجزائر هذه مجموعة من الوثائق الرسمية والتعليق الصحفية عليها، وهي منشورة ضمن ملف خاص انفردت به مجلة ليبراسيون الفرنسية في عددها الصادر يوم 1980/07/08.  
(الترجمة للمؤلف)  
جريدة ليبراسيون: 8 جويلية 1980  
الركن السياسي

### «بيرفيت» المخابرات ومنطقة القبائل (العنوان الأول)

بمناسبة انعكاسات قضائية لقضية قديمة، ومناورات مؤسسة قديمة (الأكاديمية البربرية)، نلاحظ تسرب شبح المخابرات الفرنسية والجزائرية. وضمن هذا الديكور، فوجئنا!؟ بتوقيع آلان بيرفيت، حافظ الأختام نفسه، على وثيقة أقل ما يقال عنها أنها عبارة على تدخل خطير في شؤون القضاء في فرنسا من جهة، والشؤون الداخلية للجزائر من جهة أخرى، وهذا يؤكد حتما، أن الاهتمام بالحركة البربرية والهوية الثقافية القبائلية كبير في أوساط الحكومة الفرنسية.

### عندما «يهتم» حافظ الأختام وزير العدل والمخابرات الفرنسية والجزائرية بالحركة البربرية

إن حافظ الأختام رجل غير حذر، فرغم تكذيبه الخبير المتعلق بوثيقة حررت بيده، وكشفت خيانة أصدقائه من التجمع من أجل الجمهورية أر بي أر، إلا أنه لا يستطيع إقناع الرأي العام، وننشر هذه المرة وثيقة يتهم من خلالها وزير العدل بالتدخل الواضح في الشؤون الداخلية الجزائرية، إذ أن الأمر يتعلق، لا أكثر ولا أقل، بالاستغلال الأمثل للخصوصية البربرية في فرنسا لخدمة مصالح باريس، وبنوي وزير العدل في الأخير التدخل في ملف جنائي يوجد في مرحلة التحقيق.  
ضجتان جديدتان ستهم من دون شك «الإليزي» (الرناسة)، و«الكي دورسي»:

حافظ الأختام

وزير العدل

أ. ج / د. د

31 ماي 1978

باريس في

سيدي المحترم،

لقد اهتمت كثيرا بمذكرتكم حول أهمية الظاهرة البربرية في المغرب، والمنفعة التي تستطيع بلادنا أن تجنيها إذا عرفت كيف تلعب بالخصوصية البربرية. أنتم فعلا على حق، وأنا متيقن من ذلك، وباستطاعتنا أن نأخذ بعين الاعتبار هذه الخصوصية، خاصة فوق التراب الوطني (الفرنسي). سأبعث بنسخة من مذكرتكم هذه إلى كل من وزير الداخلية ووزير الشؤون الخارجية.

وفيما يتعلق بوضعية السيد محند بسعود، سأطلع على الملف وسأرى فيما إذا أمكن إعادة النظر فيها!  
تقبلوا سيدي، أسمى عبارات مشاعري.

آلان بيرفيت

السيد «جاك بينات»

رئيس بلدية «بوسك - لو - هارد».

5، شارع فافان،

75006، باريس

### الملحق رقم: 3

#### لائحة رفض من المجلس التاريخي للولاية الأولى

نحن أعضاء المجلس التاريخي للولاية الأولى- أوراس النمامشة -وأمناء الولايات الإدارية لكل من) باتنة، تبسة، خنشلة، أم البواقي، سطيف، برج بوعريريج (ومندوبو النواحي للمجاهدين لولاية باتنة، المجتمعون في مقر الأمانة الولائية للمنظمة الوطنية للمجاهدين، شارع ابن باديس، يومي السبت والأحد 11 و12 ذو القعدة 1416 هـ، الموافق لـ 30 و31 مارس 1996 م.

وبعد النقاش الواسع والتحليل المستفيض، حول أسباب ودوافع وأهداف الحركة الأمازيغية، وقضية عقد المهرجان أو المؤتمر العالمي حول الأمازيغية في باتنة، عاصمة الولاية الأولى التاريخية، وفي هذا الوقت بالذات.

ودعوة ما يقارب ألفين من دعاة الأمازيغية، لحضور هذا المؤتمر، وتخصيص الملايير من أموال الشعب التي كنا نود أن نتفق في صالحه، وليس لتغطية تكاليف هذا المهرجان أو المؤتمر، الذي يخفي من ورائه مشروعا تخريبيا يهدد البلاد في وحدتها الوطنية، ويحارب اللغة العربية والإسلام نيابة عن فرنسا، ضمن مشروع تأمري على وحدة الشعب التاريخية واللغوية، تحت إشراف المكتب العالمي للأمازيغية، وتكوين جمعيات وطنية ومحلية تحظى بالدعم المطلق المادي والسياسي، ولا يمثل أصحابها إلا أنفسهم.

وقد سبق لعدد كبير من الجمعيات التاريخية والثقافية، والمنظمات والاتحادية الطلابية، أن قدمت بيانات شديدة اللهجة، قوية الحجة إلى رئاسة الدولة، والحكومة، في شأن خطر الحركة الأمازيغية، بيان 21 نوفمبر 1994 ، وبيان 16 ماي 1995 ، والرسالة الموجهة لرئيس الحكومة في 15 جانفي 1995 ، وددنا لو أنها أخذت بعين الاعتبار.

وبعد تأكدنا من الدوافع والأهداف الخطيرة لهذه الحركة المشبوهة، التي تسعى إلى زرع وتغذية الفتنة اللغوية، قصد إيجاد طرف ثالث في الصراع اللغوي، لتكريس هيمنة اللغة الفرنسية، والمساس باستقرار الأمة.

- فإننا نؤكد، باسم ومجاهدي الولاية الأولى التاريخية- أوراس النمامشة -مايلي:
- 1- الرفض القطعي لعقد هذا المؤتمر أو المهرجان العالمي في مدينة باتنة، عاصمة الأوراس، في هذا التاريخ، أو غيره فيما بعد.
  - 2- التصدي لهذه الحركة الأمازيغية ومقاومتها في منطقة الأوراس، بكل الوسائل الممكنة، على مستوى الولايات الإدارية، مع دعوة مختلف الجمعيات والمنظمات والاتحادات إلى التصدي لها ومقاومتها دون هوادة، ومناشدة جميع ولايات القطر الجزائري، إلى القيام بنفس الدور، لحماية الشعب الجزائري، في وحدته الوطنية واللغوية والدينية والتاريخية، وسيادة دولته الفتية.
  - 3- نتمسك باحترام اللهجات البربرية كتراث شعبي مشترك، عبر العصور واعتبارها رافدا للغة العربية ، ونرفض تحويل هذا التراث، إلى مشروع تخريبي، تحت تسيير المحافظة السامية للأمازيغية، بإشراف المكتب العالمي للأمازيغية.
  - 4- التأكيد على أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال، ان تفرض لغة أخرى على الشعب الجزائري، إلا باستشارته عن طريق الاستفتاء، تجنباً للمس بثوابته ووحده، واحتراماً لسيادته، لا سيما في القضايا المصيرية.
- عن المجلس التاريخي للولاية الأولى وأمناء الولايات الإدارية ومجاهديها ومندوبي النواحي لولاية باتنة

### الموقعون على اللائحة :

- |                      |  |
|----------------------|--|
| رئيس المجلس التاريخي | - العقيد الحاج لخضر عبيد<br>للولاية الأولى |
| الأمين الولائي       | - محمد الهادي مسعوداني<br>للمجاهدين، باتنة |
| عضو المجلس           | - العقيد عثمان سعدي<br>التاريخي، تبسة      |
| عضو                  | - أحمد زمولي<br>المجلس التاريخي، تبسة      |
| الأمين               | - حفظ الله أحمد                            |

عضو المجلس	الولائي للمجاهدين، تبسة - محمد الهادي رزامية التاريخي، خنشلة
عضو الأمانة	- الطاهر بوشارب الولائية للمجاهدين، خنشلة
الأمين	- عباسي بوزيد الولائي للمجاهدين، خنشلة
عضو المجلس التاريخي،	- ملاح محمد الصالح م /عمار باتنة
عضو المجلس	- الرائد مصطفى مراردة التاريخي، باتنة
(عضو الأمانة الولائية	- محمد الشريف عايسي) جار الله للمجاهدين، باتنة
الأمين	- عمار معرف الولائي للمجاهدين، أم البواقي
عضو	- مختار فيلالي الأمانة الولائية للمجاهدين، باتنة
عضو	- محمد بزيان الأمانة الولائية للمجاهدين، باتنة
مجاهد،	- العربي مومن باتنة
مجاهد، باتنة	- عبد الحميد غنام
عضو الأمانة الولائية	- الحاج السعيد بن أحمد للمجاهدين، برج بوعريرج
عضو	- أحمد برق الأمانة الولائية للمجاهدين، باتنة
عضو الأمانة	- بلقاسم بوشارب الولائية للمجاهدين، سطيف

مندوب ناحية	- بخوش الصديق المجاهدين، أولاد سلام
مندوب ناحية	- رابحي الصغير المجاهدين، اشمول
مندوب ناحية	- بن فيالة محمد الصالح المجاهدين، ثنية العابد
مندوب	- محفوظ حريقة ناحية المجاهدين، راس العيون
مندوب ناحية	- عبد المجيد بن عمر المجاهدين، مروانة
مجاهد،	- محمد حقني باتنة
مجاهد، باتنة	- عبد الرحمن عطية
مندوب ناحية	- منصور بلقاسم المجاهدين، أريس
رئيس جمعية	- الواعي محمود أول نوفمبر، الأوراس
مندوب ناحية	- عبد الحميد حارك المجاهدين، الجزائر
مندوب ناحية	- عموري الدراجي المجاهدين، الشمرة
عضو	- عمار بلعقون المجلس التاريخي، باتنة
عضو	- مشتي الجمعي المجلس التاريخي، باتنة
مندوب ناحية	- مشتي الجمعي المجاهدين، عين التوتة
مندوب	- محمد ثاري

أمين قسمة	ناحية المجاهدين، بريكة - قيديم معجوج المجاهدين، بريكة
مندوب	- محمد جعرة ناحية المجاهدين، تكوت
مندوب ناحية	- بن دحمان صالح المجاهدين، باتنة
مندوب ناحية	- خنفوسي الطاهر المجاهدين، عين جاسر
عضو الأمانة	- موسى حجيرة الولائية للمجاهدين، باتنة
مندوب	- خبرارة صالح ناحية المجاهدين، نقاوس

### ملاحظة :

أيدتها بيانات الولايات التاريخية: الخامسة، السادسة، القاعدة الشرقية

## الملحق رقم: 4

### لائحة رفض من المجلس التاريخي الموسع(\*)

نحن رئيس وأعضاء المجلس التاريخي للولاية الأولى «الأوراس النمامشة، وأعضاء الأسرة الثورية بولاية باتنة، ومسؤولي وممثلي المنظمات، والجمعيات،

<sup>32</sup>(\*) - تراجعت المحافظة السامية للأمازيغية، وأصدرت بيانا في 1996/08/03، أعلنت

فيه إلغاء عقد ملتقى الأمازيغية بباتنة.

والاتحادات الطلابية، والشخصيات التاريخية والعلمية والثقافية والمجتمع المدني بصفة عامة، المجتمعين بمقر الأمانة الولائية للمجاهدين بباتنة، يوم الأربعاء فاتح ربيع الأول 1417 هـ الموافق لـ 17 جويلية 1996 م والموقعين أدناه.

1- بناء على البيان الصادر في 21 نوفمبر 1994 عن لجنة الدفاع عن الوحدة الوطنية وثوابت الأمة، المنبثقة من الأسرة الثورية والمنظمات الجمعيات والاتحادات الطلابية بولاية باتنة.

2- بناء على المراسلة الموجهة من لجنة الدفاع عن الوحدة الوطنية وثوابت الأمة، إلى السيد رئيس الحكومة في 15 جانفي 1995 والمتعلقة بالقضية الأمازيغية.

3- بناء على لائحة المجلس التاريخي للولاية الأولى، بتاريخ 31 مارس 1996، والمتعلقة برفض عقد مؤتمر الأمازيغي بباتنة.

4- بناء على البيان الصادر عن الندوة الجهوية للولاية الأولى التاريخية، المنعقدة بباتنة يومي 15/16 ماي 1996 في إطار التحضير للمؤتمر التاسع للمجاهدين والمتضمن رفض عقد مؤتمر الأمازيغية بباتنة.

5- بناء على مصادقة المؤتمر التاسع للمجاهدين، المنعقد لقصر الأمم من 29 إلى 31 ماي 1996، على موقف الولاية الأولى، من قضية رفض عقد مؤتمر الأمازيغية بباتنة.

6- بناء على مساندة الولايتين التاريخيتين الخامسة والسادسة، والقاعدة الشرقية وأسرة الثورة بولاية عين الدفلى، وجمعية محافظة ترقية التراث الثقافي لبلدية بجاية، والعديد من الأحزاب والجمعيات والشخصيات الوطنية، لموقف الولاية الأولى التاريخية الراضة لعقد مؤتمر الأمازيغية بباتنة.

بناء على ما سبق نسجل ما يلي:

1- نشيد بموقف الولايات التاريخية، ويعض الأحزاب والجمعيات والشخصيات التاريخية والعلمية، وكل المساندين والمؤيدين لموقف الولاية الأولى التاريخية، كما نشيد بما ورد في التوصيات الصادرة عن الملتقيين والوطنيين المنعقدين بباتنة وهما: ملتقى التعريب، وملتقى المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم، وكذا توصيات المؤتمر الجهوي للاتحاد الوطني للنساء الجزائريات، والمتعلقة برفض عقد مؤتمر الأمازيغية بباتنة.

2- نستنكر تصرفات المحافظة السامية للأمازيغية، التي تريد أن تتحدى موقف الأسرة الثورية، والمجتمع المدني، والشرائح الواسعة من أبناء الولاية الأولى التاريخية، وباقي الولايات والجمعيات والمنظمات، والمساندين من مختلف جهات الوطن، للموقف الرافض لعقد مؤتمر الأمازيغية في باتنة عاصمة الأوراس الأشم.

3- إيماننا منا بالدفاع عن الوحدة الوطنية والحفاظ على الثوابت الوطنية، والتمسك بمبادئ وقيم ثورة أول نوفمبر 1954 ، وتحسبا لما يترتب عن المؤتمر المزمع عقده بباتنة من فتن، وإثارة للنعرات، فإننا نرفض رفضا قاطعا عقد هذا الملتقى من مكانه وزمانه، حتى لا تتحول باتنة، رمز الوحدة الوطنية، إلى حقل للتجارب السياسية، وقاعدة للمخططات التغريبية.

4- مرة أخرى، نؤكد أمام الله والتاريخ، وأمام الشعب الجزائري وسلطات البلاد، أن الأوراس لا يتحمل العواقب التي تنجم عن انعقاد هذا الملتقى في باتنة من 24 إلى 30 أوت 1996 ، أو في موعد آخر، ويبقى المصريون على عقده يتحملون وحدهم النتائج السلبية التي قد تنجم عنه، والتي نحن في غنى عنها .

عن الموقعين /الأمانة الولائية للمجاهدين - باتنة.

## الملحق رقم: 5

رسالة من مدينة بجاية

## لا للنزعة البربرية(\*)

تجري هذه الأيام في مدينة بجاية أحداث في غاية الغرابة، بجاية المدينة التاريخية بأدابها وتقاليدها ولغتها وأهاليها.

ظهرت في السنوات الأخيرة عناصر مريبة تعمل على تشويه تراث بجاية العتيق باسم النزعة البربرية في القرن الخامس عشر هجري، بعد أن امتزج البربر بالعرب المسلمين في القرن الأول الهجري، وصاروا يكونون أسرة واحدة، عقيدتها الإيمان بالله الواحد الأحد لا شريك له، ولغتها لغة القرآن الكريم، اللغة العربية التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم - بمناسبة سوء سلوك بعض المنافقين تجاه بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي رضي الله عنهم لأنهم ليسوا عربا» :- ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما العربية هي اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي «صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عاش أجدادنا نتيجة هذا التمازج في وئام تام في ظل التعاليم الإسلامية المجيدة، فأنشئوا حضارة مزدهرة في المغرب والأندلس شهد بعظمتها ويشهد العدو قبل الصديق، ثم وبدون استئذان دخلت عناصر مشبوهة في ساحة حياتنا وهي تعمل على تنغيصها بما تنادي به من أفكار غريبة لا صلة لها بمجتمعنا وعقيدتنا وتاريخنا.

تنطلق أصوات تلك العناصر المشبوهة من الإدعاءات التالية:

- 1- العرب المسلمين كانوا مستعمرين ولم يكونوا فاتحين !
- 2- اللغة العربية لغة القرآن فرضت علينا، وليست لغتنا، والإسلام دين

---

<sup>33</sup>(\*) - الرسالة صادرة عن جمعية المحافظة وترقية التراث الثقافي لمدينة بجاية، وموقعة من

رئيسها الأستاذ سيد أحمد الطرابلسي. نشرتها «الشروق اليومي» في عددها 1996/06/18.

غريب عنا!

3- اللغة الفرنسية والمفرنسون أقرب إلينا من اللغة العربية والعرب.

### 1) العرب المسلمون كانوا مستعمرين !!

لم يتفوه بهذا الكلام غير منظري الاستعمار الفرنسي ليبرروا استعمارهم بلادنا، إنهم ما فتئوا يرددون: «إننا وجدنا الجزائر مستدمرة سنة 1830 ولم نفعل أكثر من افتكاكها من استعمار كانت ترزح تحته .»  
هذا الإدعاء باطل وذلك للاعتبارات الآتية:

**أولا:** إن العرب الفاتحين كانوا حاملين رسالة سماوية مهمتهم الأولى دعوة الناس إلى الإيمان بالله واحد لا شريك له، وأن محمد ابن عبد الله عبده ورسوله خاتم النبيين، دعوة الناس إلى التعاون على البر والتقوى، يقول سبحانه وتعالى: **(ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن اله عليم خبير)** صدق الله العظيم.

بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى.»

**ثانيا:** عدد البربر المسلمين الذين كانوا في جيش طارق بن زياد البربري الأصل كان بنسبة الثلثين، مقابل ثلث من العرب، لو كان قصد العرب المسلمين استعمار المغرب كما يدعي المغرضون، لما سمح لطارق بن زياد البربري تولي قيادة جيش المسلمين، مكون في أغلبيته من البربر، ولكنها العقيدة الإسلامية التي تسمو على كل اعتبار وتجعل المسؤولية في يد من يستحقها وجدير بها.

**ثالثا:** معظم الدول التي نشأت في المغرب منذ شرق شمس الإسلام على أرجائه إلى يومنا هذا، كانت ترأسها أسر غير عربية الأصل وإن كانت عربية اللسان، ابتداء من الرستميين ثم الحماديين، ثم الزيانيين، إلى غير ذلك من الدول التي تعاقبت على تسيير شؤون محربنا منذ الفتح الإسلامي.

### 2) اللغة العربية لغة القرآن فرضت علينا وليست لغتنا والإسلام دين

غريب عنا !!

أريد بادئ ذي بدء أن ألفت النظر إلى أن سكان منطقة القبائل على ما نعلم ومحن منهم، لم يفوضوا دعاة النزعة البربرية للتحدث باسمهم، أو تقرير

مصيرهم، أو تحديد هويتهم، لأن مصيرهم مصير كل الجزائريين وهويتهم هي هوية كل الجزائريين . وهذه الهوية موجودة مع وجودنا على هذه الأرض تضرب بجذورها في التاريخ، نحن بربر عربنا الإسلام، واعتنقنا الإسلام طواعية، فتوطدت صلتنا برب الكون العالمين، واتخذنا الإسلام منهجا في الحياة فتحولنا إلى سادة بعد أن كنا عبيدا تحت قياصرة اللاتين، وتبنينا لغة القرآن اللغة العربية بكل فخر واعتزاز، أجدادنا الذين أقاموا صرح الحضارة العربية الإسلامية في ربوع المغرب والأندلس لم يكونوا قاصرين أو بلهاء، وإنما كانوا راشدين واعين مدركين الفرصة التاريخية التي منحها إياهم الإسلام، فأخلصوا له وحملوا مشعله غربا وشرقا عاليا.

الثابت في تاريخنا أننا قبل الإسلام لم نملك لغة كتوبة وإنما انتشرت بيننا في العهد القرطاجي اللغة البونيقية ثم عرفنا اللاتينية في العهد الروماني، إلا أنها لن تتوغل في سواد شعبنا مثل البونيقية، بل انحصرت في الفئة العميلة للرومان.

### **3) اللغة الفرنسية والفرنسيون أقرب إلينا من اللغة العربية والعرب!!**

هذا الكلام ليس غريبا من أناس جعلوا قبلتهم باريس، كلما لجأوا إليها وما أكثر لجوءهم، استقبلهم رؤساء فرنسا بالأحضان مثل ما فعل ميتران وزوجته بمعطوب الناس، فاستقبلوه استقبال الوصي للقاصر أو المتبوع للتابع، فأغدقوا عليه العطايا والجوائز، لا لشيء إلا لأنه يمجّد اللغة الفرنسية والفرنسيين، ويحارب اللغة العربية والإسلام منذ سنة 1962 في الجزائر لما كانت اليوم قضية اسمها) تمازيغت.»

نستنتج من هذا التصريح ما يلي:

الدعوة إلى الأمازيغية دعوة مشبوهة تخفي مقاصد غير التي توهم الناس بها، إذ ماذا يعني كتابة هذه اللهجة بأحرف لاتينية! بكل صراحة يعني إبقاء الحرف اللاتيني حيا في حياتنا، وبالتالي يعني بقاء اللغة الفرنسية مسيطرة على دواليب حياتنا، فتكون الأمازيغية المكتوبة بالأحرف اللاتينية عبارة عن لغة فرنسية بالوكالة قليلا وقالبا.

هذه الدعوة شبيهة بالدعوة إلى الحضارة المتوسطية لمحاربة حضارتنا العربية الإسلامية، حضارة متوسطة في الاسم، وفرنسية في المعنى والقصد، ودعوة إلى حضارة متوسطة في الظاهر ودعوة إلى الاندماج في فرنسا في

حقيقة الأمر، أصحاب النزعة البربرية يريدون أن يمحووا تاريخنا العربي الإسلامي، الذي هو صفحات ناصعة في جبيننا، دول مستقلة معتزة بشخصيتها العربية والإسلامية ساهمت في تشييد أنبل وأعظم حضارة أخرجت للناس ألا وهي الحضارة العربية الإسلامية.

تريد النزعة البربرية ان تعيدنا إلى التبعية اللاتينية بعد ان حررنا الإسلام منها.

تريد النزعة البربرية أن تقضي على اللغة العربية لغتنا التي سجلت بها أنصع صفحات تاريخنا المجيد، وتحل محلها لهجة صنعت في مخابر فرنسا الاستعمارية، مكتوبة بالأحرف لاتينية لا تمت بصلة إلى شخصيتنا ولا إلى أصلتنا.

لا، لا، كفى مهزلة. إن الظروف الصعبة التي تواجه شعينا، والفراغ المتفشي في بعض القطاعات، لا ينبغي أن يتحول إلى مطية يركبها الانتهازيون والاندماجيون، ليزرعوا الفتنة بيننا، تدعمهم قوى تغريبية في الداخل وقوى أجنبية في الخارج، تعمل للإجهاز على هويتنا ووحدتنا.

إن مقاصد أصحاب النزعة البربرية صارت معروفة لكل الشعب الجزائري بما يطبق عليه من تضليل، ودعوة صريحة إلى الاندماج في فرنسا، وإلا كيف نفسر سلوك هذه الفئة التي لا تتعامل إلا باللغة الفرنسية وتمنع أتباعها التحدث باللغة العربية لغة الجزائريين.

إن الأحزاب السياسية التغريبية داعية الاندماج، التي عجزت عن افناع الشعب بمهاتراتها وسخافاتهما، راحت تستعمل دعاة النزعة البربرية في محاولة يائسة لتحقيق مقاصدها الدنيئة في منطقة القبائل.

**بجاية في 12 ذي الحجة 1416 هـ / 1996/4/30**

**رئيس جمعية محافظة وترقية التراث الثقافي**

**لمدينة بجاية سيد احمد الطرابلسي**

## الملحق رقم: 6

### رأي الأستاذ محمد البصري(\*) في المسألة البربرية

أنا من أصل بربري... ومع ذلك فإن تاريخي النضالي على مدى خمسين عاما قد ارتبط بالوطنية المغربية والقومية العربية.  
لا توجد مسألة بربرية بالمعنى السياسي الحقيقي للكلمة - مثلما توجد مثلا مسألة كردية في العراق أو مسألة جنوب السودان، ناهيك عن المسألة الطائفية

---

34(\*) - أحد السياسيين المغاربة المعروفين مغربيا وعربيا، والمناضلين في سبيل توحيد شعوب الأمة العربية وتحريرها من الاستعمار والاستبداد.

في لبنان. فالبربر مندمجون تماما في مجتمعهم بشمال إفريقيا بسبب الرابطة الإسلامية، وبسبب التزاوج المستمر، وبلا عقد عنصرية بين العرب والبربر، فوالدة الملك بربرية، وزوجته بربرية... والكثير من أسر المغرب تجد فيها الأب أو الأم من البربر...

إن المشكلة في نظري مشكلة مصالح اقتصادية - سياسية، ومشكلة ديمقراطية في المغرب. فالذين يثيرون المسألة البربرية مثلما هو الحال في الجزائر مثلا، يفعلون ذلك حفاظا على مصالحهم الاقتصادية والوظيفية في جهاز الدولة والإدارة الجزائرية. وهؤلاء هم بربر منطقة القبائل الذين تفرسوا لغة منذ وقت طويل، ومن ثم مكنهم الاستعمار من شغل كثير من المواقع الثانوية في الإدارة والتجارة، وخاصة في العاصمة، التي تقع قرب منطقة القبائل. وحين حصلت الجزائر على الاستقلال كان هؤلاء هم الكوادر الوحيدة المدربة، فانتقلوا من المواقع الثانوية إلى المواقع الرئيسية الأولى التي أخلاها الأوروبيون في أجهزة الإدارة والخدمات والإنتاج. ومع اشتداد موجة التعريب في الجزائر بات هؤلاء يشعرون بالخطر على مصالحهم المكتسبة فرفعوا شعار الثقافة البربرية حيناً وشعار الثقافة الجزائرية حيناً آخر في مواجهة التعريب والثقافة العربية... أما في المغرب فلا تعدو المسألة أن تكون جزءاً من اللعبة السياسية» فرق تسد. «وقد وجدت بعض القيادات المغربية ذات الأصول البربرية والتي ليس لها قبول شعبي - إما لغياب تاريخ نضالي لها أو لغياب برنامج سياسي اجتماعي تقدمي لها - وجدت أن وسيلتها للوصول إلى السلطة أو المشاركة فيها هي أن تستغل هذه النعرة العنصرية... ولا ينجح هذا الاستغلال إلا في أكثر مناطق المغرب تخلفاً، وهي منطقة الأطلس. ولكن هذا الحزب لو نزل إلى الدار البيضاء، ونصفها على الأقل من أصول بربرية، فلا فرصة أمامه في النجاح. فبربر المدن لا يستجيبون لمثل هذه الدعوات العنصرية المتخلفة...»

في الواقع أن من يدعو إلى الثقافة البربرية في مواجهة الثقافة العربية، ينتهي موضوعياً إلى الدعوة إلى الثقافة الفرنسية، حتى عن غير قصد. فحيث أن البربرية لغة غير مكتوبة ولا يوجد لها تراث مكتوب، فإن المناهض للعروبة والعربية سينتهي حتماً إلى الأخذ بأحد اللغات العنصرية الأخرى. ولما كانت الفرنسية هي الأقرب والأقوى، وهي المتاحة على أي الأحوال، فإن هؤلاء الدعاة

سيأخذون بها... من هنا ليس صدفة أن فرنسا هي المشجعة الأولى والرئيسية لحركة الثقافة البربرية. فهي تدرك أن الذين ينجذبون إلى هذه الدعوة سينتهون موضوعيا في مجرى فرنسا والثقافة الفرنسية. وإذا كان لي كبربري أن أختار لغة وثقافة غير بربرية، فالعربية هي اختياري، وهي اللغة الوطنية، وهي لغة الإسلام، وهي وسيلتي إلى تراث العرب والمسلمين، ووسيلتي إلى مستقبل قومي عربي مشترك مع بقية الشعوب العربية...»

## الملحق رقم: 7

رأي المستشرق الفرنسي جاك بيرك (\*) Berque Jacques

---

35(\*) - حديث أجراه مراسل صحيفة الأهرام المصرية د/ سعيد اللاوندي، مع المستشرق

\_وسألت الأستاذ جاك بيرك عن رأيه في ما يدور من حديث حول ما يسمى بالصحة البربرية في وسط القبائل بالجزائر، فأجاب يقول:  
البربر هم قبائل متوسطة قديمة، يرجع تاريخها في المنطقة إلى القرن الثاني عشر قبل المسيح، وكنت قد اهتمت بهم مثل كثير من المستشرقين ، ولكني وجهت اهتمامي وأبحاثي وجهة علمية أكاديمية لا سياسية، لأن الدوائر الاستعمارية كانت تبذل جهودا مضنية لغرس الفتن بين العرب من ناحية، والبربر من ناحية أخرى، في إطار سياسة الشقاق، التي كانت تمارسها بفرض ضرب وحدة هذه البلاد، كما انها كانت أول من وضع فكرة العروبة، في مواجهة فكرة البربرية، وترجيح إحداها على الأخرى حسبما تقضي بذلك مصلحته.

وفي أثناء حرب التحرير الجزائرية كانت المفاجئة التي أذهلت الاستعمار الفرنسي، أن البربر وقفوا إلى جانب إخوانهم العرب في صفوف المقاومة، مطالبين بالاستقلال.

\_لكن ألا تعتبر عودة البربر للمطالبة بحقوق سياسية خاصة بهم، انتصارا للمخطط الاستعماري القديم؟

لا أنكر أن هذا المخطط قد نجح إلى حد ما، لكن لا تنسى أن هناك عوامل عديدة تلعب هذا الاتجاه، منها إخفاق الموجة التحريرية المصبوغة بالعروبة. وفيما يتعلق بالمطلب الخاص باللغة، لا اعتقد أنه مطلب مشروع لأنه سيؤدي في النهاية إلى انقسام الولاء. وكنت قد وجهت اللوم إلى صديقي عبد الكريم غلاب صاحب جريدة العلم بالمغرب الأقصى الذي تقدم بمشروع يقضي بتدريس اللغة الأمازيغية (في البربرية) في المدارس المغربية بطريقة إلزامية، وقلت له: «لست على حق في ذلك. إذا كيف تجبر أطفال مدينة فاس العربية على تعلم اللغة الأمازيغية، وذكرت له أن الحل الأمثل الذي أراه، هو نفس الحل الذي أراه

بالنسبة لبعض اللهجات الفرنسية في منطقتي الباسك او بروتاني، إذ يمكن أن تكون هذه اللغات اختيارية لا إجبارية على الطالب في فرنسا.

## الملحق رقم: 8

### المسألة الأمازيغية في المغرب العربي(\*)

\_مقدم البرنامج: ألم تطلق فرنسا لقب النمر على العقيد عميروش الأمازيغي الحر، الذي لقن فرنسا درسا في دفاع الشعوب المستضعفة، لماذا شكلت فرنسا الظهير البربري؟ ولماذا يريد بعض النخب البربرية الانفصال عن السلطات المركزية في المغرب العربي؟ هل هناك مشاريع تقسيميه في الأفق؟  
دكتور أحمد بن نعمان، كتبت كثيرا في المسألة الأمازيغية، واعتبر كتابك «فرنسا والأطروحة البربرية» مرجعا مهما في فهم تضاريس المسألة الأمازيغية في الجزائر، بداية من هم الأمازيغ وما هي حقيقتهم في المغرب العربي؟  
بن نعمان: أود أن أقف عند نقطة مهمة لفتت انتباهي في التقرير الذي قدم على الشاشة قبل حين وهي كلمة أمازيغ قبل الإسلام وأمازيغ بعد الإسلام، فأنا لا أريد أن أدخل وأتغلغل في التاريخ، لأن هذا من اختصاص المؤرخين، وقد تكلموا كثيرا في هذا الجانب، وأظن أننا لسنا هنا لنبحث في أعماق التاريخ، وإنما نأخذ منه فقط ما يفيدنا لفهم الحاضر واستشراف المستقبل، أعود إلى كلمة «أمازيغي» وأقول إن المنطقة التي تسمى المغرب العربي جغرافيا وديموغرافيا في الوقت الحاضر،

<sup>36</sup>(\*) - مناظرة أجرتها قناة «العالم»، ضمن برنامج «ملفات مغربية» بين المؤلف من

ستوديو بيروت، والأستاذ أحمد الداغري من الرباط (عبر القمر الاصطناعي)، وأنور مالك من باريس، أدار المقابلة معد البرنامج الأستاذ يحيى أبو زكري، وقد بثت عدة مرات خلال شهر مارس 2008 (وهي موجودة على موقع المؤلف في اليوتيوب) بالصوت والصورة.



وإلى الطريق المستقيم، ولم تكن أبدا من مهام الإسلام كما أفهمه من الأخ أن يصهر أحدا، وأقول له عار عليك أن تنسب إلى ديننا كلمة الانصهار.

ثانيا: أطلب من هؤلاء أن لا يمنوا علينا بالإسلام، فحن مسلمون ونقود إسلامنا كما نريد، ولا ننتظر منهم أن يعطونا درسا في الإسلام، فالراية التي حملها أجداننا في إسلامهم نتحملها نحن أيضا، ولا يمن علينا أي جنس أو أي عرق بديننا الإسلام، ولكن أود أن أشير هنا إلى تجربتين عربيتين أراهما جديرتين بالتوقف عندهما، ألا وهما العراق وموريتانيا، فدستور العراق الذي بيدل تماما من عراق قومي عربي إلى عراق تعددي تسامحي، يعترف بجميع قومياته، ولدينا في المغرب العربي دولة موريتانيا التي خرجت من نظام العبودية إلى نظام جديد بدستور، يقر التعدد والتمثيل.

**\_مقدم البرنامج:** أنتم تتجنون علينا، أنتم تصادرون حق أمة في الوجود، أنتم تريدون إزالة أمم، فيما الإسلام جاء ليعايش الشعوب فيما بينها، لا أن يزيل الأمم هذا ما قاله أحمد الداغرني، كيف ترد على كلامه؟

**بن نعمان:** لا أعرف إن كان الطرف المقابل يعي ما يقول، عندما ينفي بأن الإسلام جاء ليصهر الشعوب، أنا أقول إن هذا الإسلام الذي جعل قلوب ملايين البشر الذين اعتنقوه في قلب واحد، ونحن نحياه في كل سنة في الحج وفي يوم عرفة بالذات حيث نجد أكثر من 3 ملايين شخص من مختلف الأجناس والأقطار والأمصار في قلب واحد، ما الذي جعلهم يصبحون ذوي قلب واحد وقبلة واحدة، كجسد واحد امتثالا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ كيف يصبحون إخوة وهم أعداء متفرقون وغير منصهرين كالجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى!!

**\_مقدم البرنامج:** لا ينكر أحد أن الأمازيغ قدموا خدمات جليلة للحضارة الإسلامية وكانوا في طليعة المدافعين عن الأمة المغاربية في وجه الاحتلالات الفينيقية، الرومانية، الوندالية والفرنسية، ولكن ما يهمنى اليوم هو تسييس المسألة الأمازيغية، كيف تفسر مطالبة أحزاب أمازيغية في الجزائر وفي المغرب بقضايا سياسية تتخر صميم الوجود المغاربي؟

**بن نعمان:** أخذ الجواب من كلام الأخ المحاور من المغرب، هو أتى بمثال حي، وقال إن العراق غير دستوره لكي يمحو انتماء هوية العراق الشقيق العربية الإسلامية، مهد بيت الحكمة، ومهد الحضارة الإسلامية التي علمت العالم

لمدة عشرة قرون، يريد اليوم أن يفتته ويصنع فيه دولة كردستان، فهذا الذي صنع لنا كردستان في العراق هو نفسه الذي يريد أن يصنع لنا أيضا «بربرستان» بأمثاله في المغرب العربي!!

**مقدم البرنامج: أنتم متهمون بصناعة دولة» بربرستان «في المغرب العربي كيف ترد على ذلك؟**

**الداغرني:** أنا لا أسميه مغرب عربي، هو مغرب فقط، فهذه التسمية عنصرية، تمحو كل الأجناس المتواجدة في هذه المنطقة، فنحن زنوج، صفر، نحن أقوام إفريقية مختلفة، لا يصح أن نطلق عليه كلمة عربي، وإن كان العرب يعيشون معنا وهم عائلتنا، ومواطنو بلدنا، ولكن النزعة التقليدية التي يدعو إليها بعض العناصر التقليدية هي التي ولدت هذه النزعات والحزبات بين العرب والأمازيغ، ومع ذلك فأنا أحترم آراءهم، فنحن مسلمون جدد، لدينا برنامج جديد تعددي تمثيلي، ولكنهم هم ليسوا حداثيين، فقد أكل عليهم الدهر وشرب، فهم مريضون بما يسمى الوحدة والتدويل، حرام عليهم أن يوحدوا أناسا بالإكراه، والدين الإسلامي يحرم ذلك، حيث يقول الله تعالى: (بأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم). فهم لا يتقون الله فينا بأننا لسنا عربا.

**مقدم البرنامج: لماذا أنتم ضد التعددية العرقية والدينية، ما المانع في أن تعترفوا بحق الأمازيغ في تحقيق مطالبهم السياسية والثقافية؟**

**بن نعمان:** سؤالك فيه شقان، فأما أننا ضد التعددية فهذا غير صحيح، فأنا أتحدى هنا حكام الغرب كلهم أن يتركونا أحرارًا في اختيار من يحكمنا دون استعمال الطرق» التزوير وقرابية «المعروفة والمكشوفة أمام العالم كله، ثانيا إن الزميل من المغرب الشقيق فتح قوسا يذكر فيه أن موريتانيا كانت تسير بنظام الرق، أقول له إن الإسلام هو الذي حرر البشرية من الرق، وجعل ذلك عبادة من العبادات، فإذا انحرف البعض عن الإسلام، فهذا ليس ذنب الإسلام، بل هو ذنب المنحرفين عنه وهدمهم، وأضيف أن موريتانيا الديمقراطية التي يستشهد بها ويستعطف شعبها، فهذه هي نتيجة ترك الشعب الموريتاني حرا، وأنت ترى أنه عندما نزعنا الكمامات من أفواه أبنائه الأحرار هم الآن يطالبون بأمور كثيرة لم تكن موجودة قبل سنتين، واعتقد أن

صاحبنا يعرف جيدا ما أعني) المقصود المطالبة بطرد سفير الكيان الصهيوني المجرم من عاصمة بلاده، وما يجب أن يعلمه جيدا هو أن الشعب الموريتاني من أكثر الشعوب المغاربية عروبة لسانا ووجدانا وإسلاما، فهو الآن) أقصد المحاور من المغرب (يحاول أن يلعب على ورقة العرق والدماء، فهل الشعب الموريتاني الشقيق غير دماءه سنة 1974 ، عندما انضم طواعية إلى الجامعة العربية، فهل لو لم تكن الجامعة العربية موجودة لا يكونون ناطقين بلسان القرآن، وقد كانوا كذلك منذ أن أصبحوا بلد الألف شاعر فصيح !بل الأكثر من ذلك هل اليهود المغاربة الذين كان أجدادهم منذ القدم في المغرب لم يكونوا أمازيغ أحرارا، لماذا خضعوا والتزموا بقوانين اللغة العبرية عندما ذهبوا إلى إسرائيل وذابوا هناك في هوية وطنية واحدة، لماذا لم يطالبوا بالاستقلال بهويتهم البربرية المغربية عن إسرائيل العنصرية هناك ضد كل من هم غير يهود.

**\_مقدم البرنامج:** يقول لك الدكتور أحمد بن نعمان، إنكم تطالبون باستئصال العرب من شمال إفريقيا، في نفس الوقت تطالبون فيه بنسج علاقات قوية مع اليهود، وأنت شخصا في مقابلة صحفية تقول إن الكثير من الأمازيغ يدينون باليهودية، أليس من المفارقة أن يكون جارك الأقرب إليك عدوا والبعيد عنك جغرافيا ودينيا صديقا؟

**الداغرني:** في البداية أنا لم أقل بطرد العرب، هذا زور يوجهه الأخ وأمثاله في المغرب كرشيد نيني، ومصطفى العلوي اللذين يروجان لهذه الدعاية الجهنمية، فالعرب مواطنون بالمغرب ولم نطالب أبدا بطردهم، وليكن هذا واضحا، فالعرب في وطننا لهم حقوق المواطنة، وكلام الأخ دليل على أنه لم يقرأ برنامجنا السياسي، فلو قرأه لاكتشف أننا نقبل بتعدد الأديان، وبالإسلام كدين لنا ولأجدادنا، ونقبل باليهودية والمسيحية كأديان من أديان بلدنا، ونؤمن بالحدثة وبالتعددية والديمقراطية، وهذا ما ينكره هؤلاء.

**\_مقدم البرنامج:** هناك اتهامات تطاولكم الدكتور أحمد بن نعمان، أنتم متحجرون تنتمون إلى المدرسة القومية التي أكل عليها الدهر وشرب، ماذا تقول؟

**بن نعمان:** بناء على ما قاله زميلنا في المغرب، هناك يهود برابرة بقوا

على يهوديتهم قبل الإسلام وبعد الإسلام، فبعد الإسلام هناك عبد الله بن سلام من أكبر الصحابة) وأقربهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهناك في الوقت ذاته عبد الله بن سلول أكبر المنافقين في التاريخ، وبما أن زميلنا اسمه أحمد، فأني أظنه مسلماً، لأن اليهود لا يسمون أحمد أبداً، فأنا أسأله إن كان من مدرسة عبد الله بن سلام الذي غير الإسلام قلبه، فأصبح جزءاً من الأمة والقومية المحمدية التي يحاربها هو اليوم متحالفاً في حربه لها مع الشيطان الأكبر والأصغر، أم هو من مدرسة عبد الله بن سلول في القرن العشرين على رأس المنافقين؟!

**مقدم البرنامج: لو نغوص في التاريخ لاحتجنا إلى آلاف الحلقات، لكن أنا شخصياً تجولت في المناطق الأمازيغية مثل بجاية، وتيزي وزو، والبويرة فوجدت قوماً أشد التصاقاً بالإسلام، فلماذا الجمع بين النخب والجماهير، التي تكون قد تأثرت بالمدرسة الكولونيالية؟**

**بن نعمان:** أقول لهذا الذي يريد أن يطرد العرب من شمال إفريقيا، أين هم هؤلاء العرب، أوجد لي هذا العربي الذي تتكلم عنه لأطرده، أتداه أن يتكلم بالأمازيغية ويفهمه كل الأمازيغ في المغرب العربي، فاللسان العربي هو الذي جمعنا، أنا جزائري من جبال الجزائر عربي الإسلام، ولما أصبح لساني عربياً، فأنا عربي لأن العروبة باللسان والسلالة للحصان، ومادام زميلنا يتكلم باللسان العربي الفصيح، فهو عربي بالرغم من أنه يمثل ورقة صفراء في غابة خضراء، أتداه أن يأتيني بشيء مكتوب من هذه اللغة التي أصبحت تمثل عندهم قميص عثمان في المغرب العربي في العقود الأخيرة، وخاصة بعد أن أسست لها فرنسا الأكاديمية البربرية في قلب باريس لكي تغرس مسمار ديغول في المغرب العربي، وتخلق لنا «ساكس بيكو» ثقافي في المغرب العربي على غرار ما فعلته في المشرق العربي في أواخر العقد الثاني من القرن الماضي لتمزيق الشام سياسياً، بعد أن وحده القرآن لسانية وإيمانياً وثقافياً لأكثر من أربعة عشر قرناً.

**مقدم البرنامج: دكتور بن نعمان، قلت إن الأمازيغية مسمار ديغول في المغرب العربي، والملف مازال مفتوحاً !**

الملحق رقم: 9

## اللغة الأمازيغية ضحية «البريكولاج»(\*)

بعد مرور 31 سنة عن الأحداث... ما وضع الأمازيغية كلغة وثقافة؟ وما هو موضع المطالب السياسية بعد دسترة الأمازيغية وإقرارها لغة وطنية؟ وما التحديات التي تواجه الأمازيغية التي خرجت من المعارك السياسية التي تجاذبتها على امتداد 31 سنة إلى معركة الحرف لإخراجها من ثوب الثقافة الشفهية إلى ثقافة مكتوبة؟ وفي هذا يقول البرلماني السابق الأستاذ أرزقي فراد أن الأمازيغية اليوم بحاجة لفتح نقاش آخر يتعلق بنوعية الحرف الذي تكتب به هذه اللغة، هل نكتبها بالحرف العربي لإدماجها في نسيج الثقافة الوطنية أو نكتبها بالحرف اللاتيني ونبقيها في دائرة الأوراق السياسية التي تستغلها الأطراف المتصارعة في الساحة كلما دعت الضرورة إلى ذلك؟

ومن جهته، يؤكد المخرج علي موزاي أن الأمازيغية اليوم بحاجة إلى دعم من طرف أبنائها بمشاريع جادة وعميقة تخرجها من الكليشيهات والفلكور الذي يحاول البعض أن يحصرها فيه، وهذا يتطلب - حسب المتحدث - الاعتماد على الكفاءات أينما كانت دون اعتبارات لغوية، لأن الأمازيغية هي ثقافة كل الجزائريين ولا تقتصر على منطقة بعينها، ولا يعني أن من يتحدث الأمازيغية مخول ومرشح لاحتلال المناصب الثقافية إذا لم يكن أهلا لذلك «أرفض أن تتحول الأمازيغية، إلى سجل تجاري وسياسي وطريق لبني عميس وبني خليس، ويضيف قوله: لا مانع إخراج فيلم بالعربية أو بالفرنسية، لأن الأمازيغية أكبر من أن تحصر في لغة»، ويضيف المتحدث أن الدولة اليوم مدعوة لتقديم الدعم، لكن أيضا على الحاملين والمدافعين عن

---

37(\*) - جريدة «الشروق اليومي» بتاريخ 20 أبريل 2011.

هذه الثقافة أن يدركوا جيدا ما يريدون».

وحسب عصاد، الذي يشغل أيضا منصب مدير ترقية التراث بالمحافظة السامية للأمازيغية، فإننا لا يمكن أن نجعل من الأمازيغية لغة وطنية بفرض تعليمها في المناطق الناطقة بها فقط، لأنها تراث وهوية كل الجزائريين، ومن حقهم اليوم تعلم لغتهم، وهناك فعلا طلب من الجزائر العميقة لتعميم استعمال الأمازيغية في المدارس الجزائرية.

وغير بعيد عن هذا الرأي، يؤكد الأستاذ حلون، (محاضر بجامعة مولود معمري)، أن الاعتراف بأن الأمازيغية لغة وطنية يقتضي تعميمها في جميع أرجاء الوطن، لأننا لا نستطيع الحكم على لغة وطنية في منطقة أو اثنتين.

من جهة أخرى، أقر الأستاذ أن الأمازيغية اليوم بحاجة إلى نمط لغوي يمكن جميع لهجاتها والاختلافات الموجودة بداخلها من التفاهم والحسم في شكل الخط الذي تكتب به «لا توجد لغة في العالم تكتب بثلاثة خطوط مختلفة» لأن هذا يكرس الادعاء بأن الأمازيغية لهجة وليست لغة، واعترف المتحدث أن الخطوط التي تعتمد اليوم في كتابة الأمازيغية تخضع كلها لاعتبارات سياسية، وخلص الأستاذ حلون في الختام إلى التأكيد على ضرورة مواصلة النضال من أجل إقرار وضع اللغة الأمازيغية التي تراجعت في بعض جوانبها عن ما كانت عليه في الثمانينيات.

## الملحق رقم: 10

## تدريس الأمازيغية بالحرف اللاتيني لا يخدم إلا الفرنسية(\*)

خلصت دراسة ميدانية قام بها الأستاذ الدكتور صالح بلعيد من جامعة تيزي وزو، حول واقع تدريس اللغة الأمازيغية بقسم اللغة الأمازيغية بجامعة مولود معمري، إلى نتائج جد مهمة حول واقع تدريس وتطوير هذه اللغة، حيث كشفت الدراسة التي كانت حصيلة معايشة يومية ومتواصلة لأساتذة ومدرسي القسم ومحيطه، إلى كون «بعض أساتذة القسم لا علاقة لهم علميا بالأمازيغية، بل لم ينتجوا كتابا واحدا متخصصا في الأمازيغية، وبعضهم ركب الموجة، ووجد نفسه في القسم وأصبح مدرسا وينادي الآن: دعوا الأمازيغية للأمازيغيين».

ويؤكد الدكتور صالح بلعيد من خلال دراسته أن «الأمازيغية ليست بخير في قسم اللغة والثقافة الأمازيغية، وتعاني خطورة كبيرة إن لم يعمل القائمون على إعادة النظر في إنزالها، حيث يجب أن تنزل لغة كل الجزائريين، ولا يحق لأحد الاستحواذ على التراث المشترك، فاللغة الأمازيغية تراثنا المشترك».

وتذهب الدراسة بعيدا في قراءة تاريخ الممالك البربرية في المغرب الأوسط، حيث أكد الدكتور بلعيد أنه لم يسبق أن شكلت اللغة خلفية لأي صراع أو حرب على امتداد ثلاث عشرة دولة أمازيغية حكمت المغرب الأقصى والأوسط والأدنى منذ الفتح الإسلامي، «بل إن الممالك البربرية عملت في خطابها الرسمي باللغة العربية، وأعلنت من مقام العربية مكانا يفوق الأمازيغية، فالأمازيغيون، وهم الذين عملوا على إعلاء الدين الإسلامي ولغة الدين، لم يستعملوا الحرف التيفيناغي بتاتا في حكم دولهم، بل كانوا يتخذون الحروف الرومانية قبل الفتح العربي، ولما دخلوا في الإسلام نبذوا

---

38(\*) - جريدة «الشروق اليومي» بتاريخ 20 أبريل 2011.

الحروف الرومانية، وكذا حروف التيفيناغ، واستبدلوهما بالحرف العربي الذي كان يستجيب للتطور الذي تعرفه اللغة الأمازيغية آنذاك. وهناك العامل الديني الإسلامي الذي ساد في مختلف القارات؛ حيث اتجهت الكثير من اللغات إلى تبني هذا الحرف، ومنها اللغة الأمازيغية، لاعتبارين:

- الأول: أن العرب أخرجوا البربر من ظلم الرومان والبيزنطيين، وتركوا لهم مجال الاختيار بين الدخول في الإسلام أو دفع الجزية؛  
- الثاني: أن الفتح الإسلامي جعل الأمازيغيين يتنفسون بلغتهم وفي لغتهم، ولم يتبنوا لغتهم.

الدراسة، التي استقرأ من خلالها الدكتور بلعيد مختلف جوانب تدريس اللغة الأمازيغية، انتهت إلى التأكيد على أن 95 في المائة من طلاب القسم لا يتقنون الأمازيغية لا حديثاً ولا كتابة، ولم تكن النسبة أقل من ذلك في صفوف الأساتذة. وفي سياق متصل، انتهت الدراسة إلى كون 10 في المائة فقط من الطلبة يستعملون الأمازيغية في حديثهم مع الأساتذة، حيث أن الطلاب الذين يتخرجون بشهادات في اللغة الأمازيغية يعرفون الفرنسية أكثر من الأمازيغية بعد تخرجهم، ويستشهدون بالفرنسية على الأمازيغية، ولا يستطيعون التعبير بالأمازيغية. وقد انتهت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات والنتائج خلصت إلى ضرورة إعادة النظر في بعض المنهجيات، وإلى عدم الركون إلى واقع حال لا يخدم الأمازيغية.

---

## الملحق رقم: 11

وزارة التربية تتحمل مسؤولية تراجع تعليم الأمازيغية في الجزائر(\*)

طالب الأمين العام للمحافظة السامية للأمازيغية، يوسف مراحي، من السلطات العمومية التحلي بالشجاعة السياسية اللازمة للفصل نهائيا في الأبجدية التي تكتب بها الأمازيغية، لأنه لا توجد لغة في العالم تكتب بثلاث أبجديات، واعتبر أن الفصل في كتابة الأمازيغية بالحرف اللاتيني ليس خيارا أيديولوجيا بقدر ما هو خيار علمي يستند إلى حقائق الميدان، لأن كل الدراسات والبحوث التي تم انجازها منذ قرن، توصلت إلى تشفير وتهيئة الحرف اللاتيني بطريقة استوعب بها الأمازيغية صوتيا ومن ناحية القواعد، ولا يمكن اليوم أن نمحو قرنا من الزمن وننطلق من الصفر. واعتبر يوسف مراحي أن من يدعون اليوم إلى كتابة الأمازيغية بالحرف العربي لم

---

<sup>39</sup>(\*) - جريدة «الشروق اليومي» بتاريخ 20 أبريل 2011.

يقدموا ميدانيا شيئا للأمازيغية وبينون مواقفهم على معطيات سياسية وإيديولوجية تحت ذريعة الوحدة الوطنية والإسلام، رغم أن أكبر الذين خدموا العربية والإسلام كانوا من الأمازيغ، واعتبر مراحي أن أصحاب هذا الاتجاه يمارسون السياسة، ودعا مراحي أصحاب النظرية إلى تقديم الملموس من الدراسات والبحوث التي تدعم نظريتهم عوض الاتجار بالكلام السياسي - حسبه - الذي يزيد من تقوية الاتجاهات التي تصطاد في المياه العكرة وتشجع على ظهور الآراء الراديكالية.

ومن جهة أخرى، اتهم مراحي وزارة التربية بأنها لا تأخذ تعليم الأمازيغية على محمل الجد، بدليل أن تعليم الأمازيغية انطلق في 1995 بـ 16 ولاية، واليوم يتمركز تعليمها في 9 ولايات فقط، 95 في المائة من المتمدرسين يتمركزون في البويرة وتيزي وزو وبجاية، وأكثر من هذا كشف مراحي أن هناك ما لا يزيد عن 14 تلميذا فقط بالعاصمة التي ستنضم العام القادم إلى الولايات التي لا يوجد بها تعليم الأمازيغية بعد أن خسرتنا تمرناست.

واعتبر مراحي أنه من غير المقبول، ومن غير المعقول أن لا توجد أقسام تعليم الأمازيغية في شنوه وفي غرداية التي تعد قلعة من قلاع الأمازيغية، ولا توجد في العاصمة «بلاد بني مزغنة»، واستنادا إلى هذه المعطيات، دعا الأمين العام للمحافظة السامية للأمازيغية إلى ضرورة تطبيق التوصيات التي رفعتها المحافظة في كذا مناسبة، وهي إجبارية تعليم الأمازيغية في الولايات التي تدرس بها، وإنشاء المدارس العليا لتكوين المكونين..

## فهرس الموضوعات

---

50 .....	تنبيه وتنويه
07 .....	مقدمة الطبعة الثانية
11 .....	مقدمة الطبعة الأولى
	<b>الفصل الأول: كيفية اعتناق البربر الإسلام في القرن الأول الهجري</b>
23 ...	
	<b>الفصل الثاني: شهادة فرنسا على نفسها، قبل أن تبدأ سياسة «فرّق</b>
	<b>تسد»</b>
	بعد احتلال الجزائر سنة 1830
51.....	
	<b>الفصل الثالث: جذور وبنور النزعة البربرية في الجزائر</b>
63 .....	
	<b>الفصل الرابع: جذور وبنور ظهور النزعة البربرية في المغرب</b>
85 .....	
	<b>الفصل الخامس: استمرار سياسة فرنسا البربرية في البلاد المغربية</b>
	بعد
	المرحلة العسكرية
99 .....	
	<b>الفصل السادس: الخلفيات والأهداف القريبة والبعيدة للحركة البربرية</b>
	في البلاد المغربية
123 .....	
	<b>الفصل السابع: «الاستحلال» هو تحقيق أهداف الاحتلال بدون قتال ..</b>
145	

.....	الفصل الثامن: علاقة الحركة البربرية بالفرنكوفونية	173
.....	الفصل التاسع: علاقة الحركة البربرية بالشيعوية	189
.....	الفصل العاشر: علاقة الحركة البربرية بالصليبية والحركات التنصيرية	203 ...
.....	الفصل الحادي عشر: علاقة الحركة البربرية «بالثقافة والديمقراطية»	215 ..
.....	الفصل الثاني عشر: علاقة الحركة البربرية باللائكية	245
.....	الفصل الثالث عشر: علاقة الحركة البربرية بالصهيبونية	267
.....	الفصل الرابع عشر: مناقشة أطروحات الحركة البربرية	279
.....	الفصل الخامس عشر: خلاصة عامة تتضمن رأي التيار الوطني في البلدين	
	من الاحتلال الفرنسي ودعاة النزعة البربرية حاضر ومستقبلا ..	337
.....	الملاحق:	357
.....	المراجع	389
.....	فهرس الأعلام:	391